

الكامل في التلخيص

للإمام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
المعروف بـ "باب الأثير" الجزري الملقب بعبد الدين
المتوفى سنة "٦٣٠" هـ

من سنة ٢١٨ لغاية سنة ٢٢٨ للهجرة

راجعته وصححته
الدكتور محمد يوسف الرفاقه

المجلد السادس

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الاولى

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

لدار الكتب العلمية - بيروت

طلب من: **دار الكتب العلمية** بيروت - لبنان

هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢

ص ب: ٩٤٢٤ / ١١ تلکس: Nasher 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين

ذكر المحنة بالقرآن المجيد

وفي هذه السنة كتب المأمون الى اسحاق بن ابراهيم ببغداد في امتحان القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن فمن أقر أنه مخلوق محدث خلق سبيله ومن أبى أعلمه به ليأمره فيه برأيه ، وطول كتابه بإقامة الدليل على خلق القرآن وترك الاستعانة بمن امتنع عن القول بذلك ، وكان الكتاب في ربيع الأول ، وأمره بإنفاذ سبع نفر ، منهم محمد بن سعد كاتب الواقدي ، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون ، ويحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب ، وإسماعيل بن داود ، وإسماعيل بن أبي مسعود ، وأحمد بن الدورقي فأشخصوا إليه فسألهم وامتحانهم عن القرآن فأجابوا جميعاً أن القرآن مخلوق فأعادهم إلى بغداد ، فأحضرهم اسحاق بن ابراهيم داره وشهر قولهم بحضرة المشايخ من أهل الحديث فأقروا بذلك فخلى سبيلهم .

وورد كتاب المأمون بعد ذلك الى اسحاق بن ابراهيم بامتحان القضاة والفقهاء .

فأحضر اسحاق بن ابراهيم أبا حسان الزبادي ، وبشر بن الوليد الكندي ، وعلي بن أبي مقاتل ، والفضل بن غانم ، والذئبال بن الهيثم ، وسجادة ، والقواريري ، وأحمد بن حنبل ، وقتيبة ، وسعدويه الواسطي ، وعلي بن جعد ، وإسحاق بن أبي اسرائيل ، وابن الهرث ، وابن علية الأكبر ، ويحيى بن عبد الرحمن العمري ، وشيخاً آخر من ولد عمر بن الخطاب كان قاضي الرقة ، وأبا نصر التمار ، وأبا معمر القطيعي ، ومحمد بن حاتم بن ميمون ، ومحمد بن نوح المضروب ، وابن الفرخان ، وجماعة منهم النضر بن شميل ، وابن علي بن عاصم ،

وأبو العوام البزاز ، وابن شجاع ، وعبد الرحمن بن إسحاق فأدخلوا جميعاً على إسحاق فقرأ عليهم كتاب المأمون مرتين حتى فهموه ثم قال لبشر بن الوليد : ما تقول في القرآن ؟ فقال : قد عرفت مقالتي أمير المؤمنين غير مرة . قال : فقد تجدد من كتاب أمير المؤمنين ما ترى فقال : أقول القرآن كلام الله قال : لم أسألك عن هذا أمخلوق هو ؟ قال : الله خالق كل شيء قال ؛ فالقرآن شيء ؟ قال : نعم قال : فمخلوق هو ؟ قال : ليس بخالق قال : ليس هو عن هذا أمخلوق هو ؟ قال : ما أحسن غير ما قلت لك وقد استعهدت أمير المؤمنين أن لا أتكلم فيه وليس عندي غير ما قلت لك فأخذ إسحاق رقعة فقرأها عليه ووقفه عليها فقال : أشهد أن لا إله إلا الله أحداً فرداً لم يكن قبله شيء ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ووجه من الوجوه . قال : نعم . قال للكتاب : اكتب ما قال ، ثم قال لعلي بن أبي مقاتل : ما تقول ؟ قال : قد سمعت كلامي لأمر المؤمنين في هذا غير مرة وما عندي غيره فامتحنه بالرقعة فأقر بما فيها ، ثم قال له : القرآن مخلوق ؟ قال : القرآن كلام الله قال : لم أسألك عن هذا قال : القرآن كلام الله فإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا فقال للكتاب : أكتب مقالته ، ثم قال للذيال نحواً من مقالته لعلي بن أبي مقاتل فقال مثل ذلك .

ثم قال لأبي حسان الزيادي ما عندك ؟ قال : سل عمّ شئت فقرأ عليه الرقعة فأقر بما فيها ، ثم قال : ومن لم يقل هذا القول فهو كافر . فقال : القرآن مخلوق هو ؟ قال : القرآن كلام الله والله خالق كل شيء وأمير المؤمنين إمامنا وبه سمعنا عامة العلم وقد سمع ما لم نسمع وعلم ما لم نعلم ، وقد قلده الله أمرنا فصار يقيم حجتنا وصلاتنا ونؤدي إليه زكاة أموالنا ونجاهد معه ونرى إمامته فإن أمرنا ائتمرنا وإن نهانا انتهينا وإن دعانا أجبنا قال : فالقرآن مخلوق ؟ فأعاد مقالته . قال إسحاق : فإن هذه مقالة أمير المؤمنين قال : قد تكون مقالته ولا يأمر بها الناس وإن خبرتني أن أمير المؤمنين أمرك أن أقول قلت ما أمرتني به فإنك الثقة فيما أبلغتني عنه قال : ما أمرني أن أبلغك شيئاً . قال أبو حسان : وما عندي إلا السمع والطاعة فأمرني ائتمر قال : ما أمرني أن آمركم وإنما أمرني أن أمتحنكم ، ثم قال لأحمد بن حنبل : ما تقول في القرآن ؟ قال : كلام الله قال : أمخلوق هو ؟ قال : كلام الله ما أزيد عليها فامتحنه بما في الرقعة فلما أتى إلى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ^(١) قرأ ﴿ وهو السميع البصير ﴾ ^(١) وأمسك عن ﴿ ولا يشبهه

شيء من خلقه ﴿ في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه ، فاعترض عليه ابن البكاء الأصغر فقال : اصلحك الله إنه يقول سميع من أذن وبصير من عين فقال اسحق لأحمد : ما معنى قولك سميع بصير ؟ قال : هو كما وصف نفسه ، قال : فما معناه ؟ قال : لا أدري أهو هو كما وصف نفسه .

ثم دعا بهم رجلاً رجلاً كلهم يقول : القرآن كلام الله إلا قتيبة ، وعبيد الله بن محمد بن الحسن ، وابن عليّة الأكبر ، وابن البكاء ، وعبد المنعم بن ادريس ابن بنت وهب بن منبه ، والمظفر بن مرجا ، ورجلاً من ولد عمر بن الخطاب قاضي الرقة ، وابن الأحمر .

فأما ابن البكاء الأكبر فإنه قال : القرآن مجعول لقول الله عز وجل : ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً ﴾ ^(١) والقرآن محدث لقوله تعالى : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ ^(٢) قال اسحاق : فالمجعول مخلوق ؟ قال : نعم قال : والقرآن مخلوق ؟ قال : لا أقول مخلوق ولكنه مجعول ، فكتب مقالاته ومقالات القوم رجلاً رجلاً ووجهت إلى المأمون ، فأجاب المأمون يذمهم ويذكر كلاً منهم ويعيهم ويقع فيه بشيء ، وأمره أن يحضر بشر بن الوليد ، وإبراهيم بن المهدي ، ويمتنحهما فإن أجابا وإلا فاضرب أعناقهما ، وأما من سواهما فإن أجاب إلى القول بخلق القرآن والا احملهم موثقين بالحديد إلى عسكره مع نفر يحفظونهم .

فأحضرهم اسحق وأعلمهم بما أمر به المأمون فأجاب القوم أجمعون الا أربعة نفر ، وهم أحمد بن حنبل ، وسجادة ، والقواريري ، ومحمد بن نوح المضروب فأمر بهم إسحاق فشدوا في الحديد ، فلما كان الغد دعاهم في الحديد فأعاد عليهم المحنة فأجابه سجادة ، والقواريري فأطلقهما وأصر أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح على قولهما فشدوا في الحديد ووجها إلى طرسوس ، وكتب إلى المأمون بتأويل القوم فيما أجابوا إليه ، فأجابه المأمون إنني بلغني عن بشر بن الوليد بتأويل الآية التي أنزلها الله تعالى في عمار بن ياسر ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ ^(٣) وقد أخطأ التأويل إنما عنى الله سبحانه وتعالى بهذه الآية من كان معتقداً للإيمان مظهراً للشرك فأما من كان معتقداً للشرك مظهراً للإيمان فليس هذا له ، فأشخصهم جميعاً إلى طرسوس ليقيموا بها

(١) سورة الزخرف ٣ . (٢) سورة الأنبياء ٢ . (٣) سورة النحل ١٠٦ .

الى أن يخرج أمير المؤمنين من بلاد الروم ، فأحضرهم اسحاق وسيرهم جميعاً الى
العسكر ، وهم أبو حسان الزيادي ، ويشرب بن الوليد ، والفضل بن غانم ، وعلي بن
مقاتل ، والذبال بن الهيثم ، ويحيى بن عبد الرحمن العمري ، وعلي بن الجعد ،
وأبو العوام ، وسجادة ، والقواريري ، وابن الحسن بن علي بن عاصم ، وإسحاق بن
ابي اسرائيل ، والنضر بن شميل ، وأبو نصر التمار ، وسعدويه الواسطي ، ومحمد بن
حاتم بن ميمون ، وأبو معمر بن الهرش ، وابن الفرخان ، وأحمد بن شجاع ، وأبو
هارون بن البكاء ، فلما صاروا الى الرقة بلغهم موت المأمون فرجعوا الى بغداد .

ذكر مرض المأمون ووصيته

وفي هذه السنة مرض المأمون مرضه الذي مات فيه لثلاث عشرة خلت من
جمادى الآخرة .

وكان سبب مرضه ما ذكره سعد بن العلاف القاري قال : دعاني المأمون يوماً
فوجدته جالساً على جانب البذندون والمعتصم عن يمينه وهما قد دليا أرجلهما في الماء
فأمرني أن أضع رجلي في الماء وقال : ذقه فهل رأيت أعذب منه أو أصفى صفاء أو أشد
برداً ؟ ففعلت وقلت : يا أمير المؤمنين ما رأيت مثله قط فقال : أي شيء يطيب أن يؤكل
ويشرب عليه هذا الماء ؟ فقلت : أمير المؤمنين أعلم فقال : الرطب الاذاذ ، فبينما هو
يقول إذ سمع وقع لجم البريد فالتفت فإذا بغال البريد عليها الحقائب فيها الألفاظ فقال
لخادم : أنظر إن كان في هذه الألفاظ رطب ازاذ فأت به فمضى وعاد ومعه سلتان فيهما
إزاذ كأنما جُني تلك الساعة فأظهر شكر الله وتعجبنا جميعاً وأكلنا وشربنا من ذلك الماء
فما قام منا أحد إلا وهو محموم ، وكانت نية المأمون من تلك العلة ، ولم يزل
المعتصم مريضاً حتى دخل العراق ، وبقيت أنا مريضاً مدة ، فلما مرض المأمون أمر أن
يكتب إلى البلاد الكتب من عبدالله المأمون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده أبي
إسحاق بن هارون الرشيد ، وأوصى إلى المعتصم بحضرة ابنه العباس وبحضرة
الفقهاء ، والقضاة ، والقواد .

وكانت وصيته بعد الشهادة والإقرار بالوحدانية ، والبعث ، والجنة ، والنار ،
والصلاة على النبي ﷺ والأنبياء إني مقر مذهب أرجو وأخاف إلا أني إذا ذكرت عفو الله
رجوت ، وإذا مت فوجهوني وغمضوني وأسبغوا وضوئي وطهروني وأجيدوا كفني ، ثم

أكثرُوا حمداً لله على الإسلام ومعرفة حقه عليكم في محمد ﷺ إذ جعلنا من أمته المرحومة ، ثم أضجعوني على سريري ثم عجلوا بي ، وليصل علي أقربكم نسباً وأكبركم سناً وليكبر خمسا ، ثم احملوني وابلغوا بي حفرتي ولينزل بي أقربكم قرابة وأودكم محبة وأكثرُوا من حمد الله وذكره ثم ضعوني على شقي الأيمن واستقبلوا بي القبلة ثم حلوا كفني عن رأسي ورجلي ، ثم سدوا اللحد واخرجوا عني وخلوني وعملي وكلكم لا يغني عني شيئاً ولا يدفع عني مكروهاً ، ثم قفوا بأجمعكم فقولوا خير إن علمتم وأمسكوا عن ذكر شر إن كنتم عرفتم فأني مأخوذ من بينكم بما تقولون ، ولا تدعوا باكية عندي فإن المعول عليه يعذب ، رحم الله عبداً اتعظ وفكر في ما حتم الله على خلقه من الفناء وقضى عليهم من الموت الذي لا بد منه ، فالحمد لله الذي توحد بالبقاء وقضى على جميع خلقه الفناء لينظر ما كنت فيه من عز الخلافة هل أغني عني ذلك شيئاً إذ جاء أمر الله ؟ لا والله ولكن أضعف علي به الحساب ، فياليت عبد الله بن هارون لم يكن بشراً بل ليته لم يكن خلقاً ، يا أبا إسحاق ادن مني واتعظ بما ترى وخذ بسيرة أخيك في القرآن والإسلام واعمل في الخلافة إذا طوقكها الله عمل المرید لله الخائف من عقابه وعذابه ولا تغتر بالله ومهلكه وكأن قد نزل بك الموت .

ولا تغفل أمر الرعية والعوام فإن الملك بهم ويتعهدك لهم . الله الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين ، ولا يتتهين إليك أمر فيه صلاح للمسلمين ومنفعة لإقامته وأثرته على غيره من هোক ، وخذ من أقويائهم لضعفائهم ولا تحمل عليهم في شيء وأنصف بعضهم من بعض بالحق بينهم وقربهم وتأن بهم ، وعجل الرحلة عني والقدوم إلى دار ملكك بالعراق ، وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم في كل وقت ، والخرمية فأغزهم ذا حرمة وصرامة وجلد واكنفه بالأموال والجنود ، فإن طالت مدتهم فتجرد لهم فيمن معك^(١) من أنصارك وأوليائك واعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه راجياً ثواب الله عليه .

ثم دعا المعتصم بعد ساعة حين اشتد الوجع وأحس بمجيء أمر الله فقال . يا أبا إسحاق عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله ﷺ لتقومن بحق الله في عباده ولتؤثرن طاعة الله على معصيته إذ أنا نقلتها من غيرك اليك قال : اللهم نعم قال : هؤلاء بنو

(١) في نسخة « والحرية فأغزهم ذا حرمة وصدافة » .

عمك من ولد أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه فأحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئتهم وأقبل من محسنهم ولا تغفل صلاتهم في كل سنة عند محلها فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى ، اتقوا الله ربكم حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، اتقوا الله واعملوا له اتقوا الله في أموركم كلها ، استودعكم الله ونفسي واستغفر الله ما سلف مني إنه كان غفاراً فإنه ليعلم كيف ندمي على ذنوبي فعليه توكلت من عظيمها وإليه أنيب ولا قوة إلا بالله حسبي الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة .

ذكر وفاة المأمون وعمره وصفته

وفي هذه السنة توفي المأمون لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب .

فلما اشتد مرضه وحضره الموت كان عنده من يلقيه فعرض عليه الشهادة وعنده ابن ماسويه الطبيب فقال لذلك الرجل : دعه فإنه لا يفرق في هذه الحال بين ربه وماني ففتح المأمون عينيه وأراد أن يبطش به فعجز عن ذلك وأراد الكلام فعجز عنه ، ثم إنه تكلم فقال : يا من لا يموت ارحم من يموت ثم توفي من ساعته .

ولما توفي حمله ابنه العباس وأخوه المعتصم إلى طرسوس فدفناه بدار خاقان خادم الرشيد وصلى عليه المعتصم ، ووكلوا به حرساً من أبناء أهل طرسوس وغيرهم مائة رجل وأجري على كل رجل منهم تسعون درهماً ، وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً سوى سنين (١) كان دُعي له فيها بمكة وأخوه الأمين محصور ببغداد ، وكان مولده للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، وكان كنيته أبا العباس ، وكان ربة أبيض جميلاً ، طويل اللحية رقيقها قد وخطها الشيب .

وقيل : كان اسمر تعلوه صفرة أجنى أعين ، طويل اللحية رقيقها أشيب ، ضيق البلجة (٢) بخده خال أسود .

ذكر بعض سيرته وأخباره

قال محمد بن صالح السرخسي : تعرض رجل للمأمون بالشام مراراً وقال يا أمير

(١) في الطبري « سوى ستين » .

(٢) في الطبري « ضيق الجبهة » .

المؤمنين انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم خراسان ، فقال له : أكثر عليّ والله ما أنزلت قيساً من ظهور خيولها إلا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد - يعني فتنة ابن سبث العامري - وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتي قط ، وأما قضاة فساداتها تنتظر السفيناني وخروجه حتى تكون من أشياعه ، وأما ربيعة فساخطة على ربها مذ بعث الله نبيه من مضر ولم يخرج اثنان إلا وخرج أحدهما سائساً اعرف^(١) فعل الله بك .

وذكر سعيد بن زياد أن المأمون قال لما دخل دمشق : أرني الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ قال : فأريته فقال : إني لأشتهي أن أدري إيش هذا الغشاء على هذا الخاتم ؟ قال : فقال : له المعتصم : حلّ العقدة حتى تدري ما هو قال : ما أشك ان النبي ﷺ عقد هذا العقد وما كنت لأحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ ، ثم قال للوائق : خذه وضعه على عينيك لعل الله أن يشفيك وجعل المأمون يضعه على عينيه ويبيكي .

وقال العبسي^(٢) صاحب اسحاق بن ابراهيم : كنت مع المأمون بدمشق وكان قد قلّ المال عنده حتى أضاق وشكا ذلك الى المعتصم ، فقال له : يا أمير المؤمنين كأنك بالمال وقد وافاك بعد جمعه وكان قد حمل اليه ثلاثون ألف ألف درهم من خراج ما يتولاه له ، فلما ورد عليه المال قال المأمون ليحيى بن اكثم : اخرج بنا ننظر هذا المال فخرجا ينظرانه وكان قد هيء بأحسن هيئة وحليت أباعره ، فنظر المأمون الى شيء حسن واستكثر ذلك واستبشر به والناس ينظرون إليه ويعجبون منه فقال المأمون : يا أبا محمد ننصرف بالمال وأصحابنا يرجعون خائبين إن هذا للؤم ، ثم دعا محمد بن يزيد فقال له : وقع لآل فلان بألف ألف ولآل فلان بمثلها فما زال كذلك حتى فرق أربعة وعشرين ألف ألف ورجله في الركاب : ثم قال : ادفع الباقي الى المعلى يعطيه جندنا ، قال العبسي^(٣) : فقامت نصب عينيه أنظر إليهما فلما رآني كذلك قال : وقع لهذا بخمسين ألفاً فقبطتها .

وذكر عن محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان أنه كان بالبصرة رجل من بني تميم بن سعد وكان شاعراً ظريفاً خبيثاً منكراً وكنت آنس به وأستحليه فقلت له : أنت

(١) في الطبري « شاريا اعزب » .

(٢) في الطبري « العيشي » .

(٣) في الطبري « العيشي » .

شاعر وأنت ظريف ، والمأمون أجود من السحاب الحافل فما يمنعك منه ؟ فقال : ما عندي ما يحملني فقلت : أنا أعطيك راحلة ونفقة فأعطيته راحلة نجبية وثلاثمائة درهم فعمل أرجوزة ليست بالطويلة ثم سار الى المأمون قال : فجئت إليه وهو يسْلُغُوس قال : فلبست ثيابي وأنا أروم بالعسكر وإذا بكهل على بغل فاره فتلقاني مواجهة وأنا أردد نشيد أرجوزتي فقال : السلام عليك فقلت : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته قال : قف إن شئت فوقفت فتضوعت منه رائحة المسك والعنبر فقال : ما أولك ؟ قلت : رجل من مضر . قال : ونحن من مضر . قال : ثم ماذا ؟ قلت : من بني تميم قال : وما بعد تميم ؟ قلت : من بني سعد . قال : وما أقدمك ؟ قلت : قصدت هذا الملك الذي ما سمعت بمثله أندى رائحة ولا أوسع راحة . قال : فما الذي قصدته به ؟ قلت : شعر طيب يلذ على الأفواه ويحلو في آذان السامعين قال : فأنشدنيه فغضبت وقلت : يا ركيك أخبرتك أنني قصدت الخليفة بمديح تقول : انشدنيه فتغافل عنها وألغى عن جوابها فقال : فما الذي تأمل منه ؟ قلت : إن كان على ما ذكر لي فألف دينار قال : أنا اعطيك ألف دينار إن رأيت الشعر جيداً والكلام عذباً وأضع عنك العناء وطول الترداد متى تصل الى الخليفة وبينك وبينه عشرة آلاف راحم ونابل ؟ قلت : فلي عليك الله أن تفعل قال : نعم لك الله عليّ أن أفعل فانشدته :

مأمون ذا المنزلة ^(١) الشريفه	وصاحب المرتبة المنيّفه
وقائد الكتية الكثيفه	هل لك في أرجوزة ظريفه
أظرف من فقه أبي حنيفه	لا والذي أنت له خليفه
ما ظلمت في أرضنا ضعيفه	أميرنا مؤنته خفيفه
وما اقتنى ^(٢) شيئاً سوى الوظيفة	فالذنب والنقمة ^(٣) في سقيفه

واللص والتاجر في قطيفه

قال : فوالله ما عدا أن بلغت ههنا فإذا زهاء عشرة آلاف فارس قد سدوا الأفق يقولون : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته : فأخذتني رعدة فنظر إليّ

(١) في الطبري « مأمون إذا المن » .

(٢) في الطبري « وما اجتبي » .

(٣) في الطبري « فالذنب والنقمة » الخ .

بتلك الحال فقال : لا بأس عليك أي أخي قلت : يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك من جعل الكاف مكان القاف من العرب ؟ قال : حمير قلت : لعن الله حمير ولعن من استعمل هذه اللغة بعد اليوم وضحك المأمون وقال لخادم معه : اعطه ما معك فأخرج كيساً فيه ثلاثة آلاف دينار فأخذتها ومضيت ، ومعنى سؤاله عن وضع الكاف موضع القاف أنه أراد أن يقول : يا رقيق فقال يا ركيك .

وقال عمارة بن عقيل : أنشدت المأمون قصيدة مائة بيت فابتدىء بصدر البيت فيبادرني الى قافيته كما قفيته فقلت : والله يا أمير المؤمنين ما سمعها مني أحد قط فقال : هكذا ينبغي أن يكون ، ثم قال لي : أما بلغك أن عمر بن أبي ربيعة انشد عبداً لله بن عباس قصيدته التي يقول فيها :

يشط عداذاً وجيراننا^(١)

فقال ابن عباس :

وللدار بعد غد أبعد

حتى أنشده القصيدة يقفها ابن عباس ثم قال : أنا ابن ذاك ، وذكر ان المأمون قال :

بعثتك مُرتاداً ففَزْتُ بِنَظَرَةٍ	واغفلتني حتى اسأت بك الظناً
فناجيت من أهوى وكنت مباعداً	فياليت شعري عن دنوك ما أغنى
أرى أثراً منه بعينيك بيّناً	لقد أخذت عيناك من عينه حسناً

قيل : وإنما أخذ المأمون هذا المعنى من العباس بن الأحنف فإنه أخرج هذا المعنى فقال :

أن تشق عيني بها فقد سَعَدَت	عينُ رسولي وفزت بالخبر
وكلما جاءني الرسول لها	وددت عهداً في عينه ^(٢) نظري
خذ مقلتي يا رسول عارية	فانظر بها واحتكم على بصري

(١) في الطبري « تشط غدا دار جيراننا » .

(٢) في الطبري « رددت عمداً في طرفه » .

قيل : وشكا اليزيدي يوماً إلى المأمون ديناً لحقه فقال : ما عندي في هذه الأيام ما إن أعطيناك بلغت به ما تريد . فقال : يا أمير المؤمنين إن غرمائي قد ارهقوني قال : انظر لنفسك أمراً تنال به نفعاً قال : إن لك ندماء فيهم من أن حركته نلت به نفعاً قال : أفعَل قال : إذا حضروا عندك فمر فلاناً الخادم يوصل رقعتي إليك فإذا قرأتها فأرسل إليّ دخولك في هذا الوقت متعذر ولكن اختر لنفسك من أحببت قال : أفعَل ، فلما علم اليزيدي جلوس المأمون مع ندمائه وتيقن أنهم قد أخذ الشراب منهم أتى الباب فدفع إلى الخادم رقعته فإذا فيها :

يا خيرَ إخواني وأصحابي هذا الطفيلي على^(١) الباب
أخبر^(٢) أن القومَ في لَذَّةٍ يَصُبُّو إليها كلُّ أوَّاب
فصَيروني واحداً منكم أو أخرجوا لي بعضَ أترابي

فقرأها المأمون عليهم وقالوا : ما ينبغي أن يدخل علينا على مثل هذه الحال . فأرسل إليه المأمون دخولك في هذا الوقت متعذر فاختر لنفسك من أحببت تنادمه فقال : ما أريد إلا عبدالله بن طاهر فقال له المأمون قد اختارك فسر إليه . قال : يا أمير المؤمنين وأكون شريك الطفيلي . فقال : ما يمكن رد أبي محمد عن أمرين فإن أحببت أن تخرج إليه وإلا فافتد نفسك منه . فقال : عليّ عشرة آلاف قال : لا يقنعه فما زال يزيد عشرة عشرة والمأمون يقول : لا يقنعه حتى بلغ مائة ألف . فقال له المأمون : فجعلها فكتب بها إلى وكيله ووجه معه رسولاً وأرسل إليه المأمون قبض هذه الدراهم في هذه الساعة أصلح من منادمته وانفع لك .

وقال عمارة بن عقيل : قال لي عبدالله بن أبي السمط أعلمت أن المأمون لا يبصر الشعر ؟ قلت : ومن يكون أعلم منه فوالله إنا لنشده أول البيت فيسبقنا إلى آخره قال : إني أنشدته بيتاً أجدت فيه فلم يتحرك له قلت : وما هو ؟ قال :

أضحى إمام الهدى المأمون مشغلاً بالدين والناس بالدنيا مشاغيل
قال : فقلت والله ما صنعت شيئاً هل زدت على أن جعلته عجوزاً في محرابها

(١) في الطبري « لدى » .

(٢) في الطبري « خبر » .

فإذن من الذي يقوم بأمر الدنيا إذا تشاغل عنها وهو المطوق بها؟ ألا قلت كما قال جدي جرير في عبد العزيز بن الوليد :

فلا هو في الدنيا يُضيع ^(١) نصيبه ولا عرضُ الدنيا عن الدين شاغله

فقال : الآن علمت أنني قد اخطأت . قال ابو العباس أحمد بن عبدالله بن عمار : كان المأمون شديد الميل إلى العلويين والإحسان إليهم وخبره مشهور معهم وكان يفعل ذلك طبعاً لا تكلفاً ، فمن ذلك أنه توفي في أيامه يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين العلوي فحضر الصلاة عليه بنفسه ورأى الناس عليه من الحزن والكآبة ما تعجبوا منه ، ثم إن ولداً لزينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس - وهي ابنة عم المنصور - توفي بعده فأرسل له المأمون كفناً وسير أخاه صالحاً ليصلي عليه ويعزي أمه فإنها كانت عند العباسيين بمنزلة عظيمة فأتاها وعزاها عنه واعتذر عن تخلفه عن الصلاة عليه فظهر غضبها وقالت لابن ابنها : تقدم فصل على أبيك وتمثلت :

سبكناه ونحسبه لجيناً فأبدئ الكيرُ عن خبث الحديدِ

ثم قالت لصالح : قل له يا ابن مراجل أما لو كان يحيى بن الحسين بن زيد لوضعت ذيلك على فيك وعدوت خلف جنازته .

ذكر خلافة المعتصم

هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد ، بويع له بالخلافة بعد موت المأمون ، ولما بويع له شغب الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون فأرسل إليه المعتصم فأحضره فبايعه ثم خرج الى الجند فقال : ما هذا الحب البارد ؟ قد بايعت عمي فسكتوا ، وأمر المعتصم بخراب ما كان المأمون أمر بينائه من طوانة مما تذكره في عدة حوادث ، وحمل ما أطلق من السلاح والآلة التي بها وأحرق الباقي وأعاد الناس الذين بها الى البلاد التي لهم وانصرف إلى بغداد ومعه العباس بن المأمون فقدمها مستهل شهر رمضان .

(١) في الطبري « مضيع » .

ذكر خلاف فضل على زيادة الله

وفي هذه السنة وجه زيادة الله بن الأغلب صاحب أفريقية جيشاً لمحاربة فضل بن أبي العنبر بالجزيرة وكان مخالفاً لزيادة الله فاستمد فضل بعبد السلام بن المفرج الربيعي وكان أيضاً مخالفاً من عهد فتنة منصور كما ذكرنا فصار إليه ، فالتقوا مع عسكر زيادة الله وجرى بين الطائفتين قتال شديد عند مدينة اليهود بالجزيرة فقتل عبد السلام وحمل رأسه إلى زيادة الله ، وسار فضل بن أبي العنبر إلى مدينة تونس فدخلها وامتنع بها فسير زيادة الله إليه جيشاً فحاصروا فضلاً بها وضيقوا عليه حتى فتحوها منه وقتل وقت دخول العسكر كثير من أهلها ، منهم عباس بن الوليد الفقيه وكان دخل في بيته لم يقاتل فدخل عليه بعض الجند فأخذ سيفه وخرج وهو يصيح الجهاد فقتل ، وبقي ملقى في خربة سبعة أيام لم يقربه ذوناب ولا مخلب وكان قد سمع الحديث من ابن عيينة وغيره وكان من الصالحين ، وهرب كثير من أهل تونس لما ملكت ثم امنهم زيادة الله فعادوا إليها .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عاد المأمون إلى سلفوس ووجه ابنه العباس إلى طوانة وأمره بينائها وكان قد وجه الفعلة فابتدؤوا في بنائها ميلاً في ميل وجعل سورها على ثلاثة فراسخ ، وجعل لها أربعة أبواب ، وجعل على كل باب حصناً ، وكتب إلى البلدان ليفرضوا على كل بلد جماعة ينتقلون إلى طوانة وأجرى لهم لكل فارس مائة درهم ولكل راجل أربعين درهماً .

وفيهما توفي بشر بن غياث المريسي وكان يقول بخلق القرآن والإرجاء وغيرهما من البدع ، وفيها دخل كثير من أهل الجبال ، وهمذان ، وأصبهان ، وماسذان ، وغيرها في دين الخرمية وتجمعوا فعسكروا في عمل همذان ، فوجه إليهم المعتصم العساكر وكان فيهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وعقد له على الجبال في شوال فصار إليهم فأوقع بهم في أعمال همذان فقتل منهم ستين ألفاً وهرب الباقون إلى بلد الروم وقرى كتابه بالفتح يوم التروية ، وحج بالناس هذه السنة صالح بن العباس بن محمد .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين ذكر خلاف محمد بن القاسم العلوي

في هذه السنة ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بالطالقان من خراسان يدعو إلى الرضا من آل محمد ﷺ .

وكان ابتداء أمره أنه كان ملازماً لمسجد النبي ﷺ حسن السيرة فأتاه إنسان من خراسان اسمه أبو محمد كان مجاوراً فلما رآه أعجبه طريقه فقال له : أنت أحق بالإمامة من كل أحد وحسن له ذلك وبإيعه وصار الخراساني يأتيه بالنفر بعد النفر من حجاج خراسان يبائعونه فعل ذلك مدة ، فلما رأى كثرة من بايعه من خراسان سارا جميعاً إلى الجوزجان واختفى هناك وجعل أبو محمد يدعو الناس إليه فعظم أصحابه ، وحمله أبو محمد على إظهار أمره فأظهره بالطالقان فاجتمع إليه بها ناس كثير .

وكانت بينه وبين قواد عبدالله بن طاهر وقعات بناحية الطالقان وجبالها فانهزم هو وأصحابه وخرج هارباً يريد بعض كور خراسان وكان أهلها كاتبوه ، فلما صار بنساً وبها والد بعض من معه فلما بصر به سأله عن الخبر فأخبره فمضى الأب إلى عامل نساً فأخبره بأمر محمد بن القاسم فأعطاه العامل عشرة آلاف درهم على دلالاته ، وجاء العامل إلى محمد فأخذه واستوثق منه وبعثه إلى عبدالله بن طاهر فسيّره إلى المعتصم فورد إليه منتصف شهر ربيع الأول^(١) فحبس عند مسرور الخادم الكبير وأجرى عليه الطعام ووكل به قوماً يحفظونه ، فلما كان ليلة الفطر اشتغل الناس بالعيد فهرب من الحبس دلي إليه حبل من كوة كانت يدخل منها الضوء فلما أصبحوا أتوه بالطعام للغداء فلم يروه وجعلوا لمن دل عليه مائة ألف فلم يعرف له خبر .

(١) في الطبري : « لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول » .

ذكر محاربة الزُّط

وفيها وجه المعتصم عجيف بن عنبة في جمادى الآخرة لحرب الزُّط الذين كانوا غلبوا على طريق البصرة وعاثوا وأخذوا الغلات من البيادر بكسَّكر وما يليها من البصرة وأخافوا السبيل ، ورتب عجيف الخيل في كل سكة من سكك البريد تركض بالأخبار فكان يأتي بالأخبار من عجيف في يوم ، فسار حتى نزل تحت واسط وأقام على نهر يقال له بَرْدُودَا حتى سده وأنهاراً آخر كانوا يخرجون منها ويدخلون ، وأخذ عليهم الطرق ثم حاربهم فأسر منهم في معركة واحدة خمسمائة رجل وقتل في المعركة ثلاثمائة رجل فضرب أعناق الأسرى وبعث الرؤوس الى باب المعتصم ، ثم أقام عجيف بإزاء الزُّط خمسة عشر يوماً فظفر منهم فيها بخلق كثير ، وكان رئيس الزُّط رجلاً يقال له : محمد بن عثمان ، وكان صاحب أمره إنساناً يقال له : سماق^(١) ، ثم استوطن عجيف وأقام بإزائهم سبعة أشهر^(٢) .

ذكر محاصرة طليطلة^(٣)

في هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم الأموي صاحب الأندلس جيشاً مع أمية بن الحكم الى مدينة طُليطلة فحصرها وكانوا قد خالفوا الحكم وخرجوا عن الطاعة واشتد في حصرهم وقطع أشجارهم وأهلك زروعهم فلم يذعنوا الى الطاعة فرحل عنهم ، وأنزل بقلعة رباح جيشاً عليهم ميسرة المعروف بفتى أبي أيوب ، فلما أبعدوا منه خرج جمع كثير من أهل طليطلة لعلهم يجدون فرصة وغفلة من ميسرة فينالون منه ومن أصحابه غرضاً وكان ميسرة قد بلغه الخبر - فجعل الكمين في مواضع ، فلما وصل أهل طُليطلة الى قلعة رباح للغارة خرج الكمين عليهم من جوانبهم ووضعوا السيف فيهم وأكثروا القتل وعاد من سلم منهم منهزماً الى طُليطلة ، وجمعت رؤوس القتلى وحملت إلى ميسرة فلما رأى كثرتها عظمت عليه وارتاع لذلك ووجد في نفسه غماً شديداً فمات بعد أيام يسيرة .

(١) في الطبري « سملق » بلام .

(٢) في الطبري « تسعة أشهر » .

(٣) مدينة كبيرة بالأندلس .

وفيها أيضاً كان بَطْلِيْطُلَّة فتنة كبيرة تعرف بملحمة العراس قتل من أهلها كثير .

ذكر عدة حوادث

وفيها أحضر المعتصم أحمد بن حنبل وامتحنه بالقرآن فلم يجب الى القول بخلقه فأمر به فجلد جلدًا عظيمًا حتى غاب عقله وتقطع جلده وحبس مقيداً^(١) . وفيها قدم إسحاق بن إبراهيم الى بغداد في جمادى الأولى ومعه من أسرى الخرمية خلق كثير ؛ وقيل : إنه قتل منهم نحو مائة ألف سوى النساء والصبيان . وفيها توفي أبو نعيم الفضل بن دكين الملائى^(٢) مولى طلحة بن عبد الله التيمي في شعبان وهو من مشايخ البخاري ومسلم كان مولده سنة ثلاثين ومائة وكان شيعياً وله طائفة تنسب إليه يقال لها الدكينية .

(١) جاء في شذرات الذهب ٤٥/٢ : « وضرب بين يديه بالسياط حتى غشي عليه فلما صمم ولم يجب أطلقه وندم على ضربه » .

(٢) إنظر شذرات الذهب ٤٦/٢ .

ثم دخلت سنة عشرين ومائتين

ذكر ظفر عجيف بالزط

وفي هذه السنة دخل عجيف بالزط بغداد بعد أن ضيق عليهم وقتلهم وطلبوا منه الأمان فأمنهم فخرجوا إليه في ذي الحجة سنة تسع عشرة ومائتين ، وكانت عدتهم مع النساء والصبيان سبعة وعشرين ألفاً والمقاتلة منهم اثنا عشر ألفاً ، فلما خرجوا إليه جعلهم في السفن وعباهم في سفنهم على هيئتهم في الحرب معهم البوقات حتى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء من هذه السنة ، وخرج المعتصم الى الشماسية في سفينة يقال لها : الرّف حتى يمرُّ به الزط على تعبيتهم وهم ينفخون في البوقات ^(١) ، وأعطى عجيف أصحابه كل رجل دينارين دينارين ، وأقام الزط في سفنهم ثلاثة أيام ثم نقلوا إلى الجانب الشرقي وسلموا الى بشر بن السُميدع فذهب بهم الى خانقين ثم نقلوا الى الثغر الى عين زربة ^(٢) فأغارت الروم عليهم فاجتاحوهم فلم يفلت منهم أحد .

ذكر مسير الأفشين لحرب بابك الخرمي

وفي هذه السنة عقد المعتصم للأفشين حيدر بن كاوس على الجبال ووجهه لحرب بابك فصار إليه ، وكان ابتداء خروج بابك سنة إحدى ومائتين ، فكانت مدينته البَدْ ^(٣) وهزم من جيوش السلطان عدة وقتل من قواده جماعة ، فلما أفضى الأمر إلى المعتصم وجه أبا سعيد محمد بن يوسف الى أَرْدَبِيل وأمره أن يبنى الحصون التي أخرجها بابك فيما بين زَنْجان ، وأَرْدَبِيل ويجعل فيها الرجال تحفظ الطرق لمن يجلب الميرة الى أَرْدَبِيل ، فتوجه أبو سعيد لذلك وبنى الحصون ، ووجه بابك سرية في بعض

(١) وزاد الطبري « فكان أولهم بالقفص وآخرهم بحذاء الشماسية » .

(٢) في معجم البلدان : عين زربي : وهو بلد بالثغر من نواحي المصيصة .

(٣) البَدْ : كورة بين أذربيجان وآران وفيه يتوقعون المهدي معجم البلدان ١/ ٣٦١ .

غزاته فأغارت على بعض النواحي ورجعت منصرفة ، وبلغ ذلك أبا سعيد فجمع الناس وخرج في طلب السرية فاعترضها في بعض الطرق فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل أبو سعيد من أصحاب بابك جماعةً وأسر جماعة واستنقذ ما كانوا أخذوه وسير الرؤوس والأسرى الى المعتصم فكانت هذه أول هزيمة على أصحاب بابك .

ثم كانت الأخرى لمحمد بن البعيث وذلك أن محمداً كان في قلعة له حصينة تسمى الشاهي كان ابن البعيث قد أخذها من ابن الرواد وهي من كورة أذربيجان وله حصن آخر من أذربيجان يسمى تبريز وكان مصالحاً لبابك تنزل سراياته عنده فيضيفهم حتى أنسوا به ، ثم إن بابك وجه قائداً اسمه عصمة من اصبهديته في سرية فنزل بابن البعيث فأنزل له الضيافة على عادتها واستدعاه له في خاصة ووجوه أصحابه فصعد فغذاهم وسقاهم الخمر حتى سكروا ثم وثب على عصمة فاستوثق منه وقتل من كان معه من أصحابه وأمره أن يسمى رجلاً رجلاً من أصحابه فكان يدعو الرجل باسمه فيصعد فيضرب عنقه حتى علموا بذلك فهربوا وسير عصمة الى المعتصم ، فسأل المعتصم عصمة عن بلاد بابك فأعلمه طرقه ووجوه القتال فيها ، ثم ترك عصمة محبوساً بقي الى أيام الواصل . ثم إن الأفشين سار إلى بلاد بابك فنزل برزند وعسكر بها وضبط الطرق والحصون فيما بينه وبين أردبيل ، وأنزل محمد بن يوسف بموضع يقال له : خش فحفر خندقاً ، وأنزل الهيثم الغنوي برستاق أرشق فأصلح حصنه وحفر خندقه وأنزل علويه الأعور من قواد الأبناء في حصن النهر مما يلي أردبيل ، فكانت السابلة والقوافل تخرج من أردبيل ومعها من يحميها حتى تنزل بحصن النهر ، ثم يسيرها صاحب حصن النهر الى الهيثم الغنوي فيلقاه الهيثم بمن جاء إليه من ناحية في موضع معروف لا يتعداه أحدهم إذا وصل اليه فإذا لقيه أخذ ما معه وسلم إليه ما معه ثم يسير الهيثم بمن معه إلى أصحاب أبي سعيد فيلقونه بمنتصف الطريق ومعهم من خرج من العسكر فيتسلمون ما مع الهيثم ويسلمون إليه ما معهم وإذا سبق أحدهم الى المنتصف لا يتعداه ، ويسير أبو سعيد بمن معه الى عسكر الأفشين فيلقاه صاحب سيارة الأفشين فيتسلمهم منه ويسلم إليه من صحبه من العسكر فلم يزل الأمر على هذا ، وكانوا إذا ظفروا بأحد من الجواسيس حملوه الى الأفشين فكان يحسن اليهم ويهب لهم ويسألهم عن الذي يعطيهم بابك فيضعفه لهم ويقول لهم : كونوا جواسيس لنا فكان يتنفع بهم .

ذكر وقعة الافشين مع بابك

وفيها كانت وقعة الافشين مع بابك قتل من أصحاب بابك خلق كثير .

وكان سببها أن المعتصم وجه بُغا الكبير الى الافشين ومعه مالٌ للجند والنفقات فوصل أرذبيل ، فبلغ بابك الخبر فتهيأ هو وأصحابه ليقطعوا عليه قبل وصوله إلى الافشين ، فجاء جاسوس إلى الافشين فأخبره بذلك ، فلما صح الخبر عند الافشين كتب إلى بُغا أن يظهر أنه يريد الرحيل ويحمل المال على الابل ويسير نحوه حتى يبلغ حصن النهر فيُحْبِسَنَّ الذي معه حتى يجوز من صحبه من القافلة فإذا جازوا رجع بالمال إلى أرذبيل ، ففعل بُغا ذلك وسارت القافلة وجاءت جواسيس بابك إليه فأخبروه أن المال قد سار فبلغ النهر ، وركب الافشين في اليوم الذي واعد فيه بُغا عند العصر من برزند^(١) فوافي خَشْ^(٢) مع غروب الشمس فنزل خارج أبي سعيد ، فلما أصبح ركب سراً ولم يضرب طبلأ ولم ينشر علماً وأمر الناس بالسكوت وجد في السير ، ورحلت القافلة التي كانت توجهت ذلك اليوم من النهر إلى ناحية الهيثم ، وتعبى بابك في أصحابه وسار على طريق النهر - وهو يظن أن المال يصادفه - فخرجت خيل بابك على القافلة ومعها صاحب النهر فقاتلهم صاحب النهر فقتلوه وقتلوا من كان معه من الجند وأخذوا جميع ما كان معهم وعلموا أن المال قد فاتهم وأخذوا علمه ولباس أصحابه فلبسوها وتنكروا ليأخذوا الهيثم الغنوي ومن معه أيضاً ولا يعلمون بخروج الافشين ، وجاؤوا كأنهم أصحاب النهر فلم يعرفوا الموضع الذي يقف فيه علم صاحب النهر فوققوا في غيره ، وجاء الهيثم فوقف في موضعه وأنكر ما رأى فوجه ابن عم له فقال له : اذهب إلى هذا البغيض فقل له : لأي شيء وقوفك ؟ فجاء إليهم فانكروهم فرجع إليه فأخبره ، فأنفذ جماعة غيره فانكروهم أيضاً وأخبروه أن بابك قد قتل علوية صاحب النهر وأصحابه وأخذ أعلامهم ولباسهم ، فرحل الهيثم راجعاً ونجى القافلة التي كانت معه وبقي هو وأصحابه في أعقابهم حامية لهم حتى وصلت القافلة إلى الحصن وهو راشق .

وسير رجلين من أصحابه الى الافشين ، وإلى أبي سعيد يُعرِّفهما الخبر فخرجا يركضان ، ودخل الهيثم الحصن ونزل بابك عليه ووضع له كرسي بحيال الحصن

(١) برزند : بلد من نواحي تفليس من أعمال جُزران من ارمينية الأولى .

(٢) خَشْ : بضم اوله وتشديد ثانيه : من قرى أسفرايين من أعمال نيسابور ويقال لها أيضاً خوش .

وأرسل الى الهيثم أن خل الحصن وانصرف فأبى الهيثم ذلك فحاربه بابك وهو يشرب الخمر على عادته والحرب مشتبكة ؛ وسار الفارسان فلقيا الأفشين على أقل من فرسخ فقال لصاحب مقدمته : أرى فارسين يركضان ركضاً شديداً ثم قال : اضربوا الطبل وانشروا الأعلام واركضوا نحوهما وصيحوا لبيكما ففعلوا ذلك وأجرى الناس خيلهم طلقاً واحداً حتى لحقوا بابك وهو جالس فلم يطق ان يركب حتى وافته الخيل فاشتبكت الحرب فلم يفلت من رجاله أحدٌ وأفلت هو في نفر يسير من خيالاته ودخل مُوقان^(١) وقد تقطع عنه أصحابه ورجع عنه الأفشين إلى بَرَزَنْد ، وأقام بابك بمُوقان وأرسل الى البَذّ فجاءه عسكر فرحل بهم من مُوقان حتى دخل البَذّ ولم يزل الأفشين معسكراً بَبَرَزَنْد ، وأقام بمُوقان وأرسل إلى البَذّ فجاءه عسكر فرحل بهم من مُوقان حتى دخل البَذّ ولم يزل الأفشين معسكراً بَبَرَزَنْد ؛ فلما كان في بعض الأيام مرت قافلة فخرج عليها أصهبه بابك فأخذها وقتل من فيها فحط عسكر الأفشين لذلك ، فكتب الأفشين إلى صاحب مَرَاغَة^(٢) بحمل الميرة وتعجيلها فوجه إليه قافلة عظيمة فيها قريب من ألف ثور سوى غيرها من الدواب ، تحمل الميرة ومعها جند يسرون بها فخرج عليهم سرية لبابك فأخذوها عن آخرها ، وأصاب العسكر ضيق شديد فكتب الأفشين الى صاحب شيروان^(٣) يأمره أن يحمل إليه طعاماً فحمل إليه طعاماً كثيراً وأغاث الناس ، وقدم بغا على الأفشين بما معه .

ذكر بناء سامرا

وفي هذه السنة خرج المعتصم إلى سامرا لبنائها .

وكان سبب ذلك أنه قال : إني اتخوف هؤلاء الحربية أن يصيحوا صيحة فيقتلون غلmani فأريد أن أكون فوقهم فإن رابني منهم شيء أتيتهم في البر والماء حتى آتي عليهم فخرج إليها فأعجبه مكانها .

(١) « موقان : بالضم ثم السكون والقاف وآخره نون : ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركمان للرعي

(٢) مَرَاغَة : بالفتح : بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان .

(٣) في الطبري « شيروان » بالسين وردت بالشين والسين في معجم البلدان : شيروان وشيروان انظر ٢٩٦/٢

وقيل : كان سبب ذلك أن المعتصم كان قد أكثر من الغلمان الأتراك فكانوا لا يزالون يرون الواحد بعد الواحد قتيلاً وذلك أنهم كانوا جفاة يركبون الدواب فيركضونها إلى الشوارع فيصدمون الرجل ، والمرأة ، والصبي ، فيأخذهم الأبناء عن دوابهم ويضربونهم ، وربما هلك أحدهم فتأذى بهم الناس .

ثم إن المعتصم ركب يوم عيد فقام إليه شيخ فقال له : يا أبا إسحاق فأراد الجند ضربه فمنعهم فقال : يا شيخ مالك مالك ؟ قال : لا جزاك الله عن الجوار خيراً جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج من غلمانك الأتراك فأسكتتهم بيننا ، فأيتمت صبياننا وأرملت بهم نسواننا وقتلت رجالنا والمعتصم يسمع ذلك فدخل منزله ولم يُرَ ركباً إلى مثل ذلك اليوم فخرج فصلى بالناس العيد ولم يدخل بغداد بل سار إلى ناحية القاطول ولم يرجع إلى بغداد .

قال مسرور الكبير : سألني المعتصم أين كان الرشيد يتنزه إذا ضجر من المقام ببغداد ؟ قلت : بالقاطول وكان قد بني هناك مدينة آثارها وسورها قائم وكان قد خاف من الجند ما خاف المعتصم . فلما وثب أهل الشام بالشام وعصوا خرج إلى الرقة فأقام بها وبقيت مدينة القاطول لم تستم . ولما خرج المعتصم إلى القاطول استخلف ببغداد ابنه الواثق . وكان المعتصم قد اصطنع قوماً من أهل الحوف بمصر واستخدمهم وسماهم المغاربة وجمع خلقاً من سمرقند ، وأشروسة^(١) ، وفرغانة^(٢) وسماهم الفراغة فكانوا من أصحابه وبقوا بعده . وكان ابتداء العمارة بسامرا سنة إحدى وعشرين ومائتين .

ذكر قبض الفضل بن مروان

وكان الفضل بن مروان من البردان وكان حسن الخط فاتصل ببيحيى الجرمقاني كاتب المعتصم قبل خلافته فكان يكتب بين يديه . فلما هلك الجرمقاني صار في موضعه وسار مع المعتصم إلى الشام ، ومصر فأخذ من الأموال الكثير : فلما صار المعتصم خليفة كان اسمها له وكان معناها للفضل واستولى على الدواوين كلها وكثير

(١) أشروسة : هي بلدة كبيرة بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند .

(٢) فرغانة : بالفتح ثم السكون ، مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان .

الأموال.، وكان المعتصم يأمره باعطاء المغني والنديم فلا ينفذ الفضل ذلك فثقل على المعتصم ، وكان له مضحك اسمه إبراهيم يعرف بالهفتي فأمر له المعتصم بمال وتقدم إلى الفضل بإعطائه فلم يعطه شيئاً ، فبينا الهفتي يوماً عند المعتصم يمشي معه في بستان له وكان الهفتي يصحبه قبل الخلافة ويقول له فيما يداعبه : والله لا تفلح أبداً ، وكان مربوعاً بدينياً وكان المعتصم خفيف اللحم فكان يسبقه ويلتفت إليه ويقول : مالك لا تسرع المشي ؟ فلما أكثر عليه من ذلك قال الهفتي مداعباً له : كنت أراني أماشي خليفة واليوم أراني أماشي فيجأ والله لا أفلحت أبداً فضحك المعتصم فقال : وهل بقي من الفلاح شيء لم أدركه بعد الخلافة^(١) فقال : أتظن أنك أفلحت لا والله مالك من الخلافة إلا اسمها ما يتجاوز أمرك أذنك إنما الخليفة الفضل فقال : وأي أمر لي لم ينفذ ؟ فقال الهفتي : أمرت لي بكذا وكذا منذ شهرين فما أعطيت حبة فحقدتها على الفضل ، فقيل : أول ما أحدثه في أمره أن جعل زماماً في نفقات الخاصة وفي الخراج وجميع الأعمال ثم نكبه وأهل بيته في صفر وأمرهم بعمل حسابهم^(٢) وصير مكانه محمد بن عبد الملك الزيات فنفى الفضل إلى قرية في طريق الموصل تعرف بالسن وصار محمد وزيراً كاتباً ؛ وكان الفضل شرس الاخلاق ، ضيق العطن ، كره اللقاء ، بخيلاً ، مستطيلاً فلما نكب شمت به الناس حتى قال بعضهم فيه :

ليبك على الفضل بن مروان نفسه فليس له باك من الناس يُعرفُ
لقد صحب الدنيا منوعاً لخيرها وفارقها وهو الظلوم المعنفُ
إلى النارِ فليذهب ومن كان مثله على أي شيء فاتنا منه نأسفُ

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سير عبد الرحمن ملك الأندلس جيشاً إلى طليطلة فقاتلوها فلم يظفروا بها ، وحج بالناس صالح بن العباس بن محمد ، وفيها توفي سليمان بن

(١) في الطبري « أبعد الخلافة تقول لي هذا » .

(٢) قال في النجوم الزاهرة : وأخذ منه أموالاً عظيمة تفوق الوصف حتى قيل : إنه أخذ منه عشرة آلاف ألف دينار واستأصله وأهل بيته .

داود بن علي بن عبد الله بن عباس أبو أيوب الهاشمي^(١) وعفان بن مسلم أبو عثمان الصفار البصري وكان موته ببغداد وله خمس وثمانون سنة وهو من مشايخ البخاري ، وتوفي فتح الموصلي الزاهد وكان من الأولياء والأجواد^(٢) ، ومحمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام توفي ببغداد وكان قدمها ومعه امرأته أم الفضل ابنة المأمون فدفن بها عند جده موسى بن جعفر - وهو أحد الأئمة الإمامية - وصلى عليه الواثق وكان عمره خمساً وعشرين سنة وكانت وفاته في ذي الحجة ، وقيل في سبب موته : غير ذلك .

(١) كان ضالِحاً زاهداً عفيفاً جواداً قال الشافعي رحمه الله : ما رأيت أعقل من رجلين أحمد بن حنبل ، وسليمان بن داود الهاشمي .

(٢) كان من أقران بشر الحافي ، وسري السقطي .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين

ذكر محاربة بابك

في هذه السنة واقع بابك بُغا الكبير فهزمه وواقع الأفشين فهزم بابك ، وكان سبب ذلك أن بُغا الكبير كان قد قدم بالمال الذي كان معه إلى الأفشين ففرقه في أصحابه وتجهز بعد النيروز ، ووجه إلى بُغا في عسكر ليدور حول هشتادسر وينزل في خندق محمد بن حميد ويحفره ويحكمه ، فسار بغا إلى الخندق ورحل الأفشين من بَرَزَنْد ورحل أبو سعيد من خَشْ يريدان بابك فتوافوا بمكان يقال له دروذ ، فحفر الأفشين خندقاً وبني عليه سوراً وكان بينه وبين البَدْ ستة أميال ، ثم إن بغا تجهز بغير أمر الأفشين وحمل معه الزاد ودار حول هشتادسر حتى دخل قرية البَدْ فنزله فأقام بها ، ثم وجه ألف رجل في علاقة له فخرج عليهم بعض عساكر بابك فأخذ العلاقة وقتل كل من كان قاتله وأسر من قدر عليه وأخذ بعضهم فأرسل منهم رجلين إلى الأفشين يعلمانه ما نزل بهم ، ورجع بُغا إلى خندق محمد بن حميد تشبيهاً بالمنهزم وكتب إلى الأفشين يعلمه ذلك ويسأله المدد ، فوجه إليه الأفشين أخاه الفضل ، وأحمد بن الخليل بن هشام ، وابن جوشن ، وجناحاً الأعور صاحب شرطة الحسن بن سهل وأحد الأخوين قرابة الفضل بن سهل فأتوا بُغا ، وكتب الأفشين إلى بُغا يعلمه أن يغزو بابك في يوم عَيْنَه له ويأمره أن يغزو في ذلك اليوم بعينه فيحاربه من الوجهين ، فخرج الأفشين ذلك اليوم من دروذ يريد بابك وخرج بُغا من خندقه فخرج إلى هشتادسر فلم يكن للناس صبر لشدّة البرد والريح فانصرف إلى عسكره فعسكر على دعوة ، وهاجت ريح باردة ومطر شديد فرجع بُغا إلى عسكره .

وواقعهم الأفشين من الغد بعد رجوع بُغا فهزم أصحاب بابك وأخذ عسكره ، وخيمه ، وامرأة كانت معه ونزل الأفشين في معسكر بابك ، ثم تجهز بُغا من الغد وصعد

إلى هشتادسر فأصاب العسكر وكان بازائه قد انصرف إلى بابك فأصاب من أثاثهم ورحلهم شيئاً ، وانحدر من هشتادسر يريد البَدْ وعلى مقدمته داود سياه فأرسل إليه بغا أن المساء قد أدركنا وقد تعب الرجالة وتوسطنا المكان الذي قد نعرفه فانظر جبلاً حصيناً حتى نعسكر فيه ليلتنا هذه فصعد بهم إلى جبل أشرفوا منه على عسكر الأفشين ، فقالوا : نبيت ههنا الى غدوة وننحدر إلى الكافر ان شاء الله تعالى فجاءهم تلك الليلة سحاب ، وبرد ، وثلج كثير فأصبحوا ولا يقدر أحد منهم أن ينزل فيأخذ ماء ولا يسقي دابته من شدة البرد واشتد عليهم الثلج ، والضباب .

فلما كان اليوم الثالث قال الناس لبُغا : قد فني ما معنا من الزاد وقد أضربنا البرد فانزل على أي حالة كانت إما راجعين وإما الى الكافر ، وكان بابك في أيام الضباب والثلج قد بيت الأفشين وبعض عسكره وانصرف الأفشين الى عسكره فضرب بُغا الطلب وانحدر يريد البَدْ ولا يُعلم بما تم على الأفشين بل يظنه في موضع عسكره ، فلما نزل إلى بطن الوادي رأى السماء منجلية والدنيا طيبة غير رأس الجبل الذي كان عليه فعبي أصحابه وتقدم إلى البَدْ حتى صار بحيث يلزق جبل البَدْ ولم يبق بينه وبين أن يشرف على أبيات البَدْ إلا صعود نصف ميل ، وكان على مقدمته جماعة فيهم غلام لابن البعيث له قرابة البَدْ فلقيهم طلائع بابك فعرف بعضهم الغلام فسأله عم له عمن معه من أهله فأخبره فقال له : ارجع وقل لمن تعني به يتنحى فإننا قد هزمنا الأفشين ومضى إلى خندقه ونهيناً لكم عسكرين فعجل بالانصراف لعلك تفلت ، فرجع الغلام فاخبر ابن البعيث فأخبر بُغا بذلك فشاور أصحابه فقال بعضهم : هذا باطل هذه خدعة وقال بعضهم : هذا رأس جبل ينظر إلى عسكر الأفشين ، فصعد بُغا ومعه نفر إلى رأس الجبل فلم يروا عسكر الأفشين فتيقن أنه مضى ، وتشاوروا فرأوا أن ينصرف الناس قبل أن يجيئهم الليل فانصرفوا وجدوا في السير ولم يقصد الطريق الذي دخل منه لكثرة مضايقه بل أخذ طريقاً يدور حول هشتادسر ليس فيه غير مضيق واحد ، فطرح الرجالة سلاحهم في الطريق وخافوا وصار بغا وجماعة القواد في الساقة وطلائع بابك تتبعهم وهم قدر عشرة فرسان ، فشاور بغا أصحابه وقال : لا آمن أن يكون هؤلاء مشغلة لنا عن المسير وتقدم أصحابهم ليأخذوا المضيق علينا ، فقال له الفضل : ان هؤلاء أصحاب الليل فأسرع السير ولا تنزل حتى تجاوز المضيق ، وقال غيره : ان العسكر قد تقطع وقد رموا سلاحهم وقد بقي المال والسلاح على البغال ليس معه أحد ولا نأمن أن يؤخذ ويؤخذ الأسيرُ

الذي معهم - وكان ابن جويدان معهم أسيراً يريدون أن يفادوا به - فعسكر على رأس جبل حصين ونزل الناس وقد وكلوا وتعبوا وفنيت أزوادهم فباتوا يتحارسون من ناحية المصعد فأتاهم بابك من الناحية الأخرى فكبسوا بغا والعسكر ، وخرج بغا راجلاً فرأى دابة فركبها وجرح الفضل بن كاوس وقتل جناح السكري ، وابن جوشن وأخذ الأخوين قرابة لفضل بن سهل ، ونجا بغا والناس ولم تتبعهم الخُرمية وأخذوا المال والسلاح والأسير فوصل الناس معسكرهم منقطعين إلى خندقهم فأقام بغا به خمسة عشر يوماً .

وكتب اليه الأفشين يأمره بالرجوع إلى مراغة وأن يرسل إليه المدد ، فمضى بغا إلى مراغة وفرق الأفشين الناس في مشاتهم تلك السنة حتى جاء الربيع ، وفيها قتل طرخان وهو من أكبر قواد بابك ، وكان سبب قتله أنه طلب من بابك اذنًا حتى يشتي في قريته - وهي بناحية مراغة - وكان الأفشين يرصده فلما علم خبره أرسل إلى ترك مولى اسحاق بن ابراهيم - وهو بمراغة - يأمره أن يسري إليه في قريته حتى يقتله أو يأخذه أسيراً ، ففعل ترك ذلك وأسرى إليه وقتله وأخذ رأسه فبعثه إلى الأفشين .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة قدم صول أرتكين وأهل بلاده في القيود فترعت قيودهم وحمل على الدواب نحو مائتين ، وفيها غضب الأفشين على رجا الحضاري وبعث به مقيداً ، وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله وهو والي مكة (الحضاري) بكسر الحاء المهملة وبالضاد المعجمة وبعد الألف راء وياء .

وفيها توفي القاضي أحمد بن محرز قاضي القيروان وكان من العلماء العاملين الزاهدين في الدنيا ، وفيها توفي آدم بن أبي الياس العسقلاني وهو من مشايخ البخاري في صحيحه ، وعيسى بن أبان بن صدقة أبو موسى قاضي البصرة وهو من أصحاب أبي الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة ، وعبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي صاحب مالك ، وعبد الكبير بن المعافى بن عمران الموصلي وكان فاضلاً ، والعباس بن سليم بن جميل الأزدي الموصلي .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين ذكر محاربة بابك أيضاً

في هذه السنة وجه المعتصم إلى الأفشين جعفر الخياط مدداً له ، ووجه إليه إيتاخ ومعه ثلاثون ألف ألف درهم للجند وللنفقات فأوصل ذلك إلى الأفشين وعاد ، وفيها كانت وقعة بين أصحاب الأفشين وقائد لبابك اسمه أذين .

وكان سببها أن الشتاء لما انقضى سنة إحدى وعشرين ومائتين وجاء الربيع ودخلت سنة اثنتين وعشرين رحل الأفشين عند امكان الزمان فصار إلى موضع يقال له : كلان رَوْد - وتفسيره نهر كبير - فاحتفر عنده خندقاً وكتب إلى أبي سعيد ليرحل من بَرَزَنْد إلى طرف رُستاق كلان رَوْد وبينهما قدر ثلاثة أميال ، فأقام الأفشين بكلان رَوْد خمسة أيام فأتاه من أخبره أن قائداً لبابك اسمه أذين قد عسكر بإزائه وأنه قد صير غياله في خيل فقال له بابك : لتجعلهم في الحصن فقال : لا أتحصن من اليهود - يعني المسلمين - والله لا أدخلتهم حصناً أبداً .

فوجه الأفشين ظفر بن العلاء السعدي في جماعة من الفرسان والرجالة فساروا ليلتهم فوصلوا إلى مضيق لا يسلكه إلا الواحد بعد الواحد . وأكثر الناس قادوا دوابهم وتسلقوا في الجبل وأخذوا عيال أذين وبعض ولده وبلغ الخبر أذين ، وكان الأفشين قد خاف أن يؤخذ عليهم الطريق فأمرهم أن يجعلوا على رأس كل جبل رجالاً معهم الأعلام السود فإن رأوا شيئاً يخافونه حركوا الأعلام ففعلوا ذلك ، فلما أخذوا عيال أذين ورجعوا إلى بعض الطريق قبل المضيق أتاهم أذين في أصحابه فحاربوهم فقتل منهم قتلى واستنقذوا بعض النساء فنظر الرجال المرتبون برؤوس الجبال فحركوا الأعلام وكان أذين قد أنفذ من يمسك عليهم المضيق ، فلما رأى الأفشين تحريك العلم الذي بإزائه سير جماعة من الجند مع مظفر بن كيدر فأسرع نحوهم ، ووجه أبا سعيد بعدهم

وبخار اخذاه ، فلما نظر إليهم رجاله آذين الذين على المضيق تركوه وقصدوا أصحابهم فنجوا ظفر بن العلاء ومن معه ومعهم بعض عيال آذين .

ذكر فتح البذ وأسر بابك

وفي هذه السنة فتحت البذ مدينة بابك ودخلها المسلمون وخربوها واستباحوها وذلك لعشر بقين من شهر رمضان .

وكان سبب ذلك أن الأفشين لما عزم على الدنو من البذ والرحيل من كلان رَوُذ جعل يتقدم قليلاً قليلاً خلاف ما تقدم ، وكتب إليه المعتصم يأمره أن يجعل الناس نوابق يقفون على ظهور الخيل نوابقاً في الليل مخافة البيات ، فضج الناس من التعب وقالوا : بيننا وبين العدو أربعة فراسخ ونحن نفعل أفعالاً كأن العدو بازائنا قد استحيينا من الناس أقدم بنا فإما لنا وإما علينا ، فقال : أعلم أن قولكم حق ولكن أمير المؤمنين أمرني بهذا . فلم يلبث أن جاءه كتاب المعتصم يأمره أن يفعل كما كان يفعل ، فلم يزل كذلك أياماً ثم انحدر حتى نزل رَوُذ الرَوُذ وتقدم حتى شارف الموضع الذي كانت به الوقعة في العام الماضي فوجد عليه كردوساً من الخُرْمية فلم يحاربهم ، ولم يزل إلى الظهر ثم رجع إلى معسكره فمكث يومين ثم عاد في أكثر من الذين كانوا معهم ولم يقاتلهم .

وأقام الأفشين بِرَوُذ الرَوُذ وأمر الكوهبانية - وهم أصحاب الأخبار - أن ينظروا له في رؤوس الجبال مواضع تحصن فيها الرجال فاخترأوا له ثلاثة أجبل كان عليها حصون فخربت فأخذ معه الفعلة وسار نحو هذه الجبال وأخذ معه الكعك والسويق ، وأمر الفعلة بنقل الحجارة وسد الطريق إلى تلك الجبال حتى صارت كالحصون ، وأمر بحفر خندق على كل طريق وراء تلك الحجارة ، ولم يترك مسلماً إلى الجبال منها إلا مسلماً واحداً ، ففرغ من الذي أراد من حفر الخنادق في عشرة أيام وهو والناس يحرسون الفعلة والرجالة ليلاً ونهاراً ، فلما فرغ منها أدخل الرجالة إليها ، وأنفذ إليه بابك رسولاً ومعه قشاء وبطيخ ، وخيار ويعلمه أنه قد تعب وشقي من أكل الكعك واننا في عيش رغد فقبل ذلك منه وقال : قد عرفت ما أراد أخي وأصعد الرسول فأراه ما عمل وأطاف به خنادقه كلها وقال : اذهب فعرفه ما رأيت ، وكان جماعة من الخُرْمية يأتون إلى قريب خندق الأفشين فيصيحون فلم يترك الأفشين أحداً يخرج إليهم فعملوا ذلك ثلاثة أيام ، ثم إن الأفشين

أَكْمَنَ لَهُمْ كَمِينًا فَلَمَّا جَاؤُوا ثَارُوا عَلَيْهِمْ فَهَرَبُوا وَلَمْ يَعُودُوا ، وَعَبَى الْأَفْشِينَ أَصْحَابَهُ وَأَمَرَ
كُلًّا مِنْهُمْ بَلْزُومَ مَوْضِعِهِ ، وَكَانَ يَرْكَبُ وَالنَّاسُ فِي مَوَاقِفِهِمْ فَكَانَ يَصْلِي الصُّبْحَ بِغُلَسٍ
ثُمَّ يَضْرِبُ الطُّبُولَ وَيَسِيرُ زَحْفًا ، وَكَانَتْ عَلَامَتُهُ فِي الْمَسِيرِ وَالْوُقُوفِ ضَرْبُ الطُّبُولِ لِكَثْرَةِ
النَّاسِ وَمَسِيرِهِمْ فِي الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ عَلَى مَصَافِهِمْ فَإِذَا سَارَ ضَرْبَهَا وَإِذَا وَقَفَ أَمْسَكَ عَنْ
ضَرْبِهَا فَيَقِفُ النَّاسُ جَمِيعًا وَيَسِيرُونَ جَمِيعًا ، وَكَانَ يَسِيرُ قَلِيلًا قَلِيلًا كُلَّمَا جَاءَهُ كَوْهَبَانِي
بَخْبَرٍ سَارَ أَوْ وَقَفَ ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ بِهِ الْوَقْعَةُ عَامَ أَوَّلِ
خَلْفِ بَخَارَاخْذَاهُ عَلَى رَأْسِ الْعُقْبَةِ فِي أَلْفِ فَارَسٍ وَسِتْمَائَةِ رَاجِلٍ يَحْفَظُونَ الطَّرِيقَ لَثَلَا
يَأْخُذُهُ الْخُرْمِيَّةُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ بَابُكَ إِذَا أَحْسَسَ بِمَجِيئِهِمْ وَجَهَ جَمْعًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَيَكْمُنُونَ
فِي وَادٍ تَحْتَ تِلْكَ الْعُقْبَةِ تَحْتَ بَخَارَاخْذَاهُ ، وَاجْتَهِدِ الْأَفْشِينَ أَنْ يَعْرِفَ مَكَانَ كَمِينِ
بَابُكَ فَلَمْ يَعْلَمْ بِهِمْ ، وَكَانَ يَأْمُرُ أَبَا سَعِيدَ أَنْ يَعْبُرَ الْوَادِي فِي كَرْدُوسٍ ، وَيَأْمُرُ جَعْفَرَ
الْخِيَاطَ أَنْ يَعْبُرَ فِي كَرْدُوسٍ ، وَيَأْمُرُ أَحَدَ بَنِي الْخَلِيلِ بِنِ هِشَامٍ أَنْ يَعْبُرَ فِي كَرْدُوسٍ آخَرَ
فَيَصِيرُ فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ ثَلَاثَةَ كَرَادِيسٍ فِي طَرَفِ أَبْيَاتِهِمْ ، وَكَانَ بَابُكَ يَخْرُجُ عَسْكَرَهُ
فَيَقِفُ بَازَاءَ هَذِهِ الْكَرَادِيسِ لَثَلَا يَتَقَدَّمُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَى بَابِ الْبَذِّ وَكَانَ يَفْرُقُ عَسَاكِرَهُ كَمِينًا
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فِي سِيرٍ ، وَكَانَ الْأَفْشِينَ يَجْلِسُ عَلَى تَلٍّ مُشْرِفٍ يَنْظُرُ إِلَى قَصْرِ بَابُكَ وَالنَّاسِ
كَرَادِيسٍ فَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ جَانِبِ الْوَادِي نَزَلَ عَنْ دَابَتِهِ وَمَنْ كَانَ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ مَعَ أَبِي
سَعِيدٍ ، وَجَعْفَرَ ، وَأَحْمَدَ بَنِي الْخَلِيلِ لَمْ يَنْزِلِ الْقَرْيَةَ مِنَ الْعَدُوِّ وَكَانَ بَابُكَ وَأَصْحَابُهُ
يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَضْرِبُونَ بِالسَّرْنَائِي^(١) ، فَإِذَا صَلَّى الْأَفْشِينَ الظُّهْرَ رَجَعَ إِلَى خَنْدَقِهِ بِرُودِ
الرُّودِ فَكَانَ يَرْجِعُ أَوَّلًا أَقْرَبَهُمْ إِلَى الْعَدُوِّ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ فَكَانَ آخِرُ مَنْ يَرْجِعُ
بَخَارَاخْذَاهُ لِأَنَّهُ كَانَ أَبْعَدَهُمْ عَنِ الْعَدُوِّ فَإِذَا رَجَعُوا صَاحَ بِهِمُ الْخُرْمِيَّةُ .

فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ضَجَرَتِ الْخُرْمِيَّةُ مِنَ الْمَطَاوِلَةِ وَانْصَرَفَ الْأَفْشِينَ كَعَادَتِهِ
وَعَادَتِ الْكَرَادِيسِ الَّتِي بِجَانِبِ ذَلِكَ الْوَادِي وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا جَعْفَرُ الْخِيَاطُ فَفَتَحَ الْخُرْمِيَّةَ بَابَ
الْبَذِّ وَخَرَجَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ عَلَى أَصْحَابِ جَعْفَرَ وَارْتَفَعَتِ الصُّبْحَةُ ، فَتَقَدَّمَ جَعْفَرُ بِنَفْسِهِ فَرَدَّ
أُولَئِكَ الْخُرْمِيَّةَ إِلَى بَابِ الْبَذِّ وَوَقَعَتِ الصُّبْحَةُ فِي الْعَسْكَرِ فَرَجَعَ الْأَفْشِينَ فَرَأَى جَعْفَرَ
وَأَصْحَابَهُ يَفْتَاتِلُونَ وَخَرَجَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ جَمَاعَةٌ ؛ وَجَلَسَ الْأَفْشِينَ فِي مَكَانِهِ وَهُوَ يَتَلَطَّى
عَلَى جَعْفَرَ وَيَقُولُ : أَفْسَدَ عَلَيَّ تَعْبِيَّتِي ، وَارْتَفَعَتِ الصُّبْحَةُ فَكَانَ مَعَ أَبِي دَلْفٍ قَوْمٌ مِنْ

(١) فِي الطَّبَرِيِّ « السَّرْنَائِياتُ » .

المتطوعة فعبروا إلى جعفر بغير أمر الأفشين وتعلقوا بالبذ وأثروا فيه أثراً وكادوا يصعدونه فيدخلون البذ ، ووجه جعفر إلى الأفشين أن أمدني بخمس مائة راجل من الناشبة فإنني أرجو أن أدخل البذ إن شاء الله تعالى ، فبعث إليه الأفشين إنك أفسدت علي أمري فتخلص قليلاً وخلص أصحابك وانصرف ، وارتفعت الصيحة من المتطوعة حتى تعلقوا بالبذ ، وظن الكمئاء الذين لبابك أن الحرب قد اشتبكت فوثب بعضهم من تحت بخاراخذاه ووثب بعضهم من ناحية أخرى فتحركت الكمئاء من الخرمية والناس على رؤوسهم فلم يزل منهم أحد . فقال الأفشين : الحمد لله الذي بين مواضع هؤلاء ، ورجع جعفر ، وأصحابه ، والمتطوعة فجاء جعفر إلى الأفشين فأنكر عليه حيث لم يمهده وجرى بينهما نفرة شديدة ، وجاء رجل من المتطوعة ومعه صخرة فقال للأفشين : أتردنا وهذا الحجر أخذته من السور ؟ فقال : إذا انصرفت عرفت من على طريقك - يعني الكمين الذي عند بخاراخذاه - وقال لجعفر : لوثار هذا الكمين الذي تحتك كيف كنت ترى هؤلاء المتطوعة ؟ ثم رجع هو وأصحابه على عاداتهم ، فلما رأى هؤلاء الكمين الذي عند بخاراخذاه علموا ما كان وراءهم فإن بخاراخذاه لو تحرك نحو القتال لملكوا ذلك الموضع وهلك المسلمون عن آخرهم ، فأقام الأفشين بخندقه أياماً فشكا المتطوعة إليه ضيق العلوقة ، والزاد ، والنفقة ، فقال : من صبر فليصبر ومن لا فالطريق واسع فلينصرف وفي جند أمير المؤمنين كفاية ، فانصرف المتطوعة يقولون : لو ترك الأفشين جعفرأ وتركنا لأخذنا البذ لكنه يشتهي المطاولة فبلغه ذلك وما تتناوله المتطوعة بالسستهم حتى قال بعضهم : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام قال لي : قل للأفشين إن أنت حاربت هذا وجددت في أمره وإلا أمرت الجبال أن ترجمك بالحجارة ، فتحدث الناس بذلك فبلغ الأفشين فأحضره وسأله عن المنام فقصة عليه فقال : الله يعلم نيتي وما أريد بهذا الخلق وإن الله لو أمر الجبال برجم أحد لرجم هذا الكافر فكفانا مؤنته ، فقال رجل من المتطوعة : أيها الأمير لا تحرمنا شهادة إن كانت حضرت وانما قصدنا ثواب الله ووجهه فلدعنا وحدنا حتى نتقدم بعد أن يكون بإذنك لعل الله أن يفتح علينا ، فقال الأفشين : إني أرى نياتكم حاضرة وأحسب هذا الأمر يريده الله تعالى وهو خير إن شاء الله تعالى وقد نشطتم ونشط الناس وما كان هذا رأيي وقد حدث الساعة لما سمعت من كلامكم اعزموا على بركة الله أي يوم أردتم حتى نناهضه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فخرجوا مستبشرين فتأخر من أراد الانصراف .

ووعد الأفشين الناس ليوم ذكره لهم وأمر الناس بالتجهز وحمل المال والزراد والماء ، وجعل المحامل على البغال تحمل الجرحى ، وزحف بالناس ذلك اليوم وجعل بخاراخذاه بمكانه على العقبة ، وجعل الأفشين بالمكان الذي كان يجلس فيه وقال لأبي دلف : قل للمتطوعة أي ناحية أسهل عليكم فاقصروا عليها ، فقال لجعفر : العسكر كله بين يديك ، والناشبة ، والنفاطون فإن أردت فخذ منهم ما تريد واعزم على بركة الله وتقدم من أي موضع تريده ، فسار الى الموضع الذي كان به ذلك اليوم وقال لأبي سعيد : قف عندي أنت وأصحابك وقال لجعفر : قف أنت ههنا لمكان عينه له فإن أراد جعفر رجالاً أو فرساناً أمددناه ، وتقدم جعفر والمتطوعة فقاتلوا وتعلقوا بسور البذ ، وضرب جعفر باب البذ ووقف عنده يقاتل عليه ، ووجه الأفشين إليه وإلى المتطوعة بالأموال لتفرق فيهم ويعطى من تقدم وأمدهم بالفعللة معهم الفؤوس وبعث إليهم بالمياه لثلا يعطشوا وبالكعك ، والسويق ، فاشتبكت الحرب على الباب طويلاً ففتحت الخرمية الباب وخرجوا على أصحاب جعفر فنحوهم عن الباب وشدوا على المتطوعة من الناحية الأخرى فطرحوهم عن السور ورموهم بالصخر وأثروا فيهم وضعفوا عن الحرب ، وأخذ جعفر من أصحابه نحو مائة رجل فوقفوا خلف تراسهم متحاجزين لا يقدم أحد على الآخر فلم يزالوا كذلك حتى صليت الظهر فتحاجزوا .

وبعث الأفشين الرجالة الذي كانوا عنده نحو المتطوعة وبعث الى جعفر بعضهم خوفاً أن يطمع العدو فقال جعفر : لست أوتى من قلة ولكني لا أرى للحرب موضعاً يتقدمون فيه فأمره بالانصراف فانصرف ، وحمل الأفشين الجرحى ومن به وهن من حجر فحملوا في المحامل على البغال وانصرفوا عنهم وأيس الناس من الفتح تلك السنة وانصرف أكثر المتطوعة ، ثم إن الأفشين تجهز بعد جمعيتين فلما كان جوف الليل بعث الرجالة الناشبة وهم ألف رجل وأعطى كل واحد منهم شكوة وكعكاً وأعطاهم أعلاماً غير مركبة وبعث معهم أدلاء فساروا في جبال منكرة صعبة في غير طريق حتى صاروا خلف التل الذي يقف أذين عليه وهو جبل شاهق وأمرهم أن لا يعلم بهم أحد حتى إذا رأوا أعلام الأفشين وصلوا الغداة ورأوا الوقعة ركبوا تلك الاعلام في الرماح وضربوا الطبول وانحدروا من فوق الجبل ورموا بالنشاب والصخر على الخرمية وإن هم لم يروا الاعلام لم يتحركوا حتى يأتيهم خبره ففعلوا ذلك فوصلوا إلى رأس الجبل عند السحر .

فلما كان في بعض الليل وجه الأفشين الى الجند وأمرهم بالتجهز للحرب ، فلما كان في بعض الليل وجه بشيراً التركي وقواداً من الفراغة كانوا معه فأمرهم أن يسيروا حتى يصيروا تحت التل الذي عليه آذين - وكان يعلم أن بابك يكمن تحت ذلك الجبل - فساروا ليلاً ولا يعلم بهم أكثر أهل العسكر ، ثم ركب هو والعسكر مع السحر فصلى الغداة وضرب الطبل وركب فأتى الموضع الذي كان يقف فيه فقعد على عادته ، وأمر بخارخذه أن يقف مع جعفر الخياط ، وأبي سعيد ، وأحمد بن الخليل بن هشام ، ونزل الموضع الذي كان يقف فيه فأنكر الناس ذلك ، وأمرهم أن يقربوا من التل الذي عليه آذين فيحذقوا به وكان قبل ينهاتهم عنه ، ومضى الناس مع هؤلاء القواد الأربعة فكان جعفر مما يلي الباب والى جانبه أبو سعيد وإلى جانب أبي سعيد بخارخذه . وكان أحمد مما يلي بخارخذه فصاروا جميعاً حول التل ، وارتفعت الضجة من أسفل الوادي فوثب كمين بابك ببشير التركي والفراغة فحاربوهم ، وسمع أهل العسكر صيحتهم فأرادوا الحركة فأمر الأفشين منادياً ينادي فيهم أن بشيراً قد أثار كميناً فلا يتحركن أحد فسكنوا .

ولما سمع الرجال الذين كان سيرهم حتى صاروا في أعلى الجبال ضجة العسكر ركبوا الأعلام على الرماح فنظر الناس إلى الأعلام تنحدر من الجبل على خيل آذين فوجه إليهم بعض أصحابه ؛ وحمل جعفر وأصحابه على آذين وأصحابه حتى صعدوا إليه فحملوا عليه حملة منكرة فانحدر الى الوادي ، وحمل عليه جماعة من أصحاب أبي سعيد فإذا تحت دوابهم آبار محفورة فتساقطت الفرسان فيها فوجه الأفشين الفعلة يطمون تلك الآبار ففعلوا وحمل الناس عليهم حملة شديدة ، وكان آذين قد جعل فوق الجبل عجلة عليها صخر فلما حمل الناس عليهم دفع تلك العجلة عليهم فأفرج الناس منها حتى تدرجت ثم حمل الناس من كل وجه ، فلما نظر بابك إلى أصحابه قد أحرق بهم خرج من طرف البذ مما يلي الأفشين فأقبل نحوه فقيل للأفشين : إن هذا بابك يريدك فتقدم إليه حتى سمع كلامه وكلام أصحابه والحرب مشتبكة في ناحية آذين فقال : أريد الأمان من أمير المؤمنين ، فقال له الأفشين : قد عرضت هذا عليك وهو لك مبذول متى شئت فقال : قد شئت الآن على أن تؤخرني حتى أحمل عيالي واتجهز فقال له الأفشين : أنا أنصحك خروجه

اليوم خير من غد، قال: قد قبلت هذا، قال الأفشين: فابعث بالرهائن، فقال: نعم أما فلان وفلان فهم على ذلك التل فمر أصحابك بالتوقف، فجاء رسول الأفشين ليرد الناس فقبل له: إن أعلام الفراغة قد دخلت البذ وصعدوا بها القصور، فركب وصاح بالناس فدخل ودخلوا.

وصعد الناس بالأعلام فوق قصور بابك وكان قد كمن في قصوره - وهي أربعة - ستمائة رجل فخرجوا على الناس فقاتلوهم، ومر بابك حتى دخل الوادي الذي يلي هشتادسر، واشتغل الأفشين ومن معه بالحرب على أبواب القصور فأحضر النفاطين فأحرقوها وهدم الناس القصور فقتلوا الخرمية عن آخرهم، وأخذ الأفشين أولاد بابك وعيالاته وبقي هناك حتى أدركه المساء فأمر الناس بالانصراف فرجعوا إلى الخندق برؤذ الرؤذ، وأما بابك فإنه سار فيمن معه وكانوا قد عادوا إلى البذ بعد رجوع الأفشين فأخذوا ما أمكنهم من الطعام والأموال؛ ولما كان الغد رجع الأفشين إلى البذ وأمر بهدم القصور وإحراقها ففعلوا فلم يدع منها بيتاً.

وكتب إلى ملوك أرمينية وبطارقتهم يعلمهم أن بابك قد هرب وعدة معه وهو مار بكم وأمرهم بحفظ نواحيهم ولا يمر بهم أحد إلا أخذوه حتى يعرفوه وجاءت جواسيس الأفشين إليه فأعلموه بموضع بابك وكان في واد كثير الشجر والعشب طرفه بأذربيجان وطرفه الآخر بأرمينية ولم يمكن الخيل نزوله ولا يرى من يستخفي فيه لكثرة شجره ومياهه ويسمى هذا الوادي غيضة، فوجه الأفشين إلى كل موضع فيه طريق إلى الوادي جماعة من أصحابه يحفظونه وكانوا خمسة عشر جماعة، وورد كتاب المعتصم فيه أمان بابك فدعا الأفشين من كان استأمن إليه من أصحابه فأعلمهم ذلك وأمرهم بالمسير إليه بالكتاب وفيهم ابنه فلم يجسر أحد منهم خوفاً منهم فقال: إنه يفرح بهذا الأمان، فقالوا: نحن أعرف به منك، فقام رجلان، فقالا: اضمن لنا أنك تجري على عيالاتنا فضمن لهما فسارا بالكتاب فلما رآه اعلماه ما قدما له فقتل أحدهما وأمر الآخر أن يعود بالكتاب إلى الأفشين، وكان ابنه قد كتب إليه معهما كتاباً فقال لذلك الرجل: قل لابن الفاعلة ان كنت ابني لحقت بي ولكنك لست ابني ولأن تعيش يوماً واحداً وأنت رئيس خير من ان تعيش أربعين سنة عبداً ذليلاً، وقعد في موضعه فلم يزل في تلك الغيضة حتى فني زاده وخرج من

بعض تلك الطرق وكان من عليه من الجند قد تنحوا قريباً منه وتركوا عليه أربعة نفر يحرسونه ، فبينما هم ذات يوم نصف النهار إذ خرج بابك وأصحابه فلم يروا العسكر ولا أولئك الذي يحرسون المكان فظن أن ليس هناك أحد فخرج هو ، وعبدالله أخوه ، ومعاوية ، وأمه وامرأة أخرى وساروا يريدون أرمينية فرآهم الحراس فأرسلوا إلى أصحابهم أننا قد رأينا فرساناً لا ندري من هم ، وكان أبو الساج هو المقدم عليهم ، فركب الناس وساروا نحوهم فرأوا بابك وأصحابه قد نزلوا على ماء يتغدون فلما رأى العساكر ركب هو ومن معه فنجا هو ، وأخذ معاوية وأم بابك والمرأة الأخرى فأرسلهم أبو الساج إلى الأفشين .

وسار بابك في جبال أرمينية مستخفياً فاحتاج إلى طعام وكان بطارقة أرمينية قد تحفظوا بنواحيهم وأوصوا أن لا يجتاز بهم أحد إلا أخذه حتى يعرفوه ، وأصاب بابك الجوع فرأى حراثاً في بعض الأودية فقال لغلامه : انزل الى هذا الحراث وخذ معك دنائير ودراهم فإن كان معه خبز فاشتر منه - وكان للحراث شريك قد ذهب لحاجة - فنزل الغلام الى الحراث ليأخذ منه الطعام فرآه رفيق الحراث فظن أنه يأخذ ما معه غضباً فعدا الى المسلحة وأعلمهم أن رجلاً عليه سيف وسلاح قد أخذ خبز شريكه ، فركب صاحب المسلحة - وكان في جبال ابن سنباط - فوجه الى سهل بن سنباط بالخبر فركب في جماعة فوافى الحراث والغلام عنده فسأل عنه فأخبره الحراث خبره فأخبره الغلام عن مولاه فدلّه عليه فلما رأى وجه بابك عرفه فترجل له وأخذ يده فقبلها وقال : أين تريد ؟ قال : بلاد الروم ، قال : لا تجد أحداً أعرف بحقك مني وليس بيني وبين السلطان عمل وكل من ههنا من البطارقة إنما هم أهل بيتك قد صار لك منهم أولاد ، وذلك أن بابك كان إذا علم أن عند بعضهم من النساء امرأة جميلة طلبها فإن بعث بها إليه والا أسرى إليه فأخذها ونهب ماله وعاد ، فخدعه ابن سنباط حتى صار الى حصنه .

وأرسل بابك أخاه عبد الله الى حصن اصطفانوس فأرسل ابن سنباط الى الأفشين يعلمه بذلك ، فكتب إليه الأفشين يعده ويمنيه ووجه إليه أباً سعيد ، وبورماره^(١) وأمرهما بطاعته ، وأمرهما ابن سنباط بالمقام في مكان حماه وقال : لا

(١) في الطبري « بوزياره » .

تبرحا حتى يأتيكما رسولي فيكون العمل بما يقول لكما ، ثم إنه قال لبابك : قد ضجرت من هذا الحصن فلو نزلت الى الصيد ففعل ، فلما نزل من الحصن ارسل ابن سنباط الى ابي سعيد ، وبورماره فأمرهما أن يوافياه أحدهما من جانب واد هناك والثاني من الجانب الآخر ففعلا فلم يحب أن يدفعه إليهما ، فبينما بابك ، وابن سنباط يتصيدان إذ خرج عليهما أبو سعيد ، وبورماره في أصحابهما - وعلى بابك دراعة بيضاء فأخذوهما وأمروا بابك بالنزول فقال : من أنتم ؟ فقال : أنا أبو سعيد وهذا فلان فنزل ثم قال لابن سنباط القبيح وشتمه وقال : انما بعثني لليهود بشي يسير لو أردت المال لأعطيتك أكثر مما يعطيك هؤلاء فأركبه أبو سعيد وساروا به الى الأفشين ، فلما قرب من العسكر صعد الأفشين وجلس ينظر إليه وصف عسكره صفين وأمر بانزال بابك عن دابته ومشى بين الصفين وأدخله الأفشين بيتاً ووكل به من يحفظه ، وسير معه سهل بن سنباط ابنه معاوية فأمر له الأفشين بمائة ألف درهم وأمر لسهل بألف درهم ومنطقة مغرقة بالجواهر وتاج البطرقة ، وأرسل الأفشين الى عيسى بن يونس بن اصطفانوس يطلب منه عبد الله أخا بابك فأنفذه إليه فحبسه مع أخيه وكتب إلى المعتصم بذلك فأمره بالقدوم بهما عليه ، وكان وصول بابك الى الأفشين ببرزند لعشر خلون من شوال ، وكان الأفشين قد أخذ نساء كثيرة وصبياناً كثيراً ذكروا ان بابك أسرهم وأنهم أحرار من العرب والدهاقين فأمر بهم فجعلوا في حظيرة كبيرة وأمرهم أن يكتبوا الى أوليائهم فكل من جاء يعرف امرأة أو صبياً أو جارية وأقام شاهدين أخذه فأخذ الناس منهم خلقاً كثيراً وبقي كثير منهم .

ذكر استيلاء عبد الرحمن على طليطلة

قد ذكرنا عصيان أهل طليطلة على عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي صاحب الأندلس وانفاذ الجيوش إلى محاصرتها مرة بعد مرة ، فلما كان سنة احدى وعشرين ومائتين خرج جماعة من أهلها إلى قلعة رباح وبها عسكر لعبد الرحمن فاجتمعوا كلهم على حصر طليطلة وضيقوا عليها وعلى أهلها وقطعوا عنهم باقي مرافقهم واشتدوا في محاصرتهم فبقوا كذلك إلى أن دخلت سنة اثنتين وعشرين . فسير عبد الرحمن أخاه الوليد بن الحكم إليها أيضاً فرأى أهلها وقد بلغ بهم الجهد كل مبلغ واشتد عليهم طول الحصار وضعفوا عن القتال والدفع فافتتحها قهراً وغنوة

يوم السبت لثمان خلون من رجب وأمر بتجديد القصر على باب الحصن الذي كان هدم أيام الحكم وأقام بها إلى آخر شعبان من سنة ثلاث وعشرين ومائتين حتى استقرت قواعد أهلها وسكنوا .

ذكر عدة حوادث

وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود ، وفيها ظهر عن يسار القبلة كوكب فبقي يرى نحواً من أربعين ليلة وله شبه الذئب وكان أول ما طلع نحو المغرب ثم رؤي بعد ذلك نحو المشرق وكان طويلاً جداً فهال الناس ذلك وعظم عليهم ذكره ابن أبي أسامة في تاريخه وهو من الثقات الاثبات ، وفيها توفي يحيى بن صالح أبوزكريا الوحاظي وهو دمشقي ، وقيل ؛ حمصي ، وفيها توفي أبو هاشم محمد بن علي بن أبي خدّاش الموصلّي وكان كثير الرواية عن المعافى بن عمران .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين ذكر قدوم الافشين ببابك

في هذه السنة قدم الافشين الى سامرا ومعه بابك الخرمي ، وأخوه عبد الله في صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وكان المعتصم يوجه إلى الافشين في كل يوم من حين سار من بَرْزَنْد إلى أن وافى سامرا خلعة وفرساً ، فلما صار الافشين بقناطر حذيفة تلقاه هارون الواثق بن المعتصم وأهل بيت المعتصم ، وأنزل الافشين بابك عنده في قصره بالمطيرة فأتاه أحمد بن أبي دؤاد متنبكراً فنظر إلى بابك وكلمه ورجع الى المعتصم فوصفه له فأتاه المعتصم أيضاً متنبكراً فرآه ، فلما كان الغد قعد المعتصم واصطف الناس من باب العامة الى المطيرة فشهره المعتصم وأمر أن يركب على الفيل فركب عليه واستشرفه الناس الى باب العامة فقال محمد بن عبد الملك الزيات :

قَدْ خَضِبَ الْفِيلَ كَعَادَاتِهِ يَحْمِلُ شَيْطَانُ خِرَاسَانَ
وَالْفِيلَ لَا تَخْضِبُ أَعْضَاؤُهُ إِلَّا لَذي شَأْنٍ مِنَ الشَّانِ

ثم أدخل دار المعتصم فأمر بإحضار سيف بابك فحضر فأمره المعتصم أن يقطع يديه ورجليه فقطعهما فسقط فأمره بدبحه ففعل وشق بطنه وأنفذ رأسه إلى خراسان وصلب بدنه بسامرا ، وأمر بحمل أخيه عبد الله الى اسحاق بن ابراهيم ببغداد وأمره أن يفعل به ما فعل بأخيه بابك فعمل به ذلك وضرب عنقه وصلبه في الجانب الشرقي بين الجسرين .

قيل : فكان الذي أخرج الافشين من المال مدة مقامه بازاء بابك سوى الأرزاق والانزال والمعارف في كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم ، وفي يوم لا يركب فيه

خمسة آلاف ، وكان جميع من قتل بابك في عشرين سنة مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة انسان ، وغلب من القواد يحيى بن معاذ ، وعيسى بن محمد بن أبي خالد ، وأحمد بن الجنيذ فأسره ، وزريق بن علي بن صهقة ، ومحمد بن حميد الطوسي ، وإبراهيم بن الليث ، وكان الذين أسروا مع بابك ثلاثة آلاف وثلاثمائة وتسعة أناسي ، واستنقذ ممن كان في يده من المسلمين وأولادهن سبعة آلاف وستمائة إنسان ، وصار في يد الأفشين من بني بابك سبعة عشر رجلاً ومن البنات والنساء ثلاث وعشرون امرأة ، ولما وصل الأفشين توجه المعتصم وألبسه وشاحين بالجواهر ووصله بعشرين ألف ألف درهم وعشرة آلاف ألف يفرقها في عسكره وعقد له على السند وادخل عليه الشعراء يمدحونه .

ذكر خروج الروم الى زبطرة

وفي هذه السنة خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم الى بلاد الاسلام وأوقع بأهل زِبْطَرَة^(١) وغيرها :

وكان سبب ذلك أن بابك لما ضيق الأفشين عليه وأشرف على الهلاك كتب إلى ملك الروم توفيل يعلمه أن المعتصم قد وجه عساكره ومقاتلته إليه حتى وجه خياطه - يعني جعفر بن دينار الخياط - وطباخه - يعني إيتاخ - ولم يبق على بابه أحد فإن أردت الخروج إليه فليس في وجهك أحد يمنعك ، وظن بابك أن ملك الروم ان تحرك يكشف عنه بعض ما هو فيه بإنفاذ العساكر الى مقاتلة الروم ، فخرج توفيل في مائة ألف ، وقيل : أكثر منهم ، من الجند نيف وسبعون ألفاً وبقيتهم أتباع ، ومعهم من المحمّرة الذين كانوا خرجوا للجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم اسحاق بن ابراهيم بن مصعب جماعة^(٢) فبلغ زِبْطَرَة فقتل من بها من الرجال وسبى الذرية والنساء وأغار على أهل ملطية وغيرها من حصون المسلمين وسبى المسلمين ومثل بمن صار في يده من المسلمين وسمل أعينهم وقطع أنوفهم وآذانهم ، فخرج إليهم أهل الثغور من الشام والجزيرة إلا من لم يكن له دابة ولا سلاح .

(١) زبطرة : بكسر الزاي وفتح ثانيه وسكون الطاء المهملة وراء : مدينة بين ملطية وسَمِيساط والحديث في طرف بلد الروم .

(٢) زاد في الطبري « رئيسهم بارسيس » .

ذكر فتح عمورية

ولما خرج ملك الروم وفعل في بلاد الاسلام ما فعل بلغ الخبر المعتصم فلما بلغه ذلك استعظمه وكبر لديه ، وبلغه أن امرأة هاشمية صاحت وهي أسيرة في أيدي الروم : وامعتصماه فأجابها وهو جالس على سريريه لييك لييك ونهض من ساعته وصاح في قصره النفير النفير ، ثم ركب دابته وسمّط خلفه شكلاً وسكة حديد وحقبة فيها زاده ولم يمكنه المسير إلا بعد التعبية وجمع العساكر ، فجلس في دار العامة واحضر قاضي بغداد وهو عبد الرحمن بن اسحاق وشعبة^(١) بن سهل ومعهما ثلاثمائة وثمانية وعشرون رجلاً من أهل العدالة فأشهدهم على ما وقف من الضياع فجعل ثلثاً لولده وثلثاً لله تعالى وثلثاً لمواليه ، ثم سار فعسكر بغربي دجلة لليلتين خلتا من جمادى الاولى ، ووجه عجيف بن عنبة ، وعمر^(٢) الفرغاني ، ومحمد كوتا^(٣) ، وجماعة من القواد إلى زبطرة معونة لأهلها فوجدوا ملك الروم قد انصرف عنها الى بلاده بعد ما فعل ما ذكرناه . فوقفوا قليلاً حتى تراجع الناس الى قراهم واطمأنوا .

فلما ظفر المعتصم ببابك قال : أي بلاد الروم أمنع وأحصن ؟ ف قيل : عمورية لم يعرض لها أحد منذ كان الاسلام وهي عين النصرانية وهي أشرف عندهم من القسطنطينية ، فسار المعتصم من سر من رأى ، وقيل : كان مسيره سنة اثنتين وعشرين ، وقيل : سنة أربع وعشرين وتجهز جهازاً لم يتجهزه خليفة قبله قط من السلاح ، والعدد ، والآلة ، وحياض الأدم ، والروايا ، والقرب ، وغير ذلك^(٤) ، وجعل على مقدمته أشناس وبتلوه محمد بن ابراهيم بن مصعب ، وعلى ميمنته إيتاخ ، وعلى ميسرته جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط ، وعلى القلب عجيف بن عنبة ، فلما دخل بلاد الروم نزل على نهر السن^(٥) وهو على سلوقية قريباً من البحر بينه وبين طرسوس مسيرة يوم وعليه يكون الفداء ، وأمضى المعتصم الأفشين الى

(١) في الطبري « شعيب بن سهل » .

(٢) في الطبري « عمرو » .

(٣) في الطبري « محمد كوتة » .

(٤) زاد في الطبري « وآلة الحديد والنفط » .

(٥) في الطبري « نهر اللمس » .

سَرُوج^(١) وأمره بالدخول من درب الحدث^(٢) وسمى له يوماً يكون دخوله فيه ويوماً يكون اجتماعهم فيه ، وسير أشناس من درب طرسوس وأمره بانتظاره بالصُّفَصاف^(٣) ، فكان مسير أشناس لثمان بقين من رجب ، وقدم المعتصم وصيفاً في أثر أشناس ورحل المعتصم لست بقين من رجب .

فلما صار اشناس بمرج الأسقف وَرَدَ عليه كتاب المعتصم من المَطَامِير يعلمه ان ملك الروم بين يديه وأنه يريد أن يكبسه ويأمره بالمقام إلى أن يصل إليه فأقام ثلاثة أيام ، فورد عليه كتاب المعتصم يأمره أن يوجه قائداً من قواده في سرية يلتصقون رجلاً من الروم يسألونه عن خبر الملك ، فوجه أشناس عمر^(٤) الفرغاني في مائتي فارس فدخل حتى بلغ أنقرة^(٥) وفرق أصحابه في طلب رجل رومي فأتوه بجماعة بعضهم في عسكر الملك وبعضهم من السواد فأحضرهم عند اشناس فسألهم عن الخبر فأخبروه ان الملك مقيم أكثر من ثلاثين يوماً ينتظر مقدمة المعتصم ليوافعهم فأتاه الخبر بأن عسكراً عظيماً قد دخل بلادهم من ناحية الأرمنياق - يعني عسكر الأفشين - قالوا : فلما أخبر استخلف ابن خاله على عسكره وسار يريد ناحية الافشين فوجه أشناس بهم إلى المعتصم فأخبروه الخبر ، فكتب المعتصم كتاباً إلى الافشين يعلمه أن ملك الروم قد توجه إليه ويأمره أن يقيم مكانه خوفاً عليه من الروم إلى أن يرد عليه كتابه ، وضمن لمن يوصل كتابه إلى الافشين عشرة آلاف درهم ؛ فسارت الرسل بالكتاب إلى الأفشين فلم يروه لأنه أوغل في بلاد الروم .

وكتب المعتصم إلى أشناس يأمره بالتقدم فتقدم والمعتصم من ورائه ، فلما رحل أشناس نزل المعتصم مكانه حتى صار بينه وبين أنقرة ثلاث مراحل ، فضاق عسكر المعتصم ضيقاً شديداً من الماء والعلف ، وكان اشناس قد أسر في طريقه عدة اسرى فضرب أعناقهم حتى بقي شيخ كبير فقال له : ما تنتفع بقتلي وأنت

(١) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مصر .

(٢) الحدث : بالتحريك : قلعة حصينة بين ملطية وسمياط ومرعش من الثغور .

(٣) الصفصاف : كورة من ثغور المصيصة .

(٤) في الطبري « عمرو » .

(٥) في الطبري « حصن قرّة » .

وعسكرك في ضيق وههنا قوم قد هربوا من انقرة خوفاً منكم وهم بالقرب منا معهم الطعام والشعير وغيرهما ؟ فوجه معي قوماً لأسلمهم إليهم وخلّ سبيلي ، فسير معه خمسمائة فارس ودفع الشيخ الى مالك بن كيدر وقال له : متى أراك هذا الشيخ سبياً كثيراً أو غنيمة كثيرة فخلّ سبيله ، فسار بهم الشيخ فأوردتهم على وادٍ وحشيش فمرجوا دوابهم وشربوا وأكلوا وساروا حتى خرجوا من الغيضة ، وسار بهم الشيخ حتى اتى جبلاً فنزله ليلاً فلما أصبحوا قال الشيخ : وجهوا رجلين يصعدان هذا الجبل فينظران ما فوقه فيأخذان من أدركا فصعد أربعة فأخذوا رجلاً وامرأة ، فسألهما الشيخ عن أهل انقرة فدلوه عليهم ، فسار بالناس حتى أشرف على أهل انقرة وهم في طرف ملاحه فلما رأوا العسكر أدخلوا النساء والصبيان الملاحه وقتلوهم على طرفها ، وغنم المسلمون منهم وأخذوا من الروم عدة أسرى وفيهم من فيه جراحات عتيقة متقدمة ، فسألوه عن تلك الجراحات فقالوا : كنا في وقعة الملك مع الأفشين ، وذلك أن الملك لما كان معسكراً أتاه الخبر بوصول الأفشين في عسكر ضخم من ناحية الأرمنياق واستخلف على عسكره بعض أقربائه وسار إليهم فواقعنهم فقاتلونا قتالاً شديداً حتى خرقوا عسكرنا واختلطوا بنا فلم ندر أين الملك وانهزمنا منهم ورجعنا الى معسكر الملك الذي خلفه فوجدنا العسكر قد انتقض وانصرفوا عن قرابة الملك ؛ فلما كان الغد جاء الملك في جماعة يسيرة فرأى عسكره قد اختل وأخذ الذي كان استخلفه عليهم فضرب عنقه ، وكتب إلى المدن والحصون أن لا يأخذوا أحداً انصرف من العسكر إلا ضربوه بالسياط وردوه إلى مكان سماه لهم الملك ليجتمع إليه الناس ويلقئ المسلمين ، وأن الملك وجه خصياً له إلى أنقرة ليحفظ أهلها فرأهم قد أجلوا عنها ، فكتب إلى الملك بذلك فأمره بالمسير إلى عَمُورِيَّة فرجع مالك بن كيدر بما معهم من الغنيمة والأسرى الى عسكر أشناس وغنموا في طريقهم بقرأ وغنماً كثيراً وأطلق الشيخ .

فلما بلغ مالك بن كيدر عسكر أشناس أخبره بما سمع فأعلم المعتصم بذلك فسرّ به ، فلما كان بعد ثلاثة أيام جاء البشير من ناحية الأفشين بخبر السلامة وكانت الوقعة لخمس بقين من شعبان ، فلما كان الغد قدم الأفشين على المعتصم وهو بأنقرة فأقاموا ثلاثة أيام ، ثم جعل المعتصم العسكر ثلاثة عساكر : عسكر فيه

أشناس في الميسرة والمعتصم في القلب ؛ وعسكر الأفشين في الميمنة وبين كل عسكر وعسكر فرسخان وأمر كل عسكر أن يكون له ميمنة وميسرة وأمرهم أن يحرقوا القرى ويخربوها ويأخذوا من لحقوا فيها ثم ترجع كل طائفة الى صاحبها يفعلون ذلك فيما بين أنقرة وعمورية وبينهما سبع مراحل ، ففعلوا ذلك حتى وافوا عمورية وكان أول من وردها أشناس ثم المعتصم ثم الأفشين فداروا حولها وقسمها بين القواد وجعل لكل واحد منهم أبراجاً منها على قدر أصحابه ؛ وكان رجل من المسلمين قد أسره الروم بعمورية فتنصر فلما رأى المسلمين خرج إليهم فأخبر المعتصم أن موضعاً من المدينة وقع سوره من سيل أتاه فكتب الملك إلى عامل عمورية ليعمره فتوانى فلما خرج الملك من القسطنطينية خاف العامل أن يرى السور خراباً فبنى وجهه حجراً حجراً وعمل الشرف على جسر خشب ؛ فرأى المعتصم ذلك المكان فأمر بضرب خيمته هناك ونصب المجانيق على ذلك الموضع فانفجر السور من ذلك الموضع ، فلما رأى الروم ذلك جعلوا عليه خشباً كبيراً كل عود يلزق الآخر وكان المنجنيق يكسر الخشب فجعلوا عليه براذع ، فلما ألحت المجانيق على ذلك الموضع تصدع السور .

وكتب الخضي وبطريق عمورية - واسمه ناطس - كتاباً الى ملك الروم يعلمه أمر السور وسيره مع رجلين فأخذهما المسلمون وسألهما المعتصم وفشهما فرأى الكتاب وفيه أن العسكر قد أحاط بالمدينة وقد كان دخوله اليها خطأ وان ناطس عازم على أن يركب في خاصته ليلاً يحمل على العسكر كائناً ما كان حتى يخلص ويصير إلى الملك ، فلما قرأ المعتصم الكتاب أمر لهم ببكرة ، وهي عشرة آلاف درهم - وخلع فأسلما فأمر بهما فطافا حول عمورية وان يقفا مقابل البرج الذي فيه ناطس^(١) فوقفا وعليهما الخلع والأموال بين يديهما فعفرهما ناطس ومن معه من الروم فشتموهما ، وأمر المعتصم بالاحتياط في الحراسة ليلاً ونهاراً فلم يزلوا كذلك حتى انهزم السور ما بين برجين من ذلك الموضع ، وكان المعتصم أمر أن يطم خندق عمورية بجلود الغنم المملوءة تراباً فطموه وعمل دبابات كباراً تسع كل دبابة عشرة رجال ليدحرجوها على الجلود إلى السور فدحرجوا واحدة منها فلما صارت في

(١) في الطبري « ياطس » .

نصف الخندق تعلقت بتلك الجلود فما تخلص من فيها إلا بعد شدة وجهه وعمل سلايم ومنجنيقات .

فلما كان الغد من يوم انهدم السور قاتلهم على الثلثة فكان أول من بدأ بالحرب أشناس وأصحابه وكان الموضع ضيقاً فلم يمكنهم الحرب فيه فأمدهم المعتصم بالمنجنيقات التي حول السور فجمع بعضها الى بعض حول الثلثة وأمر أن يرمى ذلك الموضع ، وكانت الحرب في اليوم الثاني على الأفشين وأصحابه وأجادوا الحرب وتقدموا والمعتصم على دابته بازاء الثلثة واشناس والأفشين وخواص القواد معه فقال المعتصم : ما أحسن ما كان الحرب اليوم ، وقال عمر^(١) الفرغاني : الحرب اليوم أجود منها أمس فأمسك اشناس .

فلما انتصف النهار وانصرف المعتصم والناس وقرب أشناس من مضربه ترجل له القواد كما كانوا يفعلون وفيهم الفرغاني ، وأحمد بن الخليل بن هشام فقال لهم أشناس : يا أولاد الزنا ايش تمشون بين يدي كان ينبغي أن تقاتلوا أمس حيث تقفون بين يدي أمير المؤمنين فتقولون : الحرب اليوم أجود منها أمس كان يقاتل أمس غيركم انصرفوا إلى مضاربكم ، فلما انصرف الفرغاني ، وأحمد بن الخليل قال أحدهما للآخر : ألا ترى الى هذا العبد ابن الفاعلة - يعني أشناس - ما صنع اليوم أليس الدخول الى الروم أهون من هذا ؟ فقال الفرغاني لأحمد - وكان عنده علم من العباس بن المأمون - : سيكفيك الله أمره عن قريب ، فالح أحمد عليه فأخبره فأشار عليه أن يأتي العباس فيكون في أصحابه فقال أحمد : هذا أمر أظنه لا يتم ، قال الفرغاني : قد تم ، وأرشده إلى الحرث السمرقندي فاتاه فرفع الحرث خبره الى العباس فكره العباس أن يعلم بشيء من أمره فأمسكوا عنه ، فلما كان اليوم الثالث كان الحرب على أصحاب المعتصم ومعهم المغاربة والأتراك وكان القيم بذلك إيتاخ فقاتلوا وأحسنوا واتسع لهم هدم السور ، فلم تزل الحرب كذلك حتى كثرت الجراحات في الروم ، وكان بطارقة الروم قد اقتسموا أبراج السور وكان البطريق الموكل بهذه الناحية وندوا - وتفسيره ثور - فقاتل ذلك اليوم قتالاً شديداً وفي الأيام قبله ولم يمده ناطس ولا غيره بأحد ، فلما كان الليل مشى وندوا الى الروم فقال : ان

(١) في الطبري « عمرو » .

الحرب عليّ وعلى أصحابي ولم يبق معي أحد إلا جرح فصيروا أصحابكم على الثلثة يرمون قليلاً وإلا ذهبت المدينة فلم يمدوه بأحد، وقالوا : لا نمدك ولا تمدنا فعزم هو وأصحابه على الخروج الى المعتصم يسألونه الأمان على الذرية ويسلمون إليه الحصن بما فيه .

فلما أصبح وكل أصحابه بجانب الثلثة أمرهم أن لا يحاربوا وقال : أريد الخروج الى المعتصم فخرج إليه فصار بين يديه والناس يتقدمون الى الثلثة وقد أمسك الروم عن القتال حتى وصلوا الى السور والنروم يقولون : لا تخشوا وهم يتقدمون ووندوا جالس عند المعتصم فأركبه فرساً وتقدم الناس حتى صاروا في الثلثة وعبد الوهاب بن عليّ بين يدي المعتصم يومئذ الى المسلمين بالدخول فدخل الناس المدينة فالتفت وندوا وضرب بيده على لحيته فقال له المعتصم : مالك ؟ قال : جئت اسمع كلامك فغدرت بي ، قال المعتصم : كل شيء تريده فهو لك ولست أخالفك قال : أيش مخالفتي وقد دخل الناس المدينة ، وسار طائفة كبيرة من الروم إلى كنيسة كبيرة لهم فأحرقها المسلمون عليهم فهلكوا كلهم ، وكان ناطس في برجه حوله أصحابه فركب المعتصم ووقف مقابل ناطس فقبل له : يا ناطس هذا أمير المؤمنين فظهر من البرج وعليه سيف فنحاه عنه ونزل حتى وقف بين يديه فضربه سوطاً ، وسار المعتصم إلى مضربه وقال : هاتوه ، فمشى قليلاً فأمر بحمله وأخذ السيف الروم .

وأقبل الناس بالأسرى والسبي من كل وجه فأمر المعتصم أن يعزل منهم أهل الشرف ونقل من سواهم ؛ وأمر ببيع المغانم في عدة مواضع فبيع منها في أكثر من خمسة أيام وأمر بالباقي فأحرق ، وكان لا ينادى على شيء أكثر من ثلاثة أصوات ثم يوجب بيعه طلباً للسرعة ، وكان ينادى على الرقيق خمسة خمسة ، عشرة عشرة طلباً للسرعة ، ولما كان في بعض أيام بيع المغانم - وهو الذي كان عجيف وعد الناس أن يثور فيه بالمعتصم على ما نذكره - وثب الناس على المغانم فركب المعتصم والسيف في يده وسار ركضاً نحوهم فتنحوا عنه وكفوا عن النهب ، فرجع الى مضربه وأمر بعمورية فهدمت وأحرقت ، وكان نزوله عليها لست خلون من شهر رمضان ، وأقام عليها خمسة وخمسين يوماً وفرق الاسرى على القواد وسار نحو طرسوس .

ذكر حبس العباس بن المأمون

في هذه السنة حبس المعتصم العباس بن المأمون وأمر بلعنه ، وكان سبب ذلك أن عجيف بن عنبسة لما وجهه المعتصم الى بلاد الروم ولما كان من ملك الروم بزبطرة مع عمر^(١) الفرغاني ، ومحمد كوتاه^(٢) لم يطلق يد عجيف في النفقات كما أطلقت يد الأفشين واستقصر المعتصم أمر عجيف وأفعاله ، وظهر ذلك لعجيف فويخ العباس بن المأمون على ما تقدم من فعله عند وفاة المأمون حتى بايع المعتصم وشجعه على أن يتلافى ما كان منه ، فقبل العباس قوله ودس رجلاً يقال له : الحرث السمرقندي قرابة عبيدالله بن الوضاح وكان العباس يأنس به وكان الحرث أديباً له عقل ومدارة فجعله العباس رسوله وسفيره الى القواد وكان يدور في العسكر حتى استمال له جماعة من القواد وبايعوه وجماعة من خواص المعتصم ، وقال لكل من بايعه : إذا أظهرنا أمرنا فليشب كل منكم بالقائد الذي هو معه ، فوكل من بايعه من خواص المعتصم بقتله ، ومن بايعه من خاصة الأفشين بقتله ، ومن بايعه من خاصة اشناس بقتله وكذلك غيرهم فضمنوا له ذلك ، فلما دخل الدرب وهم يريدون أنقرة وعمورية ، دخل الأفشين من ناحية ملطية فأشار عجيف على العباس أن يثب بالمعتصم في الدرب وهو في قلة من الناس فيقتله ويرجع الى بغداد فإن الناس يفرحون بانصرافهم الى بغداد من الغزو فأبى العباس ذلك وقال : لا أفسد هذه الغزاة حتى دخلوا بلاد الروم وافتتحوا عمورية : فقال عجيف للعباس : يا نائم قد فتحت عمورية والرجل ممكن تضع قوماً يذهبون بعض الغنائم فإذا بلغه ذلك ركب في سرعة فتأمر بقتله هناك فأبى عليه وقال : انتظر حتى يصير الى الدروب ويخلو كما كان أول مرة وهو أمكن منه ههنا .

وكان عجيف قد أمر من ينهب المتاع ففعلوا وركب المعتصم وجاء ركضاً وسكن الناس ولم يطلق العباس أحداً من أولئك الذين واعدهم وكرهوا قتله بغير أمر العباس ، وكان الفرغاني قد بلغه الخبر ذلك اليوم وله قرابة غلام أمرد في خاصة المعتصم فجاء الغلام الى ولد عمر الفرغاني وشرب عندهم تلك الليلة فأخبرهم خبر

(١) في الطبري « عمرو » .

(٢) في الطبري « محمد كوتة » .

ركوب المعتصم وانه كان معه وأمره أن يسل سيفه ويضرب كل من لقيه ، فسمع عمر ذلك من الغلام فاشفق عليه من أن يصاب فقال : يا بني أقلل من المقام عند أمير المؤمنين والزم خيمتك وإن سمعت صيحة وشغباً فلا تبرح فإنك غلام غر ولا تعرف العساكر فعرف مقالة عمر ، وارتحل المعتصم الى الثغور ووجه الأفشين ابن الأقطع وأمره أن يغير على بعض المواضع ويوافيه في الطريق فمضى وأغار وعاد الى العسكر في بعض المنازل ومعه الغنائم فنزل بعسكر الأفشين .

وكان كل عسكر على حدة فتوجه عمر الفرغاني ، وأحمد بن الخليل من عسكر أشناس الى عسكر الأفشين ليشتريا من السبي شيئاً فلقيهما الأفشين فترجلا وسلمما عليه وتوجها الى الغنيمة فرآهما صاحب اشناس فأعلمه بهما ، فأرسل أشناس إليهما بعض أصحابه لينظر ما يصنعان فجاء فرآهما وهما ينتظران بيع السبي ، فرجع فأخبر اشناس الخبر ، فقال اشناس لحاجبه : قل لهما يلزمان العسكر وهو خير لهما . فقال لهما فاغتما لذلك واتفقا على أن يذهبا الى صاحب خبر العسكر فيستعفياه من أشناس ، فأتياه وقالا : نحن عبيد أمير المؤمنين فضمننا إلى من شاء فإن هذا الرجل يستخف بنا قد شتمنا وتوعدنا ونحن نخاف أن يقدم علينا فليضمننا أمير المؤمنين إلى من أراد فأنهى ذلك الى المعتصم ، واتفق الرحيل وسار اشناس والأفشين مع المعتصم فقال لأشناس : أحسن ادب عمر ، وأحمد فإنهما قد حَمَقَا أنفسهما ، فجاء اشناس الى عسكره فأخذهما وحبسهما وحملهما على بغل حتى صارا بالصفصاف ، فجاء ذلك الغلام وحكى للمعتصم ما سمع من عمر الفرغاني في تلك الليلة ، فأنفذ المعتصم بغا وأخذ عمر من عند أشناس وسأله عن الذي قال الغلام فأنكر ذلك وقال : إنه كان سكران ولم يعلم ما قلت فدفعه الى إيتاخ .

وسار المعتصم فأنفذ أحمد بن الخليل الى أشناس يقول له : إن عندي نصيحة لأمر المؤمنين فبعث إليه يسأله عنها فقال : لا أخبر بها إلا أمير المؤمنين ، فحلف أشناس ان هو لم يخبرني بهذه النصيحة لأضربه بالسياط حتى يموت ، فلما سمع ذلك أحمد حضر عند اشناس وأخبره خبر العباس بن المأمون ، والقواد والحرث السمرقندي ، فأنفذ اشناس وأخذ الحرث وقيده وسيره الى المعتصم وكان قد تقدم ، فلما دخل على المعتصم أخبره بالحال جميعه وبجميع من بايعه من القواد وغيرهم فأطلقه المعتصم وخلع عليه ولم يصدق على أولئك القواد لكثرتهم ،

وأحضر المعتصم العباس بن المأمون وسقاه حتى سكر وحلفه أنه لا يكتمه من أمره شيئاً فشرح له أمره كله مثل ما شرح الحرث فأخذه وقيده وسلمه الى الأفشين فحبسه عنده ، وتتبع المعتصم أولئك القواد وكانوا يحملون في الطريق على بغال بأكف بلا وطاء ، وأخذ أيضاً الشاه بن سهل - وهو من أهل خراسان - فقال له المعتصم : يا ابن الزانية أحسنت إليك فلم تشكر . فقال : ابن الزانية هذا وأوماً الى العباس - وكان حاضراً - لو تركني ما كنت الساعة تقدر أن تجلس هذا المجلس وتقول هذا الكلام فأمر به فضربت عنقه وهو أول من قتل منهم ، ودفع العباس الى الأفشين فلما نزل منبج طلب العباس بن المأمون الطعام فقدم إليه طعام كثير فأكل ومنع الماء وأدرج في مسح فمات بمنبج وصلى عليه بعض أخوته .

وأما عمر الفرغاني فلما وصل المعتصم الى نصيبين حفر له بئراً وألقاه فيها وطمها عليه ، وأما عجيف فمات بباعيناثا من بلد الموصل وقيل : بل أطعم طعاماً كثيراً ومنع الماء حتى مات بباعيناثا ، وتتبع جميعهم فلم يمض عليهم إلا ايام قلائل حتى ماتوا جميعاً .

ووصل المعتصم الى سامرا سالماً فسمى العباس يومئذ اللعين ، وأخذ أولاد المأمون من سندس فحبسهم في داره حتى ماتوا بعد ، ومن أحسن ما يذكر أن محمد بن علي الإسكاف كان يتولى إقطاع عجيف فرفع أهله عليه الى عجيف فأخذه وأراد قتله فبال في ثيابه - خوفاً من عجيف ثم شفع فيه فقيده وحبسه ، ثم سار الى الروم وأخذه المعتصم كما ذكرنا وأطلق من كان في حبسه وكانوا جماعة منهم الإسكاف ثم استعمل على نواح بالجزيرة ومن جملتها باعيناثا قال : فخرجت يوماً الى تل باعيناثا فاحتجت الى الوضوء فجئت الى تل فبلت عليه ثم توضأت ونزلت وشيخ باعيناثا ينتظرني فقال لي : في هذا التل قبر عجيف وأرانيه فإذا أنا قد بلت عليه ، وكان بين الأمرين سنة لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً .

ذكر وفاة زيادة الله بن ابراهيم بن

الأغلب وابتداء ولاية أخيه الأغلب

في هذه السنة رابع عشر رجب توفي زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب أمير

أفريقية ، وكان عمره إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام ، وكانت إمارته إحدى وعشرين سنة وسبعة أشهر ، وولي بعده أخوه أبو عفان الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب فأحسن إلى الجند ، وأزال مظالم كثيرة ، وزاد العمال في أرزاقهم ، وكف أيديهم عن الرعية ، وقطع النبيذ والخمر عن القيروان ، وسير سرية سنة أربع وعشرين ومائتين إلى صقلية فغنمت وسلمت .

وفي سنة خمس وعشرين ومائتين استأمن عدة حصون من جزيرة صقلية إلى المسلمين منها حصن البلوط ، وابلاتنو ، وقرلون ، ومرو ، وسار اسطول المسلمين إلى قِلْوَرِيَّة^(١) ففتحها ولقوا أسطول صاحب القسطنطينية فهزموه بعد قتال فعاد الاسطول إلى القسطنطينية مهزوماً فكان فتحاً عظيماً ، وفي سنة ست وعشرين ومائتين سارت سرية للمسلمين بصقلية إلى قصر يانة^(٢) فغنمت وأحرقت وسبت فلم يخرج إليها أحد فسارت إلى حصن الغيران - وهو أربعون غاراً - فغنمت جميعها ، وتوفي الأمير أبو عفان فيها على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر عدة حوادث

وجرح في هذه السنة في شوال إسحاق بن إبراهيم جرحه خادم له .

وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود .

وفي هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الأندلس جيشاً إلى أَلِيَّة^(٣) والقلاع فتزلوا حصن الفرات وحصروه وغنموا ما فيه وقتلوا أهله وسبوا النساء والذرية وعادوا .

(١) قِلْوَرِيَّة : مدينة في شرق صقلية .

(٢) قصر يانة : (بالهاء) مدينة كبيرة بجزيرة صقلية .

(٣) أَلِيَّة : بالضم ثم السكون وياء مفتوحة : اسم إقليم من نواحي إشبيلية وإقليم من نواحي إستجة كلاهما بالأندلس .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين

ذكر مخالفة مازيار بطبرستان

في هذه السنة أظهر مازيار بن قارن بن ونداد هرمز الخلاف على المعتصم بطبرستان وعصى وقاتل عساكره .

وكان سببه أن مازيار كان منافراً عبد الله بن طاهر لا يحمل إليه خراج ، وكان المعتصم يأمره بحمله الى عبد الله فيقول : لا أحمله إلا اليك ، وكان المعتصم ينفذ من يقبضه من أصحاب مازيار بهمذان ويسلمه الى وكيل عبد الله بن طاهر يرده الى خراسان ، وعظم الشر بين مازيار وعبد الله ، وكان عبد الله يكتب الى المعتصم حتى استوحش من مازيار ، فلما ظفر الأفشين ببابك وعظم محله عند المعتصم طمع في ولاية خراسان فكتب الى مازيار يستميله ويظهر له المودة ويعلمه أن المعتصم قد وعده ولاية خراسان - ورجا أنه إذا خالف مازيار سيره المعتصم إلى حربه - وولاه خراسان ، فحمل ذلك مازيار على الخلاف وترك الطاعة ومنع جبال طبرستان ، فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربته وكتب الأفشين الى مازيار يأمره بمحاربة عبد الله وأعلمه أنه يكون له عند المعتصم كل ما يحب ، ولا يشك الأفشين أن مازيار يقوم في مقابلة ابن طاهر وإن المعتصم يحتاج الى انفاذه وانفاذ عساكر غيره ، فلما خالف دعا الناس الى البيعة فبايعوه كرهاً وأخذ الرهائن فحبسهم وأمر أكرة الضياع بانتهاب أربابها ، وكان مازيار أيضاً يكتب بابك ، واهتم مازيار بجمع الأموال من تعجيل الخراج وغيره فجبى في شهرين ما كان يؤخذ في سنة ، ثم أمر قائداً له يقال له : سرخاستان فأخذ أهل آمل وأهل سارية جميعهم فنقلهم إلى جبل على النصف ما بين سارية وآمل يقال له هرمز اباد فحبسهم فيه وكانت عدتهم عشرين ألفاً فلما فعل ذلك تمكن من أمره ، وأمر بتخريب سور آمل ، وسور سارية ، وسور طميس

فخربت الأسوار ، وبني سرخاستان سوراً من طميس الى البحر مقدار ثلاثة أميال كانت الأكاسرة بنته لتمنع الترك من الغارة على طبرستان وجعل له خندقاً ، ففرع أهل جرجان وخافوا فهرب بعضهم إلى نيسابور ، فأنفذ عبدالله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب في جيش كثيف لحفظ جرجان وأمره أن ينزل على الخندق الذي عمله سرخاستان فسار حتى نزل وصار بينه وبين صاحب سرخاستان الخندق .

ووجه أيضاً ابن طاهر حيان بن جبلة في أربعة آلاف إلى قومس^(١) فعسكر على حدّ جبال شروين ، ووجه المعتصم من عنده محمد بن ابراهيم بن مصعب أخا إسحاق بن ابراهيم ومعه الحسن بن قارن الطبري ومن كان عنده من الطبرية ، ووجه المنصور بن الحسن صاحب دنباوند إلى الري ليدخل طبرستان من ناحية الري ، ووجه أبا الساج الى اللارز ودنباوند ، فلما احدثت الخيل بمازيار من كل جانب وكان أصحاب سرخاستان يتحدثون مع أصحاب الحسن بن الحسين حتى استأنس بعضهم ببعض ، فتآمر بعض أصحاب الحسن في دخول السور فدخلوه إلى أصحاب سرخاستان على غفلة من الحسن ونظر الناس بعضهم الى بعض فثاروا ، وبلغ الخبر إلى الحسن فجعل يصيح بالقوم ويمنعهم خوفاً عليهم فلم يقفوا ونصبوا علمه على معسكر سرخاستان ، وانتهى الخبر إلى سرخاستان وهو في الحمام فهرب في غلالة ، وحين رأى الحسن أن أصحابه قد دخلوا السور قال : اللهم إنهم عصوني وأطاعوك فانصرهم ، وتبعهم أصحابه حتى دخلوا إلى الدرب من غير مانع واستولوا على معسكر سرخاستان وأسر أخوه شهریار ورجع الناس عن الطلب لما أدركهم الليل فقتل الحسن شهریار .

وسار سرخاستان خافياً فجهده العطش فنزل عن دابته وشدها فبصر به رجل من أصحابه وغلّام اسمه جعفر وقال سرخاستان : يا جعفر اسقني ماء فقد هلكت عطشاً فقال : ليس عندي ما أسقيك فيه ، قال جعفر : واجتمع إلي عدة من أصحابي فقلت لهم : هذا الشيطان قد أهلكنا فلم لا نتقرب إلى السلطان به ونأخذ لأنفسنا الأمان فثارناه وكتفناه فقال لهم : خذوا مني مائة ألف درهم واتركوني فإن العرب لا تعطيكُم شيئاً، فقالوا : احضرها ، فقال : سيروا معي الى المنزل لتقبضوه واعطيكم

(١) قومس : كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبل طبرستان .

المواثيق على الوفاء فلم يفعلوا وساروا به نحو عسكر المعتصم ولقيتهم خيل الحسن بن الحسين فضربوهم وأخذوه منهم وأتوا به الحسن فأمر به فقتل ، وكان عند سرخاستان رجل من أهل العراق يقال له : أبو شاس^(١) يقول الشعر وهو ملازم له ليتعلم منه اخلاق العرب فلما هجم عسكر العرب على سرخاستان انتهبوا جميع ما لأبي شاس وخرج وأخذ جرة فيها ماء وأخذ قدحاً وصاح الماء للسبيل وهرب ، فمر بمضرب كاتب الحسن فعرفه أصحابه فأدخلوه إليه فأكرمه وأحسن إليه وقال له : قل شعراً تمدح به الأمير فقال : والله ما بقي في صدري شيء من كتاب الله من الخوف فكيف أحسن الشعر ، ووجه الحسن برأس سرخاستان الى عبدالله بن طاهر ، وكان حيان بن جبلة مولى عبدالله بن طاهر قد أقبل مع الحسن كما ذكرنا وهو بناحية طميس وكاتب قارن بن شهريار - وهو ابن أخي مازيار - ورغبه في المملكة وضمن له أن يملكه على جبال أبيه وجده .

وكان قارن من قواد مازيار وقد أنفذه مازياراً مع أخيه عبدالله بن قارن ومعه عدة من قواده ، فلما استماله حيان ضمن له قارن أن يسلم إليه الجبال ومدينة سارية الى حدود جرجان على هذا الشرط ، وكتب بذلك حيان الى عبدالله بن طاهر فأجابه الى كل ما سأل ، وأمر حيان أن لا يوغل حتى يستدل على صدق قارن لئلا يكون منه مكر ، وكتب حيان الى قارن بإجابة عبدالله ، فدعا قارن بعمه عبدالله بن قارن - وهو أخو مازيار - ودعا جميع قواده الى طعامه فلما وضعوا سلاحهم واطمأنوا أحرق بهم أصحابه في السلاح وكتفهم ووجه بهم إلى حيان ، فلما صاروا إليه استوثق منهم وركب في أصحابه حتى دخل جبال قارن ، وبلغ الخبر مازيار فاعتم لذلك فقال له القوهيار : في حبسك عشرون ألفاً من بين حائك واسكاف وحداد وقد شغلت نفسك بهم وإنما أتيت من مأمك وأهل بيتك فما تصنع بهؤلاء المحبسين عندك ؟ قال : فأطلق مازيار جميع من في حبسه ، ودعا جماعة من أعيان أصحابه وقال لهم : إن بيوتكم في السهل وأخاف أن يؤخذ حرمكم وأموالكم فانطلقوا وخذوا لأنفسكم أماناً ففعلوا ذلك ، ولما بلغ أهل سارية أخذ سرخاستان ودخول حيان جبل شروين وثبوا على عامل مازيار بسارية فهرب منهم وفتح الناس السجن وأخرجوا من فيه ، وأتى

(١) زاد في الطبري : « وهو الغطريف بن حصين بن حنش فني من العراق ربي بخراسان » .

حيّان الى مدينة سارية وبلغ قوهيار أخا مازيار الخبر فأرسل إلى حيّان مع محمد بن موسى بن حفص يطلب الأمان وان يملك على جبال أبيه وجده ليسلم إليه مازيار فحضر عند حيّان ومعه أحمد بن الصقر^(١) وأبلغاه الرسالة فأجاب الى ذلك .

فلما رجعا رأى حيّان تحت أحمد فرساً حسناً فأرسل إليه وأخذه منه فغضب أحمد من ذلك وقال : هذا الحائك العبد يفعل بشيخ مثلي ما فعل ثم كتب الى قوهيار : وَيَحْكُ لم تغلط في أمرك وتترك مثل الحسن بن الحسين عم الأمير عبدالله بن طاهر وتدخل في أمان هذا العبد الحائك وتدفع اليه أخاك وتضع قدرك وتحقق عليك الحسن بتركك إياه وبميلك إلى عبد من عبيده ؟ فكتب إليه قوهيار : أراني قد غلظت في أول الأمر ووعدت الرجل أن أصير إليه بعد غد ، ولا آمن إن خالفته أن يناهضني ويستبيح دمي ومنزلي وأموالي ، وإن قاتلته فقتلت من أصحابه وجرت الدماء ، فسدّ كل ما عملناه ووقعت الشحنة ، فكتب إليه أحمد إذا كان يوم الميعاد فابعث إليه رجلاً من أهلِكَ واكتب إليه أنه قد عرضت علة منعني عن الحركة وأنتك تتعالج ثلاثة أيام فإن عوفيت وإلا سرت إليك في محمل وسنحملة نحن على قبول ذلك فأجابه إليه .

وكتب أحمد بن الصقر ومحمد بن موسى بن حفص الى الحسن بن الحسين - وهو بطميس^(٢) - أن أقدم علينا لنُدفعَ إليك مازيار والخيل وإلا فاتك ووجها الكتاب إليه مع من يستحثه ، فلما وصل الكتاب ركب من ساعته وسار مسيرة ثلاثة أيام في ليلة وانتهى الى سارية ، فلما أصبح تقدم الى خرّماباذ^(٣) وهو الموعد بين قوهيار وحيّان وسمع حيّان وقع طبول الحسن فتلّقه على فرسخ فقال له الحسن : ما تصنع ههنا ولم توجه الى هذا الموضع ؟ وقد فتحت جبال شروين وتركتها فما يؤمنك أن يغدر أهلها فينتقض جميع ما عملنا ؟ ارجع إليهم حتى لا يمكنهم الغدر إن همّوا به ، فقال حيّان : أريد أن أحمل أثقالِي وأخذ أصحابي فقال له الحسن : سر أنت فانا باعث باثقالك وأصحابك ، فخرج حيّان من فوره كما أمره وأتاه كتاب عبدالله بن

(١) في الطبري « ابن الصقر » وهكذا كلما ذكر .

(٢) طميس : بلدة من سهول طبرستان بينها وبين سارية ستة عشر فرسخاً .

(٣) خرّماباذ .

طاهر أن يعسكر بـكُور - وهي من جبال ونداد هُرمز - وهي أحصنها وكانت أموال مازيار بها ، فأمر عبدالله أن لا يمنع قارن مما يريد من الأموال والجبال فاحتمل قارن مما كان بها وبغيرها من أموال مازيار وسرخستان وانتقض على حيان ما كان عمله بسبب شرهه الى ذلك الفرس .

وتوفي بعد ذلك حيان فوجه عبدالله مكانه عمه محمد بن الحسين بن مصعب ، وسار الحسن بن الحسين الى خرماباد فأتاه محمد بن موسى بن حفص ، وأحمد بن الصقر فشكرهما وكتب الى قوهيار فأتاه فأحسن اليه الحسن وأكرمه وأجابه الى جميع ما طلب اليه منه لنفسه وتواعدوا يوماً يحضر مازيار عنده .

ورجع قوهيار الى مازيار فأعلمه أنه قد أخذ له الأمان واستوثق له ، وركب الحسن يوم الميعاد وقت الظهر ومعه ثلاثة غلمان أترك وأخذ ابراهيم بن مهران يده على الطريق إلى أرم^(١) ، فلما قاربها خاف ابراهيم وقال : هذا موضع لا يسلكه إلا ألف فارس فصاح به امض قال : فمضيت وأنا طائش العقل حتى وافينا أرم فقال : أين طريق هرمز اباد ؟ قلت : على هذا الجبل في هذا الطريق فقال : سر إليها فقلت : الله الله في نفسك وفينا وفي هذا الخلق الذين معك فصاح امض يا ابن اللخناء فقلت : اضرب عنقي أحب إلي من أن يقتلني مازيار ويلزمني الأمير عبدالله الذنب فانتهرني حتى ظننت أنه يبطش بي ، فسرت وأنا خائف فأتينا هرمز اباد مع اصفرار الشمس فنزل فجلس ونحن صيام وكانت الخيل قد تقطعت لأنه ركب بغير علم الناس فعلموا بعد مسيره .

قال : وصلينا المغرب وأقبل الليل وإذا بفرسان بين أيديهم الشمع مشتعلًا مقبلين من طريق لبورة فقال الحسن : أين طريق لبورة ؟ فقلت : أرى عليه فرسانًا ونيرانًا وأنا داهش لا أقف على حقيقة الأمر حتى قربت النيران فنظرت فإذا المازيار مع القوهيار فنزلا ، وتقدم مازيار فسلم على الحسن فلم يرد عليه السلام وقال لرجلين من أصحابه : خذاه إليكما فأخذه ، فلما كان السحر وجه الحسن مازيار معهما إلى سارية ، وسار الحسن إلى هرمز اباد فأحرق قصر مازيار وأنهب ماله ،

(١) أرم : بالضم ثم الفتح ، بلدة قرب سارية من نواحي طبرستان .

وسار الى خرماباد وأخذ أخوة مازيار فحبسوا هنالك ووكل بهم ، وسار إلى مدينة سارية فأقام بها وحبس مازيار ، ووصل محمد بن إبراهيم بن مصعب الى الحسن بن الحسين فسار به لينظره في معنى المال الذي لمازيار وأهله ، فكتب الى عبدالله بن طاهر فأمر الحسن بتسليم مازيار وأهله الى محمد بن ابراهيم ليسيّر بهم الى المعتصم وأمره أن يستقصي على أموالهم ويحرزها ، فأحضر مازيار وسأله عن أمواله فذكر أنها عند خزانة وضمن قوهيار ذلك وأشهد على نفسه ، وقال مازيار : اشهدوا عليّ أن جميع ما أخذت من أموالي ستة وتسعون ألف دينار ، وسبع عشرة قطعة زمرّد ، وست عشرة قطعة ياقوت ، وثمانية أحمال من ألوان الثياب ، وتاج وسيف مذهب مجوهر ، وخنجر من ذهب مكلّل بالجوهر ، وحق كبير مملوء جوهرًا قيمته ثمانية عشر ألف درهم وقد سلمت ذلك إلى خازن عبدالله بن طاهر وصاحب خبره على العسكر ، وكان مازيار قد استخلف هذا ليوصله الى الحسن بن الحسين ليظهر للناس والمعتصم أنه آمنه على نفسه ، وماله ، وولده وأنه جعل له جبال أبيه . فامتنع الحسن من قبوله وكان أعف الناس .

فلما كان الغد أنفذ الحسن مازيار الى المعتصم مع يعقوب بن المنصور ، ثم أمر الحسن قوهيار أن يأخذ بغاله ليحمل عليها مال مازيار فأخذها ، وأراد الحسن أن ينفذ معه جيشاً فقال : لا حاجة لي بهم وسار هو وعلمانه ، فلما فتح الخزائن وأخرج الأموال وعباها ليحملها وثب عليه ممالك المازيار - وكانوا دياملة - وقالوا : غدرت بصاحبنا وأسلمته إلى العرب وجئت لتحمل أمواله - وكانوا ألفا ومائتين - فأخذوه وقيدوه فلما جنهم الليل قتلوه وانتهبوا الأموال والبغال ، فانتهى الخبر الى الحسن بن الحسين فوجه جيشاً ووجه قارن جيشاً فأخذ أصحاب قارن منهم عدة منهم ابن عم مازيار يقال له شهريار بن المصمغان وكان هو يحرضهم فوجه قارن الى عبدالله بن طاهر فمات بقومس ، وعلم محمد بن إبراهيم خبرهم فأرسل في أثرهم فأخذوا وبعث بهم إلى مدينة سارية .

وقيل : إن السبب في أخذ مازيار كان ابن عم له اسمه قوهيار كان له جبال طبرستان وكان لمازيار السهل ، وجبال طبرستان ثلاثة أجبل ، جبل ونداد هُرمز ، وجبل أخيه ونداسنجان ، والثالث جبل شروين بن سِرخاب فقوي مازيار وبعث الى

ابن عمه قوهيار ، وقيل : هو أخوه فألزمه بابه وولى الجبل والياً من قبله يقال له : دري ، فلما خالف مازيار واحتاج الى الرجال دعا قوهيار وقال له : انت اعرف بجبلك من غيرك وأظهره على أمر الأفشين ومكاتبته وأمره بالعود الى جبله وحفظه ، وأمر الدري بالمجيء إليه فأتاه فضم إليه العساكر ووجهه الى محاربة الحسن بن الحسين عم عبدالله بن طاهر ، وظن مازيار أنه قد استوثق من الجبل بقوهيار وتوثق من المواضع المخوفة بدري وعساكره واجتمعت العساكر عليه كما تقدم ذكره وقربت منه ، وكان مازيار في مدينته في نفر يسير فدعا قوهيار الحقد الذي في قلبه على مازيار وما صنع به على ان كاتب الحسن بن الحسين وأعلمه جميع ما في عسكره ومكاتبه الأفشين ، فأنفذ الحسن كتاب قوهيار الى عبدالله بن طاهر فأنفذه عبدالله إلى المعتصم ، وكاتب عبدالله ، والحسن قوهيار وضمنا له جميع ما يريد وأن يعيد إليه جبله وما كان بيده لا ينازعه فيه أحد فرضي بذلك ووعدهم يوماً يسلم فيه الجبل ، فلما جاء الميعاد تقدم الحسن فحارب دري وأرسل عبدالله بن طاهر جيشاً كثيفاً فوافوا قوهيار فسلم إليهم الجبل فدخلوه ودري يحارب الحسن ومازيار في قصره فلم يشعر مازيار إلا والخيل على باب قصره فأخذوه أسيراً .

وقيل : إن مازيار كان يتصيد فأخذوه وقصدوا به نحو دري وهو يقاتل فلم يشعر هو وأصحابه إلا وعسكر عبدالله من ورائهم ومعهم مازيار ، فاندفع دري وعسكره واتبعوه وقتلوه وأخذوا رأسه وحملوه الى عبدالله بن طاهر وحملوا إليه مازيار ، فوعده عبدالله بن طاهر إن هو أظهره على كتب الأفشين أن يسأل فيه المعتصم ليصفح عنه ، فأقر مازيار بذلك وأظهر الكتب عند عبدالله بن طاهر فسيرها إلى إسحاق بن إبراهيم ، وسير مازيار وأمره أن لا يسلمها إلا من يده إلى يد المعتصم ففعل إسحاق ذلك ، فسأل المعتصم مازيار عن الكتب فأنكرها فضربه حتى مات وصلبه إلى جانب بابك ، وقيل : إن مخالفة مازيار كانت سنة خمس وعشرين والأول أصح لأن قتله كان في سنة خمس وعشرين ، وقيل : إنه اعترف بالكتب على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر عصيان منكجور قرابة الأفشين

لما فرغ الأفشين من بابك وعاد الى سامرا استعمل على أذربيجان - وكان في

عمله - منكجور - وهو من أقاربه - فوجد في بعض قرى بابك مالا عظيماً ولم يعلم به المعتصم ولا الأفشين ، فكتب صاحب البريد الى المعتصم وكتب منكجور يكذبه فتناظرا فهم منكجور ليقتله فمنعه أهل أردبيل فقاتلهم منكجور ، وبلغ ذلك المعتصم فأمر الأفشين بعزل منكجور فوجه قائداً في عسكر ضخم ، فلما بلغ منكجور الخبر خلع الطاعة وجمع الصعاليك وخرج من أردبيل فواقعه القائد فهزمه ، وسار الى حصن من حصون أذربيجان التي كان بابك خربها فبناه وأصلحه وتحصن فيه فبقي به شهراً ثم وثب به أصحابه فأسلموه إلى ذلك القائد فقدم به الى سامرا فحبسه المعتصم واتهم الأفشين في أمره ، وكان قدومه سنة خمس وعشرين ومائتين ، وقيل : إن ذلك القائد الذي أنفذ الى منكجور كان بُغا الكبير وأن منكجور خرج إليه بأمان .

ذكر ولاية عبدالله الموصل وقلته

في هذه السنة عصى بأعمال الموصل إنسان من مقدمي الأكراد اسمه جعفر بن فَهْرَجَس وتبعه خلق كثير من الأكراد وغيرهم ممن يريد الفساد ، فاستعمل المعتصم عبدالله بن السيد بن أنس الأزدي على الموصل وأمره بقتال جعفر ، فسار عبدالله إلى الموصل وكان جعفر بماتعيس قد استولى عليها فتوجه عبدالله إليه وقاتله وأخرجه من ماتعيس فقصد جبل داسن^(١) وامتنع بموضع عالٍ فيه لا يُرام والطريق إليه ضيق ، فقصد عبدالله الى هناك وتوغل في تلك المضائق حتى وصل إليه وقاتله فاستظهر جعفر ومن معه من الأكراد على عبدالله لمعرفتهم بتلك المواضع وقوتهم على القتال بها رجالة فانهمز عبدالله وقتل أكثر من معه ، وممن ظهر منهم إنسان اسمه رَبَاح حمل على الأكراد فحرق صفهم وطعن فيهم وقتل وصار وراء ظهورهم وشغلهم عن أصحابه حتى نجا منهم من أمكنه النجاة فتكاثر الأكراد عليه فألقى نفسه من رأس الجبل على فرسه وكان تحته نهر فسقط الفرس في الماء ونجا رَبَاح .

وكان فيمن أسره جعفر رجلان - أحدهما اسمه اسماعيل - والآخر إسحاق

(١) دَاسِن : اسن جبل عظيم في شمالي الموصل من جانب دجلة الشرقي ، فيه خلق كثير من طوائف الأكراد يقال لهم الداسنية .

ابن أنس - وهو عم عبد الله بن السيد - وكان إسحاق صهر جعفر فقدمهما جعفر اليه فظن إسماعيل أن يقتله ولا يقتل إسحاق للصهر الذي بينهما، فقال: يا إسحاق أوصيك بأولادي فقال له إسحاق: أتظن أنك تقتل وأبقى بعدك؟ ثم التفت الى جعفر فقال: اسألك أن تقتلني قبله لتطيب نفسه فبدأ به فقتله وقتل إسماعيل بعده، فلما بلغ ذلك المعتصم أمر إيتاخ بالمسير الى جعفر وقتاله فتجهز وسار الى الموصل سنة خمس وعشرين وقصد جبل دابن وجعل طريقه على سوق الأحد فالتقاء جعفر فقاتله قتالاً شديداً فقتل جعفر وتفرق أصحابه فأنكشف شره وأذاه عن الناس.

وقيل؛ أن جعفرأ شرب سماً كان معه فمات، ووقع إيتاخ بالأكراد فأكثر القتل فيهم واستباح أموالهم وحشر الأسرى، والنساء، والأموال الى تكريت، وقيل: ان إيقاع إيتاخ بجعفر كان سنة ست وعشرين والله أعلم.

ذكر غزاة المسلمين بالأندلس

وفي هذه السنة سير عبد الرحمن عبدالله المعروف بابن البلنسي الى بلاد العدو فوصلوا الى أليّة^(١) والقلاع فخرج المشركون إليه في جمعهم وكان بينهم حرب شديدة وقاتل عظيم، فانهزم المشركون وقتل منهم ما لا يحصى وجمعت الرؤوس أكداً حتى كان الفارس لا يرى من يقابله.

وفيهما خرج لذريق في عسكره وأراد الغارة على مدينة سالم من الأندلس فسار إليه فرتون بن موسى في عسكر جرار فلقيه وقاتله فانهزم لذريق وكثر القتل في عسكره، وسار فرتون الى الحصن الذي كان بناه أهل أليّة بإزاء ثغور المسلمين فحصره وافتحه وهدمه.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة تولى جعفر بن دينار اليمن، وفيها تزوج الحسين بن الأفشين اتراجة^(٢) بنت أشناس ودخل بها في قصر المعتصم في جمادى الآخرة واحضر

(١) أليّة؛ بالفتح ثم السكون، وباء مفتوحة: ماء من مياة بني سليم.

(٢) في الطبري «الحسن بن الأفشين اترنجة».

عرسها عامة أهل سامرا وكانوا يغلفون العامة بالغالية وهي في تغار من فضة ، وفيها امتنع محمد بن عبد الله الورثاني بـورْثان^(١) ثم عاود الطاعة وقدم على المعتصم بأمان سنة خمس وعشرين ومائتين ، وفيها مات ناطس^(٢) الرومي وصلب بسامرا إلى جانب بابك ، وفيها مات ابراهيم بن المهدي في رمضان وصلى عليه المعتصم ، وحج بالناس محمد بن داود ، وفيها وقع بأفريقية فتنة كان فيها حرب بين عيسى بن ريعان الأزدي وبين لواتة ، وزواغة ، ومكناسة فكانت الحرب بين قفصة ، وقسطيلية فقتلهم عيسى عن آخرهم ، وفيها اجتمع أهل سجلماسة مع مدرار بن اليسع على تقديم ميمون بن مدرار في الامارة على سجلماسة وإخراج أخيه المعروف بابن تقية ، فلما استقر الامر لميمون أخرج أباه وأمه إلى بعض قرى سجلماسة ، وفيها فتح نوح بن أسد كاسان ، واورشت بما وراء النهر وكانت قد نقضتا الصلح ، وافتتح أيضاً أسبيجاب وبنى حوله سوراً يحيط بكروم أهله ومزارعهم ، وفيها مات أبو عبيد القاسم بن سلام الامام اللغوي وكان عمره سبعاً وستين سنة كانت وفاته بمكة (سلام) بتشديد اللام .

(١) ورثان : بالفتح ثم السكون وآخره نون : بلد هو آخر حدود أذربيجان .

(٢) في الطبري « ياطس » بالياء المشناة من تحت .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين

ذكر وصول مازيار الى سامرا

في هذه السنة كان وصول مازيار الى سامرا فخرج إسحاق بن ابراهيم فأخذه من الدسكرة وأدخله سامرا على بغل بإكاف لأنه امتنع من ركوب الفيل فأمر المعتصم أن يجمع بينه وبين الأفشين وكان الأفشين قد حبس قبل ذلك بيوم فأقر مازيار أن الأفشين كان يكتبه ويحسن له الخلاف والمعصية فأمر برد الأفشين إلى محبسه وضرب مازيار أربعمئة وخمسين سوطاً وطلب ماء للشرب فسقي فمات من ساعته ، وقيل : ما تقدم ذكره ، وقد تقدم من اعتراف مازيار بكتب الأفشين في غير موضع ما يخالف هذا وسببه اختلاف الناقلين .

ذكر غضب المعتصم على الأفشين وحبسه

وفي هذه السنة غضب المعتصم على الأفشين وحبسه ، وكان سبب ذلك أن الافشين كان أيام محاربة بابك لا تأتيه هدية من أهل أرمينية وأذربيجان إلا وجه بها إلى أشروسنة فيجتاز ذلك بعبدالله بن طاهر فيكتب عبدالله الى المعتصم يعرفه الخبر ، فكتب إليه المعتصم يأمره بإعلامه بجميع ما يوجه به الأفشين ففعل عبدالله ذلك ، فكان الأفشين كلما اجتمع عنده مال يجعله على أوساط أصحابه في الهمايين ويسيره إلى أشروسنة ، فأنفذ مرة مالا كثيراً فبلغ أصحابه الى نيسابور فوجه عبدالله بن طاهر ففتشهم فوجد المال في أوساطهم فقال : من أين لكم هذا المال؟ فقالوا : للأفشين ، فقال : كذبتم لو أراد أخي الأفشين أن يرسل مثل هذه الهدايا والأموال لكتب يعلمني ذلك الأمر بتسييره وإنما أنتم لصوص ، وأخذ عبدالله المال فأعطاه الجند وكتب إلى الأفشين يذكر له ما قال القوم وقال : أنا أنكر أن تكون وجهت بمثل هذا المال ولم تعلمني وقد أعطيته الجند

عوض المال الذي يوجه أمير المؤمنين فإن كان المال لك كما زعموا فإذا جاء المال من عند أمير المؤمنين رددته عليك وإن يكن غير هذا فأمر المؤمنين أحق بهذا المال وإنما دفعته الى الجند لأنني أريد أوجههم إلى بلاد الترك .

فكتب إليه الأفشين ان مالي ومال أمير المؤمنين واحد وسأله اطلاق القوم فأطلقهم فكان ذلك سبب الوحشة بينهما وجعل عبد الله يتبعه ، وكان الأفشين يسمع من المعتصم ما يدل على أنه يريد عزل عبد الله عن خراسان فطمع في ولايتها فكتب مازيار يحسن له الخلاف ظناً منه أنه إذا خالف عزل المعتصم عبد الله عن خراسان واستعمله عليها وأمره بمحاربة مازيار فكان من أمر مازيار ما تقدم وكان من عصيان منكجور ما ذكرناه أيضاً ، فتحقق المعتصم أمر الأفشين فتغير عليه ، وأحس الأفشين بذلك فلم يدر ما يصنع فعزم على أن يهوى أطوفاً في قصره ويحتال في يوم شغل المعتصم وقواده أن يأخذ طريق الموصل ويعبر الزاب على تلك الاطواف ويصير الى أرمينية - وكانت ولاية أرمينية إليه - ثم يصير إلى بلاد الخزر ثم يدور في بلاد الترك ويرجع إلى أشروسنة أو يستميل الخزر على المسلمين فلم يمكنه ذلك ، فعزم على أن يعمل طعماً كثيراً ويدعو المعتصم والقواد ويعمل فيه سماً فإن لم يجيء المعتصم عمل ذلك بالقواد مثل أشناس ، وإيتاخ ، وغيرهما يوم تشاغل المعتصم فإذا خرجوا من عنده سار في أول الليل فكان في تهية ذلك وكان قواده ينوبون في دار المعتصم كما يفعل القواد .

وكان أواجن^(١) الأشروسي قد جرى بينه وبين من قد اطلع على أمر الأفشين حديث ، فقال أواجن : لا يتم هذا الأمر ، فذهب ذلك الرجل الى الأفشين فأعلمه فتهدد أواجن فسمعه بعض من يميل الى أواجن من خدم الأفشين فأتاه ذلك الخادم فأعلمه الحال بعد عوده من النوبة فخاف على نفسه ، فخرج الى دار المعتصم فقال لإيتاخ : إن لأمير المؤمنين عندي نصيحة ، قال : قد نام أمير المؤمنين فقال أواجن : لا يمكنني أن أصبر الى غد فقد إيتاخ الباب على بعض من يخبر المعتصم بذلك فقال المعتصم : قل له ينصرف الليلة إلى غد فقال : ان انصرفت ذهبت نفسي ، فأرسل المعتصم إلى إيتاخ بيته عندك الليلة فبيته عنده ، فلما أصبح الصباح

(١) في الطبري « وكان واجن » .

بكر به على باب المعتصم فأخبره ما كان عنده ، فأمر المعتصم بإحضار الافشين فجاء في سواده فأمر بأخذ سواده وحبسه في الجوسق .

وكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر في الاحتياط على الحسين^(١) بن الافشين وكان الحسين قد كثرت كتبه إلى عبد الله يشكو من نوح بن الأسد الأمير بما وراء النهر وتحامله على ضياعه وناحيته ، فكتب عبد الله الى نوح يعلمه ما كتب به المعتصم في أمر الحسين ويأمره أن يجمع أصحابه ويتأهب له فإذا قدم عليه الحسين بكتاب ولايته أخذه واستوثق منه وحمله إليه ، وكتب عبد الله الى الحسين يعلمه أنه قد عزل نوحاً وأنه قد ولاه ناحيته ووجه اليه بكتاب عزل نوح وولايته ، فخرج ابن الافشين في قلة من أصحابه وسلاحه حتى ورد على نوح وهو يظن أنه والي الناحية فأخذه نوح وقيده ووجهه الى عبد الله بن طاهر فوجه به عبد الله الى المعتصم ، فأمر المعتصم بإحضار الافشين ليقابل على ما قيل عنه فأحضر عند محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم وعنده ابن أبي دؤاد ، وإسحاق بن إبراهيم وغيرهما من الأعيان وكان المناظر ابن الزيات فأمر بإحضار مازيار ، والموبذ ، والمرزيان بن برکش^(٢) - وهو أحد ملوك السغد - ورجلين من أهل السغد ، فدعا محمد بن عبد الملك بالرجلين وعليهما ثياب رثة فقال لهما : ما شأنكما ؟ فكشفا عن ظهورهما وهي عارية من اللحم فقال للأفشين : أتعرف هؤلاء؟ قال : نعم هذا مؤذن وهذا امام ينيا مسجداً بأشروسنة فضربت كل واحد منهما ألف سوط وذلك أن بني وبين ملك السغد عهداً وشرطاً أن أترك كل قوم على دينهم فوثب هذان على بيت كان فيه أصنام أهل أشروسنة فأخرجوا الأصنام وجعلاه مسجداً فضربتهما على هذا .

قال ابن الزيات : ما كتاب عندك قد حليته بالذهب والجوهر فيه الكفر بالله تعالى؟ قال : كتاب ورثته عن أبي فيه من آداب العجم وكفر فكنت آخذ الآداب وأترك الكفر ووجدته محلي فلم أحتج الى أخذ الحلية منه وما ظننت أن هذا يخرج من الاسلام ، ثم تقدم الموبذ فقال : ان هذا يأكل لحم المخنوقة ويحملني على أكلها ويزعم أنها أرطب من المذبوحة وقال لي يوماً : قد دخلت لهؤلاء القوم في كل شيء

(١) في الطبري « الحسن » وكذا في النجوم الزاهرة .

(٢) في الطبري « تركس » بناء مشتاة من فوق .

أكرهه حتى أكلت الزيت وركبت الجمل ، والبغل غير أني الى هذه الغاية لم تسقط عني شعرة - يعني لم آخذ شعر العانة ولم أختتن .

فقال الأفشين : أخبروني عن هذا أثقة هو في دينه ؟ - وكان مجوسياً وإنما أسلم أيام المتوكل - فقالوا : لا ، فقال : فما معنى قبول شهادته ؟ ثم قال للموبذ : أليس كنت أدخلك علي وأطلعك علي سري ؟ قال : بلى ، قال : لست بالثقة في دينك ولا بالكريم في عهدك إذا أفشيت سراً أسررته إليك ، ثم تقدم المرزبان فقال : كيف يكتب إليك أهل بلدك ؟ قال : لا أقول ، قال : أليس يكتبون بكذا بالأشروسنية ؟ قال : بلى ، قال : أليس تفسيره بالعربية الى إله الآلهة من عبده فلان بن فلان ؟ قال : بلى .

قال محمد بن عبد الملك الزيات : المسلمون لا يحتملون هذا فما أبقيت لفرعون ؟ قال : هذه كانت عاداتهم لأبي وجدي ولي قبل أن أدخل في الاسلام فكرهت أن أضع نفسي دونهم ففسد علي طاعتهم ، ثم تقدم مازيار فقالوا للأفشين : هل كاتب هذا ؟ قال : لا ، قالوا لمازيار : هل كتب اليك ؟ قال : نعم كتب أخوه إلى أخي قوهيار انه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك .

فأما بابك فإنه لحمقه قتل نفسه ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت فأبى لحمقه إلا أن أوقعه ، فإن خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيري ومعني الفرسان وأهل النجدة ؛ فإن وجهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة : العرب ، والمغاربة والأتراك ، والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضرب رأسه ، والمغاربة أكلة رأس ، والأتراك إنما هي ساعة حتى تنفذ سهامهم ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتي على آخرهم ويعود الدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم ، فقال الأفشين : هذا يدعي أن أخي كتب إلى أخيه لا يجب علي ، ولو كتبت هذا الكتاب إليه لاستميله إلي ويثق بي ثم آخذه بقفاه وأحطى به عند الخليفة كما حظي عبد الله بن طاهر ، فزجره ابن أبي دؤاد فقال الأفشين : يا أبا عبد الله أنت ترفع طيلسانك فلا تضعه حتى تقتل فقال له ابن أبي دؤاد : أمطهر أنت ؟ قال : لا قال : فما منعك من ذلك وبه تمام الاسلام والطهوز من النجاسة ؟ فقال : أو ليس في الاسلام استعمال التقية ؟ قال : بلى قال : خفت أن أقطع ذلك العضو من جسدي فأموت فقال : أنت تطعن بالرمح وتضرب بالسيف فلا يمنعك ذلك أن يكون ذلك في الحرب وتجزع من قطع قلقة

قال : تلك ضرورة تصييني^(١) فأصبر عليها وهذا شيء استجلبه ، فقال ابن أبي دؤاد :
قد بان لكم أمره ، فقال لبغا الكبير : عليك به فضرِب بيده على منطقته فجذبها وأخذ
بمجامع القباء عند عنقه ورده إلى محبسه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غضب المعتصم على جعفر بن دينار لأجل وثوبه على من كان
معه من الأصحاب وحبسه عند أشناس خمسة عشر يوماً ثم رضي عنه وعزله عن اليمن
واستعمل عليها إيتاخ ، وفيها عزل الأفشين عن الحرس وولاه إسحاق بن يحيى بن
معاذ ، وفيها سار عبد الرحمن صاحب الأندلس في جيش كثير إلى بلاد المشركين
في شعبان فدخل بلاد جليقية فافتتح منها عدة حصون وجال في أرضهم يخرب ويغنم
ويقتل ويسبي وأطال المقام في هذه الغزاة ثم عاد إلى قرطبة ، وحج بالناس في هذه
السنة محمد بن داود ، وفيها توفي أبو دلف العجلي - واسمه القاسم بن عيسى - وأبو
عمرو الجرمي النحوي - واسمه صالح بن إسحاق - وكان من الصالحين ، وفيها
توفي أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله المدائني وله ثلاث وتسعون سنة وله كتب في
المغازي وأيام العرب وكان بصرياً فأقام بالمدائن فنسب إليها .

(١) في الطبري « تعينني » .

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين

فيها وثب علي بن إسحاق بن يحيى بن معاذ وكان على المعونة بدمشق من قبل صول على أرتكين بن رجاء^(١) وكان على الخراج فقتله وأظهر الوسواس ثم تكلم فيه أحمد بن أبي دؤاد فأطلق من محبسه ، وفيها مات محمد بن عبد الله بن طاهر فصلى عليه المعتصم في دار محمد .

ذكر موت الأفسين

وفيها مات الأفسين وكان قد أنفذ الى المعتصم يطلب أن ينفذ إليه من يثق به وأنفذ إليه حمدون بن إسماعيل فأخذ يعتذر عما قيل فيه وقال : قل لأمر المؤمنين إنما مثلي ومثلك كرجل ربي عجلاً حتى أسمنه وكبر ، وكان له أصحاب يشتهون أن يأكلوا من لحمه فعرضوا بذبحه فلم يجبههم ، فاتفقوا جميعاً على أن قالوا : لم تربى هذا الأسد فإنه إذا كبر رجع الى جنسه ؟ فقال لهم : إنما هو عجل ، فقالوا : هذا أسد فسل من شئت عنه وتقدموا الى جميع من يعرفونه وقالوا لهم : إن سألكم عن العجل فقولوا له : إنه أسد وكلما سأل انساناً قال : هو سبع . فأمر بالعجل فذبح وإني أنا ذلك العجل كيف أقدر أن أكون أسداً الله الله في أمري ، قال حمدون : فقامت عنه وبين يديه طبق فيه فاكهة قد أرسل به المعتصم مع ابنه الواثق وهو على حاله فلم ألبث إلا قليلاً حتى قيل : إنه يموت أو قد مات فحمل الى دار إيتاخ فمات بها وأخرجوه وصلبوه على باب العامة ليراه الناس ثم ألقى وأحرق بالنار وكان موته في شعبان .

قال حمدون : وسألته هل هو مطهر أم لا ؟ فقال : إلى مثل هذا الموضع إنما

(١) عبارة الطبري هكذا « من قبل صول أرتكين برجاء بن أبي الضحاك » .

قال لي هذا والناس مجتمعون ليفضجني ، إن قلت : نعم ، قال : تَكْشَف .
والموت كان أحب إلي من أن أتكشف بين يدي الناس ولكن إن شئت اتكشف بين يديك
حتى تراني . فقلت له : أنت صادق ، فلما انصرف حمدون وبلغ المعتصم رسالته أمر
بقطع الطعام والشراب عنه إلا القليل حتى مات ، قال : ولما أخذ ماله رأى في داره بيت
فيه تمثال انسان من خشب عليه حلية كثيرة وجوهر وفي أذنيه حجران مشتبكان عليهما
ذهب فأخذ بعض من كان مع سليمان أحد الحجرين وظنه جوهرأ - وكان ذلك - ليلاً فلما
أصبح نزع عنه الذهب ووجده شيئاً شبيهاً بالصدف الذي يسمى الحبرون ووجدوا أصناماً
وغير ذلك والأطواف الخشب التي كان أعدها ووجدوا له كتاباً من كتب المجوس وكتباً
غيره فيها ديانته^(١) .

ذكر وفاة الأغلب وولاية أبي العباس محمد بن الأغلب أفريقية وما كان منه

في هذه السنة في ربيع الآخر توفي الأغلب بن ابراهيم ، يوم الخميس لسبع
بقيين من ربيع الآخر من هذه السنة ، وكانت ولايته سنتين وسبعة أشهر وسبعة أيام ،
ولما توفي ولي أبو العباس محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب بلاد افريقية بعد
وفاة والده ودانت له افريقية ، وابتنى مدينة بقرب تاهرت سماها العباسية في سنة
تسع وثلاثين ومائتين فأحرقها أفلح بن عبد الوهاب الأباضي وكتب الى الأموي
صاحب الأندلس يعلمه ذلك فبعث إليه الأموي مائة ألف درهم جزاء له على فعله .

وتوفي محمد بن الأغلب يوم الاثنين غرة المحرم من سنة اثنتين وأربعين
ومائتين وكانت ولايته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وعشرة أيام .

ذكر ولاية ابنه أبي ابراهيم احمد

لما توفي أبو العباس محمد بن الأغلب ولي الأمر بعده ابنه أبو ابراهيم أحمد
وأحسن السيرة مع الرعية وأكثر العطاء للجند ، وبنى بأرض أفريقية عشرة آلاف حصن
بالحجارة والكلس وأبواب الحديد واشترى العبيد ولم يكن في أيامه ناثر يزعجه ، ثم
توفي رحمه الله يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة سنة تسع وأربعين

(١) واسم افشين حيدر بن كاوس وهو من أولاد الأكاسرة ، والافشين لقب لمن ملك مدينة أشروسنة .

ومائتين ، وكانت ولايته سبع سنين وعشرة أشهر واثنى عشر يوماً ، وكان عمره ثمانياً وعشرين سنة .

ذكر ولاية أخيه ابي محمد زيادة الله

ولما توفي أحمد ولي أخوه زيادة الله وجرى على سنن سلفه ولم تطل أيامه فتوفي يوم السبت لإحدى عشرة بقيت من ذي القعدة سنة خمسين ومائتين وكانت ولايته سنة واحدة وستة أيام .

ذكر ولاية محمد بن أحمد بن الأغلب

ولما توفي زيادة الله ولي بعده أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب وجرى على سنن أسلافه وكان أديباً عاقلاً حسن السيرة غير أن جزيرة صقلية تغلب الروم على مواضع منها ، وبنى أيضاً حصوناً ومحارس على ساحل البحر ، وبالمغرب أرض تعرف بالأرض الكبيرة بينها وبين برقة مسيرة خمسة عشر يوماً وبها مدينة على ساحل البحر تدعى بارة وكان أهلها نصارى ليسوا بـُروم فغزاها حياة مولى الأغلب فلم يقدر عليها ثم غزاها خلفون البربري ويقال : إنه مولى لربيعة ففتحها في خلافة المتوكل ، وقام بعده رجل يسمى المفرج بن سالم ففتح أربعاً وعشرين حصناً واستولى عليها فكتب إلى والي مصر يعلمه خبره وأنه لا يرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة إلا بأن يعقد له الإمام على ناحيته ويوليه إياها ليخرج من حد المتغلبين وبنى مسجداً جامعاً ، ثم إن أصحابه شغبوا عليه ثم قتلوه ، ثم توفي أبو عبد الله محمد رحمه الله سنة إحدى وستين ومائتين ، وإنما ذكرنا ولاية هؤلاء متتابعة لقلة ما لكل واحد منهم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة زلزلت الأهواز زلزلة شديدة خمسة أيام وكان مع الزلزلة ريح شديدة فخرج الناس عن منازلهم وخرّب كثير منها ، وفيها حج بالناس محمد بن داود أمره أشناس بذلك ، وكان أشناس حاجاً وقد جعل إليه ولاية كل بلد يدخله وخطب له على منابر مكة ، والمدينة وغيرهما من البلاد التي اجتاز بها بالإمرة إلى أن عاد إلى سامرا .

وقبها توفي أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن العلاف البصري شيخ
المعتزلة في زمانه وزاد عمره على مائة سنة وله مسائل في الأصول قبيحة تفرد
بها^(١) ، ويحيى بن يحيى بن بكير^(٢) بن عبد الرحمن التميمي الحنظلي النيسابوري
أبو زكريا توفي في صفر بنيسابور ، وسليمان بن حرب الواشجي القاضي ، وأبو
الهيثم الرازي النحوي وكان عالماً بنحو الكوفيين .

(١) ولد سنة خمس وثلاثين ومائة وقدم بغداد وناظر العلماء وأبادهم وكان خبيث اللسان .

(٢) كذا في بعض الأصول وفي النجوم الزاهرة وتهذيب التهذيب والخلاصة بالتصغير وهو الصحيح ، كان امام
أهل نيسابور وحافظها في زمانه .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين ذكر خروج المبرقع

في هذه السنة خرج أبو حرب المبرقع اليماني بفلسطين وخالف على المعتصم ، وكان سبب خروجه أن بعض الجند أراد النزول في داره - وهو غائب - قمنعه بعض نسائه فضربها الجندي بسوط فأصاب ذراعها فأثر فيها ، فلما رجع أبو حرب إلى منزله شكت إليه ما فعل بها الجندي فأخذ سيفه وسار نحوه فقتله ثم هرب وألبس وجهه برقاً وقصد بعض جبال الأردن فأقام به وكان يظهر بالنهار متبرقاً ، فإذا جاءه أحد ذكره وأمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويذكر الخليفة وما يأتي ويعييه فاستجاب له قوم من فلاحي تلك الناحية وكان يزعم أنه أموي فقال أصحابه : هذا السفيناني ، فلما كثر أتباعه من هذه الصفة^(١) دعا أهل البيوتات فاستجاب له جماعة من رؤساء اليمانية منهم رجل يقال له : ابن بيهس كان مطاعاً في أهل اليمن ورجلان من أهل دمشق ، واتصل الخبر بالمعتصم في مرضه الذي مات فيه فسير إليه رجاء بن أيوب الحضاري في زهاء ألف رجل من الجند ، فرآه في عالم كثير يبلغون مائة ألف فكره رجاء مواقفته وعسكر في مقابلته حتى كان أوان الزراعة وعمل الأرض فانصرف من كان مع المبرقع إلى عملهم وبقي في زهاء ألف أو ألفين وتوفي المعتصم وولي الواثق ، واثارت الفتنة بدمشق على ما نذكره ، فأمر الواثق رجاء بقتال من أراد الفتنة والعود إلى المبرقع ففعل ذلك وعاد إلى المبرقع فناجزه رجاء فالتقى العسكران فقال رجاء لأصحابه : ما أرى في عسكره رحلاً له شجاعة غيره وأنه سيظهر لأصحابه ما عنده فإذا حمل عليكم فافرجوا له ، فما لبث أن حمل المبرقع فأفرج له أصحاب رجاء حتى جاوزهم ، ثم رجع فافرجوا له حتى أتى أصحابه ثم حمل مرة

(١) في الطبري : « الطبقة » .

أخرى ، فلما أراد الرجوع أحاطوا به وأخذوه أسيراً .

وقيل : كان خروجه سنة ست وعشرين ومائتين وأنه خرج بنواحي الرملة وصار في خمسين ألفاً فوجه إليه المعتصم رجاء الحضاري فقاتله وأخذ ابن بيهس أسيراً ، وقتل من أصحاب المبرقع نحواً من عشرين ألفاً وأسر المبرقع وحمله الى سامرا .

ذكر وفاة المعتصم

وفي هذه السنة توفي المعتصم أبو اسحاق محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس يوم الخميس لثمان عشرة مضت من ربيع الأول ، وكان بدو علته أنه احتجم أول يوم في المحرم واعتل عندها .

قال زنم الزامر : أفاق المعتصم في علته التي مات فيها إفاقة قال : هيؤوا لي الزلال لأركب غداً فركب في الزلال في دجلة وأنا معه فمر بإزاء منزله فقال : يا زنام ازمر لي :

يا منزلاً لم تبَلْ أطلاله	حاشى لأطلالك أن تبلى
لم أبكِ أطلالك لكنني	بكيت عيشي فيك إذ ولى
والعيش أولى ما بكاه الفتى	لا بد للمحزون أن يسلى

قال : فما زلت أزمر له هذا الصوت واكرره وقد تناول منديلاً بين يديه فما زال يبكي فيه ويتحب حتى رجع الى منزله ، ولما احتضر المعتصم جعل يقول : ذهبت الحيل ليست حيلة حتى أصمت ، ثم مات ودفن بسامرا وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ويومين ، وكان مولده سنة تسع وسبعين ومائة ، وقيل : سنة ثمانين ومائة في الشهر الثامن ، وهو ثامن الخلفاء والثامن من ولد العباس ، ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات ، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر ، فعلى القول الأول يكون عمره سبعاً وأربعين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً ؛ وعلى القول الثاني يكون عمره سبعاً وأربعين سنة وسبعة أشهر ، وكان أبيض أصهب اللحية طويلها مربوعاً مشرب اللون حمرة حسن العينين ، وكان مولده بالخلدقار .

وقال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه :

قد قلتُ إذ غَيَّبوكَ واصطفقت عليكَ أيدٌ بالترب والطين
أذهب فنعمَ الحفيظُ كنتَ على الد نيا ونعمَ المعينُ للدين
لا يُجبرُ الله أمةً فقدت مثلكَ إلا بمثلِ هارون

وكانت أمه ماردة من مولدات الكوفة وكانت أمها صغدية وكان أبوها نشأ

بالبندنجين .

ذكر بعض سيرته

ذكر عن أحمد بن أبي دؤاد أنه ذكر المعتصم فأسهب في ذكره وأكثر في وصفه وذكر من طيب أعراقه وسعة أخلاقه وكريم عشرته قال : وقال يوماً ونحن بعمورية : ما تقول في البسر يا أبا عبد الله ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين نحن ببلاد الروم والبسر بالعراق فقال : قد جاؤوا منه بشيء من بغداد ، وعلمت أنك تشتهيهِ . ثم أحضره فمد يده فأخذ العنق فارغاً .

قال : وكنت ازامله كثيراً في سفره ذلك ذكر باقي الخبر قال : وأخذت لأهل الشاش منه ألفي ألف درهم لعمل نهر كان لهم اندفن في صدر الإسلام فأضربهم ، وقال غيره : إنه كان لا يبالي إذا غضب من قتل وما فعل ولم يكن له لذة في تزيين البناء ولم يكن بالنفقة أسمح منه بها في الحرب .

قال أحمد بن سليمان بن أبي شيخ : قدم الزبير بن بكار العراق هارباً من العلويين لأنه كان ينال منهم فتهددوه فهرب منهم ، وقدم على عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير وشكا إليه حاله وخوفه من العلويين وسأله انهاء حاله الى المعتصم فلم يجد عنده ما أراد وأنكر عليه حاله ولامه قال أحمد : فشكا ذلك إليّ وسألني مخاطبة عمه في أمره ، فقلت له في ذلك وانكرت عليه إعراضه عنه فقال لي : إن الزبير فيه جهل وتسرع فأشر عليه أن يستعطف العلويين ويزيل ما في نفوسهم منه ، أما رأيت المأمون ورفقه بهم وعفوه عنهم وميله إليهم ؟ قلت : بلى ، فهذا أمير المؤمنين والله على مثل ذلك أو فوقه ولا أقدر أذكرهم عنده بقبيح فقل له ذلك حتى يرجع عن الذي هو عليه من ذمهم .

قال اسحاق بن ابراهيم المصعبي : دعاني المعتصم يوماً فدخلت عليه فقال : أحببت أن أضرب معك بالصوالة فلعيننا بها ساعة ثم نزل وأخذ بيدي نمشي إلى أن صار إلى حجرة الحمام فقال : خذ ثيابي فأخذتها ثم أمرني بنزع ثيابي ففعلت ودخلت وليس معنا غلام فقممت إليه فخدمته ودلكته وتولى المعتصم مني مثل ذلك فاستغفنيته فأبى علي ثم خرجنا ومشى وأنا معه حتى صار الى مجلسه فنام وأمرني فتمت حذاءه بعد الامتناع ثم قال لي : يا اسحاق ان في قلبي أمراً أنا مفكر فيه منذ مدة طويلة وإنما بسطتك في هذا الوقت لأفشيهِ إليك فقلت : قل يا أمير المؤمنين فإنما أنا عبدك وابن عبدك قال : نظرت الى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة فافلحوا واصطنعت أربعة فلم يفلح أحد منهم قلت : ومن الذين اصطنعهم المأمون ؟ قال : طاهر بن الحسين فقد رأيت وسمعت ، وابنه عبد الله بن طاهر فهو الرجل الذي لم يُر مثله ، وأنت فأنت والله الرجل الذي لا يتعاصى السلطان عنك^(١) أبداً ، وأخوك محمد بن ابراهيم وأين مثل محمد؟ وأنا اصطنعت الأفشين فقد رأيت إلى ما صار أمره ، وأشناس ففشل ، وإيتاخ فلا شيء ، ووصيف فلا معنى فيه فقلت : أجيّب على أمان من غضبك ؟ قال : نعم قلت له : يا أمير المؤمنين نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها فانجبت فروعها واستعمل أمير المؤمنين فروعاً فلم تنجب إذ لا أصول لها فقال : يا اسحاق لمقاساة ما مربي طول هذه المدة أيسر علي من هذا الجواب وقال ابن أبي دؤاد : تصدق المعتصم ووهب على يدي مائة ألف ألف درهم .

وحكي أن المعتصم قد انقطع عن أصحابه في يوم مطر فبينا هو يسير رحله إذ رأى شيخاً معه حمار عليه حمل شوك وقد زلق الحمار وسقط والشيخ قائم ينتظر من يمر به فيعينه على حملة ، فسأله المعتصم عن حاله فأخبره فنزل عن دابته ليخلص الحمار عن الوحل ويرفع عليه حملة فقال له الشيخ : بأبي أنت وأمي لا تبذل ثيابك وطيبك فقال : لا عليك ثم إني خلت الحمار وجعل الشوك عليه وغسل يده ثم ركب فقال الشيخ : غفر الله لك يا شاب ثم لحقه أصحابه فأمر له بأربعة آلاف درهم ووكّل به من يسير معه إلى بيته .

(١) في الطبري « لا يعتاض السلطان منك » .

ذكر خلافة الواثق بالله

وفيهما بويع الواثق بالله هارون بن المعتصم في اليوم الذي توفي فيه أبوه وذلك يوم الخميس^(١) لثمانى عشرة مضت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين ، وكان يكنى أبا جعفر وأمه أم ولد رومية تسمى قراطيس ، وفيها هلك توفيل ملك الروم وكان ملكه اثنتى عشرة سنة وملكته بعده امرأته تدورة وابنها ميخائيل بن توفيل صبي ، وحج بالناس جعفر بن المعتصم وحجت معه أم الواثق فماتت بالحيرة في ذي الحجة^(٢) ودفنت بالكوفة .

ذكر الفتنة بدمشق

لما مات المعتصم ثارت القيسية بدمشق وعاثوا وأفسدوا وحاصروا أميرهم ، فبعث الواثق إليهم رجاء بن أيوب الحضاري وكانوا معسكرين بمرج رَاهَط فنزل رجاء بدير مُرَّان ودعاهم الى الطاعة فلم يرجعوا فواعدهم الحرب بدومة يوم الاثنين ، فلما كان يوم الأحد وقد تفرقت سار رجاء إليهم فوافاهم وقد سار بعضهم إلى دومة وبعضهم في حوائجه فقاتلهم فهزمهم وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة ، وقتل من أصحابه نحو ثلاثمائة وهرب مقدمهم ابن بيهس وصلح أمر دمشق ، وسار رجاء إلى فلسطين الى قتال أبي حرب المبرقع الخارج بها فقاتله فانهزم المبرقع وأخذ أسيراً على ما ذكرناه .

ذكر عدة حوادث

وفيهما توفي بشر بن الحرث الزاهد المعروف بالحافي في ربيع الأول^(٣) ، وعبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمي المعروف بابن عائشة البصري ، وانما قيل له : ابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة وتوفي أبوه عبيد الله بعده لسنة واسماعيل بن أبي أويس ومولده سنة

(١) في الطبري « الأربعة » .

(٢) في الطبري « من ذي القعدة » .

(٣) أصله من أبناء الرؤساء بخراسان تزهد وصحب الجنيذ مولده بمرو سنة خمسين ومائة قال المأمون الخليفة العباسي : ما بقي أحد نستحي منه غير بشر بن الحارث .

تسع وثلاثين ومائة ، وأحمد بن عبدالله بن يونس ، وأبو الوليد الطيالسي ، والهيثم بن خارجة .

وفيها سَيرَ عبد الرحمن صاحب الأندلس جيشاً إلى أرض العدو فلما كانوا بين أربونة^(١) وشرطانية تجمعت الروم عليهم وأحاطوا بالعسكر وقتلوهم الليل كله ، فلما أصبحوا أنزل الله تعالى نصره على المسلمين وهزم عدوهم وأبلى موسى بن موسى في هذه الغزوة بلاءً عظيماً - وكان على مقدمة العسكر - وجرى بينه وبين جرير بن موفق - وهو من أكابر الدولة أيضاً - شراً فكان سبباً لخروج موسى عن طاعة عبد الرحمن ، وفيها توفي إذفونش ملك الروم بالأندلس وكانت إمارته اثنتين وستين سنة ، وفيها توفي محمد بن عبد الله بن حسان اليحصبي الفقيه المالكي وهو من أهل إفريقية (شرطانية) بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وفتح الطاء المهملة وبعدها نون ثم ياء تحتانية ثم هاء .

(١) أربونة : بلد في طرف الثغر من أرض الأندلس .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين

ذكر غزوات المسلمين في جزيرة صقلية

في هذه السنة سار الفضل بن جعفر الهمداني في البحر فنزل مرسى مَسِينِي وبث السرايا فغنموا غنائم كثيرة واستأمن اليه أهل نَابُل وصاروا معه ، وقاتل الفضل مدة سنتين واشتد القتال فلم يقدر على أخذها فمضى طائفة من العسكر واستداروا خلف جبلٍ مَطْلٍ على المدينة فصعدوا إليه ونزلوا إلى المدينة وأهل البلد مشغولون بقتال جعفر ومن معه ، فلما رأى أهل البلد أن المسلمين دخلوا عليهم من خلفهم انهزموا وفتح البلد ، وفيها فتحت مدينة مسكان .

وفي سنة تسع وعشرين ومائتين خرج أبو الأغلب العباس بن الفضل في سرية فبلغ شرة فقاتله أهلها قتالاً شديداً فانهزمت الروم وقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف رجل واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ولم يكن بصقلية قبلها مثلها ، وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين حصر الفضل بن جعفر مدينة مَسِينِي^(١) فأخبر الفضل أن أهل مَسِينِي كاتبوا البطريق الذي بصقلية لينصرهم فأجابهم وقال لهم : إن العلامة عند وصولي أن توقد النار ثلاث ليالٍ على الجبل الفلاني فإذا رأيتم ذلك ففي اليوم الرابع أصل إليكم فنجتمع أنا وأنتم على المسلمين بغتة ، فأرسل الفضل من أوقد النار على ذلك الجبل ثلاث ليالٍ ، فلما رأى أهل مَسِينِي النار أخذوا في أمرهم وأعد الفضل ما ينبغي أن يستعد به وكمن الكمناء وأمر الذين يحاصرون المدينة أن ينهزموا الى جهة الكمين فإذا خرج أهلها عليهم قاتلوهم فإذا جاوزوا الكمين عطفوا عليهم ، فلما كان اليوم الرابع خرج أهل مَسِينِي وقاتلوا المسلمين وهم ينتظرون وصول البطريق فانهزم

(١) مَسِينِي : بلدة على ساحل جزيرة صقلية مما يلي الروم مقابل رَئُو .

المسلمون واستجروا الروم حتى جاوزوا الكمين، ولم يبق بالبلد أحد إلا خرج ، فلما جاوزوا الكمين عاد المسلمون عليهم وخرج الكمين من خلفهم ووضعوا فيهم السيف فلم يَنْجُ منهم إلا القليل ، فسألوا الأمان على أنفسهم وأموالهم ليسلموا المدينة فأجابهم المسلمون الى ذلك وأمنوهم فسلموا المدينة ، وفيها أقام المسلمون بمدينة طَارَنْت^(١) من أرض أنْكُردَة^(٢) وسكنوها .

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وصل عشر شلنديات من الروم فأرسوا بمرسي الطين وخرجوا ليُغِيرُوا فَضَلُوا الطريق فرجعوا خائبين وركبوا البحر راجعين فغرق منها سبع قطع .

وفي سنة أربع وثلاثين صالح أهل رغوس وسلموا المدينة الى المسلمين بما فيها فهدمها المسلمون وأخذوا منها ما أمكن حمله .

وفي سنة خمس وثلاثين سار طائفة من المسلمين إلى مدينة قَصْرِيَانَة^(٣) فغنموا وسلبوا وأحرقوا وقتلوا في أهلها ، وكان الأمير على صقلية للمسلمين محمد بن عبد الله بن الأغلب فتوفي في رجب من سنة ست وثلاثين ومائتين فكان مقيماً بمدينة بلرم^(٤) لم يخرج منها وإنما كان يخرج الجيوش والسرايا فتفتح فتغنم فكانت امارته عليها تسع عشرة سنة والله سبحانه أعلم .

ذكر الحرب بين موسى بن موسى والحرث بن بزيغ

في هذه السنة كانت حرب بين موسى عامل تَطِيلَة وبين عسكر عبد الرحمن أمير الأندلس والمقدم عليهم الحرث بن بزيغ .

وسبب ذلك أن موسى بن موسى كان من أعيان قواد عبد الرحمن وهو العامل

(١) طَارَنْت: مدينة بصقلية .

(٢) الأَنْكُردَة: بالفتح ثم السكون ، وفتح الكاف ، وضم الباء ، وسكون الراء ودال مهملة ، وهاء : بلاد واسعة من بلاد الأفرنج بين القسطنطينية والأندلس ، تأخذ على طرف بحر الخليج من محاذة جبل القلال وتمر على محاذة ساحل المغرب مشرقاً إلى أن تتصل ببلاد قلورية .

(٣) قصر يانة : مدينة كبيرة بجزيرة صقلية على سن جبل يشتمل سورها على زروع وبساتين وعيون .

(٤) بلرم : أعظم مدينة في جزيرة صقلية في بحر المغرب على شاطئ البحر ، سورها شاهق منيع مبني من

على مدينة تطيلة فجرى بينه وبين القواد تحاسد سنة سبع وعشرين - وقد ذكرناه -
 فعصى موسى بن موسى على عبد الرحمن فسير إليه جيشاً واستعمل عليهم
 الحرث بن بزيغ والقواد فاقتتلوا عند برجة فقتل كثير من أصحاب موسى وقتل ابن عم
 له وعاد الحرث إلى سرقسطة ، فسير موسى ابنه ألب بن موسى إلى برجة فعاد الحرث
 إليها وحصرها فملكها وقتل ابن موسى وتقدم إلى بيته فطلبه فحضر فصالحه موسى
 على أن يخرج عنها ، فانتقل موسى إلى أرنيط^(١) وبقي الحرث يتطلبه أياماً ثم سار
 إلى أرنيط فحصر موسى بها ، فأرسل موسى إلى غرسية وهو من ملوك الأندلسيين
 المشركين واتفقا على الحرث واجتمعا وجعلا له كمائن في طريقه واتخذ له الخيل
 والرجال بموضع يقال له بلمسة على نهر هناك ، فلما جاء الحرث النهر خرج الكمائن
 عليه وأحدقوا به وجرى معه قتال شديد وكانت وقعة عظيمة وأصابه ضربة في وجهه
 فلقط عينه ثم أسر في هذه الوقعة ، فلما سمع عبد الرحمن خبر هذه الوقعة عظم عليه
 فجهز عسكرياً كبيراً واستعمل عليه ابنه محمداً وسيره إلى موسى في شهر رمضان من
 سنة تسع وعشرين ومائتين ، وتقدم محمد إلى ينبلونة فأوقع عندها بجمع كثير من
 المشركين وقتل فيها غرسية وكثير من المشركين ، ثم عاد موسى إلى الخلاف على
 عبد الرحمن فجهز جيشاً كبيراً وسيرهم إلى موسى فلما رأى ذلك طلب المسالمة
 فأجيب إليها وأعطى ابنه اسماعيل رهينة وولاه عبد الرحمن مدينة تطيلة ، فسار
 موسى إليها فوصلها وأخرج كل من يخافه واستقر فيها .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أعطى الواثق أشناس تاجاً ووشاحين ، وفيها مات أبو تمام
 حبيب بن أوس الطائي الشاعر ، وفيها غلا السعر بطريق مكة فبلغ الخبز كل رطل
 بدرهم وراوية ماء بأربعين درهماً ، وأصاب الناس في الموقف حرّاً شديد ثم أصابهم
 مطر فيه برد ، واشتد البرد عليهم بعد ساعة من ذلك الحرّ وسقطت قطعة من الجبل
 عند جمرة العقبة فقتلت عدة من الحجاج وحج بالناس محمد بن داود ، وفيها توفي
 عبد الملك بن مالك بن عبد العزيز أبو نصر التمار الزاهد وكان عمره إحدى وتسعين

(١) أرنيط : مدينة في شرقي الأندلس من أعمال قطيلة .

سنة وكان قد أضمر، ومحمد بن عبدالله بن عمر^(١) بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي
سفيان العتبي الأموي البصري أبو عبد الرحمن وكان عالماً بالأخبار والآداب، وأبو
سليمان داود الأشقر السمسار المحدث .

(١) في النجوم الزاهرة « عبيد الله بن عمرو » بالتصغير وبالواو .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين

في هذه السنة حبس الوراق الكتاب وألزمهم أموالاً عظيمة ، وأخذ من أحمد بن إسرائيل ثمانين ألف دينار بعد أن ضربه ، ومن سليمان بن وهب كاتب إيتاخ أربعمئة ألف دينار ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار ، ومن إبراهيم بن رياح وكتابه مائة ألف دينار ، ومن أحمد بن الخُصيب وكتابه ألف دينار ، ومن نجاح ستين ألف دينار ، ومن أبي الوزير مائة ألف وأربعين ألف دينار .

وكان سبب ذلك أنه جلس ليلة مع أصحابه فسألهم عن سبب نكبة البرامكة فحكى له عروود^(١) بن عبد العزيز الأنصاري أن جارية لعدول^(٢) الخياط أراد الرشيد شراءها فاشتراها بمائة ألف دينار وأرسل إلى يحيى بن خالد أن يعطيه ذلك فقال يحيى : هذا مفتاح سوء إذا أخذ ثمن جارية بمائة ألف دينار فهو أخرى أن يطلب المال على قدر ذلك ، فأرسل يحيى إليه أنني لا أقدر على هذا المال فغضب الرشيد وأعاد لا بد منها ، فأرسل يحيى قيمتها دراهم فأمر أن تجعل على طريق الرشيد ليستكثرها ففعل ذلك فاجتاز الرشيد بها فسأل عنها فقليل : هذا ثمن الجارية فاستكثرها فأمر برد الجارية وقال لخدام له : اضمم إليك هذا المال ، واجعل لي بيت مال لأضم إليه ما أريد وسماه بيت مال العروس ، وأخذ في التفتيش عن الأموال فوجد البرامكة قد فرطوا فيها .

وكان يحضر عنده مع سماره رجل يعرف بأبي العود له أدب ، فأمر ليلة له بثلاثين ألف درهم فمطله بها يحيى ، فاحتال أبو العود في تحريض الرشيد على البرامكة وكان قد شاع تغير الرشيد عليهم ، فبينما هو ليلة عند الرشيد يحدثه وساق

(١) في الطبري « عزون » .

(٢) في الطبري « لعون » بالنون .

الحديث الى أن أنشده قول عمر بن أبي ربيعة :

واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد
وعدت هند وما كانت تعد ليت هند أنجزتنا ما تعد

فقال الرشيد : اجل إنما العاجز من لا يستبد .

وكان يحيى قد اتخذ من خدام الرشيد خادماً يأتيه بأخباره فعرفه ذلك فأحضر أبو العود وأعطاه ثلاثين ألف درهم ومن عنده عشرين ألف درهم وأرسل الى ابنه الفضل ، وجعفر فأعطاه كل واحد منهما عشرين ألفاً ، وجد الرشيد في أمرهم حتى أخذهم فقال الواثق : صدق والله جدي انما العاجز من لا يستبد ، وأخذ في ذكر الخيانة وما يستحق أهلها فلم يمض غير اسبوع حتى نكبهم ؛ وفيها ولي شيرباسبان^(١) لإيتاخ اليمن وسار إليها ، وفيها تولى محمد بن صالح بن العباس المدينة ، وحج بالناس محمد بن داود ، وفيها توفي خلف بن هشام البزار المقرئ في جمادى الأولى (البزار) بالزاي المعجمة والراء المهملة .

(١) في الطبري « شارببيان » .

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين ذكر مسير بغا الى الاعراب بالمدينة

وفي هذه السنة وجه الواصل بؤغا الكبير الى الاعراب الذين اغاروا بنواحي المدينة .

وكان سبب ذلك أن بني سليم كانت تفسد حول المدينة بالشرّ ويأخذون مهما أرادوا من الأسواق بالحجاز بأي سعر أرادوا وزاد الأمر بهم إلى أن وقعوا بناسٍ من بني كنانة وباهلة فأصابوا وقتلوا بعضهم في جمادى الآخرة من سنة ثلاثين ومائتين ، فوجه محمد بن صالح عامل المدينة إليهم حماد بن جرير الطبري وكان مسلحة لأهل المدينة في مائتي فارس وأضاف إليهم جنداً غيرهم وتبعهم متطوعة ، فسار إليهم حماد فلقبهم بالرؤينة^(١) فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهمزمت سودان المدينة بالناس وثبت حماد وأصحابه ، وقريش ، والأنصار وقاتلوا قتالاً عظيماً ، فقتل حماد وعامة أصحابه وعدد صالح من قريش والأنصار ، وأخذ بنو سليم الكراع ، والسلاح ، والثياب فطمعوا ونهبوا القرى والمناهل ما بين مكة والمدينة وانقطع الطريق ، فوجه إليهم الواصل بؤغا الكبير أبا موسى في جمع من الجند فقدم المدينة في شعبان فلقبهم ببعض مياه الحرة من وراء السوارقية قريتهم التي يأوون إليها وبها حصون فقتل بغا منهم نحواً من خمسين رجلاً وأسر مثلهم وانهزم الباقون ، وأقام بغا بالسوارقية^(٢) ودعاهم إلى الأمان على حكم الواصل فأتوه متفرقين فجمعهم وترك من يعرف بالفساد وهم زهاء ألف رجل وخلقى سبيل الباقيين ، وعاد بالأسرى الى المدينة في ذي القعدة سنة ثلاثين فحبسهم ، ثم سار الى مكة فلما قضى حجه سار الى ذات عرق^(٣) بعد

(١) قال السلفي : الرؤينة ماء لبني عجل بين طريق الكوفة والبصرة إلى مكة .

(٢) السوارقية : قرية أبي بكر بين مكة والمدينة ، وهي نجدية وكانت لبني سليم .

(٣) ذات عرق : مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة .

انقضاء الموسم ، وعرض على بني هلال مثل الذي عرض على بني سليم فأقبلوا وأخذ من المفسدين نحواً من ثلاثمائة رجل وأطلق الباقيين ورجع الى المدينة فحبسهم .

ذكر وفاة عبد الله بن طاهر

وفيهما مات عبد الله بن طاهر بنيسابور في ربيع الاول وهو أمير خراسان وكان إليه الحرب ، والشرطة ، والسواد ، والري ، وطبرستان ، وكرمان ، وخراسان وما يتصل بها ، وكان خراج هذه الأعمال يوم مات ثمانية وأربعين ألف ألف درهم ، وكان عمره ثمانياً وأربعين سنة وكذلك عمر والده طاهر ، واستعمل الواثق على أعماله كلها ابنه طاهر بن عبد الله .

ذكر شيء من سيرة عبد الله بن طاهر

لما ولي عبد الله خراسان استناب بنيسابور محمد بن حميد الطاهري فبنى داراً وخرج بحائطها في الطريق فلما قدمها عبد الله جمع الناس وسألهم عن سيرة محمد فسكتوا فقال بعض الحاضرين : سكوتهم يدل على سوء سيرته ، فعزله عنهم وأمره بهدم ما بنى في الطريق ، وكان يقول : ينبغي أن يبذل العلم لأهله وغير أهله فإن العلم أمتع لنفسه من أن يصير إلى غير أهله ، وكان يقول : سمن الكيس ونبل الذكر لا يجتمعان أبداً ، وكان له جلساء منهم الفضل بن محمد بن منصور فاستحضرهم يوماً فحضرُوا وتأخر الفضل ثم حضر فقال له : أبطأت عني ، فقال : كان عندي أصحاب حوائج واردت دخول الحمام فأمره عبد الله بدخول حمامه ، وأحضر عبد الله الرقاع التي في حقه فوقع فيها كلها بالإجابة وأعادها ولم يعلم الفضل وخرج من الحمام ، واشتغلوا يومهم . وبكر أصحاب الرقاع إليه فاعتذر إليهم فقال بعضهم : أريد رقعتي فأخرجها ونظر فيها فرأى خط عبد الله فيها فنظر في الجميع فرأى خطه فيها ، فقال لأصحابه : خذوا رقاعكم فقد قضيت حاجاتكم واشكروا الأمير دوني فما كان لي فيها سبب ، وكان عبد الله أديباً شاعراً ، فمن شعره :

اسم من اهواه اسم حسن	فإذا صحفته فهو حسن
فإذا أسقطت منه فاء	كان نعتاً لهواه المختزن
فإذا أسقطت منه ياء	صار فيه بعض أسباب الفتن

فإذا أسقطت منه راءه صار شيئاً يعترى عند الوسن
فإذا أسقطت منه ظباءه صار منه عيش سكان المدن
فسروا هذا فلن يعرفه غير من يسبح في بحر الفطن

وهذا الاسم هو اسم ظريف غلامه ، وكان من أكثر الناس بذلاً للمال مع علم
ومعرفة وتجربة ، وأكثر الشعراء في مراثيه ، فمن أحسن ما قيل فيه وفي ولاية ابنه
طاهر قول أبي الغمر الطبري :

فأيامك الأعياد صارت مآتماً وساعاتك الغضبات صارت خواشعا
على أننا لم نفتقدك بطاهر وإن كان خطباً يُقلِّق القلب رائعا
وما كنت إلا الشمس غابت وأطلعت على اثرها بدرأ على الناس طالعا
وما كنت إلا الطود زال مكانه وأثبت في مشواه رُكناً مدافعا
فلولا التقى قلنا تناسختما معاً بديعي معانٍ يفضلان البدائعا
وهي طويلة .

ذكر خروج المشركين الى بلاد المسلمين بالأندلس .

في هذه السنة خرج المجوس من أقاصي بلاد الأندلس في البحر الى بلاد
المسلمين ، وكان ظهورهم في ذي الحجة سنة تسع وعشرين عند أشبونة فأقاموا
ثلاثة عشر يوماً بينهم وبين المسلمين بها وقائع ، ثم ساروا الى قادس ثم إلى شدونة
فكان بينهم وبين المسلمين بها وقائع ، ثم ساروا إلى أشبيلية ثامن المحرم فنزّلوا
على اثني عشر فرسخاً منها فخرج إليهم كثير من المسلمين فالتقوا فانهمز المسلمون
ثاني عشر المحرم وقتل كثير منهم . ثم نزلوا على ميلين من أشبيلية فخرج أهلها
إليهم وقاتلوهم فانهمز المسلمون رابع عشر المحرم ، وكثر القتل والاسر فيهم ، ولم
ترفع المجوس السيف عن أحد ولا عن دابة ودخلوا حاجر أشبيلية وأقاموا به يوماً وليلة
وعادوا الى مراكزهم ، وأقاموا عسكر عبد الرحمن صاحب البلاد مع عدة من القواد
فتبادر إليهم المجوس فثبت المسلمون وقاتلوهم فقتل من المشركين سبعون رجلاً
وانهمزوا حتى دخلوا مراكزهم وأحجم المسلمون عنهم ، فسمع عبد الرحمن فسير
جيشاً آخر غيرهم فقاتلوا المجوس قتالاً شديداً فرجع المجوس عنهم ، فتبعمهم

العسكر ثاني ربيع الأول وقاتلوهم وأتاهم المدد من كل ناحية ونهضوا لقتال المجوس من كل جانب ، فخرج إليهم المجوس وقاتلوهم فكاد المسلمون ينهزمون ثم ثبتوا فترجل كثير منهم فانهزم المجوس وقتل نحو خمسمائة رجل وأخذوا منهم أربعة مراكب فأخذوا ما فيها وأحرقوها وبقوا أياماً لا يصلون الى المجوس لأنهم في مراكبهم .

ثم خرج المجوس إلى لَيْلَة فأصابوا سبياً ، ثم نزل المجوس إلى جزيرة قريب قُوريس فنزلوها وقسموا ما كان معهم من الغنيمة فحمى المسلمون ودخلوا إليهم في النهر فقتلوا من المجوس رجلين ، ثم رحل المجوس فطرقوا شِدونة فغنموا طعمة وسبياً وأقاموا يومين ، ثم وصلت مراكب لعبد الرحمن صاحب الأندلس الى أشبيلية فلما أحس بها المجوس لحقوا بَلْبَلَة فاغاروا وسبوا ثم لحقوا بأكشونية ثم مضوا الى باجة ثم انتقلوا الى مدينة أشبونة ، ثم ساروا فانقطع خبرهم عن البلاد فسكن الناس .

وقد ذكر بعض مؤرخي العرب سنة ست وأربعين خروج المجوس الى أشبيلية أيضاً وهي شبيهة بهذه ثم فلا أعلم أهى هذه - وقد اختلفوا في وقتها - أم هي غيرها وما أقرب أن تكون هي هي ، وقد ذكرتها هناك لأن في كل واحدة منهما شيئاً ليس في الأخرى .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة مات محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله كاتب الواقدي صاحب الطبقات ، ومحمد بن يزداد بن سويد المروزي كاتب المأمون ، وعلي بن الجعد أبو الحسن الجوهري وكان عمره ستاً وتسعين سنة وهو من مشايخ البخاري وكان يتشيع ، وفيها مات أشناس التركي بعد موت عبد الله بن طاهر بتسعة أيام ، وحج هذه السنة اسحاق بن ابراهيم بن مصعب وإليه أحداث الموسم ، وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود .

ثم دخلت سنة احدى وثلاثين ومائتين

ذكر ما فعله بُغا بالاعراب

في هذه السنة قتل أهل المدينة من كان في حبس بُغا من بني سُليم ، وبني هلال . وكان سبب ذلك أن بُغا لما حبس من أخذه من بني سُليم وبني هلال بالمدينة - وهم ألف وثلاثمائة - وكان سار عن المدينة إلى بني مُرة فنقبت الأسرى الحبس ليخرجوا فرأت امرأة النقب فصرخت بأهل المدينة فجاءوا فوجدوهم قد قتلوا المتوكلين وأخذوا سلاحهم ، فاجتمع عليهم أهل المدينة ومنعواهم الخروج وباتوا حول الدار فقاتلوهم ، فلما كان الغد قتلهم أهل المدينة وقتل سودان المدينة كل من لقوه بها من الأعراب ممن يريد الميرة ، فلما قدم بُغا وعلم بقتلهم شق ذلك عليه .

وقيل : إن السجن كان قد ارتشى منهم ليفتح لهم الباب فعجلوا قبل مياعده وكانوا يرتجزون ويقولون وهم يقاتلون :

الموتُ خيرٌ للفتى من العارُ قد أخذَ البوابُ الفَ دينارُ

وكان سبب غيبة بُغا عنهم أن فزارة ومُرة تغلبوا على فَدَك فلما قاربهم أرسل إليهم رجلاً من قواده من بني فزارة يعرض عليهم الأمان ويأتيه بأخبارهم فلما أتاهم الفزاري حذرهم سطوته وزين لهم الهرب فهربوا وخلوا فَدَك وقصدوا الشام وأقام بُغا بحيفا^(١) وهي قرية من حد عمل الشام مما يلي الحجاز نحواً من أربعين ليلة ثم رجع إلى المدينة بمن ظفربه من بني مُرة ، وفزارة . وفيها سار إلى بغا من بطون غطفان ، وفزارة ، وأشجع وثعلبة جماعة - وكان أرسل اليهم - فلما أتوه استحلّفهم الأيمان

(١) في الطبري « بجنفاء » .

المؤكدّة أن لا يتخلفوا عنه متى دعاهم فحلفوا ، ثم سار الى ضربة لطلب بني كلاب فأتاه منهم نحو من ثلاثة آلاف رجل فحبس من أهل الفساد نحواً من ألف رجل وخلي سائرهم ، ثم قدم بهم المدينة في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائتين فحبسهم ثم سار الى مكة فحج ثم رجع الى المدينة .

ذكر أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي

وفي هذه السنة تحرك ببغداد قوم مع أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي - وجده مالك أحد نقباء بني العباس وقد تقدم ذكره .

وكان سبب هذه الحركة أن أحمد بن نصر كان يغشاه أصحاب الحديث كابن معين ، وابن الدورقي ، وأبي زهير وكان يخالف من يقول : القرآن مخلوق ويطلق لسانه فيه مع غلظة بالوائق وكان يقول إذا ذكر الوائق : فعل هذا الخنزير ، وقال هذا الكافر ، وفشا ذلك ، فكان يغشاه رجل يعرف بأبي هارون الشداخ^(١) وآخر يقال له : طالب وغيرهما ، ودعوا الناس إليه فبايعوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفرق أبو هارون وطالب في الناس مالاً فأعطيا كل رجل ديناراً واتعدوا ليلة الخميس لثلاث خلت من شعبان ليضربوا بالطبل فيها ويثوروا على السلطان وكان أحدهما في الجانب الشرقي من بغداد والآخر في الجانب الغربي ، فاتفق ان ممن بايعهم رجلين من بني الأشرس شرباً نبذاً ليلة الاربعاء قبل الموعد بليلة فلما أخذ منهم ضربوا الطبل فلم يجبههم أحد ؛ وكان إسحاق بن ابراهيم صاحب الشرطة غائباً عن بغداد وخليفته أخوه محمد بن ابراهيم فأرسل إليهم محمد يسألهم عن قصتهم فلم يظهر أحد ، فدل على رجل يكون في الحمام مصاب العين يعرف بعيسى الأعور فأحضره وقرره فأقر على بني الأشرس وعلى أحمد بن نصر وغيرهما فأخذ بعض من سمى وفيهم طالب ، وأبو هارون ، ورأى في منزل بني الأشرس علمين أخضرين ، ثم أخذ خادماً لأحمد بن نصر فقرره فأقر بمثل ما قال عيسى ، فأرسل إلى أحمد بن نصر فأخذه وهو في الحمام وحمل إليه وفتش بيته فلم يوجد فيه سلاح ولا شيء من الآلات ، فسيرهم محمد بن ابراهيم الى الوائق مقيدين على أكف بغال ليس تحتهم وطاء إلى سامرا .

(١) في الطبري « السراج » .

فلما علم الواصل بوصولهم جلس لهم مجلساً عاماً فيه أحمد بن أبي داود وكان كارهاً لقتل أحمد بن نصر ، فلما حضر أحمد عند الواصل لم يذكر له شيئاً من فعله والخروج عليه ولكنه قال له : ما تقول في القرآن ؟ قال : كلام الله وكان أحمد قد استقتل فتطيب وتنور قال الواصل : أمخلوق هو ؟ قال : كلام الله ، قال : فما تقول في ربك أترأه يوم القيامة ؟ قال : يا أمير المؤمنين قد جاءت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته » فنحن على الخبر ، وحدثني سفيان بحديث رفعه « ان قلب ابن آدم المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه ، وكان النبي ﷺ يدعو « يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك » .

قال اسحاق بن ابراهيم : انظر ما يقول ، قال : أنت أمرتني بذلك فخاف اسحاق ، وقال : أنا أمرتك ؟ قال : نعم أمرتني أن انصح له ونصيحتي له أن لا يخالف حديث رسول الله ﷺ ، فقال الواصل لمن حوله : ما تقولون فيه ؟ فقال عبد الرحمن بن اسحاق - وكان قاضياً على الجانب الغربي - : وعزك يا أمير المؤمنين هو حلال الدم ، وقال بعض أصحاب ابن أبي دؤاد : اسقني دمه ، وقال ابن أبي دؤاد : هو كافر يستتاب لعل به عاهة ونقص عقل كانه كره ان يقتل بسببه : فقال الواصل : إذا رأيتموني قد قمت إليه فلا يقوم أحد معي فيأني أحسب خطاي إليه ودعا بالصمصامة سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي ومشى إليه وهو في وسط الدار على نطح فضربه على حبل عاتقه ثم ضربه أخرى على رأسه ثم ضرب سيما الدمشقي رقبته وحز رأسه وطعنه الواصل بطرف الصمصامة في بطنه وحمل حتى صلب عند بابك وحمل رأسه الى بغداد فنصب بها وأقيم عليه الحرس ، وكتب في أذنه رقعة هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر ، وتتبع أصحابه فجعلوا في الحبوس .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أراد الواصل الحج فوجه عمر بن فرج لإصلاح الطريق فرجع وأخبره بقله الماء فبدأ له ، وفيها ولي جعفر بن دينار اليمن فسار في شعبان وحج في طريقه وكان معه أربعة آلاف فارس وألفا راجل ، وفيها نقب للصمصامة بيت المال الذي في دار العامة وأخذوا اثنين وأربعين ألف درهم وشيئاً يسيراً من الدنانير ثم

تتبعوا وأخذوا بعد ذلك ، وفيها خرج محمد بن عبد الله^(١) الخارجي التغلبي في ثلاث عشر رجلاً في ديار ربيعة فخرج إليه غانم بن أبي مسلم بن أحمد^(٢) الطوسي وكان على حرب الموصل في مثل عدته فقتل من الخوارج أربعة وأخذ محمد بن عبد الله أسيراً فبعث به إلى سامرا فحبس .

وفيها قدم وصيف التركي من ناحية أصبهان ، والجبال ، وفارس وكان قد سار في طلب الأكراد لأنهم كانوا قد أفسدوا بهذه النواحي وقدم معه بنحو من خمسمائة نفس فيهم غلمان صغار فحبسوا وأجيز وصيف بخمسة وسبعين ألف دينار وقلد سيفاً وكسي ، وفيها سار جيش للمسلمين إلى بلاد المشركين ، فقصدوا جليقية وقتلوا وأسروا وسبوا وغنموا ووصلوا الى مدينة ليون فحاصروها ورموها بالمجانيق فخاف أهلها فتركوها بما فيها وخرجوا هاربين ، فغنم المسلمون منهم ما أرادوا وأخربوا الباقي ولم يقدروا على هدم سورها فتركوه ومضوا لأن عرضه سبع عشرة ذراعاً وقد ثلموا فيه ثلماً كثيرة ، وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم واجتمع المسلمون فيها على نهر اللامس على مسيرة يوم من طرسوس ، واشترى الوثائق من بغداد وغيرها من الروم ، وعقد الوثائق لأحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي على الثغور ، والعواصم ، وأمره بحضور الفداء هو وخاقان الخادم وأمرهما أن يمتحنا أسرى المسلمين فمن قال : القرآن مخلوق وإن الله لا يرى في الآخرة فودي به وأعطى ديناراً ومن لم يقل ذلك ترك في أيدي الروم .

فلما كان في عاشوراء سنة إحدى وثلاثين اجتمع المسلمون ومن معهم من الأسرى على النهر وأتت الروم ومن معهم من الأسرى وكان النهر بين الطائفتين فكان المسلمون يطلقون الأسير فيطلق الروم الأسير من المسلمين فيلتقيان في وسط النهر ويأتي كل أصحابه فإذا وصل الأسير الى المسلمين كبروا وإذا وصل الأسير الى الروم صاحوا حتى فرغوا ، وكان عدة أسرى المسلمين أربعة آلاف وأربعمائة وستين نفساً والنساء والصبيان ثمانمائة وأهل ذمة المسلمين مائة نفس ، وكان النهر مخاضة تعبره الأسرى ، وقيل : بل كان عليه جسر ، ولما فرغوا من الفداء غزا أحمد بن سعيد بن

(١) في الطبري « محمد بن عمرو » .

(٢) في الطبري « حميد » .

سلم الباهلي شاتياً فأصاب الناس ثلج ومطرفمات منهم مائتا نفس وأسبر نحوهم وغرق بالبدنذون خلق كثير فوجد الوثائق على أحمد ، وكان قد جاء إلى أحمد بطريق من الروم ينذره فقال وجوه الناس لأحمد : ان عسكرياً فيه سبعة آلاف لا تتخوف عليه فإن كنت كذلك فواجه القوم واطرق بلادهم ففعل وغنم نحواً من ألف بقرة وعشرة آلاف شاة وخرج فعزله الوثائق واستعمل مكانه نصر بن حمزة الخزاعي في جمادى الاولى ، وفيها مات الحسن بن الحسين بطبرستان .

وفيها كان بإفريقية حرب بين أحمد بن الأغلب وأخيه محمد بن الأغلب وكان مع أحمد جماعة فهجموا على محمد في قصره وأغلق أصحاب محمد بن الأغلب الباب واقتتلوا ثم كفوا عن القتال واصطلحوا ، وعظم أمر أحمد ونقل الدواوين إليه ولم يبق لمحمد من الإمارة إلا اسمها ومعناها لأحمد أخيه بقي كذلك إلى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، فاتفق مع محمد من بني عمه ومواليه جماعة وقاتل أخاه أحمد فظفر به ونفاه إلى الشرق واستقام أمر محمد بأفريقية ومات أخوه أحمد بالعراق .

وفيها مات أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الراوية في شعبان وهو ابن ثمانين سنة ، وفيها ماتت أم أبيها بنت موسى بن جعفر أخت علي الرضا رضي الله عنه ، وفيها مات مخارق المغني ، وأبو نصر أحمد بن حاتم راوية الأصمعي ، وعمرو بن أبي عمرو الشيباني ، ومحمد بن سعدان النحوي الضرير توفي في ذي الحجة ، وفيها توفي إبراهيم بن غرغرة ، وعاصم بن علي بن عاصم بن صهيب الواسطي ، ومحمد بن سلام بن عبد الله الجمحي البصري وكان عالماً بالأخبار ، وأيام الناس (سلام بالتشديد) وعاصم بن عمرو بن علي بن مقدم أبو بشر المقدمي ، وأبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي الفقيه صاحب الشافعي وكان قد حبس في محنة الناس بخلق القرآن فلم يجب وكان من الصالحين وهارون بن معروف البغدادي وكان حافظاً للحديث .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ذكر الحرب مع بني نمير

وفي هذه السنة سار بُغا الكبير الى بني نمير فأوقع بهم ، وكان سبب ذلك أن عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الخطفي امتدح الواصل بقصيدة فدخل عليه وأنشده فأمر له بثلاثين ألف درهم ، فأخبر الواصل بإفساد بني نمير في الأرض وإغارتهم على الناس وعلى اليمامة وما قرب منها ، وكتب الواصل إلى بغا يأمره بحربهم وهو بالمدينة فسار نحو اليمامة فلقى من بني نمير جماعة بالريف فحاربهم فقتل منهم نيفاً وخمسين رجلاً وأسر أربعين رجلاً ، ثم سار حتى نزل امرأة^(١) وأرسل إليهم يدعوهم إلى السمع والطاعة فامتنعوا وسار بعضهم إلى نحو جبال السود وهي خلف اليمامة ، وبث بغا سراياه فيهم فأصابته منهم ، ثم سار بجماعة من معه - وهم نحو من ألف رجل سوى من تخلف في العسكر من الضعفاء والأتباع - فلقبهم وقد جمعوا لهم - وهم نحو من ثلاثة آلاف - بموضع يقال له : روضة الأبان على مرحلة من أضاح فهزموا مقدمته وكشفوا ميسرته ، وقتلوا من أصحابه نحواً من مائة رجل وعشرين رجلاً وعقروا من إبل عسكره نحو سبعمائة بعير ومائة دابة ، وانتهبوا الأثقال وبعض الأموال ثم أدركهم الليل وجعل بُغا يدعوهم إلى الطاعة ، فلما طلع الصبح ورأوا قلة من مع بُغا عبوا وجعلوا رجالتهم أمامهم ونعمهم ومواشيهم وراءهم وحملوا على بُغا فهزموه حتى بلغ معسكره وأيقن من معه بالهلكة ، وكان بُغا قد أرسل من أصحابه مائتي فارس إلى طائفة منهم فيبينا هو قد أشرف على العطب إذ وصل أصحابه إليه منصورين من وجوههم ، فلما نظر بنو نمير ورأوهم قد أقبلوا من خلفهم ولوا هاربين

(١) مَرَاة : قرية بني امرئ القيس بن زيد مائة بن تميم باليمامة ، بينها وبين ذات غسل مرحلة على طريق النجاج .

وأسلموا رجالتهم وأموالهم فلم يفلت من الرحالة إلا اليسير وأما الفرسان فنجوا على خيلهم .

وقيل : إن الهزيمة كانت على بُغا مذ غدوة إلى انتصاف النهار ثم تشاغلوا بالنهب فرجع الى بغا من كان انهزم من أصحابه ، فرجع بهم فهزم بني نمير وقتل فيهم من زوال الشمس إلى آخر وقت العصر زهاء ألف وخمسمائة راجل ، وأقام بموضع الوقعة ، فأرسل أمراء العرب يطلبون الأمان فأمّنهم فأتوه فقيدهم وأخذهم معه إلى البصرة وكانت الوقعة في جمادى الآخرة ، ثم قدم وأجّن الأشروسني على بُغا في سبعمائة مقاتل مدداً له فسيره بغا في آثارهم حتى بلغ بُباله من أعمال اليمن ورجع ، وكان بغا قد كتب إلى صالح أمير المدينة ليوافيه ببغداد بمن عنده من فزارة ، ومرة ، وثعلبة ، وكلاب ، ففعل فلقية ببغداد فساروا جميعاً وقدم بغا سامرا بمن بقي معه منهم سوى من هرب ومات وقتل في الحروب ، فكانوا يزيدون على ألفي رجل ومائتي رجل من نمير ، وكلاب ومرة ، وفزارة ، وثعلبة ، وطية .

ذكر موت أبي جعفر الواصل

في هذه السنة توفي الواصل بالله أبو جعفر هارون بن محمد المعتصم في ذي الحجة لست بقين منه ، وكانت علته الاستسقاء وعولج بالإقعاد في تنور مسخن فوجد لذلك خفة فأمرهم من الغد بالزيادة في اسخانه ففعل ذلك وقعد فيه أكثر من اليوم الأول فحمي عليه فأخرج منه في محفة وحضر عنده أحمد بن أبي دؤاد ، ومحمد بن عبد الملك الزيات ، وعمر بن فرج فمات فيها فلم يشعروا بموته حتى ضرب بوجهه المحفة فعملوا .

وقيل : إن أحمد بن أبي دؤاد حضره عند موته وغمضه ، وقيل : إنه لما حضرته الوفاة جعل يردد هذين البيتين :

الموتُ فيه جميعُ الناسِ مشتركُ لا سَوقَةَ منهم تَبقى ولا ملك
ما ضرَّ أهلٌ قليلٌ في تفاقرهم وليس يُغني عن الملاك ما ملكوا

وأمر بالبسط فطويت وألصق خده بالأرض وجعل يقول : يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه .

وقال أحمد بن محمد الواثق : كنت فيمن يمرض الواثق فلحقه غشية وأنا وجماعة من أصحابه قيام فقلنا : لو عرفنا خبره ، فتقدمت إليه فلما صرت عند رأسه فتح عينيه فكادت أموت من خوفه فرجعت إلى خلف وتعلقت قنبعة سيفي في عتبة المجلس فاندقت وسلمت من جراحه ووقفت في موقف ، ثم إن الواثق مات وسجّيناه وجاء الفراشون وأخذوا ما تحته في المجلس ورفعوه لأنه مكتوب عليهم واشتغلوا بأخذ البيعة وجلست على باب المجلس لحفظ الميت ، ورددت الباب فسمعت حساً ففتحت الباب وإذا جرد قد دخل من بستان هناك فأكل إحدى عيني الواثق فقلت : لا إله إلا الله هذه العين التي فتحها من ساعة فاندق سيفي هيبة لها صارت طعمة لدابة ضعيفة وجاؤوا ففسلوه فسألني أحمد بن أبي دؤاد عن عينه فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فعجب منها .

ولما مات صلى عليه أحمد وأنزله في قبره ، وقيل : صلى عليه أخوه المتوكل ودفن بالهاروني بطريق مكة ، وكان مولده بطريق مكة وأمّه أم ولد اسمها قراطيس ، ولما اشتد مرضه أحضر المنجمين منهم الحسن بن سهل فنظروا في مولده فقدروا له أن يعيش خمسين سنة مستأنفة من ذلك اليوم فلم يعش بعد قولهم إلا عشرة أيام ومات ، وكان أبيض مشرباً بحمرة جميلاً ربعة حسن الجسم قائم العين اليسرى فيها نكتة بياض ، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام ، وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة ، وقيل : ستاً وثلاثين سنة .

ذكر بعض سيرة الواثق بالله

لما توفي المعتصم وجلس الواثق في الخلافة أحسن إلى الناس واشتمل على العلويين وبالح في إكرامهم والاحسان إليهم والتعهد لهم بالأموال وفرق في أهل الحرمين أموالاً لا تحصى حتى أنه لم يوجد في أيامه بالحرمين سائل ، ولما توفي الواثق كان أهل المدينة تخرج من نسائهم كل ليلة إلى البقيع فيبكين عليه ويندبونه ففعلوا ذلك بينهم مناوبة حزناً عليه لما كان يكثر من الإحسان إليهم ، وأطلق في خلافته أعشار سفن البحر وكان مالاً عظيماً .

قال الحسين بن الضحاك : شهدت الواثق بعد أن مات المعتصم بأيام أول مجلس جلس له فغتنه جارية إبراهيم بن المهدي :

مَا دَرَى الْحَامِلُونَ يَوْمَ اسْتَقْلَوْا نَعَشَهُ لِلشَّوَاءِ أُمٌّ لِلْبِقَاءِ^(١)
فَلْيَقُلْ فِيكَ بِأَكْيَأُتُكَ مَا شِئْتَ نَ صَبَاحاً وَعِنْدَ^(٢) كُلِّ مَسَاءٍ

فبكى وبكىنا معه حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه قال : ثم تغنى بعضهم فقال :

وَدَعْ هُرَيْرَةٌ إِنْ الرِّكْبُ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

فازداد الواثق بكاء، وقال : ما سمعت كالיום تعزية بأب وتغني نفس^(٣) ثم تفرق أهل المجلس، قال : وقال أحمد بن عبد الوهاب في الواثق :

أَبَتْ دَارُ الْأَجْبَةِ أَنْ تُبَيِّنَا أَجْدَكَ مَا رَأَيْتُ بِهَا^(٤) مُعِينَا
تَقْطَعُ حَسْرَةً مِنْ حُبِّ لَيْلَى نَفُوسٌ مَا أَثْبِنَ وَلَا جُزِينَا

فصنعت فيه صوتاً علم^(٥) جارية صالح بن عبد الوهاب فغناه زرزور الكبير للواثق فسأله لمن هذا؟ فقال : لعلم فأحضر صالحاً وطلب منه شراءها فأهداها له فعوضه خمسة آلاف دينار فمطله بها ابن الزيات فأعادت الصوت فقال الواثق : بارك الله عليك وعلى من ربك فقالت : وما ينفع من رباني أمرت له بشيء فلم يصل إليه فكتب إلى ابن الزيات يأمره بإيصال المال إليه وأضعفه له فدفع إليه عشرة آلاف دينار وترك صالح عمل السلطان واتجر في المال .

وقال أبو عثمان النحوي المازني : استحضرني الواثق من البصرة فلما حضرت عنده، قال : من خلفت بالبصرة ؟ قلت : أختاً لي صغيرة، قال : فما قالت المسكينة ؟ قلت : ما قالت ابنة الأعشى :

تَقُولُ ابْنَتِي حِينَ جَدُّ الرِّحَى لُ أَرَانِي سَوَاءً وَمَنْ قَدْ يَتَمُ
أَبَانَا فَلَا رَمَتْ مِنْ عِنْدِنَا فَأَنَا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرُمُ

(١) في الطبري « للفناء » .

(٢) في الطبري « ووقت » .

(٣) في الطبري « وبغي نفس » .

(٤) في الطبري « لها » .

(٥) في الطبري « قلم » وكذا فيما يأتي .

تُرانا إذا أضمرتكَ البلادُ ونَجفى وتقطَّعَ منا الرِّجْمُ
 قال : فما رددتَ عليها؟ قلتُ : ما قال جرير لابنته :
 ثقي بالله ليسَ له شريكٌ ومن عند الخليفةِ بالنجاحِ
 فضحك وأمر له بجائزة سنية .

ذكر خلافة المتوكل

وفي هذه السنة بويع المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بعد موت الواثق ،
 وسبب خلافته أنه لما مات الواثق حضر الدار أحمد بن أبي دؤاد ، وإيتاخ ،
 ووصيف ، وعمر بن فرج ، وابن الزيات ، وأبو الوزير ، أحمد بن خالد وعزموا على
 البيعة لمحمد بن الواثق - وهو غلام أمرد قصير - فألبسوه دراعة سوداء وقلنسوة فإذا
 هو قصير فقال وصيف : أما تتقون الله تولون هذا الخلافة ، فتناظروا فيمن تولونه
 فذكروا عدة ثم أحضر المتوكل فلما حَضَرَ ألبسه أحمد بن أبي دؤاد الطويلة وعممه
 وقبل بين عينيه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، ثم غسل
 الواثق وصُلِّيَ عليه ودُفِنَ ، وكان عمرُ المتوكل يوم بويع ستاً وعشرين سنة ، ووضع
 العطاء للجند لثمانية أشهر ، وأراد ابن الزيات أن يلقبه المنتصر فقال أحمد بن أبي
 دؤاد : قد رأيتَ لقباً أرجو أن يكون موافقاً وهو المتوكل على الله فأمر بامضائه فكتب
 به الى الأفاق .

وقيل : بل رأى المتوكل في منامه قبل أن يستخلف كأن سكرأ ينزل عليه من
 السماء مكتوب عليه المتوكل على الله فقصها على أصحابه فقالوا : هي والله
 الخلافة ، فبلغ ذلك الواثق فحبسه وضيق عليه ، وحج بالناس محمد بن داود .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أصاب الحمجاج في العود عطشٌ عظيمٌ فبلغت الشربة عدة دنائير
 ومات منهم خلق كثير ، وفيها غدر موسى بالأندلس وخالف على عبد الرحمن بن
 الحكم أمير الأندلس بعد أن كان قد وافقه وأطاعه ، وسير إليه عبد الرحمن جيشاً مع
 ابنه محمد . وفيها كان بالأندلس مجاعة شديدة وقحط عظيم وكان ابتداؤه سنة اثنتين

وثلاثين ، فهلك فيه خلقٌ كثيرٌ من الآدميين والدواب وبينت الأشجار ولم يزرع الناس شيئاً ، فخرج الناس هذه السنة يستسقون فسقوا وزرعوا وزال عن الناس القحط ، وفيها ولي إبراهيم بن محمد بن مصعب^(١) بلاد فارس .

وفيها غرق كثير من الموصل وهلك فيه خلق ، قيل : كانوا نحو مائة ألف إنسان وكان سبب ذلك أن المطر جاء بها عظيماً لم يُسمع بمثله بحيث أن بعض أهلها جعل سطلاً عمقه ذراع في سعة ذراع فامتلاً ثلاث دفعات في نحو ساعة وزادت دجلة زيادة عظيمة فركب الماء الربض الأسفل وشاطىء نهر سوق الأربعاء فدخل كثيراً من الأسواق . فقيل : إن أمير الموصل وهو غانم بن حميد الطوسي كفن ثلاثين ألفاً وبقي تحت الهدم خلقٌ كثيرٌ لم يحملوا سوى من حملة الماء . وفيها أمر الواصل بترك أعشار سفن البحر ، وفيها توفي الحكم بن موسى ، ومحمد بن عامر القرشي مصنف الصوائف وغيرها ، ويحيى بن يحيى الغساني الدمشقي ، وقيل : سنة ثلاث وثلاثين ، وقيل : غير ذلك ، وأبو الحسن علي بن المغيرة الأثرم النحوي اللغوي أخذ العلم عن أبي عبيدة ، والأصمعي ، وفيها توفي عمرو الناقد .

(١) في الطبري « وفيها ولي محمد بن إبراهيم بن مصعب » إلخ وهو موافق لما في النجوم الزاهرة .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ذكر القبض على محمد بن عبد الملك الزيات

وفي هذه السنة قبض المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات وحبسه لسبع
خلون من صفر .

وكان سببه أن الواثق استوزر محمد بن عبد الملك وفوض الأمور كلها إليه ،
وكان الواثق قد غَضِبَ على أخيه جعفر المتوكل ووكل عليه من يحفظه ويأتيه
بأخباره ، فأتى المتوكل الى محمد بن عبد الملك يسأله أن يكلم الواثق ليرضى عنه
فوقف بين يديه لا يكلمه ثم أشار عليه بالعود فقعد ، فلما فرغ من الكتب التي بين
يديه التفت إليه كالمتهدد ، وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت أسأل أمير المؤمنين الرضا
عني ، فقال لمن حوله : انظروا يُغضب أخاه ثم يسألني أن أسترضيه له اذهب فإذا
صلحت رضي عنك ، فقام من عنده حزينا فأتى أحمد بن أبي دؤاد فقام اليه أحمد
واستقبله على باب البيت وقبله وقال : ما حاجتك جعلت فداك ؟ قال : جئت
لتسترضي أمير المؤمنين لي ، قال : افعل ونعمة عين وكرامة ، فكلم أحمد الواثق به
فوعده ولم يرض عنه ثم كلمه فيه ثانية فرضي عنه وكساه ، ولما خرج المتوكل من
عند ابن الزيات كتب إلى الواثق أن جعفرأ أتاني في زي المخنثين له شعر بقفاه
يسألني أن أسأل أمير المؤمنين الرضا عنه ، فكتب إليه الواثق : ابعث اليه فأحضره ومُرْ
من يَجْزُ شعرَ قفاه فيضرب به وجهه ، قال المتوكل : لما أتاني رسوله لبست سواداً
جديداً وأتيته رجاء أن يكون قد أتاه الرضا عني فاستدعى حجاماً فأخذ شعري على
السواد الجديد ثم ضرب به وجهي ، فلما ولي الخلافة المتوكل أمهل حتى كان صفرأ
فأمر إيتاخ بأخذ ابن الزيات وتعذيبه فاستحضره فركب يظن أن الخليفة يستدعيه ،
فلما حاذى منزل إيتاخ عدل به إليه فخاف فادخله حجرة ووكل عليه وأرسل إلى منزله

من أصحابه من هجم عليها وأخذ كل ما فيها واستصفى أمواله وأملاكه في جميع البلاد ، وكان شديد الجزع كثير البكاء والفكر ، ثم سُوهِرَ وكان يُنخس بمسلة لثلاثينام ، ثم ترك فنام يوماً وليلة ثم جعل في تنور عمله هو وعذب به ابن أسباط المصري^(١) وأخذ ماله ، فكان من خشب فيه مسامير من حديد أطرافها إلى داخل التنور وتمنع من يكون فيه من الحركة وكان ضيقاً بحيث أن الانسان كان يمد يديه إلى فوق رأسه ليقدر على دخوله لضيقه ولا يقدر من يكون فيه يجلس فبقي أياماً فمات ، وكان حبسه لسبع خلون من صفر وموته لإحدى عشرة بقيت من ربيع الأول .

واختلف في سبب موته فقيل كما ذكرناه ، وقيل : بل ضرب فمات وهو يضرب ، وقيل : مات بغير ضرب وهو أصح ، فلما مات حضره ابنائه سليمان وعبيد الله ، وكانا محبوسين وطُرح على الباب في قميصه الذي حبس فيه ، فقالا : الحمد لله الذي أراح من هذا الفاسق وغسله على الباب ودفناه ، فقيل : إن الكلاب نبشته وأكلت لحمه ، قال : وسمع قبل موته يقول لنفسه : يا محمد لم تقنعك النعمة ، والدواب ، والدار النظيفة ، والكسوة وأنت في عافية حتى طلبت الوزارة دُق ما عملت بنفسك ثم سكت عن ذلك ، وكان لا يزيد على التشهد وذكر الله عز وجل ، وكان ابن الزيات صديقاً لإبراهيم الصولي فلما ولي الوزارة صادره بألف ألف وخمسمائة ألف درهم فقال الصولي :

وكنْتَ أَخِي بَارِخِي ^(٢) الزمان	فلما نبا صرت ^(٣) حرباً عَوَانَا
وكنْتُ أَدُمُ إِلَيْكَ الزمان	فأصبحتُ مِنْكَ أَدُمُ الزمانَا
وكنْتُ أَعُدُّكَ لِلنَّائِبَاتِ	فها أنا اطلُبُ مِنْكَ الأمانَا

وقال أيضاً :

أصبحتُ من رأي أبي جعفر	في هيئة تُنذِرُ بالصَّيْلَمِ
من غير ما ذنبٍ ولكنها	عَدَاوَةُ التَّزْنِديقِ للمسلمِ

(١) في الطبري : « ابن أسباط المصري » .

(٢) في الطبري « باخاء » .

(٣) في الطبري « فلما ابى عدت » .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة حبس عمر بن الفرج الرخجي .

وكان سبب ذلك أن المتوكل أتاه لما كان أخوه الواثق ساخطاً عليه ومعه صك ليختمه عمر له ليقبض أرزاقه من بيت المال فلقيه عمر بالخيبة وأخذ صكه فرمى به الى صحن المسجد ، وكان حبسه في شهر رمضان وأخذ ماله وأثاث بيته وأصحابه ثم صولح على أحد عشر ألف ألف على أن يرد عليه ما حيز من ضياع الأهواز حسب ، فكان قد ألبس في حبسه جبة ضوف ، قال علي بن الجهم يهجوه :

جَمَعْتَ أَمْرَيْنِ ضَاعَ الْحَزْمُ بَيْنَهُمَا تَبَيَّنَ الْمُلُوكُ وَأَفْعَالُ الصَّعَالِيكِ (١)
أَرَدْتَ شُكْرًا بِلَا بِرٍّ وَمَرْزُئَةٍ لَقَدْ سَلَكَتَ سَبِيلًا غَيْرَ مَسْلُوكٍ

وفيهما غضب المتوكل على سليمان بن ابراهيم بن الجنيد النصراني (٢) كاتب سمانة وضربه وأخذ ماله ، وغضب أيضاً على أبي الوزير وأخذ ماله ومال أخيه وكاتبه . وفيها أيضاً عزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج وولاه يحيى بن خاقان الخراساني مولى الأزد ، وولى ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول ديوان زمام النفقات . وفيها ولى المتوكل ابنه المنتصر الحرمين ، واليمن ، والطائف في رمضان .

وفيهما فلج أحمد بن أبي دؤاد في جمادى الآخرة ، وفيها وثب ميخائيل بن توفيل بأمه تدوره فألزمها الدير وقتل اللقط (٣) لأنه كان اتهمها به فكان ملكها ست سنين .

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود ، وفيها عزل محمد بن الأغلب أمير أفريقية عامله على الزاب واسمه سالم بن غلبون فأقبل يريد القيروان ، فلما صار بقلعة يلبسير أضمر الخلاف وسار إلى الأندلس فمنعه أهلها من الدخول إليها فسار إلى باجة فدخلها واحتمى بها ، فسير إليه ابن الأغلب جيشاً عليهم خفاجة بن سفيان

(١) في الطبري « الممالك » .

(٢) في الطبري « ابراهيم بن الجنيد النهراني أخي أيوب كاتب سمانة » .

(٣) في الطبري « اللقيط » .

فنزّل عليه وقاتله فهرب سالم ليلاً فاتبعه خفاجة فلحقه وقتله وحمل رأسه إلى ابن الأغلب ، وكان أزهري بن سالم عند ابن الأغلب محبوساً فقتله .

وفيها توفي يحيى بن معين البغدادي بالمدينة وكان مولده سنة ثمان وخمسين ومائة وهو صاحب الجرح والتعديل ، ومحمد بن سماعة القاضي صاحب محمد بن الحسن وقد بلغ مائة سنة وهو صحيح الحواس .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين

ذكر هرب محمد بن البعيث

في هذه السنة هرب محمد بن البعيث بن الجليس^(١) ، وكان سبب هربه أنه جيء به أسيراً من أذربيجان إلى سامرا وكان له رجل يخدمه يُسمى خليفة وكان المتوكل مريضاً ، فأخبر خليفة ابن البعيث أن المتوكل مات ، ولم يكن مات ، وإنما أراد إطماع ابن البعيث في الهرب فوافقه على الهرب وأعد له دواب فهربا إلى موضعه من أذربيجان وهو مَرْنَد^(٢) .

وقيل : كان له قلعة شاهي^(٣) وقلعة يكدر ، وقيل : ان ابن البعيث كان في حبس اسحاق بن ابراهيم بن مصعب فتكلم فيه بغا الشرايبي فأخذ منه الكفلاء نحواً من ثلاثين كفيلاً منهم محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني فكان يتردد بسامرا فهرب إلى مرنند وجمع بها الطعام - وهي مدينة حصينة وفيها عيون ماء ولها بساتين كثيرة داخل البلد - وأتاه من أراد الفتنة من ربيعة وغيرهم فصار في نحو من ألفين ومائتي رجل ، وكان الوالي بأذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة فقصر في طلبه فولّى المتوكل حمدويه بن علي بن الفضل السعدي أذربيجان وسيّره على البريد وجمع الناس وسار إلى ابن البعيث فحصره في مرنند ، فلما طالت مدة الحصار بعث المتوكل زَيْرَك التركي في مائتي فارس من الأتراك فلم يصنع شيئاً ، فوجه إليه المتوكل عمر بن سيسيل^(٤) بن كال في تسعمائة فارس فلم يغن شيئاً ، فوجه بغا

(١) في الطبري « ابن الحليس » بالحاء المهملة .

(٢) مَرْنَد : من مشاهير مدن أذربيجان بينها وبين تبريز يومان .

(٣) شاهي : موضع قرب القادسية .

(٤) في الطبري « سلسل » وكذا ما بعده .

الشرابي في ألفي فارس .

وكان حمدويه وابن سيسيل ، وزَيْرَك قد قطعوا من الشجر الذي حول مرند نحو مائة ألف شجرة ونصبوا عليها عشرين منجنيقاً ونصب ابن البعيث عليهم مثل ذلك فلم يقدروا على الدنو من سور المدينة ، فقتل من أصحاب المتوكل في حربه في ثمانية أشهر نحو من مائة رجل وجرح نحو أربعمائة وأصاب أصحابه مثل ذلك ، وكان حمدويه ، وعمر ، وزيرك يغادونه القتال ويرأحونه وكان أصحابه يتدلون بالحبال من السور معهم الرماح فيقاتلون فإذا حمل عليهم أصحاب الخليفة لجؤوا إلى السور وحموا نفوسهم فكانوا يفتحون الباب فيخرجون فيقاتلون ثم يرجعون ، ولما قرب بغا الشرابي من مرند بعث عيسى بن الشيخ بن الشليل ومعه أمان لوجه أصحاب ابن البعيث أن ينزلوا وأمان لابن البعيث أن ينزل على حكم المتوكل فنزل من أصحابه خلق كثير بالأمان ، ثم فتحوا باب المدينة فدخل أصحاب المتوكل وخرج ابن البعيث هارباً فلحقه قوم من الجند فأخذوه أسيراً وانتهب الجند منزله ومنازل أصحابه وبعض منازل أهل المدينة ثم نودي بالأمان ، وأخذوا لابن البعيث أختين ، وثلاث بنات ، وعدة من السراري ، ثم وافاهم بغا الشرابي من غد فأمر فنودي بالمنع من النهب وكتب بالفتح لنفسه وأخذ ابن البعيث إليه .

ذكر إيتاخ وما صار إليه أمره

كان إيتاخ غلاماً حورياً طباحاً لسلام الأبرش فاشتراه منه المعتصم في سنة تسع وتسعين ومائة وكان فيه شجاعة فرفعه المعتصم والوائق وضم إليه أعمالاً كثيرة منها المعونة بسامرا مع إسحاق بن ابراهيم ، وكان المعتصم إذا أراد قتل أحد فيبد إيتاخ يقتل ويده يحبس فحبس منهم أولاً المأمون بن سندس ، وابن الزيات ، وصالح ابن عجيف ، وغيرهم وكان مع المتوكل في مرتبته وإليه الجيش ، والمغاربة ، والأتراك ، والأموال ، والبريد ، والحجابة ، ودار الخلافة ، فلما تمكن المتوكل من الخلافة شرب فعزبه على إيتاخ فهم إيتاخ بقتله ، فلما أصبح المتوكل قيل له فاعتذر إليه ، وقال : أنت أبي وأنت ربيتي ثم وضع عليه من يحسن له الحج فاستأذن فيه المتوكل فأذن له وصيره أمير كل بلد يدخله وخلع عليه وسار العسكر جميعه بين يديه ، فلما فارق جعلت الحجابة الى وصيف في ذي القعدة ، وقيل : إن هذه

القصة كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين .

ذكر الخلف بإفريقية

في هذه السنة خرج عمرو بن سليم التجيبي المعروف بالقويح على محمد بن الأغلب أمير إفريقية فسير إليه جيشاً فحصره بمدينة تونس هذه السنة فلم يبلغوا منه غرضاً فعادوا عنه ، فلما دخلت سنة خمس وثلاثين سير إليه ابن الأغلب جيشاً فالتقوا بالقرب من تونس ففارق جيش ابن الأغلب جمع كثير وقصدوا القويح فصاروا معه فانهزم جيش ابن الأغلب وقوي القويح ، فلما دخلت سنة ست وثلاثين سير محمد بن الأغلب إليه جيشاً فاقتتلوا فانهزم القويح وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وأدرك القويح إنسان فضرب عنقه ، ودخل جيش ابن الأغلب مينة تونس بالسيف في جمادى الأولى .

ذكر عدة حوادث

حج بالناس هذه السنة محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، وفيها توفي جعفر بن مبشر بن أحمد الثقفي المتكلم أحد المعتزلة البغداديين وله مقالة يتفرد بها .

وفيها توفي أبو خيثمة زهير بن حرب في شعبان وكان حافظاً للحديث ، وأبو أيوب سليمان بن داود بن بشر المقرئ البصري المعروف بالشاذكوني بأصبهان . وفيها توفي علي بن عبدالله بن جعفر المعروف بابن المديني الحافظ^(١) ، وقيل : سنة خمس وثلاثين وهو إمام ثقة وكان والده ضعيفاً في الحديث ، وإسحاق بن اسماعيل الطالقاني ، ويحيى بن أيوب المقابري ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو الربيع الزهراني .

(١) كان إمام عصره في الجرح والتعديل والعلل وهو أحد الاعلام الحفاظ مولده سنة إحدى وستين ومائة قال العلامة أبو زكريا محيي الدين النووي : لابن المديني في الحديث نحو من مائتي مصنف .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين

ذكر قتل ايتاخ

قد ذكرنا ما كان منه مع المتوكل وسبب حجه ، فلما عاد من مكة كتب المتوكل الى اسحاق بن ابراهيم ببغداد يأمره بحبسه وأنفذ المتوكل كسوة وهدايا إلى طريق ايتاخ ، فلما قرب ايتاخ من بغداد خرج إسحاق بن ابراهيم الى لقائه ، وكان ايتاخ أراد المسير على الأنبار إلى سامرا فكتب إليه إسحاق أن امير المؤمنين قد أمر أن تدخل بغداد وأن يلقاك بنو هاشم ووجوه الناس ، وأن تقعد لهم في دار خزيمة بن خازم وتأمر لهم بالجوائز ، فجاء إلى بغداد فلقيه إسحاق بن ابراهيم ، فلما رآه اسحاق أراد النزول له فحلف عليه ايتاخ أن لا يفعل وكان في ثلاثمائة من غلمانة وأصحابه ، فلما صار بباب دار خزيمة وقف اسحاق وقال له : أصلح الله الأمير يدخل ، فدخل ايتاخ ، ووقف اسحاق على الباب فمنع أصحابه من الدخول عليه ووكّل بالأبواب وأقام عليها الحرس فحين رأى ايتاخ ذلك قال : قد فعلوها ولو لم يفعلوا ذلك ببغداد ما قدروا عليه ، وأخذوا معه ولديه منصوراً ومظفراً وكاتبه سليمان بن وهب ، وقدامة بن زياد فحبسوا ببغداد أيضاً ، وأرسل ايتاخ الى اسحاق قد علمت ما أمرني به المعتصم والواثق في أمرك وكنت أَدافع عنك فليتنفعي ذلك عندك في ولدي ، فأما أنا فقد مرّ بي شدة ورخاء فما أبالي ما أكلت وما شربت ، وأما هذان الغلامان فلم يعرفا البؤس واجعل لهما طعاماً يصلحهما ففعل اسحاق ذلك ، وقيد ايتاخ وجعل في عنقه ثمانون رطلاً فمات في جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين ومائتين وأشهد إسحاق جماعة من الأعيان انه لا ضرب به ولا أثر .

وقيل : كان سبب موته أنهم أطعموه ومنعوه الماء حتى مات عطشاً ، وأما ولداه فإنهما بقيا محبوسين حياة المتوكل فلما ولي المنتصر أخرجهما ، فأما مظفر فبقي

بعد أن خرج من السجن ثلاثة أشهر ومات ، وأما منصور فعاش بعده .

ذكر أسر ابن البعيث وموته

في هذه السنة قدم بغا الشرايبي بابن البعيث في شوال وبخليفته أبي الأغر ، وبأخويه صقر ، وخالد ، وكاتبه العلاء وجماعة من أصحابه ، فلما قربوا من سامرا حملوا على الجمال ليراهم الناس ، فلما أحضر ابن البعيث بين يدي المتوكل أمر بضرب عنقه فجاء السياف وسبه المتوكل ، وقال : ما دعاك إلى ما صنعت ؟ قال : الشقوة وأنت الحبلى الممدود بين الله وبين خلقه وإن لي فيك لظنين أسبقهما إلى قلبي أولا هما بك وهو العفو ثم قال بلا فصل :

أبى الناس إلا أنك اليوم قاتلي إمام الهدى والصفح بالمرء^(١) أجمل
وهل أنا إلا جيلة من خطيئة^(٢) وعفوك من نور النبوة مُجمل^(٣)
فإنك خير السابقين إلى العلا ولا شك أن خير الفعاليين تفعل

فقال المتوكل لبعض أصحابه : إن عنده لأدباً ، فقال : بل يتفضل^(٤) أمير المؤمنين ويمن^(٥) عليه فأمر برده فحبس مقيداً ، وقيل : إن المعتز شفع فيه إلى أبيه فأطلقه ، وكان ابن البعيث قد قال حين هرب :

كم قد قضيت أموراً كان أهملها غيري وقد أخذ الإفلاس بالكظم
لا تعذليني فمالي ليس^(٦) ينفعني اليك عني جرى المقدار بالقلم
سأتلّف المال في عسر وفي يسر إن الجواد الذي يُعطي على العدم

ومات ابن البعيث بعد دخوله سامرا بشهر ، قيل : كان قد جعل في عنقه مائة رطل فلم يزل على وجهه حتى مات وجعل بنوه جليس ، وصقر^(٧) ، والبعيث في

(١) في الطبري : « بالناس » .

(٢) في الطبري : « خطية » .

(٣) في الطبري : « يُجبل » .

(٤) في الطبري : « بل يفعل أمير المؤمنين خيرهما » .

(٥) في الطبري : « عليك » .

(٦) في الطبري : « فيما ليس » .

(٧) في الطبري : « حليس وجعفر » .

عداد الشاكزية مع عبيد الله بن يحيى بن خاقان .

ذكر البيعة لأولاد المتوكل بولاية العهد

في هذه السنة عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد وهم محمد ولقبه المنتصر بالله ، وأبو عبد الله محمد ، وقيل : طلحة ، وقيل : الزبير ولقبه المعتز بالله ، وإبراهيم ولقبه المؤيد بالله ، وعقد لكل واحد منهم لواءين ، أحدهما أسود وهو لواء العهد ، والآخر أبيض وهو لواء العمل ، فأعطى كل واحد منهم ما نذكره .

فأما المنتصر فأقطعه إفريقية ، والمغرب كله ، والعواصم ، وقنسرين ، والثغور جميعها الشامية ، والجزرية ، وديار مصر ، وديار زبيعة ، والموصل ، وهيت ، وعانة^(١) ، والأنبار ، والخابور ، وكورباجرمى ، وكور دجلة ، وطساسيج السواد جميعها ، والحرمين ، واليمن ، وحضرموت ، واليمامة ، والبحرين ، والسند ، ومُكرَّان ، وقنڊابيل ، وفرج بيت الذهب ، وكور الأهواز ، والمستغلات بسامرا ، وماه الكوفة ، وماه البصرة ، وماه سبذان ، ومهرجانقذق ، وشهر زور ، والصامغان ، وأصبهان ، وقُمَّ ، وقاشان ، والجبل جميعه ، وصدقات العرب بالبصرة .

وأما المعتز فأقطعه خراسان وما يضاف إليها ، وطبرستان ، والري ، وأرمينية ، وأذربيجان ، وكور فارس ، ثم أضاف إليه في سنة أربعين خزن الأموال في جميع الآفاق ودور الضرب وأمر أن يضرب اسمه على الدراهم ، وأما المؤيد فأقطعه جند حمص ، وجند دمشق ، وجند فلسطين .

ذكر ظهور رجل ادعى النبوة

وفيهما ظهر بسامرا رجل يقال له : محمود بن الفرج النيسابوري فزعم أنه نبي وأنه ذو القرنين وتبعه سبعة وعشرون رجلاً ، وخرج من أصحابه ببغداد رجلان بباب العامة وآخران بالجانب الغربي ، فأتى به وبأصحابه المتوكل فأمر به فضرب ضرباً شديداً وحمل الى باب العامة فأكذب نفسه وأمر أصحابه أن يضربه كل رجل منهم

(١) في الطبري « وعانات » .

عشر صفعات ففعلوا ، وأخذوا له مصحفاً فيه كلام قد جمعه وذكر أنه قرآن وأن جبريل نزل به ، ثم مات من الضرب في ذي الحجة وحبس أصحابه وكان فيهم شيخ يزعم أنه نبي وأن الوحي يأتيه .

ذكر ما كان بالأندلس من الحوادث

وفي هذه السنة خرج عباس بن وليد - المعروف بالطبلي - بنواحي تدمير لمحاربة جمع اجتمعوا وقدموا على أنفسهم رجلاً اسمه محمد بن عيسى بن سابق فوطىء عباس بلدهم وأوقع بهم وأصلحهم وعاد .

وفيها ثار أهل تاكرنا ومن يليهم من البربر فصار اليهم جيش عبد الرحمن صاحب الأندلس فقاتلهم وأوقع بهم وأعظم النكايه فيهم . وفيها سير عبد الرحمن ابنه المنذر في جيش كثيف لغزو الروم فبلغوا ألية . وفيها كان سيل عظيم في رجب في بلاد الأندلس فخرّب جسر أستمجة وخرّب الأرحاء ، وغرق نهر أشبيلية ست عشرة قرية ، وخرّب نهار باجة ثمان عشرة قرية وصار عرضه ثلاثين ميلاً ، وكان هذا حدثاً عظيماً وقع في جميع البلاد في شهر واحد ، وفيها هلك ردمير بن اذفوس في رجب وكانت ولايته ثمانية أعوام ، وفيها هلك أبو السول الشاعر سعيد بن يعمر بن علي بسرْقُطة .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة أمر المتوكل أهل الذمة بلبس البطيايسة العسلية ، وشد الزنانير ، وركوب السروج بالركب الخشب ، وعمل كرتين في مؤخر السروج ، وعمل رُقعتين على لباس مماليكهم مخالفتين لون الثوب كل واحدٍ منهما قدر أربع أصابع ولون كل واحدة منهما غير لون الأخرى ، ومن خرج من نسائهم تلبس إزاراً عسلياً ، ومنعهم من لباس المناطق ، وأمر بهدم بيعهم المُحدّثة ، وبأخذ العشر من منازلهم ، وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب . ونهى أن يُستعان بهم في أعمال السلطان ، ولا يعلمهم مُسلم ، وأن يظهروا في شعائنيهم صليياً ،

وأن يستعملوا^(١) في الطريق ، وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض وكتب في ذلك الى الأفاق .

وفيها توفي اسحاق بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبي - وهو ابن اخي طاهر بن الحسين - وكان صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ؛ ولما مرض أرسل إليه المتوكل ابنه المعتز مع جماعة من القواد يعودونه وجزع المتوكل لموته . وفيها مات الحسن بن سهل كان شرب دواء فأفرط عليه فحبس الطبع فمات ، وكان موته وموت إسحاق بن ابراهيم في ذي الحجة في يوم واحد ، وقيل : مات الحسن في سنة ست وثلاثين ، وفيها في ذي الحجة تغير ماء دجلة إلى الصفرة ثلاثة أيام ففزع الناس ثم صار في لون ماء المدود ، وفيها أتى المتوكل بيحيى بن عمر بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكان قد جمع جمعاً ببعض النواحي فأخذ وحبس وضرب ، وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود .

وفيها مات اسحاق بن ابراهيم الموصلي صاحب الألحان والغناء وكان فيه علم وأدب وله شعر جيد ، وعبيدالله بن عمر بن ميسرة الجشمي القواريري في ذي الحجة ، واسماعيل بن عليّة ، ومنصور بن أبي مزاحم ، وسريج بن يونس أبو الحرث (سريج) بالسين المهملة والجيم .

(١) وفي الطبري « وان يشمعلوا » .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين

ذكر مقتل محمد بن ابراهيم

في هذه السنة قتل محمد بن ابراهيم بن مصعب أخو اسحاق بن ابراهيم ، وكان سبب ذلك أن اسحاق أرسل ولده محمد بن اسحاق بن إبراهيم إلى باب الخليفة ليكون نائباً عنه ببابه ، فلما مات اسحاق عقد المعتز لابنه محمد بن اسحاق على فارس وعقد له المنتصر على اليمامة ، والبحرين بطريق مكة في المحرم من هذه السنة ، وضم إليه المتوكل أعمال أبيه كلها وحمل إلى المتوكل وأولاده من الجواهر التي كانت لأبيه والأشياء النفيسة كثيراً ، وكان عمه محمد بن ابراهيم على فارس ، فلما بلغه ما صنع المتوكل وأولاده بابن أخيه ساء ذلك وتنكر للخليفة ولابن أخيه ؛ فشكا محمد بن اسحاق ذلك إلى المتوكل فأطلقه إلى عمه ليفعل به ما يشاء فعزله عن فارس واستعمل مكانه ابن عمه الحسين بن اسماعيل بن إبراهيم بن مصعب وأمره بقتل عمه محمد بن ابراهيم ، فلما سار الحسين إلى فارس أهدى إلى عمه يوم النيروز هدايا وفيها حلواء فأكل محمد منها وأدخله الحسين بيتاً ووكل عليه فطلب الماء ليشرب فمنع منه فمات بعد يومين .

ذكر ما فعله المتوكل بمشهد الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام

في هذه السنة أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام وهدم ما حوله من المنازل والدور وان يُبذر ويُسقى موضع قبره وأن يمنع الناس من إتيانه ، فنادى بالناس في تلك الناحية من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه في المطبق ، فهرب الناس وتركوا زيارته وخرّب وزرع ، وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته ، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم ، وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث وكان يشد على بطنه تحت ثيابه

مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنون : قد أقبل
الأصلع البطين خليفة المسلمين ، يحكي بذلك علماً عليه السلام والمتوكل يشرب
ويضحك ، ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضر فأومأ الى عبادة يتهدده فسكت خوفاً منه
فقال المتوكل : ما حالك ؟ فقام وأخبره فقال المنتصر : يا أمير المؤمنين إن الذي
يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخر فكل
أنت لحمه إذا شئت ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه فقال المتوكل للمغنيين : غنوا
جميعاً .

غَارَ الفتى لابن عمه رأس الفتى في حجر أمه

فكان هذا من الأسباب التي استحلت بها المنتصر قتل المتوكل ؛ وقيل : إن
المتوكل كان يبغض من تقدمه من الخلفاء ، المأمون ، والمعتصم ، والوائق في
محبة علي وأهل بيته ، وإنما كان ينادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب
والبغض لعلي منهم علي بن الجهم الشاعر الشامي من بني شامة بن لؤي ،
وعمر بن فرخ الرخجي ، وأبو السمط من ولد مروان بن أبي حفصة من موالي بني
أمية ، وعبدالله بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بابن أترجة ، وكانوا يخوفونه من
العلويين ويشيرون عليه بإبعادهم والإعراض عنهم والإساءة إليهم ، ثم حسنوا له الواقعة
في أسلافهم الذين يعتقد الناس علو منزلتهم في الدين ولم يبرحوا به حتى ظهر منه ما
كان فغطت هذه السيئة جميع حسناته ، وكان من أحسن الناس سيرة ومنع الناس من
القول بخلق القرآن الى غير ذلك من المحاسن .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة استكتب المتوكل عبيدالله بن يحيى بن خاقان ، وفيها حج
المنتصر بالله وحج معه جدته^(١) أم المتوكل . وفيها هلك أبو سعيد محمد بن يوسف
المروزي فجأة وكان عقد له على أرمينية ، وأذربيجان فلبس أحد خفيه ومد الآخر
ليلبسه فمات فولى المتوكل ابنه يوسف ما كان إلى أبيه من الحرب وولاه خراج
الناحية فسار إليها وضبطها ، وحج بالناس هذه السنة المنتصر . وفيها خرج حبيبة

(١) واسمها شجاع وانفقت في هذه الحجة أموالاً جزيلة .

البربري بالأندلس بجبال الجزيرة واجتمع اليه جمع كثير فأغاروا واستطالوا فسار إليهم جيش من عبد الرحمن فقاتلهم فهزمهم فتفرقوا .

وفيها غزا جيش بالأندلس بلادَ برشلونة فقتلوا من أهلها فأكثروا وأسروا جمعاً غفيراً وغنموا وعادوا سالمين ، وفيها توفي هدية بن خالد ، وسنان الأيلي ، وابراهيم بن محمد الشافعي . وفيها توفي مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام أبو عبد الله المدني وكان عمره ثمانين سنة وهو عم الزبير بن بكار - وكان عالماً فقيهاً إلا أنه كان منحرفاً عن علي عليه السلام ، وفيها أيضاً توفي منصور بن المهدي ، ومحمد بن اسحاق بن محمد المخزومي المسيبي البغدادي ، وكان ثقة . وفيها توفي جعفر بن حرب الهمداني أحد أئمة المعتزلة البغداديين وعمره تسع وخمسون سنة وأخذ الكلام عن ابن أبي الهذيل العلاف البصري .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين ذكر وثوب أهل ارمينية بعاملهم

في هذه السنة وثب أهل أرمينية بعاملهم يوسف بن محمد فقتلوه .

وكان سبب ذلك أن يوسف لما سار الى أرمينية خرج إليه بطريق يقال له :
بُقراط بن أشوط ، ويقال له : بطريق البطارقة يطلب الأمان^(١) فأخذه يوسف وابنه نعمة
فسيرهما إلى باب الخليفة ، فاجتمع بطارقة ارمينية مع ابن أخي بقراط بن أشوط
وتحالفوا على قتل يوسف ، ووافقهم على ذلك موسى بن زرارة وهو صهر بقراط
على ابنته ، فأتى الخبر يوسف ونهاه أصحابه عن المقام بمكانه فلم يقبل ؛ فلما جاء
الشتاء ونزل الثلج مكثوا حتى سكن الثلج ثم أتوه وهو بمدينة طُرُون^(٢) فحصره بها
فخرج إليهم من المدينة فقاتلهم فقتلوه وكل من قاتل معه ، وأما من لم يقاتل معه
فقالوا له : انزع ثيابك وانج بنفسك عريانا ففعلوا ومشوا حفاة عراة فهلك أكثرهم من
البرد وسقطت اصابع كثير منهم ونجوا وكان ذلك في رمضان ، وكان يوسف قبل ذلك
قد فرق أصحابه في رساتيق عمله فوجه إلى كل طائفة منهم طائفة من البطارقة فقتلوه
في يوم واحد ، فلما بلغ المتوكل خبره وجه بغا الكبير إليهم طالباً بدم يوسف فسار
إليهم على الموصل ، والجزيرة فبدأ بأَرْزَن^(٣) وبها موسى بن زرارة وله اخوة
إسماعيل ، وسليمان ، وأحمد ، وعيسى ، ومحمد ، وهارون ، فحمل بغا
موسى بن زرارة الى المتوكل وأناخ على قتلة يوسف^(٤) فقتل منهم زهاء ثلاثين ألفاً

(١) في الطبري « الإمارة » .

(٢) طُرُون : موضع بأرمينية .

(٣) بفتح أوله وسكون ثانيه ويعدهما زاي مفتوحة ونون .

(٤) في الكلام خفاء وتحريف واصل الطبري هكذا « ثم سار فأناخ بجبل الخويشة وهم جمّة أهل ارمينية وقتله

يوسف ، الخ .

وسبي منهم خلقاً كثيراً فباعهم ، فسار إلى بلاد ألباق فأسر أشوط بن حمزة أبا العباس صاحب ألباق وألباق من كورة البُسفرجان ، ثم سار إلى مدينة دبيل من أرمينية فأقام بها شهراً ثم سار إلى تفلّيس فحصرها .

ذكر غضب المتوكل على ابن أبي دؤاد وولاية ابن أكتّم القضاء

وفيها غضب المتوكل على أحمد بن أبي دؤاد وقبض ضياعه وأملاكه وحبس ابنه أبا الوليد وسائر أولاده فحمل أبو الوليد مائة ألف وعشرين ألف دينار وجواهر قيمتها عشرون ألف دينار ، ثم صولح بعد ذلك على ستة عشر ألف ألف درهم وأشهد عليهم جميعاً ببيع أملاكهم ، وكان أبوهم أحمد بن أبي دؤاد قد فلع واحضر المتوكل يحيى بن أكتّم من بغداد إلى سامرا ورضي عنه وولاه قضاء القضاة ثم ولاه المظالم فولى يحيى بن أكتّم قضاء الشرقية حيان بن بشر ، وولى سوار بن عبدالله العنبري قضاء الجانب الغربي وكلاهما أعور فقال الجماز :

رَأَيْتُ مِنَ الْكِبَائِرِ قَاضِيَيْنِ هُمَا أَحَدُوثَةٌ فِي الْخَافَتَيْنِ
هُمَا اقْتَسَمَا الْعَمَى نِصْفَيْنِ قَدْرًا^(١) كَمَا اقْتَسَمَا قُضَاءَ الْجَانِبَيْنِ
وَتَحَسَبُ مِنْهُمَا مِنْ هَزْ رَأْسًا لِيَنْظُرَ فِي مَوَارِيثَ وَدَيْنِ
كَأَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ عَلَيْهِ دَنًا فَتَحَّتْ بُزَالُهُ مِنْ فَرْدٍ عَيْنِ
هُمَا قَالُ الزَّمَانِ بِهِلِكَ يَحْيَى إِذَا افْتَتَحَ الْقُضَاءَ بِأَعْوَرَيْنِ

ذكر ولاية العباس بن الفضل صقلية وما فتح فيها

قد ذكرنا سنة ثمان وعشرين ومائتين أن محمد بن عبد الله أمير صقلية توفي سنة ست وثلاثين ومائتين فلما مات اجتمع المسلمون بها على ولاية العباس بن الفضل بن يعقوب فولوه أمرهم ، فكتبوا بذلك إلى محمد بن الأغلب أمير إفريقية فأرسل إليه عهداً بولايته ، فكان العباس إلى أن وصل عهده يغير ويرسل السرايا وتأتيه الغنائم ، فلما قدم إليه عهده بولايته خرج بنفسه وعلى مقدمته عمه رباح فأرسل في سرية إلى قلعة أبي ثور فغنم وأسر وعاد فقتل الأسرى ، وتوجه إلى مدينة قصر يانة فنهب وأحرق وخرّب ليخرج إليه البطريق فلم يفعل فعاد العباس .

(١) في الطبري « قدأ » .

وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين خرج حتى بلغ قصر يانة ومعه جمع عظيم فغنم وخرب وأتى قطنية ، وسرقوسة ، ونوطس ، ورغوس فغنم من جميع هذه البلاد وخرب وأحرق ، ونزل على بشيرة وحصرها خمسة أشهر فصالحه أهلها على خمسة آلاف رأس .

وفي سنة اثنتين وأربعين سار العباس في جيش كثيف ففتح حصوناً جمة .

وفي سنة ثلاث وأربعين سار إلى قصر يانة فخرج أهلها فلقوه فهزمهم وقتل فيهم فأكثر ، وقصد سرقوسة ، وطبرمين ، وغيزهما فنهب وخرب وأحرق ، ونزل على القصر الحديد وحصره وضيق على من به من الروم فبدلوا له خمسة عشر ألف دينار فلم يقبل منهم وأطال الحصر فسلموا إليه الحصن على شرط أن يطلق مائتي نفس فأجابهم إلى ذلك وملكه وباع كل من فيه سوى مائتي نفس وهدم الحصن .

ذكر فتح قصر يانة

في سنة أربع وأربعين ومائتين فتح المسلمون مدينة قصر يانة - وهي المدينة التي بها دار الملك بصقلية - وكان الملك قبلها يسكن سرقوسة فلما ملك المسلمون بعض الجزيرة نقل دار الملك الى قصر يانة لحصانتها ، وسبب فتحها أن العباس سار في جيوش المسلمين إلى مدينة قصر يانة ، وسرقوسة وسيّر جيشاً في البحر فلقبهم أربعون شلندي للروم فاقتتلوا أشد قتال فانهزم الروم وأخذ منهم المسلمون عشر شلنديات برجالها وعاد العباس إلى مدينته ، فلما كان الشتاء سيّر سرية فبلغت قصر يانة فنهبوا وخربوا وعادوا ومعهم رجل كان له عند الروم قدر ومنزلة فأمر العباس بقتله فقال : استبقني ولك عندي نصيحة ، قال : وما هي ؟ قال : املكك قصر يانة والطريق في ذلك أن القوم في هذا الشتاء وهذه الثلوج آمنون من قصدكم إليهم فهم غير محترسين ترسل معي طائفة من عسكركم حتى أدخلكم المدينة ، فانتخب العباس ألفي فارس أنجاد أبطال وسار إلى أن قاربها وكمن هناك مستتراً وسيّر عمه رباحاً في شجعانهم فساروا مستخفين في الليل والرومي معهم مقيد بين يدي رباح فأراهم الموضع الذي ينبغي أن يملك منه فنصبوا السلايم وصعدوا الجبل ثم وصلوا إلى سور المدينة قريباً من الصبح والحرس نيام فدخلوا من نحو باب صغير فيه يدخل

منه الماء وتلقى فيه الأقدار فدخل المسلمون كلهم فوضعوا السيف في الروم وفتحوا الابواب .

وجاء العباس في باقي العسكر فدخلوا المدينة وصلوا الصبح يوم الخميس منتصف شوال وبني فيها في الحال مسجداً ونصب فيه منبراً وخطب فيه يوم الجمعة وقتل من وجد فيها من المقاتلة وأخذوا ما فيها من بنات البطارقة بحليهن وأبناء الملوك وأصابوا فيها ما يعجز الوصف عنه وذل الشرك يومئذ بصقلية ذلاً عظيماً ، ولما سمع الروم بذلك أرسل ملكهم بطريقاً من القسطنطينية في ثلاثمائة شلندي وعسكر كثير فوصلوا الى سرقوسة فخرج إليهم العباس من المدينة ولقي الروم وقاتلهم فهزمهم فركبوا في مراكبهم هاربين وغنم المسلمون منهم مائة شلندي وكثر القتل فيهم ولم يصب من المسلمين ذلك اليوم غير ثلاثة نفر بالنشاب .

وفي سنة ست وأربعين ومائتين نكت كثير من قلاع صقلية وهي سطر وابلا ، وابلاطنوا ، وقلعة عبد المؤمن ، وقلعة البلوط ، وقلعة أبي ثور ، وغيرها من القلاع فخرج العباس إليهم فلقبهم عساكر الروم فاقتتلوا فانهزم الروم وقتل منهم كثير ، وسار الى قلعة عبد المؤمن وقلعة ابلاطنوا فحصرها فأتاه الخبر بأن كثيراً من عساكر الروم قد وصلت فرحل إليهم فالتقوا بجفلودي وجرى بينهم قتال شديد فانهزمت الروم وعادوا إلى سرقوسة وعاد العباس الى المدينة وعمر قصر يانة وحصنها وشحنها بالعساكر .

وفي سنة سبع وأربعين ومائتين سار العباس الى سرقوسة فغنم ، وسار الى غيران قرقنة فاعتل ذلك اليوم ومات بعد ثلاثة أيام ثالث جمادى الآخرة فدفن هناك فنبشه الروم وأحرقوه ، وكانت ولايته إحدى عشرة سنة وأدام الجهاد شتاء وصيفاً وغزا أرض قلورية ، وانكبرده وأسكنها المسلمين .

ذكر ابتداء أمر يعقوب بن الليث

وفيها تغلب إنسان من أهل بُسْت اسمُه صالح بن النضر الكناني على سجستان ومعه يعقوب بن الليث فعاد طاهر بن عبد الله بن طاهر أمير خراسان واستنقذها من يده ، ثم ظهر بها إنسان اسمه درهم بن الحسين من المتطوعة فتغلب عليها وكان غير

ضابط لعسكره وكان يعقوب بن الليث هو قائد عسكره ، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث وملكوه أمرهم لما رأوا من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بأمورهم ، فلما تبين ذلك لدرهم لم ينازعه في الأمر وسلمه إليه واعتزل عنه فاستبد يعقوب بالأمر وضبط البلاد وقويت شوكته وقصدته العساكر من كل ناحية وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ولى عبيدالله^(١) بن اسحاق بن ابراهيم بغداد ، ومعاون السواد ، وفيها قدم محمد بن عبدالله بن طاهر من خراسان في ربيع الأول^(٢) فولي الجزية ، والشرطة ، وخلافة المتوكل ببغداد ، وأعمال السواد وأقام بها ، وفيها عزل أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد عن المظالم وولاهما محمد بن يعقوب المعروف بابن الربيع^(٣) ، وفيها أمر المتوكل بانزال جثة أحمد بن نصر الخزاعي ودفعه الى أوليائه فحمل إلى بغداد وضم رأسه إلى بدنه وغسل وكفن ودفن واجتمع عليه من العامة ما لا يحصى يتمسحون به ، فكان المتوكل لما ولى نهى عن الجدل في القرآن وغيره وكتب إلى الأفاق بذلك ، وغزا الصائفة في هذه السنة علي بن يحيى الأرمني ، وحج بالناس فيها علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور وكان والي مكة ، وفيها قام رجل بالأندلس بناحية الثغور وادعى النبوة وتأول القرآن على غير تأويله فتبعه قوم من الغوغاء ، فكان من شرائعه أنه كان ينهي عن قص الشعر ، وتقليم الأظفار ، فبعث إليه عامل ذلك البلد فأتى به ، وكان أول ما خاطبه به أن دعاه الى اتباعه فأمره العامل بالتوبة فامتنع فصلبه ، وفيها سار جيوش المسلمين الى بلاد المشركين فكانت بينهم وقعة عظيمة كان الظفر فيها للمسلمين وهي الوقعة المعروفة بوقعة البيضاء وهي مشهورة بالأندلس ، وفيها توفي العباس بن الوليد المدني بالبصرة ، وعبد الأعلى بن حماد النرسي ، وعبيد الله بن معاذ العنبري (النرسي بالنون والراء والسين المهملة .

(١) في الطبري « عبدالله » بالتكبير .

(٢) في الطبري « ربيع الآخر » .

(٣) في الطبري « بابي الربيع » .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين

ذكر ما فعله بُغا بتفليس

قد ذكرنا مسير بُغا الى تَفْلِيس ومحاصرتها ، وكان بُغا لما سار إليها وجه زيرك التركي فجاز النهر الكر وهو نهر كبير ومدينة تفليس على حافته وصُغْدِيل على جانبه الشرقي ، فلما عبر الثُهر نزل بميدان تفليس ، ووجه بُغا أيضاً أبا العباس الوارثي^(١) النصراني الى أهل أرمينية عربها وعجمها فأتى تفليس مما يلي باب المرقص^(٢) ، فخرج اسحاق بن اسماعيل مولى بني أمية من تفليس الى زيرك فقابلته عند الميدان ، ووقف بُغا على تلٍّ مشرفٍ ينظر ما يصنع زيرك ، وأبو العباس ، فدعا بُغا النفاطين فضربوا المدينة بالنار فأحرقوها وهي من خشب الصنوبر ، وأقبل إسحاق بن إسماعيل إلى المدينة فرأى النار قد أحرقت قصره وجواريه وأحاطت به فأتاه الأتراك ، والمغاربة فأخذوه أسيراً وأخذوا ابنه عمراً فأتوا بهما بُغا فأمر بإسحاق فضربت عنقه وصلبت جثته على النهر الكر ، وكان شيخاً محدوراً ضخماً الرأس أحول ، واحترق بالمدينة نحو خمسين ألف إنسان وأسروا من سلم من النار وسلبوا الموتى ، وأخذ أهل إسحاق وما سلم من ماله بصُغْدِيل وهي مدينة حصينة حذاء تفليس بناها كسرى أنوشروان وحصنها إسحاق وجعل أمواله فيها مع امرأته ابنة صاحب السرير ، ثم إن بُغا وجه زيرك الى قلعة الحرزمان^(٣) وهي بين بردعة وتفليس في جماعة من جنده ففتحها وأخذ بطريقها أسيراً ، ثم سار بُغا إلى عيسى بن يوسف وهو في قلعة كبيش في كورة البيلقان ففتحها وأخذه فحمله وحمل معه أبا العباس

(١) في الطبري « الوارثي » .

(٢) في الطبري « باب الرض » .

(٣) في الطبري « الجرمان » .

الوارثي^(١) - واسمه سنباط بن أشوط - وحمل معه معاوية بن سهل بن سنباط بطريق أران .

ذكر مسير الروم الى ديار مصر

في هذه السنة جاءت ثلاثمائة مركب للروم مع ثلاثة رؤساء فأناخ أحدهم في مائة مركب بدمياط وبينها وبين الشطّ شبيهة بالبحيرة يكون ماءها الى صدر الرجل فمن جازها إلى الأرض أمن من مراكب البحر فجازها قوم فسلموا وغرق كثير من نساء وصبيان ومن كان به قوة سار إلى مصر ، وكان على معونة مصر عنبة بن اسحاق الضبي فلما حضر العيد أمر الجند الذين بدمياط أن يحضروا مصر فساروا منها فاتفق وصول الروم وهي فارغة من الجند فنهبوا وأحرقوا وسبوا وأحرقوا جامعها وأخذوا ما بها من سلاح ومتاع وقند وغير ذلك وسبوا من النساء المسلمات والذميات نحو ستمائة امرأة وأوقروا سفنهم من ذلك ، وكان عنبة قد حبس بن الأكشف بدمياط فكسر قيده وخرج يقاتلهم وتبعه جماعة وقتل من الروم جماعة ، وسارت الروم إلى أشتموم تنيس^(٢) وكان عليه سور وبابان من حديد قد عمله المعتصم فنهبوا ما فيه من سلاح وأخذوا البابين ورجعوا ولم يعرض لهم أحد .

ذكر وفاة عبد الرحمن بن الحكم وولاية ابنه محمد

وفيها توفي عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأموي صاحب الأندلس في ربيع الآخر ، وكان مولده سنة ست وسبعين ومائة وولايته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ، وكان أسمر طويلاً أفتى أعين عظيم اللحية مخضباً بالحناء ، وخلف خمسة وأربعين ولداً ذكوراً ، وكان أديباً شاعراً وهو معدود في جملة من عشق جواريه وكان يعشق جارية له اسمها طروب وشهر بها ، وكان عالماً بعلوم الشريعة وغيرها من علوم الفلاسفة وغيرهم ، وكانت أيامه أيام عافية وسكون وكثرت الأموال عنده وكان بعيد الهمة واخترع قصوراً ومنتزهات كثيرة وبنى الطرق وزاد في الجامع بقرطبة رواقين وتوفي قبل أن يستتم زخرفته وأتمه ابنه وبنى جوامع كثيرة بالأندلس ، ولما مات ملك ابنه محمد فجرى على سيرة والده في العدل وتمم بناء

(١) في الطبري « الوائي » .

(٢) في النجوم الزاهرة « اشوموم تنيس » .

الجامع بقرطبة ، وأمه تسمى بهتر ، وولد له مائة ولد كلهم ذكور ، وهو أول من أقام أبهة الملك بالاندلس ورتب رسوم المملكة وعلا عن التبذل للعامة فكان يشبه بالوليد بن عبد الملك في أبهة الملك ، وهو أول من أجلب الماء العذب إلى قرطبة وأدخله إليها وجعل يفصل للماء مصنعاً كبيراً يرده الناس .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سار المتوكل نحو المدائن فدخل بغداد وسار منها إلى المدائن ، وغزا الصائفة علي بن يحيى الأرمني ، وفيها مات اسحاق بن ابراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه وكان اماماً عالماً وجرى له مع الشافعي مناظرة في بيوت مكة وكان عمره سبعاً وسبعين سنة^(١) ، ومحمد بن بكار المحدث .

(١) هو أحد أئمة الحديث الرحالة اجتمع فيه الحديث والفقه والحفظ والدين والورع .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين

في هذه السنة أمر المتوكل أهل النذمة بلبس دراعتين عسليتين في الأقبية والدراريغ وبالاقتصار في مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين ، وفيها نفى المتوكل علي بن الجهم الى خراسان ، وفيها أمر المتوكل بهدم البيع المحدثه في الاسلام ، وفيها سَير محمد بن عبد الرحمن جيشاً مع أخيه الحكم الى قلعة رباح وكان أهل طليطلة قد خربوا سورها وقتلوا كثيراً من أهلها وأصلح الحكم سورها وأعاد من فارقها من أهلها إليها وأصلح حالها وتقدم الى طليطلة فأفسد في نواحيها وشعثها ، وسَير محمد أيضاً جيشاً آخر إلى طليطلة فلما قاربوها خرجت عليهم الجنود من المكامن فانهزم العسكر وأصيب أكثر من فيه ، وفيها مات أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد القاضي ببغداد في ذي الحجة ، وغزا الصائفة علي بن يحيى الأرمني ، وفيها حج جعفر بن دينار على الاحداث بطريق مكة ، والموسم ، وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى وكان والي مكة ، وفيها اتفق الشعانين للنصارى ويوم النيروز وذلك يوم الأحد لعشرين ليلة خلت من ذي القعدة فزعمت النصارى أنهما لم يجتمعا في الاسلام قط ، وفيها توفي محمود بن غيلان المروزي أبو أحمد وهو من مشايخ البخاري ، ومسلم ، والترمذي .

ثم دخلت سنة أربعين ومائتين ذكر وثوب أهل حمص بعاملهم

في هذه السنة وثب أهل حمص بعاملهم أبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافعي وكان قتل رجلاً من رؤسائهم فقتلوا جماعة من أصحابه وأخرجوه وأخرجوا عامل الخراج ، فبعث المتوكل إليهم عتاب بن عتاب ، ومحمد بن عبدويه الأنباري وقال لعتاب : قل لهم إن أمير المؤمنين قد بدلكم بعاملكم فإن أطاعوا قَوْلَ عليهم محمد بن عبدويه فإن أبوا فأقم وأعلمني حتى أمدك برجال وفرسان ، فساروا إليهم فوصلوا في ربيع الآخر فرضوا بمحمد بن عبدويه فعمل فيهم الأعاجيب حتى أخرجهم إلى محاربتة على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بالأندلس

وفي هذه السنة في المحرم كان بين المسلمين والفرنج حرب شديدة بالأندلس .

وسبب ذلك أن أهل طليطلة كانوا على ما ذكرنا من الخلاف على محمد بن عبد الرحمن صاحب الأندلس وعلى أبيه من قبله ، فلما كان الآن سار محمد في جيوشه إلى طليطلة فلما سمع أهلها بذلك أرسلوا إلى ملك جليقية يستمدونه وإلى ملك بشكنس فأمداهم بالعساكر الكثيرة ، فلما سمع محمد بذلك وكان قد قارب طليطلة عيى أصحابه وقد كمن لهم الكمء بناحية وادي سليط وتقدم إليهم وهو في قلة من العسكر فلما رأى أهل طليطلة ذلك أعلموا الفرنج بقله عددهم فسارعوا إلى قتالهم وطمعوا فيهم ، فلما تراءى الجمعان وانتشب القتال خرجت الكمء من كل جهة على المشركين وأهل طليطلة فقتل منهم ما لا يحصى وجمع من الرؤساء ثمانية

آلاف رأس فرقت في البلاد ، فذكر أهل طليطلة أن عدة القتلى من الطائفتين عشرون ألف قتيل وبقيت جثث القتلى على وادي سليط دهرًا طويلاً .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عزل يحيى بن أكثم عن القضاء وقبض منه ما مبلغه خمسة وسبعون ألف دينار وأربعة آلاف جريب بالبصرة . وفيها ولي جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي قضاء القضاة ، وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود ، وكان على أحداث الموسم جعفر بن دينار ، وفيها توفي القاضي أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد في المحرم بعد ابنه أبي الوليد بعشرين يوماً وكان داعية إلى القول بخلق القرآن وغيره من مذاهب المعتزلة وأخذ ذلك عن بشر المريسي وأخذ بشر من الجهم بن صفوان وأخذه جهم من الجعد بن درهم وأخذه الجعد من أبان بن سمعان وأخذه أبان من طالوت بن أخت لبيد الأعصم وختنه وأخذه طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ ، وكان لبيد يقول بخلق التوراة ، وأول من صنف في ذلك طالوت وكان زنديقاً فأفشى الزندقة ، وفيها توفي قتيبة بن سعيد بن حميد أبو رجاء الثقفي وله تسعون سنة وهو خراساني من مشايخ البخاري ، ومسلم ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهم من الأئمة ، وتوفي أبو ثور إبراهيم بن خالد البغدادي الكلبي الفقيه وهو من أصحاب الشافعي ، وأبو عثمان محمد بن الشافعي وكان قاضي الجزيرة جميعها وروى عن أبيه وعن ابن عنبسة ، وقيل : مات بعد سنة أربعين ، وكان للشافعي ولد آخر اسمه محمد مات بمصر سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين ذكر وثوب أهل حمص بعاملهم

في هذه السنة وثب أهل حمص بعاملهم محمد بن عبدويه وأعانهم عليه قوم من نصارى حمص ، فكتب إلى المتوكل بذلك فكتب إليه يأمره بمناهضتهم وأمه بجند من دمشق والرملة فظفر بهم فضرب منهم رجلين من رؤسائهم حتى ماتا وصلبهما على باب حمص وسير ثمانية رجال من أشrafهم الى المتوكل ، وظفر بعد ذلك بعشرة رجال من أعيانهم فضرب أعناقهم ، وأمره المتوكل بإخراج النصارى منها وهدم كنائسهم وبادخال البيعة التي إلى جانب الجامع الى الجامع ففعل ذلك .

ذكر الفداء بين المسلمين والروم

وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم بعد أن قتلت تدورة^(١) ملكة الروم من أسرى المسلمين اثني عشر ألفاً فإنها عرضت النصرانية على الأسرى ، فمن تنصر جعلته أسوة من قتله من المتنصرة ومن أبى قتله وأرسلت تطلب المفاداة لمن بقي منهم ، فأرسل المتوكل شنيفاً الخادم على الفداء وطلب قاضي القضاة جعفر بن عبد الواحد أن يحضر الفداء ويستخلف على القضاء من يقوم مقامه فأذن له فحضره واستخلف على القضاء ابن أبي الشوارب - وهو شاب - ووقع الفداء على نهر اللامس ، فكان أسرى المسلمين من الرجال سبعمائة وخمسة وثمانين رجلاً ومن النساء مائة وخمسة وعشرين امرأة ، وفيها جعل المتوكل كل كورة شمشاط عشرية وكانت خراجية .

(١) في الطبري « تدورة » بالذال المعجمة .

ذكر غارات البجاة^(١) بمصر

وفيه غارت البجاة على أرض مصر وكانت قبل ذلك لا تغزو بلاد الاسلام لهدنة قديمة وقد ذكرناها فيما مضى ، وفي بلادهم معادن يقاسمون المسلمين عليها ويؤدون إلى عمال مصر نحو الخمس ، فلما كان أيام المتوكل امتنعت عن أداء ذلك فكتب صاحب البريد بمصر بخبرهم وأنهم قتلوا عدة من المسلمين ممن يعمل في المعادن فهرب المسلمون منها خوفاً على أنفسهم ، فأنكر المتوكل ذلك فشاور في أمرهم فذكر له أنهم أهل بادية أصحاب إبل وماشية وأن الوصول إلى بلادهم صعب لأنها مفاوز، وبين أرض الاسلام وبينها مسيرة شهر في أرض قفر وجبال وعرة ، وان كل من يدخلها من الجيوش يحتاج أن يتزود لمدة يتوهم أنه يقيمها إلى أن يخرج إلى بلاد الاسلام ، فإن جاوز تلك المدة هلك وأخذتهم البجاة باليد ، وأن أرضهم لا ترد على سلطان شيئاً ، فأمسك المتوكل عنهم فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف أهل الصعيد على أنفسهم منهم ، فولى المتوكل محمد بن عبد الله القمي محاربتهم وولاه معونة تلك الكور وهي قفت ، والأقصر ، وأسنا ، وأرمنت ، وأسوان وأمره بمحاربة البجاة ، وكتب إلى عنبسة بن إسحاق الضبي عامل حرب مصر بازاحة علته واعطائه من الجند ما يحتاج إليه ففعل ذلك ، وسار محمد إلى أرض البجاة وتبعه ممن يعمل في المعادن والمتطوعة عالم كثير فبلغت عدتهم نحواً من عشرين ألفاً بين فارس وراجل ، ووجه إلى القلزم فحمل في البحر سبعة مراكب موقورة بالدقيق ، والزيت ، والتمر ، والشعير ، والسويق ، وأمر أصحابه أن يوافوه بها في ساحل البحر مما يلي بلاد البجاة وسار حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها الذهب وسار إلى حصونهم وقلاعهم ، وخرج إليه ملكهم واسمه علي بابا في جيش كثير أضعاف من مع القمي فكانت البجاة على الابل ، وهي إبل فره تشبه المهارى ، فتحاربوا أياماً ولم يصدقهم علي بابا القتال ليطول الأيام وتفنن أزواد المسلمين وغلوفاتهم فيأخذهم بغير حرب ، فأقبلت تلك المراكب التي فيها الأقوات في البحر ففرق القمي ما كان فيها في أصحابه فاتسعوا فيها ، فلما رأى علي بابا ذلك صدقهم القتال وجمع لهم فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، وكانت إبلهم ذعرة تنفر من كل شيء ، فلما

(١) في الطبري « البجة » .

رأى القمي ذلك جمع كل جرس في عسكره وجعلها في أعناق خيله ثم حملوا على البجاة فنفرت إبلهم لأصوات الأجراس فحملتهم على الجبال والادوية وتبعهم المسلمون قتلاً وأسراً حتى أدركهم الليل ، وذلك أول سنة احدى وأربعين ومائتين ، ثم رجع الى معسكره ولم يقدر على احصاء القتلى لكثرتهم ، ثم إن ملكهم علي بابا طلب الأمان فأمنه على أن يرد مملكته وبلاده فأدى إليهم الخراج للمدة التي كان منعها وهي أربع سنين وسار مع القمي إلى المتوكل واستخلف على مملكته ابنه فيعس^(١) ، فلما وصل الى المتوكل خلع عليه وعلى أصحابه وكسا جملة رجلاً مليحاً وجلال ديباج ، وولى المتوكل البجاة طريق مصر ما بين مصر ومكة سعداً الخادم الايتاخي فولى الايتاخي محمداً القمي فرجع إليها ومعه علي بابا وهو على دينه وكان معه صنم من حجارة كهيئة الصبي يسجد له .

ذكر عدة حوادث

وفيها مطر الناس بسامرا مطراً شديداً في آب ، وقيل فيها : إنه أنهى إلى المتوكل أن عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب خان عاصم ببغداد يشتم أبا بكر ، وعمر ، وعائشة ، وحفصة فكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر أن يضربه بالسياط فإذا مات رمى به في دجلة ففعل ذلك وألقي في دجلة ، وفيها وقع بها الصدام فنفتت الدواب والبقر ، وفيها أغارت الروم على عين زربة فأخذت من كان بها أسيراً من الرّط مع نسائهم ، وذرايرهم ، ودوابهم ، وفيها أكثر محمد صاحب الأندلس من الرجال بقلعة رباح وتلك النواحي ليقفوا على أهل طليطلة وسير الجيوش إلى غزو الفرنج مع موسى فدخلوا بلادهم ووصلوا إلى ألية والقلاع وافتتحوا بعض حصونها وعادوا ، ومات في هذه السنة يعقوب بن ابراهيم - المعروف بقوصيرة - صاحب بريد مصر والغرب ، وحج بالناس عبد الله بن محمد بن داود ، وحج جعفر بن دينار وهو والي الطريق واحداث الموسم ، وفيها كثر انقضااض النجوم فكانت كثيرة لا تحصى فبقيت ليلة من العشاء الآخرة إلى الصبح ، وفيها كانت بالري زلزلة شديدة هدمت المساكن ومات تحتها خلق كثير لا يحصون وبقيت

(١) في الطبري « لعيس » .

تتردد فيها أربعين يوماً، وفيها خرجت ريح من بلاد الترك فقتلت خلقاً كثيراً وكان يصيبهم بردها فيزكمون فبلغت سرخس ، ونيسابور ، وهمذان ، والري فانتهدت إلى حلوان ، وفيها توفي الامام أحمد بن حنبل الشيباني الفقيه المحدث في شهر ربيع الأول .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين

في هذه السنة كانت زلازل هائلة بقومس ورساتيقها في شعبان فتهدمت الدور وهلك تحت الهدم بشر كثير، قيل: كانت عدتهم خمسة وأربعين ألفاً وستة وتسعين نفساً وكان أكثر ذلك بالدامغان، وكان بالشام، وفارس، وخراسان في هذه السنة زلازل وأصوات منكرة، وكان باليمن مثل ذلك مع خسف، وفيها خرجت الروم من ناحية سميساط^(١) بعد خروج علي بن يحيى الأرمني من الصائفة حتى قاربوا آمد وخرجوا من الثغور الجزرية فانتهبوا وأسروا نحواً من عشرة آلاف، وكان دخولهم من ناحية أرين^(٢) - قرية قريباس - ثم رجعوا فخرج قريباس، وعمر بن عبد الله الأقطع، وقوم من المتطوعة في آثارهم فلم يلحقوهم، فكتب المتوكل إلى علي بن يحيى الأرمني أن يسير إلى بلادهم شاتياً، وفيها قتل المتوكل رجلاً عطاراً^(٣) وكان نصرانياً فأسلم فمكث مسلماً سنين كثيرة ثم ارتد واستتب فأبى الرجوع إلى الاسلام فقتل وأحرق، وفيها سیر محمد بن عبد الرحمن بالأندلس جيشاً إلى بلاد المشركين فدخلوا إلى برشلونة وحارب قلاعها وجازها إلى ما وراء أعمالها فغنموا كثيراً وافتتحوها حصناً من أعمال برشلونة يسمى طراجة وهو من آخر حصون برشلونة، وفيها مات أبو العباس محمد بن الأغلب أمير إفريقية عاشر المحرم كان عمره ستاً وثلاثين سنة وولي بعده ابنه أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب وقد ذكرنا ذلك

(١) في الطبري «شمشاط» وعلى ما هنا هي مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات.

(٢) في الطبري «بريق».

(٣) في الطبري «عطارداً رجلاً».

سنة ست وعشرين ومائتين ، وفيها مات أبو حسان الزيادي قاضي الشرقية ، ومات الحسن بن علي بن الجعد قاضي مدينة المنصور ، وحج بالناس عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الامام وهو على مكة ، وحج جعفر بن دينار على الطريق وأحداث الموسم ، وتوفي القاضي يحيى بن أكثم التميمي بالربذة عائداً من الحج ، ومحمد بن مقاتل الرازي ، وأبو حصين يحيى بن سليم الرازي المحدث .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين

وفي هذه السنة سار المتوكل الى دمشق في ذي القعدة على طريق الموصل فضحى بلد ، فقال يزيد بن محمد المهلبى :

أظن الشام تشمتُ بالعراقِ إذا عزمَ الإمامُ على انطلاقِ
فإن يدع العراق وساكنيه فقد تبلى المليحة بالطلاقِ

وفيهما مات إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول الصولي وكان أديباً شاعراً فولى ديوان الضياع الحسن بن مخلد بن الجراح خليفة إبراهيم ، ومات عاصم بن منجور ، وحج بالناس عبد الصمد بن موسى ، وحج جعفر بن دينار وهو والي الطريق وأحداث الموسم ، وفيها خرج أهل طليطلة بجمعهم إلى طُلبيرة وعليها مسعود بن عبد الله العريف فخرج إليهم فيمن معه من الجنود فلقبهم فقاتلهم فانهزم أهل طليطلة وقتل أكثرهم وحمل إلى قرطبة سبعمائة رأس ، وفيها توفي شهيد بن عيسى بن شهيد الأندلسي وكان من العلماء ، وفيها توفي يعقوب بن إسحاق بن يوسف المعروف بابن السكيب النحوي اللغوي ، وقيل : سنة أربع ، وقيل : خمس ، وقيل : ست وأربعين ، والحرث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله الزاهد وكان قد هجره الإمام أحمد بن حنبل لأجل الكلام فاخفى لتعصب العامة لأحمد فلم يصلّ عليه إلا أربعة نفر .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين

في هذه السنة دخل المتوكل مدينة دمشق في صفر وعزم على المقام بها ونقل دواوين الملك إليها وأمر بالبناء بها ثم استوبأ البلد ، وذلك بأن هواه باردٌ ندي والماء ثقیل والريح تهب فيها مع العصر فلا يزال يشتد حتى يمضي عامة الليل وهي كثيرة البراغيث وغلت فيها الأسعار وحال الثلج بين السابلة والميرة فرجع الى سامرا وكان مقامه بدمشق شهرين وأياماً ، فلما كان بها وجه بغا الكبير لغزو الروم فغزا الصائفة فافتتح صملة ، وفيها عقد المتوكل لأبي الساج على طريق مكة مكان جعفر بن دينار ، وقيل : عقد له سنة اثنتين وأربعين وهو الصواب ، وفيها أتى المتوكل بحربة كانت للنبي ﷺ تسمى العترة فكانت للنجاشي فأهداها للزبير بن العوام وأهداها الزبير للنبي ﷺ - وهي التي كانت تركز بين يدي النبي ﷺ في العيدين - فكان يحملها بين يديه صاحب الشرطة ، وفيها غضب المتوكل على بختيشوع الطبيب وقبض ماله ونفاه إلى البحرين ، وفيها اتفق عيد الأضحى والشعانين للنصارى وعيد الفطر لليهود في يوم واحد ، وحج بالناس فيها عبد الصمد بن موسى ، وفيها توفي اسحاق بن موسى بن عبدالله بن موسى الأنصاري ، وعلي بن حجر السعدي المروزي وهما امامان في الحديث ، ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، ومحمد بن عبدالله بن أبي عثمان بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية القاضي في جمادى الأولى (أسيد) بفتح الهمزة .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين

في هذه السنة أمر المتوكل ببناء الماخورة^(١) وسماها الجعفرية ، وأقطع القواد وأصحابه فيها وجداً في بنائها وأنفق عليها فيما قيل أكثر من ألفي ألف دينار ، وجمع فيها القراء فقرؤوا وحضرها أصحاب الملاهي فوهب أكثر من ألفي ألف درهم ، وكان يسميها هو وأصحابه المتوكلية ، وبنى فيها قصراً سماه لؤلؤة لم ير مثله في علوه ، وحفر لها نهراً يسقي ما حولها فقتل المتوكل فبطل حفر النهر وأخربت الجعفرية ، وفيها زلزلت بلاد المغرب فخربت الحصون ، والمنازل والقناطر ففرق المتوكل ثلاثة آلاف ألف درهم فيمن أصيب بمنزله ، وزلزل عسكر المهدي ، والمدائن ، وزلزلت أنطاكية فقتل بها خلق كثير فسقط منها ألف وخمسمائة دار وسقط من سورها نيف وتسعون برجاً وسمعوا أصواتاً هائلة لا يحسنون وصفها ، وتقطع جبلها الأقرع وسقط في البحر وهاج البحر ذلك اليوم وارتفع منه دخان أسود مظلم منتن ، وغار منها نهر على فرسخ لا يدرى أين ذهب ، وسمع أهل سبيس^(٢) فيما قيل صيحة دائمة هائلة فمات منها خلق كثير ، فترزلت ديار الجزيرة ، والثغور ، وطرسوس ، وأذنة ، وزلزلت الشام فلم يسلم من أهل اللاذقية إلا اليسير وهلك أهل جبلة ، وفيها غارت مسناة^(٣) عين مكة فبلغ ثمن القربة ثمانين درهماً فبعث المتوكل^(٤) مالا وأنفق

(١) في الطبري « الماخورة » وكذلك في المعجم والنجوم الزاهرة .

(٢) في النجوم الزاهرة « أهل أبلوس » .

(٣) في الطبري « مشاش » .

(٤) في الطبري « فبعث أم المتوكل » .

عليها ، وفيها مات اسحاق بن أبي اسرائيل ، وهلال الرازي ، وفيها هلك نجاح بن سلمة : وكان سبب هلاكه أنه كان على ديوان التوقيع وتتبع العمال ، وكان على الضياع فكان جميع العمال يتوقونه ويقضون حوائجه ولا يقدرّون على منعه من شيء يريد ، وكان المتوكل ربما نادمه ، وكان الحسن بن مخلد ، وموسى بن عبد الملك قد انقطعا إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل ؛ وكان الحسن على ديوان الضياع وموسى على ديوان الخراج ، فكتب نجاح بن سلمة فيهما رقعة إلى المتوكل أنهما خانا وقصرا وأنه يستخرج منهما أربعين ألف ألف ، فقال له المتوكل : بكر غداً حتى أدفعهما إليك فغدا وقد رتب أصحابه لأخذهما فلقية عبيد الله بن يحيى الوزير فقال له : أنا أشير عليك بمصالحتهما وتكتب رقعة أنك كنت شارباً وتكلمت ناسياً وأنا أصلح بينكما وأصلح الحال عند أمير المؤمنين ولم يزل يخدعه حتى كتب خطه بذلك ، فلما كتب خطه صرفه وأحضر الحسن ، وموسى وعرفهما الحال وأمرهما أن يكتبا في نجاح وأصحابه بألفي ألف دينار ففعلا ، وأخذ الرقعتين وأدخلهما على المتوكل وقال : قد رجع نجاح عما قال وهذه رقعة موسى ، والحسن يتقبلان بما كتبا فأخذ ما ضمنا عليه ثم تعطف عليهما فتأخذ منهما قريباً منه ، فسر المتوكل بذلك وأمر بدفعه إليهما فأخذهما وأولاده فأقروا بنحو مائة وأربعين ألف دينار سوى الغلات ، والغرس ، والضياع وغير ذلك فقبض ذلك أجمع وضرب ثم عصرت خصيته حتى مات ، وأقر أولاده بعد الضرب بسبعين ألف دينار سوى مالهما من ملك وغيره فأخذ الجميع وأخذ من وكلائه في جميع البلاد مال جزيل .

وفيها أغارت الروم على سميساط فقتلوا وسبوا وأسروا خلقاً كثيراً ، وغزا علي بن يحيى الأرمني الصائفة ومنع أهل لؤلؤة رئيسهم من الصعود إليها ثلاثين يوماً ، فبعث إليهم ملك الروم بطريقاً يضمن لكل رجل منهم ألف دينار على أن يسلموا إليه لؤلؤة ، فأصعدوا البطريق إليهم ثم أعطوا أرزاقهم الفائلة وما أرادوا فسلموا لؤلؤة والبطريق إلى بلكا جور فسيّره إلى المتوكل فبذل ملك الروم في فدائه ألف مسلم ، وحج بالناس محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الامام يعرف بالزيني وهو والي مكة ، وكان نيروز المتوكل الذي أرفق أهل الخراج بتأخير إياه عنهم لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ولسبع عشرة ليلة خلت

من حزيران ولثمان وعشرين من أردبیهشت^(١) ، فقال البحري :

إن يومَ النیروز عادَ إلى العهدِ الذي كان سنه أردشير

ذكر خروج الكفار بالأندلس إلى بلاد الاسلام

في هذه السنة خرج المجوس من بلاد الأندلس في مراكب الى بلاد الإسلام فأمر محمد بن عبد الرحمن صاحب بلاد الاسلام بإخراج العساكر إلى قتالهم ، فوصلت مراكب المجوس الى إشبيلية فحلت بالجزيرة ودخلت الحاضر إلى قتالهم وأحرقت المسجد الجامع ، ثم جازت إلى الغدوة فحلت بناكور ثم عادت إلى الأندلس فانهزم أهل تدمير ودخلوا حصن أريوالة ، ثم تقدموا الى حائط إفرنجة وأغاروا وأصابوا من النهب والسبي كثيراً ثم انصرفوا ، فلقيتهم مراكب محمد فقاتلوهم فأحرقوا مركبين من مراكب الكفار وأخذوا مركبين آخرين فغنموا ما فيهما ؛ فحمى الكفرة عند ذلك وجذوا في القتال فاستشهد جماعة من المسلمين ، ومضت مراكب المجوس حتى وصلت إلى مدينة بنبلونة فأصابوا صاحبها عرسة الفرنجي فافتدى نفسه منهم بتسعين ألف دينار ، وفيها غزا عامل طرسوسة إلى بنبلونة فافتتح حصن بيلسان وسبى أهله ثم كانت على المسلمين في اليوم الثاني وقعة استشهد فيها جماعة .

ذكر الحرب بين البربر وابن الأغلب بإفريقية

في هذه السنة كانت بين البربر ، وعسكر أبي ابراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب وقعة عظيمة في جمادى الآخرة ، وسببها أن بربر لهان امتنعوا على عامل طرابلس من أداء عشورهم وصدقاتهم وحاربوه فهزمه فقصده لبلده فحصنها وسار إلى طرابلس ، فسير إليه أحمد بن محمد الأمير جيشاً مع أخيه زيادة الله فانهزم البربر وقتل منهم خلق كثير ، وسير زيادة الله الخيل في آثارهم فقتل من أدرك منهم وأسر جماعة فضربت أعناقهم وأحرق ما كان في عسكرهم فأذعن البربر بعدها وأعطوا الرهن وأدوا طاعتهم .

(١) في الطبري « من اردبوهشت ماه » .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفي يعقوب بن إسحاق النحوي المعروف بابن السكيت ، وكان سبب موته أنه اتصل بالمتوكل فقال له : أيهما أحب إليك المعتز ، والمؤيد أو الحسن والحسين ؟ فتنقص ابنه وذكر الحسن ، والحسين عليهما السلام بما هما أهل له ، فأمر الأتراك فداسوا بطنه فحمل إلى داره فمات ، وفيها توفي ذو النون المصري في ذي القعدة ، وأبو تراب النخشي الصوفي نهشته السباع فمات بالبادية ، وأبو علي الحسين بن علي المعروف بالكرابيسي صاحب الشافعي ، وقيل : مات سنة ثمان وأربعين وسوار بن عبد الله القاضي العنبري وكان قد عمي .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين

وفيهما غزا عمرو بن عبد الله^(١) الأقطع الصائفة فأخرج سبعة عشر ألف^(٢) رأس ، وغزا قريباس وأخرج خمسة آلاف رأس ، وغزا الفضل بن قارن نحواً من عشرين مركباً فافتتح حصن أنطاكية ، وغزا بلكاجور فغنم وسبى ، وغزا علي بن يحيى الأرمني فأخرج خمسة آلاف رأس ومن الدواب ، والرمك ، والحمير نحواً من عشرة آلاف رأس ، وفيها تحول المتوكل الى الجعفرية ، وفيها كان الفداء في صفر على يد علي بن يحيى الأرمني ففودي بألفين وثلاثمائة وسبع وستين نفساً ، وفيها مطر أهل بغداد نيفاً وعشرين يوماً في شعبان ورمضان حتى نبت العشب فوق الأجاجير ، وصلى المتوكل صلاة الفطر بالجعفرية وورد الخبر أن سكة بناحية بلخ تعرف بسكة الدهاقين مطرت دماً عبيطاً ، وحج بالناس هذه السنة محمد بن سليمان الزينبي ، وضحى أهل سامرا يوم الاثنين على الرؤية وأهل مكة يوم الثلاثاء ، وفيها سار محمد بن عبد الرحمن صاحب الأندلس في جيوش عظيمة وأهبة كثيرة إلى بلد بنبلونة فوطىء بلادها ودوخها وخربها ونهبها وقتل فيها فأكثر وافتتح حصن فيروس ، وحصن فالحسن ، وحصن القشتل وأصاب فيه فرتون بن غرسية فحبسه بقرطبة عشرين سنة ثم أطلقه الى بلده وكان عمره لما مات ستاً وتسعين سنة ، وكان مقام محمد بأرض بنبلونة اثنين وثلاثين يوماً ، وفيها توفي دعبل^(٣) بن علي الخزاعي الشاعر وكان مولده سنة ثمان

(١) في الطبري « عمر بن عبدالله » بدون واو .

(٢) في الطبري « سبعة الاف رأس » .

(٣) دعبل - بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء الموحدة وبعده لام - وكان بارعاً في علم الشعر والعربية وصنف كتاباً في طبقات الشعراء وكان هجاء خبيث اللسان أطروشاً في قفاه سلعة هجا الرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق والأمير عبدالله بن طاهر ، وجماعة من الوزراء والكتاب .

وأربعين ومائة وكان يتشيع ، وفيها توفي السري بن معاذ الشيباني بالري وكان أميراً عليها
حسن السيرة من أهل الفضل ، وتوفي أحمد بن إبراهيم الدورقي ببغداد ، ومحمد بن
سليمان الأسدي الملقب بكُوَيْن .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين

ذكر مقتل المتوكل

وفي هذه السنة قتل المتوكل ، وكان سبب قتله أنه أمر بإنشاء الكتب بقبض ضياع وصيف بأصبهان والجبل وإقطاعها الفتح بن خاقان فكتبت وصارت الى الخاتم فبلغ ذلك وصيفاً . وكان المتوكل أراد أن يصلي بالناس أول جمعة في رمضان وشاع في الناس واجتمعوا لذلك وخرج بنو هاشم من بغداد لرفع القصص وكلامه إذا ركب ، فلما كان يوم الجمعة وأراد الركوب للصلاة قال له عبيد الله بن يحيى ، والفتح بن خاقان : إن الناس قد كثروا ، من أهل بيتك ومن غيرهم فبعض متظلم طالب حاجة وأمير المؤمنين يشكو ضيق الصدر وعلة به فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بعض ولاية العهود بالصلاة ونكون معه فليفعل فأمر المنتصر بالصلاة ، فلما نهض للركوب . قالوا له : يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تأمر المعتز بالصلاة فقد اجتمع الناس لتشرفه بذلك وقد بلغ الله به . وكان قد ولد للمعتز قبل ذلك ولد - فأمر المعتز فركب فصلى بالناس ، وأقام المنتصر في داره بالجعفرية فزاد ذلك في إغرائه ، فلما فرغ المعتز من خطبته قام إليه عبيد الله ، والفتح بن خاقان فقبلا يديه ورجليه ، فلما فرغ من الصلاة انصرف ومعه الناس في موكب الخلافة حتى دخل على أبيه فاثنوا عليه عنده فسر ذلك ، فلما كان عيد الفطر ، قال : مُرُّوا المنتصر يصلي بالناس ، فقال له عبيد الله : قد كان الناس يتطلعون إلى رؤية أمير المؤمنين واحتشدوا لذلك فلم يركب ولا يأمن ان هو لم يركب اليوم أن يرجف الناس بعلته ويتكلموا في أمره فإذا رأى أمير المؤمنين أن يُسر الأولياء ويكتب الأعداء بركوبه فليفعل ، فركب وقد صف له الناس نحو أربعة أميال وترجلوا بين يديه ، فصلى ورجع فأخذ حفة من التراب فوضعها على رأسه ، وقال : إني رأيت كثرة هذا الجمع ورأيتهم تحت يدي فأحببت أن أتواضع لله ، فلما كان اليوم الثالث افتصد واشتهى

لحم جزور فأكله وكان قد حضر عنده ابن الحفصي وغيره فأكلوا بين يديه ، قال : ولم يكن يوم أسراً من ذلك اليوم ودعا الندماء والمغنين فحضرُوا ، وأهدت له أم المعتز مطرف خَزْ أخضر لم يَرِ الناسُ مثله فنظر إليه فأطال وأكثر تعجبه منه وأمر فقطع نصفين وردّه عليها وقال لرسولها : والله إن نفسي لتحدثني أني لا ألبسه وما أحب أن يلبسه أحد بعدي ولهذا أمرت بشقه ، قال : فقلنا نعيذك بالله أن تقول مثل هذا . قال : وأخذ في الشرب واللهو ولهج بأن يقول : أنا والله مفارقكم عن قليل ولم يزل في لهوهِ وسروره إلى الليل ، وكان قد عزم هو والفتح أن يفتكا بكرة غدٍ بالمنتصر ، ووصيف ، وبُغا ، وغيرهم من قواد الأتراك ، وقد كان المنتصر واعد الأتراك ، ووصيفاً ، وغيره على قتل المتوكل ، وكثر عبث المتوكل قبل ذلك بيوم بابه المنتصر مرة يشتمه ومرة يسقيه فوق طاقته ، ومرة يأمر بصفعه ومرة يتهدده بالقتل ، ثم قال : للفتح برئت من الله ومن قرابتي من رسول الله ﷺ ان لم تلطمه - يعني المنتصر - فقام إليه فلطمه مرتين ، ثم أمر يده على قفاه ثم قال لمن حضره : اشهدوا علي جميعاً أني قد خلعت المستعجل - يعني المنتصر - ثم التفت إليه فقال : سميتك المنتصر فسماك الناس لحمقك المنتصر ثم صرت الآن المستعجل ، فقال المنتصر : لو أمرت بضرب عنقي كان أسهل عليّ مما تفعله بي فقال : اسقوه ثم أمر بالعشاء فأحضر وذلك في جوف الليل .

فخرج المنتصر من عنده وأمر باباً^(١) غلام أحمد بن يحيى أن يلحقه ، وأخذ بيد زراقة الحاجب ، وقال له : امض معي ، فقال : ان أمير المؤمنين لم يَنْم^(٢) ، فقال : إنه قد أخذ منه النبيذ والساعة يخرج بُغا ، والندماء ، وقد أحبيت أن تجعل أمر ولدك إليّ فإن أوتامش سألني أن أزوج ولده من ابنتك وابنتك من ابنته ، فقال : نحن عبيدك فمر بأمرك ، فسار معه إلى حجرة هناك وأكلا طعاماً فسمعا الضجة والصراخ فقاما وإذا بُغا قد لقي المنتصر فقال المنتصر : ما هذا ؟ فقال : خير يا أمير المؤمنين ، قال : ما تقول ويلك ؟ قال : أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين كان عبداً لله دعاه فأجابهُ ، فجلس المنتصر وأمر بباب البيت الذي قتل فيه المتوكل فأغلق وأغلقت الأبواب كلها ، وبعث إلى وصيف يأمره باحضار المعتز والمؤيد عن رسالة المتوكل .

(١) في الطبري « بنانا غلام » الخ

(٢) في الطبري « لم يقم » .

وأما كيفية قتل المتوكل فإنه لما خرج المنتصر دعا المتوكل بالمائدة وكان بُغا الصغير - المعروف بالشرابي - قائماً عند الستر ، وذلك اليوم كان نوبة بُغا الكبير وكان خليفته في الدار ابنه موسى - وموسى هذا هو ابن خالة المتوكل - وكان أبوه يومئذ بسميساط ، فدخل بغا الصغير الى المجلس فأمر الندماء بالانصراف الى حجرهم ، فقال له الفتح : ليس هذا وقت انصرافهم وأمير المؤمنين لم يرتفع ، فقال بُغا : إن أمير المؤمنين أمرني أنه إذا جاوز السبعة أن لا أترك أحداً وقد شرب أربعة عشر رطلاً ، وحرم أمير المؤمنين خلف الستارة فأخرجهم ولم يبق إلا الفتح ، وعثث ، وأربعة من خدمه الخاصة ، وأبو أحمد بن المتوكل - وهو أخو المؤيد لأمه - وكان بُغا الشرابي أغلق الأبواب كلها إلا باب الشط ومنه دخل القوم الذين قتلوه ، فبَصُرَ بهم أبو أحمد ، فقال : ما هذا يا سُقُل ؟ فإذا سيوف مسللة ، فلما سمع المتوكل صوت أبي أحمد رفع رأسه فرآهم ، فقال : ما هذا يا بُغا ؟ فقال : هؤلاء رجال النوبة ، فرجعوا إلى ورائهم عند كلامه ، ولم يكن واجن وأصحابه ، وولد وصيف حضروا معهم ، فقال لهم بُغا : يا سُقُل أنتم مقتولون لا محالة فموتوا كراماً فرجعوا ، فابتدره بَغْلُون فضربه على كتفه وأذنه فقده ، فقال : مهلاً قطع الله يدك وأراد الوثوب به واستقبله بيده فضربها فأبانها وشاركه باغر ، فقال الفتح : ويلكم أمير المؤمنين ورمى بنفسه على المتوكل فبعجوه بسيوفهم فصاح الموت وتنحى فقتلوه ، وكانوا قالوا لوصيف ليحضر معهم ، وقالوا : إنا نخاف ، فقال : لا بأس عليكم ، فقالوا له : أرسل معنا بعض ولدك فأرسل معهم خمسة من ولده : صالحاً ، وأحمد ، وعبد الله ، ونصراً ، وعبيد الله .

وقيل : أن القوم لما دخلوا نظر إليهم عثث ، فقال للمتوكل : قد فرغنا من الأسد ، والحيات ، والعقارب ، وصرنا إلى السيوف وذلك أنه ربما أسلى ^(١) الحية ، والعقرب ، والأسد ، فلما ذكر عثث السيوف ، قال : يا ويلك أي سيوف ؟ فما استتم كلامه حتى دخلوا عليه وقتلوه وقتلوا الفتح وخرجوا إلى المنتصر فسلموا عليه بالخلافة ، وقالوا : مات أمير المؤمنين ، وقاموا على رأس زرافة بالسيوف ، وقالوا : بايع فبايع ، وأرسل المنتصر إلى وصيف أن الفتح قد قتل أبي فقتلته فاحضر في وجوه

(١) في الطبري « أسلى » بالشين المعجمة .

أصحابك فحضر هو وأصحابه فبايعوا ، وكان عبيد الله بن يحيى في حجرته ينفذ الأمور ولا يعلم وبين يديه جعفر بن حامد ، فبينما هو كذلك إذ طلع عليه بعض الخدم ، فقال : ما يحبسك والدار سيف واحد؟ فأمر جعفراً بالنظر فخرج وعاد وأخبره أن المتوكل والفتح قتلا ، فخرج فيمن عنده من خدمه وخاصته فأخبر أن الأبواب مغلقة ، وأخذ نحو الشط فاذا أبوابه مغلقة فأمر بكسر ثلاثة أبواب وخرج الى الشط وركب في زورق فاتى منزل المعتز فسأل عنه فلم يصادفه ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون قتل نفسه وقتلني ، واجتمع الى عبيد الله أصحابه غداة يوم الأربعاء من الأبناء ، والعجم ، والأرمن ، والزواقل ، وغيرهم فكانوا زهاء عشرة آلاف ، وقيل : كانوا ثلاثة عشر ألفاً ، وقيل : ما بين خمسة آلاف إلى عشرة آلاف . فقالوا : ما اصطنعتنا إلا لهذا اليوم فمرنا بأمرك واذن لنا نميل على القوم ونقتل المنتصر ومن معه فأبى ذلك ، وقال : المعتز في أيديهم ، وذكر عن علي بن يحيى المنجم أنه قال : كنت أقرأ على المتوكل قبل قتله بأيام كتاباً من كتب الملاحم فوقفت على موضع فيه أن الخليفة العاشر يقتل في مجلسه فتوقفت عن قراءته ، فقال : ما لك ؟ فقلت : خير . قال : لا بد من أن تقرأه فقرأته وحدثت عن ذكر الخلفاء ، فقال : ليت شعري من هذا الشقي المقتول ؟ فقال أبو الوارث قاضي نصيبين رأيت في النوم آتياً أتاني وهو يقول :

يا نائم العين في جثمانٍ يقظانٍ ما بال عينك لا تبكي بتهتان
أما رأيت صُروفَ الدهرِ ما فعَلتُ بالهاشمي وبالفتح بن خاقان^(١)

فاتى البريد بعد أيام بقتلهما ، وكان قتله ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال ، وقيل : ليلة الخميس ، وكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام ، وكان مولده بقم الصلح في شوال سنة ست ومائتين وكان عمره نحو أربعين سنة ، وكان أسمر حسن العينين نحيفاً خفيف العارضين ، ورثاه الشعراء فأكثرُوا ومما قيل فيه قول علي بن الجهم :

(١) في الطبري ذكريناً ثالثاً آخر :

وسوف يتبعهم قوم لهم غدروا حتى يصيروا كأس الزاهب الفاني

عبيدُ أمير المؤمنين قَتَلْنَهُ وأعظمُ آفاتِ الملوكِ عبيدُها
بني هاشم صبراً فكل مصيبةٍ سَبَّيْلِي على وجه الزمانِ جديدها

ذكر بعض سيرته

ذكر أن أبا السمط^(١) مروان بن أبي الجنوب، قال: انشدت المتوكل شعراً ذكرت فيه الرافضة فعقد لي على البحرين واليمامة، وخلع علي أربع خلع، وخلع علي المنتصر، وأمر لي المتوكل بثلاثة آلاف دينار فنثرت علي، وأمر ابنه المنتصر وسعد الإيتاخي أن يلقطاهما لي ففعلا، والشعر الذي قلته:

للك الخليفة جعفر	للدين والدنيا سلامه
لکم تُراثُ محمدٍ	وبعدلکم تُشفى الظلامه ^(٢)
يرجو التُّراثُ بنو البنا	وما لهم فيها قُلامه
والصُّهرُ ليس بوارثٍ	والبنْتُ لا تَترُثُ الإمامه
ما للذينَ تنحلوا	ميراثکم إلا الندامه
أخذ الوراثة أهلها	فَعَلَامَ لومُکمُ علامه
لو كان حقُّکم لما ^(٣)	قامت على الناسِ القيامة
ليس التُّراثُ لغيرکم	لا والإله ولا كرامه
أصبحت بين محبِّکم	والمبغضين لکم علامه

ثم نثر علي بعد ذلك لشعر قلته في هذا المعنى عشرة آلاف درهم.

وقال يحيى بن أكثم: حضرت المتوكل فجرى بيني وبينه ذكر المأمون فقلت بتفضيله وتقريظه ووصف محاسنه وعلمه ومعرفته قولاً كثيراً لم يقع لموافقة من حضر^(٤)، فقال المتوكل: كيف كان يقول في القرآن؟ فقلت: كان يقول: ما مع القرآن حاجة إلى علم فرض، ولا مع السنة وحشة إلى فعل أحد، ولا مع البيان

(١) في الطبري «السمط» بالسین المهملة.

(٢) في الطبري «تُنْفَى الظلامه».

(٣) في الطبري: «لها».

(٤) في الطبري «واقفه بعض من حضر» وهو الظاهر.

والافهام حجة لتعلم ولا بعد الجحود للبرهان والحق إلا السيف لظهور الحجة ، فقال المتوكل : لم أرد منك ما ذهبت إليه ، فقال يحيى : القول المحاسن في المغيب فريضة على ذي نعمة ، قال : فَمَا كَانَ يَقُولُ خِلَالَ حَدِيثِهِ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَصِمَ بِاللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ يَقُولُ وَقَدْ أَنْسِيَتْهُ ؟ قَالَ : كَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي لَا يَحْصِيهَا غَيْرُكَ ، وَاسْتَغْفِرُكَ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي لَا يَحِيطُ بِهَا إِلَّا عَفْوُكَ . قَالَ : فَمَا كَانَ يَقُولُ إِذَا اسْتَحْسَنَ شَيْئاً أَوْ بُشِّرَ بِشَيْءٍ فَقَدْ نَسِيْنَاهُ ؟ قَالَ يحيى : كَانَ يَقُولُ إِذَا ذَكَرَ آيَاءَ اللَّهِ وَكَثْرَتَهَا وَتَعَدَادَ نِعَمِهِ : الْحَدِيثُ بِهَا فَرَضَ مِنَ اللَّهِ عَلَى أَهْلِهَا وَطَاعَةِ أَمْرِهِ فِيهَا وَشُكْرَ لَهُ عَلَيْهَا ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ الْآيَاءِ السَّابِغِ لِلنِّعْمَاءِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَمُسْتَوْجِبُهُ مِنْ مَحَامِدِهِ ، الْقَاضِيَةِ حَقَّهُ الْبَالِغَةَ شُكْرُهُ الْمَانِعَةِ غَيْرِهِ ، الْمَوْجِبَةِ مَزِيدِهِ عَلَى مَا لَا يَحْصِيهِ تَعْدَادُنَا وَلَا يَحِيطُ بِهِ ذِكْرُنَا مِنْ تَرَادُفِ مَنْنِهِ وَتَتَابَعِ فَضْلِهِ وَدَوَامِ طَوْلِهِ حَمْدٌ مِنْ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ وَالشُّرْكَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ : صَدَقْتَ هُوَ الْكَلَامُ بَعِينُهُ .

وقدم في هذه السنة محمد بن عبد الله بن طاهر من مكة في صفر فشكا ما ناله من الغم بما وقع من الخلاف في يوم النحر ، فأمر المتوكل بإنفاذ خريطة من الباب إلى أهل الموسم برؤية هلال ذي الحجة ، وأمر أن يقاد على المشعر الحرام وسائر المشاعر الشمع مكان الزيت والنفط ، وفيها ماتت أم المتوكل في شهر ربيع الآخر وصلى عليها المنتصر ودفنت عند المسجد الجامع وكان موتها قبل المتوكل بستة أشهر .

ذكر بيعة المنتصر

قد ذكرنا قتل المتوكل ومن بايع المنتصر أبا جعفر محمد بن جعفر المتوكل تلك الليلة ، فلما أصبح يوم الأربعاء حضر الناس الجعفرية من القواد ، والكتاب ، والوجوه ، والشاكرية ، والجند ، وغيرهم ، فقرأ عليهم أحمد بن الخصيب كتاباً يخبر فيه عن المنتصر أن الفتح بن خاقان قتل المتوكل فقتله به فبايع الناس وحضر عبيد الله بن يحيى بن خاقان فبايع وانصرف .

قيل : وذكر عن أبي عثمان سعيد الصغير أنه قال : لما كانت الليلة التي قتل

فيها المتوكل كنا في الدار مع المنتصر فكان كلما خرج الفتح خرج معه وإذا رجع قام لقيامه وإذا ركب أخذ بركابه وسوى عليه ثيابه في سرجه ، وكان اتصل بنا الخبر أن عبيد الله بن يحيى قد أعد قوماً في طريق المنتصر ليغتالوه عند انصرافه؛ وكان المتوكل قد اسمعه واحفظه ووثب عليه فانصرف غضبان وانصرفنا معه إلى داره ، وكان واعد الأتراك على قتل المتوكل إذا ثمل من النبيذ قال : فلم ألبث أن جاءني رسوله أن أحضر فقد جاءت رسل أمير المؤمنين إلى الأمير ليركب قال : فوقع في نفسي ما كنا سمعنا من اغتيال المنتصر فركبت في سلاح وعدة وجئت باب المنتصر فإذا هم يمجون وإذا واجن قد جاءه فأخبره أنهم قد فرغوا من المتوكل فركب فلحقته في بعض الطريق وأنا مرعوب فرأى ما بي فقال : ليس عليك بأس أمير المؤمنين قد شرق بقدر شربه فمات رحمه الله تعالى فشق علي ، ومضينا ومعنا أحمد بن الخصيب ، وجماعة من القواد حتى دخلنا القصر ووكل بالأبواب فقلت له : يا أمير المؤمنين لا ينبغي أن تفارقك مواليك في هذا الوقت ، قال : أجل وكن أنت خلف ظهري فأحطنا به وبإيعه من حضر ، وكل من جاء يوقف حتى جاء سعيد الكبير فأرسله خلف المؤيد وقال : امض أنت إلى المعتز حتى يحضر . فأرسلني فمضيت وأنا آيس من نفسي ومعني غلامان لي : فلما صرت إلى باب المعتز لم أجد به أحداً من الحرس والبوابين فصرت إلى الباب الكبير فدققته دقاً عنيفاً فأجبت بعد مدة : من أنت ؟ فقلت : رسول أمير المؤمنين المنتصر ، فمضى الرسول وابطأ وخفت وضائق علي الأرض ثم فتح الباب وخرج بيدون الخادم وأغلق الباب ثم سألني عن الخبر فأخبرته أن المتوكل شرق بكأس شربه فمات من ساعته وأن الناس قد اجتمعوا وبائعوا المنتصر وقد أرسلني لأحضر الأمير المعتز ليبيع ، فدخل ثم خرج فأدخلني على المعتز فقال لي : ويلك ما الخبر ؟ فأخبرته وعزيبته وقلت : تحضر وتكون في أول من يبيع وتأخذ بقلب أخيك ، فقال : حتى نصبح فما زلت به أنا وبيدون حتى ركب وصرنا وأنا أحدثه ، فسألني عن عبيد الله بن يحيى فقلت : هو يأخذ البيعة على الناس والفتح قد بايع فأيس ، وأتيننا باب الخير ففتح لنا وصرنا إلى المنتصر فلما رآه قربه وعانقه وعزاه وأخذ البيعة عليه . ثم وافى سعيد الكبير بالمؤيد ففعل به مثل ذلك ، فأصبح الناس وأمر المنتصر بدفن المتوكل ، والفتح .

ولما أصبح الناس شاع الخبر في الماخورة^(١) - وهي المدينة التي كان بناها المتوكل - وفي أهل سامرا بقتل المتوكل فتوافى الجند والشاكرية بباب العامة وبالجعفرية وغيرهم من الغوغاء والعامة وكثر الناس وتسامعوا وركب بعضهم بعضاً وتكلموا في أمر البيعة ، فخرج إليهم عتاب بن عتاب ، وقيل : زرافة فوعدهم عن أمير المؤمنين المنتصر فأسمعوه فدخل عليه فأعلمه ، فخرج المنتصر وبين يديه جماعة من المغاربة فصاح بهم ، وقال : خذوهم فدفعوهم إلى الأبواب فازدحم الناس وركب بعضهم بعضاً فنفروا وقد مات منهم ستة أنفس .

ذكر ولاية خفاجة بن سفيان صقلية وابنه محمد وغزواتهما

قد ذكرنا سنة ست وثلاثين ومائتين أن أمير صقلية العباس توفي سنة سبع وأربعين ، فلما توفي ولئ الناس عليهم ابنه عبد الله بن العباس وكتبوا إلى الأمير بإفريقية بذلك ، وأخرج عبد الله السرايا ففتح قلاعاً متعددة منها جبل أبي مالك ، وقلعة الأرمنين ، وقلعة المشارعة فبقي كذلك خمسة أشهر ، ووصل من إفريقية خفاجة بن سفيان أميراً على صقلية فوصل في جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين ومائتين ، فأول سرية أخرجها سرية فيها ولده محمود فقصد سَرْقُوسَةَ^(٢) فغنم وخرب وأحرق وخرجوا إليه فقاتلهم فظفر وعاد فاستأمن إليه أهل رغوس .

وقد جاء سنة اثنتين وخمسين أن أهل رغوس استأمنوا فيها على ما نذكره ولا نعلم أهذا اختلاف من المؤرخين أم هما غزاتان ويكون أهلها قد غدروا بعد هذه الدفعة والله أعلم .

وفي سنة خمسين ومائتين فتحت مدينة نوطس ، وسبب ذلك أن بعض أهلها أخبر المسلمين بموضع دخلوا منه إلى البلد في المحرم فغنموا منها أموالاً جليلاً ثم فتحوا شُكْلَةَ بعد حصار .

وفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين سار خفاجة الى سَرْقُوسَةَ ثم إلى جبل النار

(١) في الطبري : في الماخورة .

(٢) أكبر مدينة بجزيرة صقلية .

فأتاه رسل أهل طبرمين^(١) يطلبون الأمان فأرسل إليهم امرأته وولده في ذلك فتم الأمر ثم غدروا فأرسل خفاجة محمداً في جيش إليها ففتحها وسبى أهلها، وفيها أيضاً سار خفاجة إلى رغوس فطلب أهلها الأمان ليطلق رجل من أهلها بأموالهم ودوابهم ويغني الباقي ففعل وأخذ جميع ما في الحصن من مال ورقيق ودواب وغير ذلك، وهادنه أهل الغيران وغيرهم وافتتح حصوناً كثيرة ثم مرض فعاد إلى بلرم^(٢).

وفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين سار خفاجة من بلرم إلى مدينة سرقوسة ، وقطانية^(٣) وخرب بلادها وأهلك زروعها وعاد ، وسارت سراياه إلى أرض صقلية فغنموا غنائم كثيرة .

وفي سنة أربع وخمسين ومائتين سار خفاجة في العشرين من ربيع الأول وسير ابنه محمداً على الحراقات وسير سرية إلى سرقوسة فغنموا ، وأتاهم الذخيرة أن بطريقاً قد سار من القسطنطينية في جمع كثير فوصل إلى صقلية فلقه جمع من المسلمين فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة ، ورحل خفاجة إلى سرقوسة فأفسد زرعها وغنم منها وعاد إلى بلرم ، وسير ابنه محمداً في البحر مستهل رجب إلى مدينة غيطة فحصرها وبث العساكر في نواحيها وشحن مراكبه بالغنائم وانصرف إلى بلرم في شوال .

وفي سنة خمس وخمسين ومائتين سير خفاجة ابنه محمداً إلى مدينة طبرمين وهي من أحسن مدن صقلية فسار في صفر إليهما ، وكان قد أتاهم من وعدهم أن يدخلهم إليها من طريق يعرفه فسيده مع ولده ، فلما قربوا منها تأخر محمد وتقدم بعض عسكره رجاله مع الدليل فأدخلهم المدينة وملكوا بابها وسورها وشرعوا في السبي والغنائم ، وتأخر محمد بن خفاجة فيمن معه من العسكر عن الوقت الذي وعدهم أنه يأتيهم فيه ، فلما تأخر عنهم ظنوا أن العدو قد أوقع بهم فمنعهم من السبي فخرجوا عنها منهزمين ، ووصل محمد إلى باب المدينة ومن معه من العسكر فرأى المسلمين قد خرجوا منها فعاد راجعاً ، وفيها في ربيع الأول خرج خفاجة وسار إلى

(١) طبرمين : قلعة بصقلية حصينة .

(٢) بلرم : أعظم مدينة في جزيرة صقلية في بحر المغرب على شاطئ البحر .

(٣) في معجم البلدان قطانة : مدينة بجزيرة صقلية بها شهداء في مقبرة شرقها .

مرسة وسير ابنه في جماعة كثيرة إلى سرقوسة فلقيه العدو في جمع كثير فاقتتلوا فوهن المسلمون وقتل منهم ورجعوا إلى خفاجة ، فسار إلى سرقوسة فحصرها وأقام عليها وضيق على أهلها وأفسد بلادها وأهلك زرعهم ، وعاد عنها يريد بَلْرَم فتزل بوادي الطين وسار منه ليلاً فاغتاله رجل من عسكره فطعنه طعنة فقتله وذلك مستهل رجب وهرب الذي قتله إلى سرقوسة وحمل خفاجة إلى بَلْرَم فدفن بها . وولى الناس عليهم بعده ابنه محمداً وكتبوا بذلك إلى الأمير محمد بن أحمد أمير إفريقية فأقره على الولاية وسير له العهد والخلع .

ذكر ولاية ابنه محمد

لما قتل خفاجة استعمل الناس ابنه محمداً وأقره محمد بن الأغلب أحمد بن الأغلب صاحب القيروان على ولايته ، فسير جيشاً في سنة ست وخمسين ومائتين إلى مالطة وكان الروم يحاصرونها فلما سمع الروم بمسيرهم رحلوا عنها ، وفي سنة سبع وخمسين ومائتين في رجب قتل الأمير محمد ، قتله خدمه الخصيان وهربوا فطلبهم الناس فأدركوهم فقتلوهم .

ذكر عدة حوادث

وفيهما ولي المنتصر أبا عمرة أحمد بن سعيد مولى بني هاشم بعد البيعة له بيوم المظالم فقال الشاعر :

يا ضيعة الاسلام لما ولي مظالم الناس أبو عمرة
صير مأموناً على أمة وليس مأموناً على بعة

وحج بالناس محمد بن سليمان الزيني ؛ واستعمل على دمشق عيسى بن محمد النوشري ، وفيها سار جيش للمسلمين بالأندلس الى مدينة برشلونة وهي للفرنج فأوقعوا بأهلها فراسل صاحبها ملك الفرنج يستمده فأرسل إليه جيشاً كثيفاً ، وأرسل المسلمون يستمدون فأتاهم المدد فنازلوا برشلونة وقاتلوا قتلاً شديداً فملكوا أرباضها وبرجين من أبراج المدينة فقتل من المشركين بها خلق كثير وسلم المسلمون وعادوا وقد غنموا ، وفيها توفي أبو عثمان بكر بن محمد المازني النحوي الإمام في العربية .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين ذكر غزاة وصيف الروم

في هذه السنة أغزى المنتصر وصيفاً التركي إلى بلاد الروم .

وكان سبب ذلك أنه كان بينه وبين أحمد بن الخصيب شحنا وتباغض فحرض أحمد بن الخصيب المنتصر على وصيف وأشار عليه بإخراجه من عسكره للغزاة ، فأمر المنتصر بإحضار وصيف فلما حضر قال له : قد أتانا عن طاغية الروم أنه أقبل يريد الثغر وهذا أمر لا يمكن الإمساك عنه ولست آمنه أن يهلك كل ما مرّ به من بلاد الإسلام ويقتل ويسبي فإما شخصت أنت وإما شخصت أنا . فقال : بل أشخص أنا يا أمير المؤمنين ، فقال لأحمد بن الخصيب : انظر الى ما يحتاج إليه وصيف فأتته له فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : ما نعم ؟ قم الساعة ، وقال لوصيف : مرّ كاتبك أن يوافقه على ما يحتاج إليه ويلزمه حتى يفرغ منه ، فقاما ولم يزل أحمد بن الخصيب في جهازه حتى خرج وانتخب له الرجال فكان معه اثنا عشر ألف رجل ، وكان على مقدمته مزاحم بن خاقان أخو الفتح ، وكتب المنتصر إلى محمد بن عبدالله بن طاهر ببغداد يعلمه ذلك ويأمره أن يتدب الناس إلى الغزاة ويرغبهم فيها ، وأمر وصيفاً أن يوافي ثغر ملطية ، وجعل على نفقات العسكر ، والمغانم ، والمقام أبا الوليد الحريري^(١) البجلي ولما سار وصيف كتب إليه المنتصر يأمره بالمقام بالثغر أربع سنين يغزو في أوقات الغزو منها إلى أن يأتيه رأيه .

ذكر خلع المعترز والمؤيد

وفي هذه السنة خُلِعَ المعترز ، والمؤيد ابنا المتوكل من ولاية العهد .

(١) في الطبري « الجري » بالميم .

وكان سبب خلعهما أن المنتصر لما استقامت له الأمور قال أحمد بن الخصيب لوصيف ، وبُغَا : إِنَّا لَا نَأْمَنُ الْحَدِثَانِ وَأَنْ يَمُوتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَيَلِيَّ الْمُعْتَزَ الْخِلَافَةَ فَيُبِيدُ خَضِرَاءَنَا وَلَا يَبْقَى مِنَّا بَاقِيَةٌ وَالْآنَ الرَّأْيُ أَنْ نَعْمَلَ فِي خَلْعِ الْمُعْتَزِ وَالْمُؤَيَّدِ ، فَجَدَّ الْأَتْرَافُ فِي ذَلِكَ وَالْحَوَا عَلَى الْمُنْتَصِرِ وَقَالُوا : نَخْلَعُهُمَا مِنَ الْخِلَافَةِ وَنَبَايَعُ لَابْنَكَ عَبْدَ الْوَهَّابِ فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَجَابَهُمْ ، وَأَحْضَرَ الْمُعْتَزَ ، وَالْمُؤَيَّدَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ خِلَافَتِهِ وَجَعَلَا فِي دَارٍ فَقَالَ الْمُعْتَزُ لِلْمُؤَيَّدِ : يَا أَخِي قَدْ أَحْضَرْنَا لِلْخَلْعِ فَقَالَ : لَا أَظُنُّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتِ الرِّسْلُ بِالْخَلْعِ فَقَالَ الْمُؤَيَّدُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَقَالَ الْمُعْتَزُ : مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ فَإِنْ أَرَدْتُمْ الْقَتْلَ فَشَأْنُكُمْ فَأَعْلَمُوا الْمُنْتَصِرَ ثُمَّ عَادُوا بِغِلْظَةٍ وَشِدَّةٍ وَأَخَذُوا الْمُعْتَزَ بِعُنْفٍ وَأَدْخَلُوهُ بَيْتًا وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَلَمَّا رَأَى الْمُؤَيَّدُ ذَلِكَ قَالَ لَهُمْ بِجَرَاءَةٍ وَاسْتِطَالَةٍ : مَا هَذَا يَا كِلَابَ ؟ قَدْ ضَرَيْتُمْ عَلَى دِمَائِنَا تَثْبُونُ عَلَى مَوْلَاكُمْ هَذَا الْوُثُوبُ دَعُونِي وَإِيَّاهُ حَتَّى أَكَلِمَهُ فَسَكْتُوا عَنْهُ وَأَذْنُوا لَهُ فِي الْاجْتِمَاعِ بِهِ بَعْدَ إِذْنٍ مِنَ الْمُنْتَصِرِ بِذَلِكَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْمُؤَيَّدُ وَقَالَ : يَا جَاهِلُ تَرَاهُمْ نَالُوا مِنْ أَبِيكَ وَهُوَ هُوَ مَا نَالُوا ثُمَّ تَمَتَّعَ عَلَيْهِمْ أَخْلَعُ وَبِكَ لَا تَرَاغِبُ عَنْهُ فَقَالَ : وَكَيْفَ أَخْلَعُ وَقَدْ جَرَى فِي الْأَفَاقِ فَقَالَ : هَذَا الْأَمْرُ قَتْلُ أَبَاكَ وَهُوَ يَقْتُلُكَ وَإِنْ كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ أَنْ تَلِيَّ لَتَلِيَنَّ فَقَالَ : أَفْعَلُ فَخَرَجَ الْمُؤَيَّدُ وَقَالَ : قَدْ أَجَابَ إِلَى الْخَلْعِ ، فَمَضُوا وَأَعْلَمُوا الْمُنْتَصِرَ وَعَادُوا فَشَكَرُوهُ وَمَعَهُمْ كَاتِبٌ فَجَلَسَ وَقَالَ لِلْمُعْتَزِ : اكْتُبْ بِخَطِّكَ خَلْعَكَ فَامْتَنِعْ فَقَالَ الْمُؤَيَّدُ لِلْكَاتِبِ : هَاتِ قُرْطَاسَكَ امْلِكْ عَلَيَّ مَا شِئْتُ فَأَمْلِى عَلَيْهِ كِتَابًا إِلَى الْمُنْتَصِرِ يَعْلَمُهُ فِيهِ ضَعْفُهُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَأَنْ لَا يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَتَقَلَّدَهُ وَكَرِهَ أَنْ يَأْتِمَّ الْمُتَوَكِّلُ بِسَبَبِهِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مَوْضِعًا لَهُ وَيَسْأَلُهُ الْخَلْعُ وَيَعْلَمُهُ أَنَّهُ قَدْ خَلَعَ نَفْسَهُ وَأَحْلَى النَّاسَ مِنْ بَيْعَتِهِ فَكُتِبَ ذَلِكَ ، وَقَالَ لِلْمُعْتَزِ : اكْتُبْ فَأَبَى ، فَقَالَ : اكْتُبْ وَبِكَ فَكُتِبَ وَخَرَجَ الْكَاتِبُ عَنْهُمَا ثُمَّ دَعَاهُمَا الْمُنْتَصِرُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَجْلَسَهُمَا وَقَالَ : هَذَا كِتَابُكُمَا ؟ فَقَالَا : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَهُمَا وَالْأَتْرَافُ وَقُوفٌ : أَتَرَانِي خَلَعْتُكُمَا طَمَعًا فِي أَنْ أَعِيشَ حَتَّى يَكْبُرَ وَلَدِي وَأَبَايَعُ لَهُ وَاللَّهِ مَا طَمَعْتُ فِي ذَلِكَ سَاعَةً قَطُّ وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لِي فِي ذَلِكَ طَمَعٌ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَلِيَهَا بَنُو أَبِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَلِيَهَا بَنُو عَمِّي وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ - وَأَوْمَأَ إِلَى سَائِرِ الْمَوَالِي مِنْهُمْ هُوَ قَائِمٌ عِنْدَهُ وَقَاعِدٌ - أَلْحُوا عَلَيَّ فِي خَلْعِكُمَا فَخَفْتُ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ أَنْ يَعْتَرِضَكُمَا بَعْضُهُمْ بِحَدِيدَةٍ فَيَأْتِي عَلَيْكُمَا فَمَا تَرِيَانِي صَانِعًا إِذْنًا أَقْتُلُهُ فَوَاللَّهِ مَا تَفِي دِمَائِهِمْ كُلَّهُمْ بِدَمِ بَعْضِكُمْ فَكَانَتْ أَجَابَتُهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا أَسْهَلَ عَلَيَّ فَقَبِلَ يَدَهُ وَضَمَّهُمَا ، ثُمَّ إِنَّهُمَا أَشْهَدَا

على أنفسهما القضاة ، وبني هاشم ، والقواد ووجوه الناس ، وغيرهم بالخلع ، وكتب بذلك المنتصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر وإلى غيرهم .

ذكر موت المنتصر

في هذه السنة توفي المنتصر في يوم الأحد لخمس خلون من ربيع الآخر ، وقيل : يوم السبت ، وكنيته أبو جعفر بن المتوكل على الله ، وقيل : كنيته أبو العباس ، وقيل : أبو عبد الله ، وكانت علته الذبيحة في حلقة أخذته يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الأول ، وقيل : كانت علته من ورم في معدته ثم صعد إلى فؤاده فمات وكانت علته ثلاثة أيام ، وقيل : إنه وجد حرارة فدعا بعض أطبائه ففصده بمبضع مسموم فمات منه وانصرف إلى منزله وقد وجد حرارة فدعا تلميذاً ليفصده ووضع مباضعه بين يديه ليستخير أجودها فاختار ذلك المبضع المسموم وقد نسيه الطبيب ففصده به فلما فرغ نظر إليه فعرفه فأيقن بالهلاك ووصى من ساعته .

وقيل : إنه كان وجد في رأسه علة فقطر ابن الطيفوري في أذنه دهناً فورم رأسه فمات ، وقيل : بل سمّه ابن الطيفوري في محاجمه فمات ؛ وقيل كان كثير من الناس حين أفضت الخلافة إليه إلى أن مات يقولون : إنما مدة حياته ستة أشهر مدة شيرويه بن كسرى قاتل أبيه يقوله الخاصة والعامة .

وقيل : إن المنتصر كان نائماً في بعض الأيام فانتبه وهو يبكي وينتحب فسمعه عبد الله بن عمر البازيار فأتاه فسأله عن سبب بكائه فقال : كنت نائماً فرأيت فيما يرى النائم كأن المتوكل قد جاءني فقال : ويحك يا محمد قتلتنى وظلمتنى وغبتننى خلافتي والله لا تمتعت بها بعدي إلا أياماً يسيرة ثم مصيرك إلى النار فقال عبد الله : هذه رؤيا وهي تصدق وتكذب بل يعمرك الله ويسرك ادع بالنبذ وخذ في الله ولا تعبأ بها ففعل ذلك ولم يزل منكسراً إلى أن توفي .

قال بعضهم : وذكر ان المنتصر كان شاور في قتل أبيه جماعة من الفقهاء وأعلمهم بمذاهبه وحكى عنه أموراً قبيحة كرهت ذكرها فاشاروا بقتله فكان كما ذكرنا بعضه ، وكان عمره خمساً وعشرين سنة وستة أشهر ، وقيل : أربعاً وعشرين سنة ، وكانت خلافته ستة أشهر ويومين ، وقيل : كانت ستة أشهر سواء ، وكانت وفاته بسامرا

فلما حضرته الوفاة أنشد .

وما^(١) فرحت نفسي بدنيا اخذتها ولكن إلى الرب الكريم أصير

وصلى عليه أحمد بن محمد المعتصم بسامرا وبها كان مولده وكان أعين أفنى قصيراً مهياً ، وهو أول خليفة من بني العباس عرف قبره وذلك أن أمه طلبت إظهار قبره وكانت أمه أم ولد رومية^(٢) .

ذكر بعض سيرته

كان المنتصر عظيم الحلم ، راجح العقل ، غزير المعروف ، راغباً في الخير ، جواداً ، كثير الإنصاف ، حسن العشرة ، وأمر الناس بزيارة قبر علي ، والحسين عليهما السلام ، وآمن العلويين وكانوا خائفين أيام أبيه وأطلق وقوفهم ، وأمر برد فذك إلى ولد الحسين والحسن ابني علي بن أبي طالب عليه السلام .

وذكر ان المنتصر لما ولي الخلافة كان أول ما أحدث أن عزل صالح بن علي عن المدينة واستعمل عليها علي بن الحسن^(٣) بن اسماعيل بن العباس بن محمد ، قال علي : فلما دخلت أودعه قال لي : يا علي اني أوجهك إلى لحمي ودمي ومد ساعده . وقال : إلى هذا أوجه بك فانظر كيف تكون للقوم وكيف تعاملهم - يعني إلى آل أبي طالب - فقال : أرجو أن امثل أمر أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى . فقال : إذا تسعد عندي ، ومن كلامه : والله ما عزّ ذو باطل ولو طلع القمر من جبينه ، ولا ذل ذو حق ولو اتفق العالم عليه .

ذكر خلافة المستعين

وفي هذه السنة بويع أحمد بن محمد بن المعتصم بالخلافة ، وكان سبب ذلك أن المنتصر لما توفي اجتمع الموالي على الهارونية من الغد وفيها بُغا الكبير ، وبُغا الصغير ، وأتامش وغيرهم فاستحلفوا قواد الأتراك ، والمغاربة ، والأشروسنية على أن يرضوا بمن رضي به بُغا الكبير ، وبُغا الصغير ، وأتامش وذلك بتدبير أحمد بن

(١) في الطبري « فما » .

(٢) واسمها حبشية .

(٣) في الطبري « الحسين »

الخصيب ، فحلفوا وتشاوروا ، وكرهوا أن يتولى الخلافة أحد من ولد المتوكل لثلاثي غتالهم ، وأجمعوا على أحمد بن محمد بن المعتصم ، وقالوا : لا تخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم فبايعوه ليلة الاثنين لست خلون من ربيع الآخر وهو ابن ثمان وعشرين سنة ويكنى أبا العباس ، فاستكتب أحمد بن الخصيب واستوزر أتامش ، فلما كان يوم الاثنين سار المستعين إلى دار العامة في زي الخلافة وحمل ابراهيم بن إسحاق بين يديه الحربة ، وصفّ واجن الأشروسني أصحابه صفين وقام هو وعدة من وجوه أصحابه ، وحضر الدار أصحاب المراتب من العباسيين والطلبين وغيرهم ، فبيناهم كذلك إذ جاءت صيحة من ناحية الشارع والسوق وإذا نحو من خمسين فارساً ذكروا أنهم من أصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر ومعهم غيرهم من أخلاط الناس والغوغاء والسوقة فشهروا السلاح وصاحوا نفيراً^(١) يا منصور وشدوا على أصحاب الأشروسني فتضعضعوا وانضم بعضهم إلى بعض ، وتحرك من على باب العامة من المبيضة ، والشاكرية وكثروا فحمل عليهم المغاربة وبعض الأشروسنية فهزموهم حتى أدخلوهم درب زرافة ، ثم نشبت الحرب بينهم فقتل جماعة ، وانصرف الأتراك بعد ثلاث ساعات وقد بايعوا المستعين هم ومن حضر من الهاشميين وغيرهم ، ودخل الغوغاء والمنتبهة دار العامة فانتهبوا الخزانة التي فيها السلاح ، والدروع ، والجواشن ، والسيوف ، والتروس ، وغير ذلك ، وكان الذين نهبوا ذلك الغوغاء ، وأصحاب الحمامات ، وغلمان أصحاب الباقل ، وأصحاب الفقاع فأتاهم بغا الكبير^(٢) في جماعة فأجلوهم عن الخزانة وقتلوا منهم عدة وكثر القتل من الفريقين ، وتحرك أهل السجن بسامرا وهرب منهم جماعة ، ثم وضع العطاء على البيعة ، وبعث بكتاب البيعة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر فبايع له هو والناس ببغداد ، ذكر ابن مسكويه في كتاب تجارب الأمم أن المستعين أخو المتوكل لأبيه وليس هو كذلك إنما هو ولد أخيه محمد بن المعتصم ، والله أعلم .

ذكر عدة حوادث

وفيها ورد على المستعين وفاة طاهر بن عبد الله بن طاهر بخراسان في رجب فعقد

(١) في الطبري « معتر » .

(٢) في الطبري « بغا الصغير » .

المستعين لابنه محمد بن طاهر على خراسان ولمحمد بن عبد الله بن طاهر على العراق وجعل إليه الحرمين ، والشرطة ، ومعاون السواد وأفرده به ، وفيها مات بُغا الكبير ففقد لابنه موسى على أعمال أبيه كلها وولي ديوان البريد ، وفيها وجه أبو جور^(١) التركي إلى أبي العمود الثعلبي فقتله بكفرتوئي لخمس بقين من ربيع الآخر ، وفيها خرج عبيد الله بن يحيى بن خاقان الى الحج فوجه خلفه رسول ينفية إلى برقة ويمنعه من الحج ، وفيها ابتاع المستعين من المعتز والمؤيد جميع مالهما وأشهدا عليهما القضاة والفقهاء وكان الشراء باسم الحسن بن المخلد للمستعين وترك للمعتز ما يتحصل منه في السنة عشرون ألف دينار ، وللمؤيد ما يتحصل منه في السنة خمسة آلاف دينار وجعلا في حجرة في الجوسق ووكل بهما وكان الأتراك حين شغب الغوغاء أرادوا قتلهم فمنعهم أحمد بن الخصيب وقال : لا ذنب لهما ولكن احبسوهما فحبسوهما ، وفيها غضب الموالي على أحمد بن الخصيب في جمادى الآخرة^(٢) واستصفى ماله ومال ولده ونفي إلى أقرطش^(٣) ، وفيها صرف علي بن يحيى الأرمني عن الثغور الشامية وعقد له على أرمينية ، وأذربيجان في شهر رمضان ، وفيها شغب أهل حمص على كيدر عاملهم فأخرجوه فوجه إليهم المستعين الفضل بن قارن فأخذهم فقتل منهم خلقاً كثيراً وحمل منهم مائة من أعيانهم إلى سامرا ، وفيها غزا الصائفة وصيف وكان مقيماً بالثغر الشامي فدخل بلاد الروم فافتتح حصن فرورية ، وفيها عقد المستعين لأتامش على مصر، والمغرب واتخذ وزيراً ، وفيها عقد لبغا الشرايبي على حلوان، وما سبذان، ومهرجان قذق، وجعل المستعين شاهك الخادم على داره، وكراعه، وحرمه، وحراسه^(٤) ، وخاص أموره وقدمه وأتامش على جميع الناس ، وحج بالناس هذه السنة محمد بن سليمان الزيني ، وفيها حكم محمد بن عمرو أيام المنتصر وخرج بناحية الموصل خارجي فوجه إليه المنتصر إسحاق بن ثابت الفرغاني فأسره مع عدة من أصحابه فقتلوا وصلبوا ، وفيها تحرك يعقوب بن الليث الصفار من سجستان نحو هراة ،

(١) في الطبري « انوجور » .

(٢) في الطبري « في جمادى الأولى » .

(٣) بفتح الهمزة وسكون القاف وكسر الراء وياء ساكنة وطاء مكسورة وشين معجمة اسم جزيرة في بحر المغرب يقابلها من بر افريقية لوبيا .

(٤) في الطبري « وخزائنه » .

وفيهما توفي عبد الرحمن بن عدويه أبو محمد الرافعي الزاهد وكان مستجاب الدعوة - وهو من أهل إفريقية - وفيها سارت سرية في الأندلس إلى ذي تروجة وكان المشركون قد تناولوا إلى ذلك الجانب فلقيتهم السرية فأصابوا من المشركين وقتلوا كثيراً منهم ، وفيها كان بصقلية سرايا للمسلمين فغنمت وعادت ولم يكن حرب بينهم تذكر ، وفيها توفي أبو كريب محمد بن العلاء الكوفي في جمادى الآخرة - وكان من مشايخ البخاري ومسلم ، ومحمد بن حميد الرازي المحدث .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين ذكر غزو الروم وقتل علي بن يحيى الأرمني

في هذه السنة غزا جعفر بن دينار الصائفة فافتتح حصناً ومطامير ، واستأذنه عمر بن عبيد الله الأقطع في المسير الى بلاد الروم فأذن له فسار في خلق كثير من أهل مَلْطِيَّة فلقيه الملك في جمع عظيم من الروم بمرج الأسقف فحاربه محاربة شديدة قتل فيها من الفريقين خلق كثير ، ثم أحاطت به الروم - وهم خمسون ألفاً - وقتل عمر وممن معه ألفان من المسلمين في منتصف رجب ، فلما قتل عمر بن عبيد الله خرج الروم إلى الثغور الجزرية وكتبوا عليها وعلى أموال المسلمين وحرهم ، فبلغ ذلك علي بن يحيى وهو قافل من أرمينية إلى مَيَّافَرَقِينَ في جماعة من أهلها ومن أهل السلسلة فنفر إليهم فقتل في نحو من أربعمئة رجل وذلك في شهر رمضان .

ذكر الفتنة ببغداد

وفيها شغب الجند ، والساكرية ببغداد .

وكان سبب ذلك أن الخبر لما اتصل بهم وبسامرا وما قرب منها بقتل عمر بن عبيد الله ، وعلي بن يحيى وكانا من شجعان الاسلام شديداً بأسههما عظيماً عناؤهما عن المسلمين في الثغور ، شق ذلك عليهم مع قرب مقتل أحدهما من الآخر وما لحقهم من استعظامهم قتل الأتراك للمتوكل واستيلائهم على أمور المسلمين يقتلون من يريدون من الخلفاء ويستخلفون من أحبوا من غير ديانة ولا نظر للمسلمين ، فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير وانضم إليها الأبناء ، والساكرية تظهر أنها تطلب الأرزاق ، وكان ذلك أول صفر - ففتحوا السجون وأخرجوا من فيها وأحرقوا أحد الجسرين وقطعوا الآخر وانتهبوا دار بشر ، وإبراهيم ابني هارون كاتب محمد بن عبد الله ، ثم أخرج أهل اليسار

من بغداد وسامرا أموالاً كثيرة ففرقوها فيمن نهض إلى الثغور ، وأقبلت العامة من نواحي الجبال وفارس والاهواز وغيرها لغزو الروم فلم يأمر الخليفة في ذلك بشيء ولا يوجه عسكره .

ذكر الفتنة بسامرا

وفيهما في ربيع الأول وثب نفر من الناس لا يدري من هم بسامرا ففتحوا السجن وأخرجوا من فيه فبعث في طلبهم جماعة من الموالي فوثب العامة بهم فهزموهم ، فركب بَغَا وأتامش ، ووصيف ، وعامة الأتراك فقتلوا من العامة جماعة ، فُرْمِي وصيف بحجر فأمر بإحراق ذلك المكان وانتهب المغاربة ثم سكن ذلك آخر النهار .

ذكر قتل أتامش

في هذه السنة قتل أتامش وكاتبه شجاع .

وكان سبب ذلك أن المستعين أطلق يد والدته ، ويد أتامش ، وشاهك الخادم في بيوت الأموال وأباحهم فعل ما أرادوا ، فكانت الأموال التي ترد من الآفاق يصير معظمها إلى هؤلاء الثلاثة ، أخذ أتامش أكثر ما في بيوت الأموال وكان في حجره العباس بن المستعين وكان ما فضل من هؤلاء الثلاثة أخذه أتامش للعباس فصرفه في نفقاته ، وكانت الموالي تنظر إلى الأموال تؤخذ وهم في ضيقة ، ووصيف ، وبغا بمعزل من ذلك فأغريا الموالي بآتامش وأحكما أمره ، فاجتمعت الأتراك ، والفراغنة عليه ، وخرج إليه منهم أهل الدور والكرخ فعسكروا في ربيع الآخر وزحفوا إليه وهو في الجوسق مع المستعين ، وبلغه الخبر فأراد الهرب فلم يمكنه واستجار بالمستعين فلم يُجره فأقاموا على ذلك يومين ثم دخلوا الجوسق وأخذوا أتامش فقتلوه وقتلوا كاتبه شجاعاً ونهبت دور أتامش فأخذوا منه أموالاً جمة وغير ذلك فلما قتل استوزر المستعين أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج وولاه عيسى بن فرخنشاه ، وولى وصيف الأهواز ، وبغا الصغير فلسطين ، ثم غضب بَغَا الصغير على أبي صالح فهرب إلى بغداد فاستوزر المستعين محمد بن الفضل الجرجرائي فجعل على ديوان الرسائل سعيد بن حميد ، فقال الحمدوني :

لَبَسَ السَّيْفَ سَعِيدٌ بَعْدَمَا كَانَ ذَا طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ (١) لَهُ
إِنَّ لِلَّهِ لَآيَاتٍ وَذَا آيَةٌ لِلَّهِ فِينَا مُنْزَلَةٌ

ذكر عدة حوادث

فيها قتل علي بن الجهم بن بدر الشاعر بقرب حلب كان توجه الى الثغر فلقيه خيل لكلب فقتلوه وأخذوا ما معه فقال وهو في السياق :

أَزِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيْلٌ أَمْ سَالَ فِي الصَّبْحِ سَيْلٌ
ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلٌ

وكان منزله بشارع دجيل ، وفيها عزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء ووليه جعفر بن محمد بن عثمان (٢) البرجمي الكوفي ، وقيل : كان ذلك سنة خمسين ومائتين ، وفيها أصاب أهل الري زلزلة شديدة ورجفة هدمت الدور ومات خلق من أهلها وهرب الباقون فنزلوا ظاهر المدينة ، وحج بالناس هذه السنة عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الإمام وهو والي مكة ، وفيها سير محمد صاحب الأندلس جيشاً مع ابنه إلى مدينة ألية والقلاع من بلد الفرنج فجالت الخيل في ذلك الثغر وغنمت وافتتحت بها حصوناً منيعة ، وفيها توفي أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب صاحب إفريقية ثالث عشر ذي القعدة فلما مات ولي أخوه زيادة الله بن محمد بن الأغلب ، فلما ولي زيادة الله أرسل إلى خفاجة بن سفيان أمير صقلية يُعرفه موت أخيه وأمره أن يقيم على ولايته .

(١) في الطبري « لا نوبة له » .

(٢) في الطبري « عمار » .

ثم دخلت سنة خمسين ومائتين ذكر ظهور يحيى بن عمر الطالبى ومقتله

في هذه السنة ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المكنى بأبي الحسين عليه السلام بالكوفة ، وكانت أمه فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن اسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم .

وكان سبب ذلك أن أبا الحسين نالته ضيقة ولزمه دين ضاق به ذرعاً فلقي عمر بن فرج وهو يتولى أمر الطالبين عند مقدمه من خراسان أيام المتوكل فكلمه في صلته فأغلظ له عمر القول وحبسه فلم يزل محبوساً حتى كفله أهله فأطلق ، فسار إلى بغداد فأقام بها بحال سيئة ، ثم رجع إلى سامرا فلقي وصيفاً في رزق يجرى له فأغلظ له وصيف وقال : لأي شيء يجرى على مثلك ؟ فانصرف عنه إلى الكوفة وبها أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان الهاشمي عامل محمد بن عبد الله بن طاهر فجمع أبو الحسين جمعاً كثيراً من الأعراب وأهل الكوفة وأتى الفلوجة ، فكتب صاحب البريد بخبره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، فكتب محمد إلى أيوب ، وعبد الله بن محمود السرخسي عامله على معاون السواد يأمرهما بالاجتماع على محاربة يحيى بن عمر ، فمضى يحيى بن عمر إلى بيت مال الكوفة يأخذ الذي فيه وكان فيما قيل ألفي دينار وسبعين ألف درهم ، وأظهر أمره بالكوفة وفتح السجون وأخرج من فيها ، وأخرج العمال عنها فلقيه عبد الله بن محمود السرخسي فيمن معه فضربه يحيى بن عمر ضربة على وجهه أثخنه بها فانهزم عبد الله وأخذ أصحاب يحيى ما كان معهم من الدواب والمال ، وأخرج يحيى إلى سواد الكوفة وتبعه جماعة من الزيدية وجماعة من أهل تلك النواحي إلى ظهر واسط وأقام بالبستان فكثر جمعه ، فوجه محمد بن عبد الله إلى

محاربته الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب في جمع من أهل النجدة والقوة فسار إليه فنزل في وجهه لم يقدم عليه ، فسار يحيى والحسين في أثره حتى نزل الكوفة ولقيه عبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الفلس قبل دخولها فقاتله وانهزم عبد الرحمن إلى ناحية شاهي^(١) ووافاه الحسين فنزلا بشاهي .

واجتمعت الزيدية الى يحيى بن عمر ودعا بالكوفة إلى الرضا من آل محمد فاجتمع الناس إليه وأحبوه وتولاه العامة من أهل بغداد ولا يعلم أنهم تولوا أحداً من بيته سواه ، وبايعه جماعة من أهل الكوفة ممن له تدبير وبصيرة في تشيعهم ودخل فيهم أخلاط لا ديانة لهم ، وأقام الحسين بن إسماعيل بشاهي واستراح واتصلت بهم الأمداد ، وأقام يحيى بالكوفة يعد العدد ويصلح السلاح ، فأشار عليه جماعة من الزيدية ممن لا علم لهم بالحرب بمعالجة الحسين بن إسماعيل وألحوا عليه فزحف إليه ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب ومعه الهيثم العجلي وغيره ورجالة من أهل الكوفة ليس لهم علم ولا شجاعة وأسروا ليلتهم وصبحوا حسيناً وهو مستريح فثاروا بهم في الغلس وحمل عليهم أصحاب الحسين فانهمزوا ووضعوا فيهم السيف وكان أول أسير الهيثم العجلي^(٢) ، وانهزم رجالة أهل الكوفة وأكثرهم بغير سلاح فداستهم الخيل ، وانكشف العسكر عن يحيى بن عمر وعليه جوشن قد تقطر به فرسه فوقف عليه ابن لخالد بن عمران فقال له : خير ، فلم يعرفه وظنه رجلاً من أهل خراسان لما رأى عليه الجوشن فأمر رجلاً فنزل إليه فأخذ رأسه ، وعرفه رجل كان معه وسير الرأس الى محمد بن عبد الله بن طاهر وادعى قتله غير واحد ، فسير محمد الرأس إلى المستعين فنصب بسامرا لحظة ثم حطه ورده إلى بغداد لينصب بها ، فلم يقدر محمد على ذلك لكثير من اجتمع من الناس فخاف أن يأخذه فلم ينصبه وجعله في صندوق في بيت السلاح ، ووجه الحسين بن إسماعيل برؤوس من قتل وبالأسرى فحبسوا ببغداد ، وكتب محمد بن عبد الله يسأل العفو عنهم فأمر بتخليتهم وأن تدفن الرؤوس ولا تنصب ففعل ذلك .

ولما وصل الخبر بقتل يحيى جلس محمد بن عبد الله يهنأ بذلك فدخل عليه

(١) شاهي : موضع قرب القادسية .

(٢) الهيثم بن العلاء بن جهور العجلي .

داود بن الهيثم أبو هاشم الجعفري فقال : أيها الأمير إنك لنتها بقتل رجل لو كان رسول الله ﷺ حياً لعزّي به فما رد عليه محمد شيئاً ، فخرج داود وهو يقول :

يا بني طاهر كلوه وَيَّيَّا إن لحم النبي غير مَرِيٍّ
إن وتراً يكون طالِبُهُ اللد له لَوْتَرُ نِجَاحُهُ بِالْحَرِيٍّ

وأكثر الشعراء مرثي يحمي لما كان عليه من حسن السيرة والديانة ، فمن ذلك قول بعضهم :

وبكاه المهند المصقول	بكت الخيل شجوها بعد يحيى
وبكاه الكتاب والتنزيل	وبكته العراق شرقاً وغرباً
رُ جميعاً له عليه عويل	والمصلّى والبيت والركن والحج
يوم قالوا : أبو الحسين قتل	كيف لم تسقط السماء علينا
موجعات دُموعهن همول	وينبات النبي تَبْدِين شجوا
بأبي وجهه الوسيم الجميل	قطعت وجهه سيف الأعادي
سوف يؤذي بالجسم ذاك الغليل	إن يحيى أبقي بقلبي غليلاً
وحسين ويوم أودى الرسول	قتله مُذَكِّر لقتل علي
ما بكى موجع وحن ثكول	صلوات الإله وقفاً عليهم

ذكر ظهور الحسن بن زيد العلوي

وفيهما ظهر الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسين علي بن أبي طالب عليه السلام^(١) بطبرستان ، وكان سبب ظهوره أن محمد بن عبد الله بن طاهر لما ظفر بيحيى بن عمر أقطعه المستعين من ضواحي^(٢) السلطان بطبرستان قطائع منها قطعة قرب ثغر الديلم وهما كلار ، وشالوس^(٣) ، وكان بحذائهما أرض تحتطب منها أهل تلك الناحية وترعى فيها مواشيهم ليس لأحد عليها ملك إنما هي

(١) في الطبري « الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب » .

(٢) في الطبري « من صوافي السلطان » .

(٣) في الطبري « شالوس » بسينين مهملتين .

موات ، وهي ذات غياض وأشجار وكلاً . فوجه محمد بن عبد الله نائبه - لحيازة ما أقطع - واسمه جابر بن هارون النصراني وعامل طبرستان يومئذ سليمان بن عبد الله بن طاهر بن عبد الله بن طاهر خليفة محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وكان الغالب على أمر سليمان محمد بن أوس البلخي ، وقد فرق محمد هذا أولاده في مدن طبرستان وهم أحداث سفهاء فتأذى بهم الرعية وشكوا منهم ومن أبيهم ومن سليمان سوء السيرة . ثم إن محمد بن أوس دخل بلاد الديلم وهم مسالمون لأهل طبرستان فسبى منهم وقتل فساء ذلك أهل طبرستان ، فلما قدم جابر بن هارون لحيازة ما أقطعه محمد بن عبد الله عمد فحاز فيه ما اتصل به من أرض موات يرتفق بها الناس وفيما حاز كلار ، وشالوس .

وكان في تلك الناحية يومئذ أخوان لهما بأس ونجدة يضبطانها ممن رامها من الديلم المذكوران يطعام الطعام وبالأفضال يقال لاحدهما : محمد وللآخر جعفر - وهما ابنا رستم - فانكرا ما فعل جابر من حيازة الموات ، وكانا مطاعين في تلك الناحية فاستنهضا من أطاعهما لمنع جابر من حيازة ذلك الموات فخافهما جابر فهرب منهما فلحق بسليمان بن عبد الله ، وخاف محمد ، وجعفر ومن معهما من عامل طبرستان فراسلوا جيرانهم من الديلم يذكرونهم العهد الذي بينهم ويعتذرون فيما فعله محمد بن أوس بهم من السبي والقتل فاتفقوا على المعاونة والمساعدة على حرب سليمان بن عبد الله وغيره ، ثم أرسل ابنا رستم ومن وافقهما إلى رجل من الطالبين اسمه محمد بن ابراهيم كان بطبرستان يدعونه إلى البيعة له فامتنع عليهم وقال : لكني أدلكم على رجل منا هو أقوم بهذا الأمر مني ، فدلهم على الحسن بن زيد وهو بالري ، فوجهوا إليه عن رسالة محمد بن ابراهيم يدعوه إلى طبرستان فشخص إليها فاتاهم وقد صارت كلمة الديلم وأهل كلار ، وشالوس ، والرويان على بيعته فبايعوه كلهم وطردوا عمال ابن أوس عنهم فلحقوا بسليمان بن عبد الله وانضم إلى الحسن بن زيد أيضاً جبال طبرستان كاصمغان ، وقاوشان ، وليث بن قتاد^(١) وجماعة من أهل السفح ، ثم تقدم الحسن ومن معه نحو مدينة آمل وهي أقرب المدن إليهم ، وأقبل أوس من سارية ليدفعه عنها فاقتتلوا قتالاً شديداً وخالف الحسن بن زيد في جماعة إلى آمل فدخلها .

(١) في الطبري « وفارسيان وليث بن قباد » .

فلما سمع ابن أوس الخبر وهو مشغول بحرب من يقاتله من أصحاب الحسن بن زيد لم يكن له همة إلا النجاة بنفسه فهرب ولحق بسليمان إلى سارية ، فلما استولى الحسن على أمل كثر جمعه وأتاه كل طالب نهب وفننة ، وأقام بآمل أياماً ثم سار نحو سارية لحرب سليمان بن عبد الله فخرج إليه سليمان فالتقوا خارج مدينة سارية ونشبت الحرب بينهم فسار بعض قواد الحسن نحو سارية فدخلها ، فلما سمع سليمان الخبر انهزم هو ومن معه وترك أهله وعياله وثقله وكل ماله بسارية واستولى الحسن وأصحابه على ذلك جميعه ، فأما الحرم والأولاد فجعلهم الحسن في مركب وسيرهم الى سليمان بجرجان ، وأما المال فكان قد نهب وتفرق ، وقيل : ان سليمان انهزم اختياراً لان الطاهرية كلها كانت تشيع ، فلما اقبل الحسن بن زيد إلى طبرستان تأثم سليمان من قتاله لشدة في التشيع وقال :

نُبْتُ خَيْلَ ابْنِ زَيْدٍ أَقْبَلْتُ حِيناً	تريدنا لتحسينا الأمرينا
يَا قَوْمُ إِنْ كَانَتْ الْأَنْبَاءُ صَادِقَةً	فالويل لي ولجمع الطاهريينا
أَمَا أَنَا فَإِذَا اصْطَفَتْ كِتَابُنَا	أَكُونُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَأْسَ الْمَوْلِينَا
فَالْعَذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْبَسَطٌ	إِذَا احْتَسِبْتَ دِمَاءَ الْفَاطِمِيْنَا

فلما التقوا انهزم سليمان ، فلما اجتمعت طبرستان للحسن وجهه إلى الري جنداً مع رجل من أهله يقال له : الحسن بن زيد أيضاً فملكها وطرد عنها عامل الطاهرية فاستخلف بها رجلاً من العلويين يقال له : محمد بن جعفر وانصرف عنها ، وورد الخبر على المستعين ومدبر أمره يومئذ وصيف ، وكاتبه أحمد بن صالح بن شیرزاد ، فوجه اسماعيل بن فراشة في جند إلى همدان وأمره بالمقام بها ليمنع خيل الحسن عنها وأما ما عداها فإلى محمد بن عبد الله^(١) بن طاهر وعليه الذب عنه ، فلما استقر بمحمد بن جعفر الطالبي المقام بالري ظهرت منه أمور كرهها أهل الري ؛ ووجه محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر قائداً من عنده يقال له : محمد بن ميكال - في جمع من الجند إلى الري - وهو أخو الشاه بن ميكال فالتقى هو ومحمد بن جعفر الطالبي خارج الري فأسر محمد بن جعفر وانهزم جيشه ودخل ابن ميكال الري فأقام بها ، فوجه الحسن بن زيد عسكرياً عليه قائداً يقال له : واجن ، فلما صار إلى الري خرج إليه

(١) في الطبري « إلى محمد بن طاهر بن عبد الله » .

محمد بن ميكال فالتقوا فاقتتلوا فانهمز ابن ميكال والتجأ إلى الري معتصماً بها فاتبعه واجن وأصحابه حتى قتلوه وصارت الري إلى أصحاب الحسن بن زيد ، فلما كان هذه السنة يوم عرفة ظهر بالري أحمد بن عيسى بن حسين الصغير^(١) بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وادريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فصلى أحمد بن عيسى بأهل الري صلاة العيد ودعا للرضا من آل محمد فحاربه محمد بن علي بن طاهر فانهمز محمد بن علي وسار إلى قزوین .

ذكر عدة حوادث

وفيها غضب المستعين على جعفر بن عبد الواحد لأنه بعث إلى الشاكرية فزعم وصيف أنه أفسدهم فنفي إلى البصرة في ربيع الأول ، وفيها أسقطت مرتبة من كانت له مرتبة في دار العامة من بني أمية كأي الشوارب^(٢) ، والعثمانين وأخرج الحسن بن الأفشين من الحبس ، وفيها عقد لجعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى المعروف ببشاشات على مكة ، وفيها وثب أهل حمص وقوم من كلب بعاملهم وهو الفضل بن قارن أخو مازيار بن قارن فقتلوه ، فوجه المستعين إلى حمص موسى بن بُغافي ومضان فلقية أهلها فيما بين حمص والريستن وحاربوه فهزمهم وافتتح حمص وقتل من أهلها مقتلة عظيمة وأحرقها وأسر جماعة من أهلها الأعيان ، وفيها مات جعفر بن أحمد بن عمار القاضي ، وأحمد بن عبد الكريم الحوراني^(٣) التيمي قاضي البصرة ، وفيها ولي أحمد بن الوزير قضاء سامرا ، وفيها وثب الشاكرية ، والجند بفارس بعبد الله بن اسحاق بن ابراهيم فانتهبوا منزله وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن وهرب عبد الله بن اسحاق ، وفيها وجه محمد بن طاهر بقليلين وأصنام أتيت من كابل ؛ وحج بالناس جعفر بن الفضل بشاشات وهو والي مكة ، وفيها توفي زيادة الله بن محمد بن الأغلب أمير إفريقية وكانت ولايته سنة واحدة وستة أيام ، ولما مات ملك بعده ابن أخيه محمد بن أبي ابراهيم أحمد بن محمد بن الاغلب ، وفيها توفي محمد بن الفضل

(١) في الطبري « أحمد بن عيسى بن علي بن حسين الصغير » .

(٢) في الطبري « كابن أبي الشوارب » .

(٣) في الطبري « الجوراني » .

الجرجرائي وزير المتوكل ، والفضل بن مروان وزير المعتصم وكان موته بسر من رأى ،
والخليع الشاعر الحسين بن الضحاك وكان مولده سنة اثنتين وستين ومائة وهو مشهور
الأخبار والأشعار ، وفيها توفي الحرث بن مسكين قاضي مصر في ربيع الاول وهو من
ولد أبي بكر الثقفي : ونصر بن علي بن نصر بن علي لجهضمي الحافظ ، وفيها توفي أبو
حاتم سهل بن محمد السخيتاني اللغوي روى عن أبي زيد ، والأصمعي ، وأبي
عبدة ، وقيل : توفي قبل سنة خمسين والله تعالى بالغيب أعلم .

ثم دخلت سنة احدى وخمسين ومائتين

ذكر قتل باغر التركي

وفي هذه السنة قتل باغر التركي قتله وصيف ، وبُغا .

وكان سبب ذلك أن باغر كان أحد قتلة المتوكل فزید في ارزاقه فأقطع قطائع ، فكان مما أقطع قرى بسواد الكوفة فتضمنها رجل من أهل باروسما بألفي دينار ، فوثب رجل من أهل تلك الناحية يقال له : ابن مارية^(١) بوكيل لباغر وتناوله فحبس ابن مارية وقيد ، ثم تخلص وسار إلى سامرا فلقى دليل بن يعقوب النصراني وهو يومئذ صاحب أمر بُغا الشرابي والحاكم في الدولة ، وكان ابن مارية صديقاً له وكان باغر أحد قواد بُغا فمنعه دليل من ظلم أحمد بن مارية فانتصف له منه فغضب باغروباين دليلاً ، وكان باغر شجاعاً يتقيه بُغا وغيره فحضر عند بُغا في ذي الحجة من سنة خمسين - وهو سكران - وبغا في الحمام فدخل إليه وقال : من قتل دليلاً يقتل به ، فقال له بغا : لو أردت ولدي ما منعتك منه ولكن اصبر فإن أمور الخلافة بيد دليل وأقيم غيره ثم افعل به ما تريد ، وأرسل بغا إلى دليل يأمره أن لا تركب وعرفه الخبر وأقام في كتابته غيره وتوهم باغر أنه قد عزله فسكن باغر ثم أصلح بينهما بغا وباغر يتهدده ، ولزم باغر خدمة المستعين فقبل ذلك للمستعين فلما كان يوم نوبة بُغا في منزله قال المستعين : أي شيء كان إلى ايتاخ من الخدمة ؟ فأخبره وصيف فقال : ينبغي أن تجعل هذه الأعمال إلى باغر ، وسمع دليل ذلك فركب إلى بغا فقال له : أنت في بيتك وهم في تدبير عزلك فإذا عزلت قتلت ، فركب بُغا إلى دار الخليفة في يومه وقال لوصيف : أردت أن تعزلني فحلف أنه ما علم ما أراد الخليفة فتعاقدا على تنحية باغر من الدار والحيلة عليه فأرجفوا له أنه يؤمر

(١) في الطبري « ابن خارجة » وكذا ما بعده .

ويخلع عليه ويكون موضع بُغا، ووصيف، فأحس باغر ومن معه بالشر فجمع إليه الجماعة الذين كانوا بايعوه على قتل المتوكل ومعهم غيرهم فجدد العهد عليهم في قتل المستعين، وبغا، ووصيف وقالوا: نبايع علي بن المعتصم أو ابن الواثق ويكون الأمر لنا كما هو لهذين فأجابوه الى ذلك، وانتهى الخبر الى المستعين فبعث إلى بُغا ووصيف وقال لهما: انتما جعلتما نبي خليفة ثم تريدان قتلي فحلفا انهما ما علما بذلك، فأعلمهما الخبر فاتفق رأيهم على أخذ باغر، ورجلين من الأتراك معه وحبسهم، فاحضروا باغر فأقبل في عدة فعدل به إلى حمام وحبس فيه، وبلغ الخبر الأتراك فوثبوا على اصطبل الخليفة فانتهبوه وركبوا ما فيه وحصروا الجوسق بالسلاح فأمر بغا، ووصيف بقتل باغر فقتل.

ذكر مسير المستعين إلى بغداد

فلما قتل باغر وانتهى خبر قتله إلى الأتراك المشغبين أقاموا على ما هم عليه فانحدر المستعين، وبغا، ووصيف، وشاهك الخادم وأحمد بن صالح بن شيرزاد، ودليل إلى بغداد في حراقة، فركب جماعة من قواد الأتراك إلى هؤلاء المشغبين فسألهم الانصراف فلم يفعلوا، فلما علموا بانحدر المستعين، وبغا، ووصيف تدموا، ثم قصدوا دار دليل ودور أهله وجيرانه فنهبوا حتى صاروا إلى أخذ الخشب، وعليف الدواب، فلما قدموا بغداد مرض ابن مارية فعاده دليل فقال له: ما سبب علتك؟ قال: انتقض عقر القيد فقال دليل: لئن عقرك القيد لقد نقضت الخلافة، وبغيت الفتنة، ومات ابن مارية في تلك الأيام، وقال بعض الشعراء في ذلك^(١):

لقد هاج باغرُ حرباً طحونا	لعمري لئن قتلوا باغراً
ن بالليل يلتمسان السفينا	وفرَّ الخليفة والقائدا
فوافاهم ^(٢) يسبق الناظرينا	وصاحوا بميسان ملاحهم
وصوت ^(٣) مجاذيفهم سائرنا	فألزمهم بطن حراقة
فتكسب فيه الحروب الديونا ^(٥)	وما كان قذر ابن مارية ^(٤)

(١) قال ابن جرير الطبري « ذكر ان قائله احمد بن الحارث اليمامي » .

(٢) في الطبري « فجاءهم » .

(٣) في الطبري « وحرث » .

(٤) في الطبري « ابن مارية » .

(٥) في الطبري « فنكسب فيه الحروب الزبونا » .

فأجرى الإله بها العالمينا
فحل بها منه ما يكرهونا
وغرقها الله والراكبينا
وجاء الفراغنة الدارينا^(٢)
يرجون خيلاً ورجلاً بنينا^(٣)
بأمر الحروب تولاه حيناً
من حتى أحاطهم أجمعينا
على السور يحى بها المستعينا
تفت^(٤) النفوس وتحى العرينا^(٥)

ولكن دليل سعى سعيه
فحل ببغداد قبل الشروق
فلت السفينة لم تأتينا
وأقبلت الترك والمعربون^(١)
تسير كراديسهم في السلاح
فقام بحربهم عالم
فجدد سوراً على الجانب
وأحكم أبوابها المصمتات
وهيا مجانيق خطارة

ومنع الأتراك الناس من الانحدار إلى بغداد وأخذوا ملاحاً قد أكرى سفينته
فضربوه وصلبوه على دقلها فامتنع أصحاب السفن الاسراء، وكان وصول المستعين إلى
بغداد لخمس خلون من المحرم من هذه السنة فنزل على محمد بن عبدالله بن طاهر في
داره ثم وافى بغداد القواد سوى جعفر الخياط، وسليمان بن يحيى بن معاذ وقدمها جلة
الكتاب، والعمال، وبنى هاشم، وجماعة من أصحاب بعا ووصيف.

ذكر البيعة للمعز بالله

وفي هذه السنة بويع للمعز بالله، وكان سبب البيعة له أنه لما استقر المستعين
ببغداد أتاه جماعة من قواد الأتراك المشغبين فدخلوا عليه وألقوا أنفسهم بين يديه وجعلوا
مناطقهم في أعناقهم تذلاً وخضوعاً وسألوه الصفح عنهم والرضا. قال لهم: أنتم أهل
بغى وفساد واستقلال للنعم ألم ترفعوا إلي في أولادكم فالحقتهم بكم وهم نحو من ألفي
غلام؟ وفي بناتكم فأمرت بتصويرهن في عداد المتزوجات وهن نحو من أربعة آلاف

(١) في الطبري: «والمغربون».

(٢) في الطبري: «الدارعونا».

(٣) في الطبري: «يروجون خيلاً ورجلاً تبييناً».

(٤) في الطبري: «تفت».

(٥) ترك المصنف بيتين ذكرهما الطبري وهما.

الوف الوف اذا تحشبنونا
على السور حتى اغار العيوننا

وعبى فروضاً وجيشية
وعبى المجانيق منظومة

وغير ذلك كله أجبتكم إليه وأدررت عليكم الأرزاق فعملتم آنية^(١) الذهب والفضة ومنعت نفسي لذتها وشهوتها إرادة لصلاحكم ورضاكم وأنتم تزدادون بغياً وفساداً، فعادوا وتضرعوا وسألوه العفو، فقال المستعين: قد عفوت عنكم ورضيت، فقال له أحدهم واسمه بابي بك^(٢): فإن كنت قد رضيت فقم فاركب معنا إلى سامرا فإن الأتراك ينتظرونك، فأمر محمد بن عبدالله بعض أصحابه فقام إليه فضربه وقال محمد: هكذا يقال لأمير المؤمنين قم فاركب معنا؟ فضحك المستعين وقال: هؤلاء قوم عجم لا يعرفون حدود الكلام وقال لهم المستعين: ترجعون إلى سامرا فإن أرزاقكم دارة عليكم وأنظر أنا في أمري، فانصرفوا آيسين منه وأبغضهم^(٣) ما كان من محمد بن عبدالله إلى بابي بك وأخبروا من وراءهم خبرهم وزادوا وحرصوا تحريضاً لهم على خلعه، فاجتمع رأيهم على اخراج المعتز وكان هو والمؤيد في حبس الجوسق وعليهم من يحفظهم فأخرجوا المعتز من الحبس وأخذوا من شعره فكان قد كثر وباعوا له بالخلافة، وأمر للناس برزق عشرة أشهر للبيعة فلم يتم المال فأعطوا شهرين لقلة المال عندهم. وكان المستعين خلف بيت المال بسامرا فيه نحو خمسمائة ألف دينار، وفي بيت مال أم المستعين قيمة ألف دينار، وفي بيت مال العباس قيمة ستمائة ألف دينار.

وكان فيمن أحضر للبيعة أبو أحمد بن الرشيد وبه نقرس في محفة محمولاً فأمر بالبيعة فامتنع وقال للمعتز: خرجت إلينا طائعاً فخلعتها وزعمت أنك لا تقوم بها فقال المعتز: أكرهت على ذلك وخفت السيف فقال أبو أحمد: ما علمنا أنك أكرهت وقد بايعنا هذا الرجل فتريد أن تطلق نساءنا وتخرج عن أموالنا ولا ندري ما يكون إن تركتني على أمري حتى يجتمع الناس وإلا فهذا السيف فتركه المعتز، وكان ممن بايع إبراهيم الديرج، وعتاب بن عتاب، فأما عتاب فهرب إلى بغداد، وأما الديرج فأقر على الشرط واستعمل على الدواوين وبيت المال والكتابة وغير ذلك، ولما اتصل بمحمد بن عبدالله خبر بيعة المعتز وتوجيه العمال أمر بقطع الميرة عن أهل سامرا وكتب إلى مالك بن طوق في المسير إلى بغداد وأهل بيته وجنده، وكتب إلى نجويه بن قيس وهو على الأنبار في

(١) في الطبري «حتى سكت لكم» آنية «الخ».

(٢) في الطبري «بايكباك».

(٣) في الطبري «وأغضبهم».

الاجتثاد والجمع إلى سليمان بن عمران الموصلي في منع السفن والميرة عن سامرا فأخذت سفينة ببغداد فيها أرز وغيره فهرب الملاح وبقيت السفينة حتى غرقت، وأمر المستعين محمد بن عبدالله بتحسين بغداد فتقدم في ذلك فأدير عليها السور من دجلة من باب الشماسية إلى سوق الثلاثاء حتى أورده دجلة، وأمر بحفر الخنادق من الجانبين جميعاً، وجعل على كل باب قائداً، فبلغت النفقة على ذلك جميعه ثلاثمائة ألف وثلاثين ألف دينار، ونصب على الأبواب المنجنيقات والعرادات وشحن الأسوار.

وفرض فرضاً للعيارين وجعل عليهم عريفاً اسمه بينويه^(١) وعمل لهم تراساً من البواري المقيرة وأعطاهم المخالي ليجعلوا فيها الحجارة للرمي، وفرض أيضاً لقوم من خراسان قدموا حجاجاً فسلوا المعونة فأعانوا، وكتب المستعين إلى عمال الخراج بكل بلدة أن يكون حملهم الخراج والأموال إلى بغداد لا يحمل منها إلى سامرا شيء، وكتب إلى الأتراك، والجند الذين بسامرا يأمرهم بنقض بيعة المعتز ومراجعة الوفاء له ويذكرهم أياديه عندهم وينهاهم عن المعصية والنكث، ثم جرت بين المعتز ومحمد بن عبدالله مكاتبات ومراسلات يدعو المعتز محمداً إلى المبايعة ويذكره ما كان المتوكل أخذ له عليه من البيعة بعد المنتصر، ومحمد يدعو المعتز إلى الرجوع إلى طاعة المستعين واحتج كل واحد منهما على صاحبه، وأمر محمد بكسر القناطر وشق المياه بسطوح الأنبار وبادوريا ليقطع الأتراك عن الأنبار، وكتب المستعين والمعتز إلى موسى بن بَغَا كل واحد منهما يدعو إلى نفسه وكان بأطراف الشام كان خرج لقتال أهل حمص فانصرف إلى المعتز وصار معه، وقدم عبدالله بن بَغَا الصغير من سامرا إلى المستعين وكان قد تخلف بعد أبيه فاعتذر وقال لأبيه: إنما قدمت لأموت تحت ركابك فأقام ببغداد أياماً ثم هرب إلى سامرا فاعتذر إلى المعتز وقال: إنما سرت إلى بغداد لأعلم أخبارهم وآتيك بها فقبله المعتز وردّه إلى خدمته، وورد الحسن بن الأفشين بغداد فخلع عليه المستعين وضم إليه جمعاً من الأشروسنية وغيرهم.

ذكر حصار المستعين ببغداد

ثم ان المعتز عقد لأخيه أبي أحمد بن المتوكل - وهو الموفق - لسبع بقين من

(١) في الطبري «يتويه» .

المحرم على حرب المستعين، ومحمد بن عبدالله وولاه ذلك وضم إليه الجيش وجعل إليه الأمور كلها وجعل التدبير إلى كلباتكين التركي فسار في خمسين ألفاً من الأتراك^(١)، والفراغنة وألفين من المغاربة، فلما بلغ عكبرا صلى بها وخطب للمعترز وكتب بذلك إلى المعترز، فذكر أهل عكبرا أنهم كانوا على خوف شديد من مسير محمد بن عبدالله إليهم ومحاربتهم فانتهبوا القرى ما بين عكبرا وبغداد فخربت الضياع وأخذ الناس في الطريق، ولما وصل أبو أحمد إلى عكبرا هرب إليه جماعة كبيرة من أصحاب بُغا الصغير، ووصل أبو أحمد وعسكره باب الشماسية لسبع خلون من صفر؛ فقال بعض البصريين ويعرف بباذنجانة:

يا بني طاهر أتكلم جنوداً له والموت بينها منشورٌ
وجيوشُ أمامهم^(٢) أبو أح مد نعم المولى ونعم النصيرُ

ولما نزل أبو أحمد بباب الشماسية ولى المستعين باب الشماسية الحسين بن اسماعيل وجعل من هناك إلى القواد تحت يده فلم يزل هناك مدة الحرب إلى أن ساروا إلى الأنبار.

فلما كان عاشر صفر وافت طلائع الأتراك إلى باب الشماسية فوقفوا بالقرب منه فوجه محمد بن عبدالله الحسين بن اسماعيل، والشاه بن ميكال، وبندار الطبري فيمن معهم وعزم على الركوب لقتالهم فأتاه الشاه فأعلمه أن الأتراك لما عاينوا الأعلام والرايات قد أقبلت نحوهم رجعوا إلى معسكرهم فترك محمد الركوب، فلما كان الغد عزم محمد على توجيه الجيوش إلى القفص ليعرضهم هناك وليهرب الأتراك وركب معه وصيف، وبُغا في الدروع ومضى معه الفقهاء، والقضاة، وبعث إليهم يدعوهم إلى الرجوع عما هم عليه من الطغيان والعصيان ويذل لهم الأمان على أن يكون المعترز ولي العهد بعد المستعين فلم يجيبوا، ومضى نحو باب قطربل فنزل على شاطيء دجلة هو ووصيف، وبُغا ولم يمكنه التقدم لكثرة الناس فانصرف، فلما كان من الغد أتاه رسل وجه الفلّس وغيره من القواد يعلمونه أن الترك قد دنوا وضربوا مضاربهم برقة الشماسية،

(١) في الطبري «في خمسة آلاف من الأتراك» .

(٢) في الطبري «أمامهم» .

وأرسل إليهم لا تبدؤوهم بقتال وإن قاتلوكم فلا تقتلوههم وادفعوهم اليوم، فوافى باب الشماسية منهم اثنا عشر فارساً فرموا بالسهام ولم يقاتلهم أحدٌ فلما طال مقامهم رماهم المنجنيقي بحجر فقتل منهم رجلاً فأخذوه ورجعوا.

وقدم عبيدالله^(١) بن سليمان خليفة وصيف التركي من مكة في ثلاثمائة رجل فخلع عليه محمد بن عبدالله، ووافى الأتراك في هذا اليوم باب الشماسية فخرج الحسين بن اسماعيل ومن معه من القواد لمحاربتهم فاقتتلوا وقتل من الفريقين وجرح وكانوا في القتلى والجرحى على السواء وانهمز أهل بغداد وثبت أصحاب البواري ثم انصرفوا، واحضر الأتراك منجنيقاً فغلبهم عليه العامة فأخذوه، ثم سار جماعة من الأتراك إلى ناحية النهروان فوجه محمد بن عبدالله قائدين من أصحابه وأمرهما بالمقام بتلك الناحية وحفظها من الأتراك فسار إليهم الأتراك فقاتلوههم فانهزم أصحاب محمد إلى بغداد وأخذت دوابهم فدخلوا بغداد منهزمين، ووجه الأتراك برؤوس القتلى إلى سامرا واستولوا على طريق خراسان وانقطع الطريق عن بغداد، ووجه المعتز عسكرياً في الجانب الغربي فساروا إلى بغداد وجازوا قطربل فضربوا عسكريهم هناك وذلك لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر^(٢)، فلما كان من الغد وجه محمد بن عبدالله عسكرياً إليهم فلقبهم الشاه بن ميكال فتحاربوا فانهزم أصحاب المعتز خرج عليهم كمين لمحمد بن عبدالله فانهزموا، ووضع أصحاب محمد فيهم السيف فقتلوههم أكثر قتل ولم يفلت منهم إلا القليل ونهب عسكريهم جميعه، ومن سلم من القتل ألقى نفسه في دجلة ليعبر إلى عسكري أبي أحمد فأخذه أصحاب السفن وحملوا الأسرى والرؤوس في الزواريق فنصب بعضها ببغداد؛ وأمر محمد لمن أبلى في هذا اليوم بالأسورة، والخلع، والأموال، وطلبت المنهزمة فبلغ بعضهم أوانا وبعضهم بلغ سامرا، وكان عسكري المعتز أربعة آلاف فقتل منهم ألفان وغرق منهم جماعة وأسروا جماعة، فخلع محمد على جميع القواد على كل قائد أربع خلع، وطوق، وسوار من ذهب، وكان عود أهل بغداد عنهم مع المغرب وكان أكثر العمل في هذا اليوم للعيارين . .

وركب محمد بن عبدالله بن طاهر لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر إلى الشماسية

(١) في الطبري «عبدالله» بالتكثير .

(٢) في الطبري «بقيت من صفر» .

فأمر بهدم ما وراء سورها من الدور والحوانيت والبساتين من باب الشماسية إلى ثلاثة أبواب ليتسع على من يحارب ، وقدم مال من فارس ، والأهواز مع منكجور الأشروسني فوجه أبو أحمد الأتراك لأخذه ، فوجه محمد بن عبدالله جماعة لحفظ المال فعدلوا به عن الأتراك فقدموا به بغداد ، فلما علم الأتراك بذلك عدلوا نحو النهر وانفقوا وأحرقوا سفن الجسر - وهي عشرون سفينة - ورجعوا إلى سامرا ، وقدم محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد وكان المستعين قلده امرة الثغور الجزرية كان بمدينة بلد ينتظر الجنود والمال ليسير إلى الثغور فلما كان من أمر المستعين ، والأتراك ما ذكرنا سار من بلد إلى بغداد على طريق الرقة في أصحابه وخاصته - وهم زهاء أربعمائة - فخلع عليه محمد بن عبدالله خمس خلع ثم وجهه في جيش كثيف لمحاربة أيوب بن أحمد فأخذ على طريق الفرات فحاربه في نهر يسير فهزم محمد وصار إلى ضيعته بالسواد ، فلما سمع محمد بهزيمة قال : لا يفلح أحد من العرب إلا أن يكون معه نبي ينصره الله به ، وكانت للأتراك وقعة بباب الشماسية فقاتلوا عليه قتالاً شديداً حتى كشفوا من عليه ورموا به المنجنيق بالنار والنفط فلم يحرقه ثم كثر الجند على الباب فزالهم عن موقفهم بعد قتلى وجرحى ، ووجه محمد العرادات في السفن فرموا بها رمياً شديداً فقتلوا منهم نحو مائة ، وكان بعض المغاربة قد صار إلى السور فرمي بكلاب فتعلق به فأخذه الموكلون بالسور ورفعوه فقتلوه والقوا رأسه إلى الأتراك فرجعوا إلى معسكرهم .

وأراد بعض الموكلين بالسور أن يصيح يا مستعين يا منصور فصاح يا معتز يا منصور فظنوه من المغاربة فقتلوه ، وتقدم الأتراك في بعض الأيام إلى باب الشماسية فرمى الدرغمان مقدم المغاربة بحجر منجنيق فقتله وكان شجاعاً ، وكان بعض المغاربة يجيء فيكشف استه ويصيح ويضرب ثم يرجع فرماه بعض أصحاب محمد بسهم في دبره فخرج من حلقه فخر ميتاً ، واجتمعت العامة بسامرا ونهبوا - سوق الجوهريين ، والصيارفة ، وغيرهما فشكا التجار ذلك إلى ابراهيم المؤيد فقال لهم : كان ينبغي أن تحولوا متاعكم إلى منازلكم ولم يصنع شيئاً ولا أنكر ذلك ، وقدم لثمان بقين من صفر جماعة من أهل الثغور يشكون بلكا جور ويزعمون أن بيعة المعتز وردت عليه فدعا الناس إلى بيعته وأخذ الناس بذلك فمن امتنع ضربه وحبسبه وانهم امتنعوا وهربوا فقال وصيف : ما أظنه إلا ظن أن المستعين مات وقام المعتز فقالوا : ما فعله إلا عن عمد ،

فورد كتاب بلكا جور لأربع بقين من صفر يذكر أنه كان بايع المعتز فلما ورد كتاب المستعين بصحة الأمر جدد له البيعة وانه على السمع والطاعة ؛ فأراد موسى بن بغا أن يسير الى المستعين فامتنع أصحابه الأتراك من موافقته على ذلك وحاربوه فقتل بينهم قتلى ، وقدم من البصرة عشر سفائن بحرية في كل سفينة خمسة وأربعون رجلاً ما بين نفاط وغيره فمرت إلى ناحية الشماسية فرمى فيها بالنيران الى عسكر أبي أحمد فانتقلوا الى موضع لا ينالهم شيء من النار ، وليلة بقيت من صفر تقدم الأتراك الى أبواب بغداد فقاتلوا عليها فقتل من الفريقين جماعة كثيرة ودام القتال الى العصر .

وفي ربيع الأول عمل محمد بن عبدالله كافر كونات وفرقها على العيارين فخرجوا بها الى أبواب بغداد وقتلوا من الأتراك نحواً من خمسين رجلاً ، ولأربع عشرة خلت من ربيع الأول قدم مزاحم بن خاقان من ناحية الرقة فتلقيه الناس ومعه زهاء ألف رجل فلما وصل خلع عليه سبع خلع وقلد سيفاً ، ووجه المعتز عسكراً يبلغون ثلاثة آلاف فعسكروا بازاء عسكر أبي أحمد بباب قطربل .

وزكب محمد بن عبدالله في عسكره وخرج من النظارة خلق كثير فحاذى عسكر أبي أحمد فكانت بينهم في الماء جولة وقتل من أصحاب أبي أحمد أكثر من خمسين رجلاً ، ومضى النظارة فجاوزوا العسكر بنصف فرسخ فعبرت إليهم سفن لأبي أحمد فنالت منهم ، ورجع محمد بن عبدالله وأمر ابن أبي عون برد الناس فأمرهم بالعود فأغلظوا له فشتهم وشتموه وضرب رجلاً منهم فقتله فحملت عليه العامة فانكشف من بين أيديهم ؛ فأخذ أصحاب أبي أحمد أربع سفائن وأحرقوا سفينة فيها عرادة لأهل بغداد ، وسار العامة إلى دار ابن أبي عون لينهبوها وقالوا : مايل الأتراك فانهزم أصحابه وكلموا محمداً في صرفه فصرفه ومنعهم من أخذ ماله ، ولاحدى عشرة خلت من ربيع الأول وصل عسكر المعتز الذي سيّره إلى مقابل عسكر أخيه أبي أحمد عند عكبرا فأخرج إليهم ابن طاهر عسكراً فمضوا حتى بلغوا قطربل وبها كمين الأتراك فأوقع بهم ونشبت الحرب بينهم وقتل بينهما جماعة ، واندفع أصحاب محمد قليلاً إلى باب قطربل والأتراك معهم فخرج الناس إليهم فدفعوا الأتراك حتى نحوهم ثم رجعوا إلى أهل بغداد فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وقتل من الأتراك أيضاً خلق كثير ، ثم تقدم الأتراك إلى باب القطيعة فتقبوا السور فقتل أهل بغداد أول خارج منه وكان القتال ذلك اليوم أكثره في

الأتراك والجراح بالسهم في أهل بغداد.

ونذب عبدالله بن عبدالله بن طاهر الناس فخرجوا معه وأمر الموكل بباب قطربل أن لا يدع منهزماً يدخله ونشبت الحرب فانهزم أصحاب عبدالله وثبت أسد بن داود حتى قتل، وكان إغلاق الباب على المنهزمين أشد من الأتراك فأخذوا منهم الأسرى وقتلوا فأكثروا وحملوا الأسرى والرؤوس إلى سامرا فلما قربوا منها غطوا رؤوس الأسرى، فلما رآهم أهل سامرا بكوا وضجوا وارتفعت أصواتهم وأصوات نسائهم فبلغ ذلك المعتز فكره أن تغلظ قلوب الناس عليه فأمر لكل أسير بدينار^(١) وأمر بالرؤوس فدفت، وقدم أبو الساج من طريق مكة لأربع بقين من ربيع الأول فخلع عليه، وفي سلخ ربيع الأول جاء نفر من الأتراك إلى باب الشماسية ومعهم كتاب من المعتز إلى محمد بن عبدالله فاستأذنه أصحابه في أخذه فأذن لهم فإذا فيه يذكره ما يجب عليه من حفظ العهد القديم فإن الواجب عليه أنه كان أول من يسعى في أمره ويؤكد خلافته فما رد عليه محمد جواب الكتاب.

وكانت وقعة بينهم لسبع خلون من ربيع الآخر قتل من الأتراك سبعمائة ومن أصحاب محمد ثلاثمائة. وفي منتصف ربيع الآخر أمر أبو الساج، وعلي بن فراشة، وعلي بن حفص بالمسير إلى المدائن فقال أبو الساج لمحمد بن عبدالله: إن كنت تريد الجدم مع هؤلاء القوم فلا تفرق قوادك واجمعهم حتى تهزم هذا العسكر المقيم بإزائك، فإذا فرغت منهم فما أقدرك على من بعدهم فقال: إن لي تدبيراً ويكفي الله أن شاء الله، فقال أبو الساج: السمع والطاعة وسار إلى المدائن وحفر خندقها وأمدته محمد بثلاثة آلاف فارس وألفي راجل، وكتب المعتز إلى أخيه أبي أحمد يلومه للتقصير في قتال أهل بغداد فكتب إليه في الجواب:

لأمر المنايا علينا طريقاً وللدهر فينا اتساعٌ وضيقٌ
وأيامنا عبرة^(٢) للأنام فمنها البُكور ومنها الطروقُ

(١) في الطبري « بدينارين » .

(٢) في الطبري : « فأيامنا عبر » .

وَيَخْذُلُ فِيهَا الصُّدِيقَ الصَّدُوقُ^(١)
تَفُوقُ^(٢) الْعَيُونَ وَبِحَرِّ عَمِيقٍ
وَخَوْفٍ شَدِيدٍ وَحِصْنٍ وَثِيقٍ
سِلَاحَ السِّلَاحِ فَمَا يَسْتَفِيقُ
وَهَذَا حَرِيقُ وَهَذَا غَرِيقُ
وَأَخْرُ يَشْدُخُهُ الْمَنْجَنِيقُ
وَدُورُ خَرَابٍ وَكَانَتْ تَرُوقُ
وَجَدْنَاهُ قَدْ سُدَّ عِنَا الطَّرِيقُ
وَبِاللَّهِ نَدْفَعُ مَا لَا نَطِيقُ

وَمِنْهَا هَنَاتٌ تُشِيبُ الْوَلِيدَ
وَفِتْنَةٌ دِينَ لَهَا^(٣) ذُرُوءَةٌ
قَتَالٌ مَتِينٌ^(٤) وَسَيْفٌ عَتِيدٌ
وَطَوْلُ صِيَاخٍ لِدَاعِي الصَّبَاحِ
فَهَذَا طَرِيقُ^(٥) وَهَذَا جَرِيقُ
وَهَذَا قَتِيلٌ وَهَذَا تَلِيلٌ
هُنَاكَ اغْتَصَابٌ وَثُمَّ انْتِهَابٌ
إِذَا مَا شَرَعْنَا^(٦) إِلَى مَسَلَكٍ
فَبِاللَّهِ نَبْلُغُ مَا نَرْتَجِي^(٧)

وهذه الأبيات لعلي بن أمية في فتنة الأمين والمأمون.

ذكر حال الأنبار

وسير محمد بن عبدالله إلى الأنبار نجوبة بن قيس فأقام بها وجمع بها نحواً من ألفي رجل وأمدّه محمد بن عبدالله بألف وخمسمائة وشق الماء من الفرات إلى خندقها ففاض على الصحاري فصار بطيخة واحدة وقطع القناطر، وسير المعتز جنداً مع علي الإسحاقي نحو الأنبار فوصلوا ساعة وصلها مدد محمد وقد نزلوا ظاهرها فاقتتلوا أشد قتال فانهزم مدد محمد بن عبدالله ورجعوا في الطريق الذي جاؤوا فيه إلى بغداد، وكان نجوبة بالأنبار لم يخرج منها فلما بلغه هزيمة مدده ومسير الأتراك إليه عبر إلى الجانب الغربي وقطع الجسر وسار نحو بغداد، فاختر محمد بن عبدالله انفاذ

(١) في الطبري «الصادق الصديق».

(٢) في الطبري «وسور عريض له ذرورة».

(٣) في الطبري «تفوت».

(٤) في الطبري «مبيد».

(٥) في الطبري «قتيل».

(٦) في الطبري «سمونا».

(٧) في الطبري «نرتجيه».

الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم إلى الأنبار في جماعة من القواد والجند فجهزهم وأخرج لهم رزق أربعة أشهر، وخرج الجند وعرضهم الحسين وسار عن بغداد يوم الخميس لسبع بقين من جمادى الأولى وتبعه الناس ، والقواد ، وبنو هاشم إلى الياسرية ، وكان أهل الأنبار لما دخلها الأتراك قد أمنوهم ففتحوا دكاكينهم وأسواقهم ووافاهم سفن من الرقة تحمل الدقيق والزيت وغير ذلك ، فانتهبها الأتراك وحملوها إلى منازلهم بسامرا ووجهوا بالأسرى وبالرؤوس معها .

وسار الحسين حتى نزل دِمْما^(١) ووافته طلائع الأتراك فوق دِمْما فصفت أصحابه مقابل الأتراك بينهما نهر وكان عسكره عشرة آلاف رجل ، وكان الأتراك زهاء ألف رجل فتراموا بالسهم فجرح بينهم عدد وعاد الأتراك إلى الأنبار ، وتقدم الحسين فنزل بمكان يعرف بالقطيعة واسع يحمل العسكر فأقام فيه يومه ، ثم عزم على الرحيل إلى قرب الأنبار فأشار عليه القواد أن ينزل عسكره بهذا المكان بالقطيعة لسعته وحصانته ويسير هو وجنده جريدة فإن كان الأمر له كان قادراً على نقل عسكره وإن كان عليه رجع إلى عسكره وعاود عدوه فلم يقبل منهم ، وسار من مكانه فلما بلغ المكان الذي يريد النزول به أمر الناس بالنزول ، فأتت الأتراك جواسيسهم وأعلموهم بمسيره وضيق مكانه ، فاتاهم الأتراك والناس يحيطون أثقالهم فثار أهل العسكر وقتلوهم فقتل بينهم قتلى من الفريقين ، وحمل أصحاب الحسين عليهم فكشفوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم خلق كثير ، وكان الأتراك قد كمنوا لهم كميناً فخرج الكمين على بقية العسكر فلم يكن لهم ملجأ إلا الفرات وغرق من أصحابه خلق كثير وقتل جماعة وأسر جماعة ، وأما الفرسان فهربوا لا يلوون على شيء والقواد ينادونهم الرجعة فلم يرجع أحد فخافوا على نفوسهم فرجعوا يحمون أصحابهم ، وأخذ الأتراك عسكر الحسين بما فيه من الأموال والخلع التي كانت معه ، وسلم ما كان معه من سلاح في السفن لأن الملاحين حذروا السفن فسلم ما معهم من سلاح وغير ذلك ، ووصل المنهزمون إلى الياسرية لست خلون من جمادى الآخرة ، ولقي الحسين رجل من التجار ممن ذهبت أموالهم فقال : الحمد لله الذي بيض وجهك أصعدت في اثني عشر يوماً وانصرفت في يوم واحد فتغافل عنه .

(١) دِمْما : بكسر أول وثنائيه : قرية كبيرة على الفرات قرب بغداد عند الفلوجة .

ولما اتصل خبر الهزيمة لمحمد بن عبدالله بن طاهر منع المنهزمين من دخول بغداد ونادى من وجدناه ببغداد من عسكر الحسين بعد ثلاثة أيام ضرب ثلاثمائة سوط وأسقط من الديوان ، فخرج الناس إلى الحسين بالياسرية وأخرج إليهم ابن عبدالله جنداً آخر وأعطاهم الأرزاق ، وأمر بعض الناس ليعلم من قتل ومن غرق ومن سلم ففعلوا ذلك ، وأتاهم كتاب بعض عيونهم من الأنبار يخبرهم أن القتلى كانت من الترك أكثر من مائتين والجرحى نحو أربعمائة وأن جميع من أسره الأتراك مائتان وعشرون رجلاً وأنه عد رؤوس القتلى فكانت سبعين رأساً وكانوا أخذوا جماعة من أهل الأسواق فاطلقوهم ، فرحل الحسين لاثنتي عشرة بقية من جمادى الآخرة وسار حتى عبر نهر أريق ، فلما كان السبت لثمان خلون من رجب أتاه إنسان فأعلمه أن الأتراك يريدون العبور إليه في عدة مخاضات فضره ووكّل بمواضع المخاض رجلاً من قواده يقال له : الحسين بن علي بن يحيى الأرمني في مائتي رجل ، فأتى الأتراك المخاضة فرأوا الموكل بها فتركوها إلى مخاضة أخرى فقاتلوهم ، وصبر الحسين بن علي وبعث إلى الحسين بن اسماعيل أن الأتراك قد وافوا المخاضة فقبل للرسول : الأمير نائم فارسل آخر فقبل له : الأمير في المخرج فارسل آخر فقبل : الأمير قد عاد نام ، فعبر الأتراك فقعد الحسين بن علي في زورق وانحدر وهرب أصحابه منهزمين ، وقتل الأتراك منهم وأسروا نحو مائتين وانحدرت عامة السفن فسلمت ، ووضع الأتراك السيف وغرق خلق كثير من الناس فوصل المنهزمون بغداد نصف الليل ووافى بقيتهم في النهار ، واستولى الأتراك على أنقالهم وأموالهم ، وقتل عدة من قواد الحسين فقال الهندواني في الحسين :

يا أحزَمَ الناسِ رأياً في تخلفِهِ	عن القتالِ خلطَ الصفو بالكدرِ
لما رأيتِ سُيوفَ التركِ مُصلَّتةً	علِمْتَ ما في سيوفِ التركِ من قَدَرِ
فَصِرتَ مضطجراً ^(١) ذلاً وَمَنْقَصَةً	والنَجْ يذهبُ بينَ العَجْزِ والضَّجْرِ

ولحق فيها جماعة من الكتاب ، والقواد وبني هاشم بالمعتر؛ فمن بني هاشم :

علي ومحمد ابنا الواثق ، وغيرهما .

ثم كانت بينهم عدة وقعات وقتل فيها من الفريقين جماعة ، ودخل الأتراك في

(١) في الطبري «منحزراً» .

بعض تلك الحروب إلى بغداد ثم تكاثر الناس عليهم فأخرجوهم منها، وجرى بين أبي الساج وجماعة من الأتراك وقعة هزمهم أبو الساج، ثم واقعوه أخرى فتخلّى عنه بعض أصحابه فانهزم ودخل الأتراك المدائن، وخرجت الأتراك الذين بالأنبار في سواد بغداد من الجانب الغربي حتى بلغوا صرصر، وقصر ابن هبيرة.

وفي ذي القعدة كانت وقعة عظيمة خرج محمد بن عبدالله بن طاهر في جميع القواد والعسكر ونصب له قبة وجلس فيها واقتل الناس قتالاً شديداً فانهزمت الأتراك ودخل أهل بغداد عسكرهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وهربوا على وجوههم لا يلوون على شيء فكلما جيء برأس يقول بُغا: ذهبت الموالي وساء ذلك من مع بُغا ووصيف من الأتراك، ووقف أبو أحمد بن المتوكل يرد الأتراك ويخبرهم أنهم إن لم يرجعوا لم يبق لهم بقية، وتبعهم أهل بغداد إلى سامرا فترجعوا إليه، وإن بعض أهل بغداد رجعوا عن المنهزمين فرأى أصحابهم أعلامهم فظنوها أعلام الأتراك قد عادت فانهزموا نحو بغداد مزدحمين، وتراجع الأتراك إلى عسكرهم ولم يعلم بهزيمتهم أهل بغداد فتحملوا عليهم، وفي ذي الحجة وجه أبو أحمد خمس سفائن مملوءة طعاماً ودقيقاً إلى ابن طاهر.

وفي ذي الحجة علم الناس بما عليه ابن طاهر من خلع المستعين والبيعة للمعتر ووجه قواده إلى أبي أحمد فبايعوه للمعتر، وكانت العامة تظن أن الصلح جرى على أن الخليفة المستعين والمعتر ولي عهده، وفي ذي الحجة أيضاً خرج رشيد بن كاوس أخو الأفشين - وكان موكلاً بباب السلامة - إلى الأتراك وسار معهم إلى أبي حامد ثم عاد إلى أبواب بغداد يقول للناس: إن أمير المؤمنين المعتر، وأبا أحمد يقرآن عليكم السلام ويقولان: من أطاعنا وصلناه ومن أبى فهو أعلم فشتمه الناس وعلموا بما عليه محمد بن عبدالله بن طاهر، فعبرت العامة إلى الجزيرة التي حذاء داره فشتموه أقبح شتم ثم ساروا إلى باب داره ففعلوا به مثل ذلك وقتلوا من على بابه حتى كشفوهم ودخلوا دهليز داره وأرادوا إحراق داره فلم يجدوا ناراً، وبات منهم بالجزيرة جماعة يشتمونه وهو يسمع فلما ذكروا اسم أمه ضحك وقال: ما أدري كيف عرفوه وقد كان أكثر جوارى أبي لا يعرفون اسمها، فلما كان الغد فعلوا مثل ذلك؛ فسار محمد إلى المستعين وسأله أن يطلع إليهم ويسكنهم، ففعل وقال لهم: إن محمداً لم يخلع ولم

اتهمه ووعدهم أن يصلي بهم الجمعة فانصرفوا، ثم ترددت الرسل بين محمد بن عبدالله وبين أبي أحمد مع حماد بن اسحاق بن حماد بن يزيد، وثار قوم من رجالة الجند وكثير من العامة فطلب الجند أرزاقهم وشكت العامة سوء الحال وغلاء السعر وقالوا: إما خرجت فقابلت وإما تركتنا فوعدهم الخروج أو فتح باب الصلح، ثم جعل على الجسور وبالجزيرة وبباب داره الرجال والخيل فحضر الجزيرة بشر كثير فطردوا من كان بها وقتلوا الناس، وأرسل محمد بن عبدالله إلى الجند يعدهم رزق شهرين وأمرهم بالنزول فأبوا وقالوا: لا نفعل حتى نعلم نحن والعامة على أي شيء نحن؟ فخرج إليهم بنفسه فقالوا له: إن العامة قد اتهموك في خلع المستعين والبيعة للمعتز وتوجيهك القواد بعد القواد ويخافون دخول الأتراك والمغاربة إليهم فإن يفعلوا بهم كما عملوا في المدائن، والانباء فهم يخافون على أنفسهم وأولادهم وأموالهم، وسألوا إخراج الخليفة إليهم ليروه ويكذبوا ما بلغهم.

فلما رأى محمد ذلك سأل المستعين الخروج إليهم، فخرج إلى دار العامة ودخل إليه جماعة من الناس فنظروا إليه وخرجوا فأعلموا الناس الخبر فلم يقتنعوا بذلك؛ فأمر المستعين باغلاق الأبواب وصعد سطح دار العامة ومحمد بن عبدالله معه فرآه الناس وعليه البردة وبيده القضيب فكلم الناس وأقسم عليهم بحق صاحب البردة إلا انصرفوا فإنه آمن لا بأس عليه من محمد، فسأله الركوب معهم والخروج من دار محمد لأنهم لا يأمنوه عليه فوعدهم ذلك، فلما رأى ابن طاهر فعلهم عزم على النقلة عن بغداد إلى المدائن فأثاه وجوه الناس وسأله الصفح واعتذروا بأن ذلك فعل الغوغاء والسفهاء فرد عليهم رداً جميلاً، وانتقل المستعين عن داره في ذي الحجة وأقام بدار رزق الخادم بالرصافة وسار بين يديه محمد بن عبدالله بالحربة.

فلما كان من الغد اجتمع الناس بالرصافة فأمروا القواد وبنو هاشم بالمسير إلى دار محمد بن عبدالله والعود معه إذا ركب ففعلوا ذلك، فركب محمد في جمع وتعبية ووقف للناس وعاتبهم وحلف انه ما يريد للمستعين ولا لولي له ولا لأحد من الناس سوءاً وأنه ما يريد إلا إصلاح أحوالهم حتى بكى الناس ودعوا له وسار إلى المستعين، وكان ابن طاهر مجدداً في أمر المستعين حتى غيره عبدالله بن يحيى بن خاقان وقال له: ان هذا الذي تنصره وتجعد في أمره من أشد الناس نفاقاً وأخبثهم ديناً والله لقد أمر وصيفاً وبُغاً

بقتلك فاستعظما ذلك ولم يفعلاه وإن كنت شاكاً في قلبي فسل تخبره، وإن من ظاهر نفاقه أنه كان بسامرا لا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاته فلما صار إليك جهر بها مراعاة لك وتترك نصرة وليك وصهرك وتربيتك ونحو ذلك من كلام كلمه به، فقال محمد: أخزى الله هذا ما يصلح لدين ولا دنيا، ثم ظاهر عبيدالله بن يحيى بأحمد بن إسرائيل، والحسن بن مخلد.

فلما كان يوم الأضحى صلى المستعين بالناس ثم حضر محمد بن عبدالله عند المستعين وعنده الفقهاء، والقضاة فقال له: قد كنت فارقني على أن تنفذ أمري في كل ما أعزم عليه وخطك عندي بذلك فقال المستعين احضر الرقعة فأحضرها فإذا فيها ذكر الصلح وليس فيها ذكر الخلع فقال: نعم أمض الصلح. فخرج محمد إلى ظاهر باب الشماسية فضرب له مضرب فنزل إليه ومعه جماعة من أصحابه، وجاء أبو أحمد في سمرية فصعد إليه فتناظرا طويلاً ثم خرجا، فجاء ابن طاهر إلى المستعين فأخبره أنه بذل له خمسين ألف دينار ويقطع عليه ثلاثين ألف دينار وعلى أن يكون مقامه بالمدينة يتردد منها إلى مكة ويخلع نفسه من الخلافة، وأن يعطي بغا ولاية الحجاز جميعه، ويولي وصيفاً الجبل وما والاها، ويكون ثلث ما يجبي من المال لمحمد بن عبدالله وجند بغداد والثلاثين للموالي والأتراك، فامتنع المستعين من الإجابة الى الخلع وظن أن وصيفاً، ويغما معه يكاشفانه فقال: النطع والسيف، فقال له ابن طاهر: أما أنا فأقعد ولا بد لك من خلعه طائعاً أو مكرهاً. فأجاب إلى الخلع؛ وكان سبب إجابته إلى الخلع أن محمداً ويغما، ووصيفاً لما ناظروه في الخلع أغلظ عليهم فقال وصيف: أنت أمرتنا بقتل باغر فصرنا إلى ما نحن فيه وأنت أمرتنا بقتل أتماش وقلت: إن محمداً ليس بناصح وما زالوا يفرعون، وقال محمد: وقد قلت لي: إن أمرنا لا يصلح إلا باستراحتنا من هذين الاثنين، فلما رأى ذلك أذعن بالخلع وكتب بما أراد لنفسه من الشروط وذلك لأحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة. وجمع محمد الفقهاء، والقضاة وأدخلهم على المستعين وأشهدهم عليه أنه قد صير أمره إلى محمد بن عبدالله ثم أخذ منه جوهر الخلافة، وبعث ابن طاهر إلى قواده ليؤافوه ومع كل قائد عشرة نفر من وجوه أصحابه فأتوهم فمناهم وقال لهم: ما أردت بما فعلت إلا صلاحكم وحقق الدماء، وأمرهم بالخروج إلى المعتز في الشروط التي شرطها المستعين لنفسه ولقواده ليوقع المعتز عليها

بخطه، ثم أخرجهم إلى المعتز فمضوا إليه فأجاب إلى ما طلبوا ووقع عليه بخطه وشهدوا على إقراره، وخلع عليهم ووجه معهم من يأخذ البيعة على المستعين، وحمل إلى المستعين أمه وعياله بعد ما فتشوا وأخذوا ما معهم، وكان دخول الرسل بغداد من عند المعتز لست خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين.

ذكر غزو الفرنج بالأندلس

في هذه السنة سير محمد بن عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس جيشاً مع ابنه المنذر إلى بلاد المشركين في جمادى الآخرة فساروا وقصدوا الملاحه وكانت أموال لذريق بناحية ألية والقلاع، فلما عم المسلمون بلدهم بالخراب والنهب جمع لذريق عساكره وسار يريداهم فالتقوا بموضع يقال له : فج المركوين وبه تعرف هذه الغزاة فاقتتلوا فانهزم المشركون إلا أنهم لم يبعدوا واجتمعوا بهضبة بالقرب من موضع المعركة فتبعهم المسلمون وحملوا عليهم واشتد القتال فولى الفرنج منهزمين لا يلوون على شيء وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، وكانت هذه الوقعة ثاني عشر رجب، وكان عدد ما أخذ من رؤوس المشركين ألفين وأربعمائة واثنين وتسعين رأساً وكان فتحاً عظيماً وعاد المسلمون.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة رجع سليمان بن محمد صرفه عبدالله بن طاهر إلى طبرستان من جرجان بجمع كثير وخيل وسلاح فتنحى الحسن بن زيد عن طبرستان ولحق بالديلم ودخلها سليمان وقصد سارية وأتاه ابنان لقارن بن شهریار وأتاه أهل آمل وغيرهم منيبين مظهرين الندم يسألون الصفح فلقبهم بما أرادوا ونهى أصحابه عن القتل والنهب والأذى، وورد كتاب أسد بن جندان إلى محمد بن عبدالله يخبره انه لقي علي بن عبدالله الطالبي المسمى بالمرعشي فيمن معه من رؤساء الجبل فهزمه ودخل مدينة آمل.

وفيهما ظهر بأرمينية رجلان فقاتلتهما العلاء بن أحمد عامل بُغا الشرايبي فهزمهما فصعدا قلعة هناك فحصرهما ونصب عليها المجانيق فهزما منها وخفي أمرهما عليه وملك القلعة. وفيها حارب عيسى بن الشيخ الموفق الخارجي فهزمه وأسر الموفق.

وفيه ورد كتاب محمد بن طاهر بن عبدالله بخبر الطالبي الذي ظهر بالري وما أعد له من العساكر المسيرة إليه وظفر به واسمه محمد بن جعفر فأخذه أسيراً ثم سار إلى الري بعد أسر محمد بن جعفر بن أحمد بن عيسى بن الحسين الصغير بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وادريس بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام . وفيها انهزم الحسن بن زيد من محمد بن طاهر وكان لقيه في ثلاثين ألفاً وقتل من أصحابه أعيان الحسن ثلاثمائة وأربعين رجلاً . وفيها خرج إسماعيل بن يوسف العلوي ابن أخت موسى بن عبدالله الحسني ، وفيها كانت وقعة بين محمد بن خالد بن يزيد وأحمد الموند وأيوب بن أحمد بالكسير من أرض بني تغلب فقتل بينهما جماعة كثيرة فانهزم محمد ونهب متاعه . وفيها غزا بلكاجور الروم ففتح مطمورة وغنم غنيمة كثيرة وأسر جماعة من الروم . وفيها ظهر بالكوفة رجل من الطالبين اسمه الحسين بن أحمد بن حمزة بن عبدالله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام واستخلف بها محمد بن جعفر بن حسن بن جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام - يكنى أبا أحمد - فوجه اليه المستعين مزاحم بن خاقان ، وكان العلوي بسواد الكوفة في جماعة من بني أسد ، ومن الزيدية واجلى عنها عامل الخليفة وهو أحمد بن نصير بن حمزة بن مالك الخزاعي إلى قصر ابن هبيرة ، واجتمع مزاحم ، وهشام بن أبي دلف العجلي فسار مزاحم إلى الكوفة فحمل أهل الكوفة العلوية على قتالهم ووعدهم النصرة فتقدم مزاحم وقاتلهم ، وكان قد سير قائداً معه جماعة فأتى أهل الكوفة من ورائهم فأطبقوا عليهم فلم يفلت منهم أحد ، ودخل الكوفة فرماه أهلها بالحجارة فأحرقها بالنار فاحترق منها سبعة أسواق حتى خرجت النار إلى السبيع ، ثم هجم على الدار التي فيها العلوي فهرب وأقام المزاحم بالكوفة فأتاه كتاب المعتز يدعوه إليه فسار إليه ، وفيها ظهر إنسان علوي بناحية نينوى من أرض العراق فلقه هشام بن أبي دلف في شهر رمضان فقتل من أصحاب العلوي جماعة وهرب فدخل الكوفة .

وفيها ظهر الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن علي بن الحسين بن علي المعروف بالكوكبي بناحية قزوين وزنجان فطرد

(١) في الطبري « محمد بن جعفر بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن حسن » .

عمال طاهر عنها . وفيها قطعت بنو عقيل طريق جدة فحاربهم جعفر بشاشات فقتل من أهل مكة نحو ثلاثمائة رجل فغلت الأسعار بمكة وأغارت الأعراب على القرى ، وفيها ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بمكة فهرب جعفر بشاشات وانتهب إسماعيل منزله ومنازل أصحاب السلطان وقتل الجند وجماعة من أهل مكة وأخذ ما كان حمل لإصلاح القبر^(١) من المال وما في الكعبة وخزائنها من الذهب ، والفضة ، وغير ذلك وأخذ كسوة الكعبة وأخذ من الناس نحواً من مائتي ألف دينار ، وخرج منها بعد أن نهبها وأحرق بعضها في ربيع الأول بعد خمسين يوماً وسار إلى المدينة فتواري عاملها ، ثم رجع إسماعيل إلى مكة في رجب فحصرهم حتى تماوت أهلها جوعاً وعطشاً وبلغ الخبز ثلاثة أواق بدرهم واللحم رطل بأربعة دراهم وشربة ماء بثلاثة دراهم ولقي أهل مكة منه كل بلاء ، ثم سار إلى جدة بعد مقام سبعة وخمسين يوماً فحبس عن الناس الطعام وأخذ الأموال التي للتجار وأصحاب المراكب ، ثم وافى إسماعيل عرفة . وبها محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور الملقب بكعب البقر ، وعيسى بن محمد المخزومي صاحب جيش مكة كان المعتز وجههما إليه فقاتلهما إسماعيل وقتل من الحاج نحو ألف ومائة وسلب الناس وهربوا إلى مكة ولم يقفوا بعرفة ليلاً ولا نهاراً ، ووقف إسماعيل وأصحابه ثم رجع إلى جدة فأفنى أموالها . وفيها مات سري السقطي الزاهد ، واسحاق بن منصور بن بهرام أبو يعقوب الكوسج الحافظ النيسابوري توفي في جمادى الأولى وله مستند يروى عنه .

(١) في الطبري « لإصلاح العين » .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائتين

ذكر خلع المستعين

في هذه السنة خلع المستعين أحمد بن محمد بن محمد بن المعتصم نفسه من الخلافة وبايع للمعتز بالله بن المتوكل وخطب للمعتز ببغداد يوم الجمعة لأربع خلون من المحرم وأخذ له البيعة على كل من بها من الجند ، وكان ابن طاهر قد دخل على المستعين ومعه سعيد بن حميد وقد كتب شروط الأمان فقال له : يا أمير المؤمنين قد كتب سعيد كتاب الشروط فأكدته غاية التوكيد فنقرأه عليك لتسمعه فقال المستعين : لا حاجة لي إلى توكيدها فما القوم بأعلم بالله منك ولقد أكدت على نفسك قبلهم بمكان ما علمت فمأرد عليه محمد شيئاً ، فلما بايع المستعين للمعتز وأشهد عليه بذلك نقل من الرصافة إلى قصر الحسن بن سهل بالمحرم ومعه عياله وأهله جميعاً ووكل بهم وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم ، ووجه مع عبدالله بن طاهر ، ومنع المستعين من الخروج إلى مكة فاخترار المقام بالبصرة ، فقبل له : إن البصرة وبيئة فقال : هي أوبأ أو ترك الخلافة ؟ ولست خلون من المحرم دخل بغداد أكثر من مائتي سفينة فيها صنوف التجارات وغنم كثير وفيها سير المستعين إلى واسط واستوزر المعتز أحمد بن أبي اسرائيل وخلع عليه ، ورجع أبو أحمد إلى سامرا لاثنتي عشرة خلت من المحرم ، فقال بعض الشعراء في خلع المستعين :

خلع الخليفة^(١) أحمد بن محمد وسيقتل التالي له أو يُخلع
ويزول ملك بني أبيه ولا نرى أحداً بملك منهم يتمتع^(٢)

(١) في الطبري « الخلافة » .

(٢) في الطبري « ولا يرى أحد تملك منهم يستمتع » .

إيها بني العباس إن سبيلكم في قتل أعبدكم سبيل^(١) مهيع
وقعتم دنياكم فتمزقت بكم الحياة تمزقاً لا يُرَقَع

وقال الشعراء في خلعه كالبحتري ومحمد بن مروان بن أبي الجنوب وغيرهما ،
فاكثروا فيه ، ولسبع بقين من المحرم انصرف أبو الساج ديوداد بن ديودست إلى بغداد
فقلده محمد بن عبدالله معاون ماء سقي الفرات من السواد فسيّر نوابه إليها لطرده
الأتراك ، والمغاربة عنها ثم سار أبو الساج إلى الكوفة .

ذكر حال وصيف وبغا

وفيها كتب المعتز إلى محمد بن عبدالله في اسقاط إسم وصيف وبغا ومن معهما
من الدواوين ، وكان محمد بن أبي عون - وهو أحد قواد محمد بن عبدالله - قد وعد أبا
أحمد أن يقتل بغا ووصيفاً فعقد له المعتز على اليمامة والبحرين والبصرة فكتب قوم من
أصحاب بغا ووصيف إليهما بذلك وحذروهما محمد بن عبدالله فركبا إلى محمد وعرفاه
ما ضمنه ابن أبي عون من قتلهما ، وقال بغا : ان القوم قد غدروا أو خالفوا ما فارقونا
عليه والله لو أرادوا أن يقتلونا ما قدروا عليه ، فكفه وصيف وقال : نحن نقعد في بيوتنا
حتى يجيء من يقتلنا ورجعا إلى منازلهما وجمعا جندهما ، ووجه وصيف أخته سعاد
إلى المؤيد وكان في حجرها فكلّم المؤيد المعتز في الرضا عنه فرضي عن وصيف
وكتب إليه بذلك ، وتكلم أبو أحمد بن المتوكل في بغا فكتب إليه بالرضا عنه وهما
ببغداد ، ثم تكلم الأتراك بإحضارهما إلى سامرا فكتب إليهما بذلك وكتب إلى
محمد بن عبدالله ليمنعهما من ذلك ، فأتاها كتاب إحضارهما فأرسله إلى محمد بن
عبدالله يستأذنه وخرج وصيف وبغا وفرسانهما وأولادهما في نحو أربعمائة إنسان
وخلقا الثقل والعيال فوجه ابن طاهر إلى باب الشماسية من يمنهم فمضوا إلى باب
خراسان وخرجوا منه ، ووصلا سامرا ورجعا إلى منزلهما من الخدمة وخلع عليهما وعقد
لهما على أعمالهما ، ورد البريد إلى موسى بن بغا الكبير .

ذكر الفتنة بين جند بغداد ومحمد بن عبدالله

وفي هذه السنة كانت وقعة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبدالله بن طاهر .

(١) في الطبري « طريق » .

وكان سبب ذلك أن الشاكرية وأصحاب القروض اجتمعوا إلى دار محمد يطلبون أرزاقهم في رمضان فقال لهم : إني كتبت إلى أمير المؤمنين في إطلاق أرزاقكم فكتب في الجواب : إن كنت تريد الجند لنفسك فأعطهم أرزاقهم وإن كنت تريد لهم لنا فلا حاجة لنا فيهم ، فشغبوا عليه وأخرج لهم ألفي دينار ففرقت فيهم فسكتوا ، ثم اجتمعوا في رمضان أيضاً ومعهم الأعلام ، والطبول وضربوا الخيام على باب حرب وعلى باب الشماسية وغيرهما وبنوا بيوتاً من بواري وقصب وباتوا ليلتهم فلما أصبحوا كثر جمعهم ، وأحضر محمد أصحابه فباتوا في داره وشحن داره بالرجال ، واجتمع إلى أولئك المشغبين خلق كثير بيناب حرب بالسلاح ، والأعلام ، والطبول ورئيسهم أبو القاسم عبدون^(١) بن الموفق وكان من نواب^(٢) عبيد الله بن يحيى بن خاقان - فتحهم على طلب أرزاقهم وفائتهم ، فلما كان يوم الجمعة أرادوا أن يمنعوا الخطيب من الدعاء للمعز فعلم الخطيب بذلك فاعتذر بمرض لحقه ولم يخطب ، فمضوا يريدون الجسر فوجه إليهم ابن طاهر عدة من قواده في جماعة من الفرسان والرجال فاقتتلوا فقتل بينهم قتلى ودفعوا أصحاب ابن طاهر عن الجسر فلما رأى النذير بالجانب الشرقي أن أصحابهم أزالوا أصحاب ابن طاهر عن الجسر حملوا يريدون العبور إلى أصحابهم .

وكان ابن طاهر قد أعد سفينة فيها شوك وقصب فألقى فيها النار وأرسلها إلى الجسر الأعلى فأحرقت سفنه وقطعته وصارت إلى الجسر الآخر فأدركها أهل الجانب الغربي فغرقوها ، وعبر من في الجانب الشرقي إلى الغربي ودفعوا أصحاب ابن طاهر إلى باب داره وقتل بينهم نحو عشرة أنفس ، ونهب العامة مجلس الشرط وأخذوا منه شيئاً كثيراً من أصناف المتاع ، ولما رأى ابن طاهر أن الجند قد ظهروا على أصحابه أمر بالحوانيت التي على باب الجسر أن تحرق فاحترق للنجار متاع كثير فحالت النار بين الفريقين ورجع الجند إلى معسكرهم بيناب حرب ، وجمع ابن طاهر عامة أصحابه وعباهم تعبئة الحرب خوفاً من رجعة الجند فلم يكن لهم عودة ، فاتاه في بعض الأيام رجلا من الجند فولاه على عورة القوم فأمر لهما بمائتي دينار ، وأمر الشاه ابن ميكال وغيره من القواد في جماعة بالمسير إليهم فسار إلى تلك الناحية ، وكان أبو القاسم وابن

(١) في الطبري « عبدان » .

(٢) في الطبري « من اثبات » .

الخليل - وهما المقدمان على الجند - قد خافا بمضي ذينك الرجلين وقد تفرق الناس عنهما فسار كل واحد منهما إلى ناحية ، فأما ابن الخليل فإنه لقي الشاه بن ميكال ومن معه فصاح بهم وصاح به أصحاب محمد وصار في وسطهم فقتل ، وأما أبو القاسم فإنه اختفى فدل عليه فأخذ وحمل الى ابن طاهر وتفرق الجند من باب حرب ورجعوا إلى منازلهم ، وقيد أبو القاسم وضرب ضرباً مبرحاً فمات منه في رمضان .

ذكر خلع المؤيد وموته

في رجب خلع المعتز أخله المؤيد من ولاية العهد بعده ، وكان سببه أن العلاء بن أحمد عامل أرمينية بعث إلى المؤيد بخمسة آلاف دينار ليصلح بها أمره ، فبعث عيسى بن فرخان شاه إليها فأخذها ، فأغرى المؤيد الأتراك بعيسى وخالفهم المغاربة ، فبعث المعتز إلى المؤيد ، وأبي أحمد فأخذهما وحبسهما ، وقيد المؤيد وأدر العطاء للأتراك والمغاربة ، وقيل : إنه ضربه أربعين مقرة وخلعه بسامرا وأخذ خطه بخلع نفسه ، وكانت وفاته أيضاً في رجب لثمان بقين من الشهر ، وكان سبب موته أن امرأة من نساء الأتراك أعلمت محمد بن راشد أن الأتراك يريدون إخراج المؤيد من الحبس فأنهى ذلك إلى المعتز فلذكر موسى بن بغا عنه فقال : ما أرادوه إنما أرادوا أن يخرجوا أبا أحمد بن المتوكل لأنهم به وكان في الحرب التي كانت ، فلما كان من الغداة دعا بالقضاة والفقهاء ، والوجوه فأخرج المؤيد إليهم ميتاً لا أثر به ولا جرح وحمل إلى أمه ومعه كفته وأمرت بدفنه ، فقيل : إنه أدرج في لحاف سمور وأمسك طرفاه حتى مات وقيل : إنه أقعد في الثلج وجعل على رأسه منه كثير فجمد برداً ، ولما مات المؤيد نقل أخوه أبو أحمد إلى محبسه وكانا لأب وأم .

ذكر قتل المستعين

ولما أراد المعتز قتل المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم كتب إلى محمد بن عبدالله يأمره بتسليم المستعين إلى سيما الخادم ، فكتب محمد إلى الموكلين بالمستعين بواسط في تسليمه إليه وأرسل أحمد بن طولون في تسليمه فأخذاه أحمد وسار به إلى القاطول فسلمه إلى سعيد بن صالح فأدخله سعيد منزله وضربه حتى مات ، وقيل : بل جعل في رجله حجراً وألقاه في دجلة ، وقيل : كان قد حمل معه داية له تعادله فلما أخذه سعيد ضربه بالسيف فصاح وصاحت دايته ثم قتل وقتلت المرأة معه

وحمل رأسه إلى المعتز وهو يلعب بالشطرنج فقبل : هذا رأس المخلوع فقال : ضعوه حتى أفرغ من الدست ، فلما فرغ نظر إليه وأمر بدفنه وأمر لسعيد بخمسين ألف درهم وولاه معونة البصرة .

ذكر الفتنة بين الأتراك والمغاربة

وفي هذه السنة مستهل رجب كانت الفتنة بين الأتراك والمغاربة .

وسببها أن الأتراك وثبوا بعيسى بن فرخان شاه فضربوه وأخذوا دابته ، واجتمعت المغاربة منع محمد بن راشد ، ونصر بن سعد^(١) وغلبوا الأتراك على الجوسق وأخرجوهم منه وقالوا لهم : كل يوم تقتلون خليفة وتخلعون آخر وتعملون وزيراً ، وصار الجوسق وبيت المال في أيدي المغاربة وأخذوا الدواب التي كان تركها الأتراك ، فاجتمع الأتراك وأرسلوا إلى من بالكرخ والدور منهم فاجتمعوا وتلاقوا هم والمغاربة وأعان الغوغاء والشاكرية المغاربة فضعف الأتراك وانقادوا ، فأصلح جعفر بن عبد الواحد بينهم على أن لا يحدثوا شيئاً وكل موضع يكون فيه رجل من الفريقين يكون فيه رجل من الفريق الآخر فمكثوا مدة مديدة ، ثم اجتمع الأتراك وقالوا : نطلب هذين الرأسين فإن ظفرنا بهما فلا أحد ينطق ، فبلغ الخبر باجتماع الأتراك إلى محمد بن راشد ، ونصر بن سعد^(٢) فخرجا إلى منزل محمد بن غرون^(٣) ليكونا عنده حتى يسكن الأتراك ثم يرجعا إلى جمعتهما ، فغمز بهما إلى الأتراك فأخذوهما فقتلوهما ، فبلغ ذلك المعتز فأراد قتل ابن غرون^(٤) فكلم فيه فنفاه إلى بغداد .

ذكر خروج مساور بالبوازيج

في هذه السنة في رجب خرج مساور بن عبد الحميد بن مساور الشاري البجلي الموصلية بالبوازيج - وإلى جده ينسب فندق مساور بالموصل - وكان سبب خروجه أن شرطة الموصل كان يتولاها هو لبني عمران ، وأمراء الموصل لزموا إنساناً اسمه

(١) في الطبري « نصر بن سعيد » .

(٢) في الطبري « نصر بن سعيد » .

(٣) في الطبري « محمد بن غزون » بالعين المهملة .

(٤) في الطبري « ابن غزون » .

حسين بن بكير فأخذ أبناً لمساور هذا اسمه حوثره فحبسه بالحديثة - وكان حوثره جميلاً - فكان حسين هذا يخرج من الحبس ليلاً ويحضر عنده ويرده إلى الحبس نهائياً ، فكتب حوثره إلى أبيه مساور وهو بالبوازيح يقول له : أنا بالنهار محبوس وبالليل عروس فغضب لذلك وقلق وخرج ، وباعه جماعة وقصد الحديثة فاخفى حسين بن بكير وأخرج مساور ابنه حوثره من الحبس وكثر جمعه من الأكراد والأعراب وسار إلى الموصل فنزل بالجانب الشرقي ، وكان الوالي عليها عقبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الأشعث بن أهبان الخزاعي ، وأهبان يقال : إنه مكلم الذئب وله صحبة فوافقه عقبة من الجانب الغربي ، فعبر دجلة رجلان من أهل الموصل إلى مساور فقاتلا فقتلا وعاد مساور وكره القتال وكان حوثره بن مساور معهم فسمع يقول :

أنا الغلام البجلي الشاري أخرجني جوركم من داري

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة حمل محمد بن علي بن خلف العطار، وجماعة من الطالبين إلى سامرا فيهم أبو أحمد محمد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن حسن بن علي بن أبي طالب ، وأبو هاشم داود بن القاسم الجعفري في شعبان .

وكان سبب ذلك أن رجلاً من الطالبين سار من بغداد في جماعة من الشاكرية إلى ناحية الكوفة وكانت من أعمال أبي الساج وكان مقيماً ببغداد ، فأمر محمد بن عبدالله بالمسير إلى الكوفة فقدم بين يديه خليفته عبد الرحمن إلى الكوفة ، فلما صار إليها رمي بالحجارة وظنوه جاء لحرب العلوي فقال : لست بعامل إنما أنا رجل وجهت لحرب الأعراب فكفوا عنه ، وكان أبو أحمد الطالبي المذكور قد ولاه المعتز الكوفة بعدما هزم مزاحم بن خاقان العلوي الذي كان وجه لقتاله بها وقد تقدم ذكره ، فعاش أبو أحمد فيها وأذى الناس وأخذ أموالهم وضياعهم ، فلما أقام عبد الرحمن بالكوفة لطفه واستماله حتى خالطه أبو أحمد وأكله وشاربه حتى سار به ثم خرج منتزهاً إلى بستان فأمسى وقد عبي له عبد الرحمن أصحابه فقيده وسيره إلى بغداد في ربيع الآخر ، ووجدت مع ابن أخ لمحمد بن علي بن خلف العطار كتب من الحسن بن زيد فكتب بخبره إلى المعتز فكتب إلى محمد بن عبدالله بحمله وحمل الطالبين المذكورين إلى سامرا فحملوا جميعاً .

وفيهما ولي الحسين بن أبي الشوارب قضاة القضاة ، وفيها توجه أبو الساج إلى طريق خراسان من قبل محمد بن عبدالله . وفيها عقد لعيسى بن الشيخ على الرملة وأنفذ خليفته أبا المغراء إليها ، وعيسى هذا شيباني وهو عيسى بن الشيخ بن السليل من ولد جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان واستولى على فلسطين جميعها ، فلما كان من الأتراك بالعراق ما ذكرناه تغلب على دمشق وأعمالها وقطع ما كان يحمل من الشام إلى الخليفة واستبد بالأموال ، وفيها كتب وصيف إلى عبد العزيز بن أبي دلف العجلي بتوليته الجبل وبعث إليه بخلع فتولى ذلك من قبله . وفيها قتل محمد بن عمرو الشاري بديار ربيعة قتله خليفة لأيوب بن أحمد في ذي القعدة . وفيها أغار جستان^(١) صاحب الديلم مع عيسى بن أحمد العلوي^(٢) ، والحسن بن أحمد الكوكبي على الري فقتلوا وسبوا وكان بها عبدالله بن عزيز فهرب منها فصالحهم أهل الري على ألفي ألف درهم فارتحلوا عنها وعاد ابن عزيز فأخذ أحمد بن عيسى وبعث به إلى نيسابور . وفيها مات اسماعيل بن يوسف الطالبي الذي كان فعل بمكة ما فعل . وفيها حج بالناس محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور . وفيها سير محمد بن عبد الرحمن صاحب الأندلس جيشاً إلى بلاد العدو فقصدوا ألية والقلاع ومدينة مانة وقتلوا من أهلها عدداً كثيراً ثم قفل الجيش سالمين . وفيها توفي محمد بن بشار بNDAR ، وأبو موسى محمد بن المثنى الزمن البصريان وهما من مشايخ البخاري ومسلم في الصحيح ، وكان مولده بNDAR سنة سبع وستين ومائة .

(١) في الطبري « أغار ابن جستان » .

(٢) في الطبري « أحمد بن عيسى العلوي » وما هنا غلط بدليل ما بعده .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين ذكر أخذ كرج من أبي دلف

فيها عقد المعتز لموسى بن بغا الكبير في رجب على الجبل فسار على مقدمته مفلح ، فلقه عبد العزيز بن أبي دلف خارج همدان فتحاربوا وكان مع عبد العزيز أكثر من عشرين ألفاً من الصعاليك وغيرهم فانهزم عبد العزيز وقتل أصحابه . فلما كان في رمضان سار مفلح نحو الكرج^(١) وجعل له كمينين ووجه عبد العزيز عسكرياً فيه أربعة آلاف فقاتلهم مفلح وخرج الكمينان على أصحاب عبد العزيز فانهزموا وقتلوا وأسروا ، وأقبل عبد العزيز ليعين أصحابه فانهزم بانهزامهم وترك كرج ومضى إلى قلعة له يقال لها : زر^(٢) فتحصن بها ودخل مفلح كرج فاخذ أهل عبد العزيز وفيهم والدته .

ذكر قتل وصيف

وفيها قتل وصيف .

وكان سبب قتله أن الأتراك ، والفراغنة ، والأشروسنية شغبوا وطلبوا أرزاقهم لأربعة أشهر فخرج إليهم بُغا ، ووصيف وسيما فكلّمهم وصيف فقال لهم : خذوا التراب ليس عندنا مال ، وقال بُغا : نعم نسأل أمير المؤمنين ونتناظر في دار أشناس ، فدخلوا دار أشناس ومضى سيما ، وبغا إلى المعتز وبقي وصيف في أيديهم فوثب عليه بعضهم فضربه بالسيف ووجاه آخر بسكين ثم ضربوه بالطبرزيّات حتى قتلوه وأخذوا رأسه ونصبوه على محراك تنور ، وجعل المعتز ما كان إلى وصيف إلى بغا الشرابي - وهو بغا الصغير - وألبسه التاج والوشاحين .

(١) كرج : بفتح أوله وثانيه : وهي مدينة بين همدان وأصبهان في نصف الطريق .

(٢) في الطبري « دز » .

ذكر قتل بندار الطبري

وفيها قتل بندار الطبري .

وكان سبب قتله أن مساور بن عبد الحميد الموصلي الخارجي لما خرج بالبوازيج كما ذكرنا وكان طريق خراسان الى بندار ، ومظفر بن سيسل وكان بالدسكرة فاتى الخبر الى بندار بمسير مساور إلى كَرْخ جُدَان^(١) فقال المظفر في المسير إليه ، فقال للمظفر : قد أمسينا وغداً العيد فإذا قضينا العيد سرنا إليه ، فهم بندار طمعاً في أن يكون الظفر له فسار ليلاً حتى أشرف على عسكر مساور فأشار عليه بعض أصحابه أن يبيتهم فأبى وقال : حتى أراهم ويروني فأحس به الخوارج فركبوا واقتلوا ، وكان مع بندار ثلاثمائة فارس ومع الخوارج سبعمائة فاشتد القتال بينهم ، وحمل الخوارج حملة اقتطعوا من أصحاب بندار أكثر من مائة فصبروا لهم وقتلوه حتى قتلوا جميعاً فانهزم بندار وأصحابه ، وجعل الخوارج يقطعونهم قطعة بعد قطعة فقتلوه وأمعن بندار في الهرب فطلبوه فلحقوه فقتلوه ونصبوا رأسه ، ونجا من أصحابه نحو من خمسين رجلاً وقتل مائة ، وأتى الخبر الى المظفر فرحل نحو بغداد وسار مساور نحو حلوان فقاتله أهلها فقتل منهم أربعمائة انسان وقتلوا من أصحابه جماعة ، وقتل عدة من حجاج خراسان كانوا بحلوان وأعانوا أهلها ثم انصرفوا عنه ، وقال ابن مساور في ذلك :

فجعت العراق ببندارها وحزت البلاد بأقطارها
وحلوان صبحتها غارة فقبلت أغرار غرارها
وعقبه بالموصل أحجرتة وطوقته الذل في كارها

ذكر موت محمد بن عبدالله بن طاهر

وفي ليلة اربع عشرة من ذي الحجة انخسف القمر جميعه ومع انتهاء خسوفه مات محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين ، وكانت علته التي مات بها قروحاً أصابته في حلقه ورأسه فذبحته وكانت تدخل فيها الفتائل . ولما اشتد مرضه كتب الى عماله وأصحابه بتفويض ما اليه من الولاية الى اخيه عبيدالله بن طاهر ، فلما مات تنازع ابنه

(١) كرخ جدان : بليدة في آخر ولاية العراق يناوح خانقين عن بعد وهو الحد بين ولاية شهر زور والعراق .

طاهر وأخوه عبيد الله الصلاة عليه فصلى عليه ابنه ، وتنازع عبيد الله وأصحاب طاهر حتى سلوا السيوف ورموا بالحجارة ومالت العامة مع أصحاب طاهر ، وعبر عبيد الله الى داره بالجانب الشرقي فعبّر معه القواد لاستخلاف محمد وكان وصاه على أعماله ، ثم وجه المعتز بعد ذلك الخلع الى عبيد الله فأمر عبيد الله للذي أتاه بالخلع بخمسين ألف درهم .

ذكر الفتنة بأعمال الموصل

في هذه السنة كانت حرب بين سليمان بن عمران الأزدي وبين عترة .

وسببها أن سليمان اشترى ناحية من المرج فطلب منه انسان من عترة اسمه برهونة الشفعة فلم يجبه اليها ، فسار برهونة الى عترة وهم بين الزابين فاستجار بهم وبين شيان واجتمع معه جمع كثير فنهبوا الأعمال وأسرفوا ، وجمع سليمان لهم بالموصل وسار إليهم فعبّر الزاب وكانت بينهم حرب شديدة قتل فيها كثير وكان الظفر لسليمان ، فقتل منهم بباب شمعون مقتلة عظيمة وادخل من رؤوسهم الى الموصل أكثر من مائتي رأس ، فقال حفص بن عمرو الباهلي قصيدة يذكر فيها الواقعة أولها :

شهدت مواقفنا نزاراً فأخمدت كرات كل سُمَيْدَعٍ قَمَقَامٍ
جاؤوا وجئنا لا نفيتم صلنا ضرباً يطيح جماجم الأجسام

وهي طويلة .

وفيهما كان أيضاً بأعمال الموصل فتنة وحرب قتل فيها الحباب بن بكير التليدي ، وسبب ذلك أن محمد بن عبد الله بن السيد بن أنس التليدي الأزدي اشترى قريتين كان رهنهما محمد بن علي التليدي عنده وكره صاحبهما أن يشتريهما فشكا ذلك إلى الحباب بن بكير فقال الحباب له : ائتني بكتاب من بُغَا لأمنع عنهما وأعطاء دواب ونفقة وانحدر الى سر من رأى وأحضر كتاباً من بُغَا إلى الحباب يأمره بكف يد محمد بن عبد الله بن السيد عن القريتين ؛ ففعل ذلك وأرسل اليهما من منع عنهما محمداً فجرت بينهم مراسلات واصطلحوا ، فبينما محمد بن عبد الله بن السيد والحباب بالبستان على شراب لهما ومعهما قينة فقال لها الحباب : غني بهذا الشعر :

متى تجمع القلب الذكي وصارما وانفا حميا تجتنبك المظالم

فغنت الجارية فغضب محمد بن عبدالله وقال لها : بل غني :

كذبتُم وبيتُ الله لا تأخذونها مراغمةً ما دامٌ للسيف قائمٌ
ولا صلحٌ حتى تُقرعَ البيضُ بالقنا ويضربُ بالبيض الخفافُ الجماجمُ

وافترقا وقد حقد كل واحد منهما على صاحبه ، وأعاد الحباب التوكيل بالقريتين فجمع محمد جمعاً وترددت الرجل في الصلح وأجابا الى ذلك وفرق محمد جمعه فأبلغ محمد أن الحباب قال : لو كان مع محمد أربعة لما أجاب الى الصلح فغضب لذلك وجمع جمعاً كثيراً وسار مبادراً الى الحباب ، فخرج اليه الحباب غير مستعد فاقتلوا فقتل الحباب ومعه ابن له وجمع من اصحابه وكان ذلك في ذي القعدة من هذه السنة .

ذكر عدة حوادث

فيها نفى أبو أحمد بن المتوكل الى البصرة ثم رد الى بغداد فأنزل في الجانب الشرقي بقصر دينار ، ونُفي ايضاً علي بن المعتصم الى واسط ثم رد الى بغداد .

وفيها مات مزاحم بن خاقان بمصر في ذي الحجة ، وحج بالناس عبدالله بن محمد بن سليمان الزينبي . وفيها غزا محمد بن معاذ من ناحية ملطية فانهزم وأسر ، وفيها التقى موسى بن بغا والكوكبي العلوي عند قزوين فانهزم الكوكبي ولحق بالديلم ، وكان سبب الهزيمة أنهم لما اصطفوا للقتال جعل أصحاب الكوكبي ترسهم في وجوههم فيتقون بها سهام أصحاب موسى ، فلما رأى موسى أن سهام اصحابه لا تصل اليهم مع فعلهم أمر بما معه من النفط أن يصب في الأرض ثم أمر أصحابه بالاستطراد لهم ففعلوا ذلك فظن الكوكبي وأصحابه أنهم قد انهزموا فتبعهم ، فلما توسطوا النفط أمر موسى بالنار فألقيت فيه فالتهب من تحت أقدامهم فجعلت تحرقهم فانهزموا فتبعهم موسى ودخل قزوين . وفيها في ذي الحجة لقي مساور الخارجي عسكرياً للخليفة مقدمهم حطرمس^(١) بناحية جلولاء فهزمه مساور . وفيها سار جيش المسلمين من الأندلس إلى بلاد المشركين فافتتحوا حصون جرنيق وحاصروا قوتب وغلب على أكثر أسوارها .

(١) في الطبري « حطارمش » .

ذكر ابتداء دولة يعقوب الصفار وملكه هراة وبوشنج

كان يعقوب بن الليث وأخوه عمرو يعملان الصفر بسجستان ويظهران الزهد والتقشف ، وكان في أيامهما رجل من أهل سجستان يظهر التطوع بقتال الخوارج يقال له : صالح المطوعي فصحبه يعقوب وقاتل معه فحظي عنه فجعله صالح مقام الخليفة عنه ، ثم هلك صالح وقام مقامه إنسان آخر اسمه درهم فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح قبله ، ثم إن صاحب خراسان احتال لدرهم لما عظم شأنه وكثر أتباعه حتى ظفر به وحمله الى بغداد فحبسه بها ثم أطلق وخدم الخليفة ببغداد ، وعظم أمر يعقوب بعد أخذ درهم وصار متولي أمر المتطوعة مكان درهم ، وقام بمحاربة الشراة فظفر بهم وأكثر القتل فيهم حتى كاد يفنيهم وخرّب قراهم ، وأطاعه أصحابه بمكره وحسن حاله ورأيه طاعة لم يطيعوها أحداً كان قبله ، واشتدت شوكته فغلب على سجستان وأظهر التمسك بطاعة الخليفة وكاتبه وصدر عن أمره وأظهر أنه هو أمره بقتال الشراة ، وملك سجستان وضبط الطرق وحفظها وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فكثر أتباعه فخرج عن حد طلب الشراة وصار يتناول أصحاب أمير خراسان للخليفة ، ثم سار من سجستان الى هراة من خراسان هذه السنة ليملكها وكان أمير خراسان محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر بن الحسين وعامله على هراة محمد بن أوس الأنباري فخرج منها لمحاربة يعقوب في تعبئة وبأس شديد وزي جميل فتحاربوا واقتتلا قتالاً شديداً فانهزم ابن أوس وملك يعقوب هراة ، وبوشنج وصارت المدينتان في يده فعظم أمره حينئذ وهابه أمير خراسان وغيره من أصحاب الأطراف .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين

ذكر مقتل بغا الشرابي

فيها قتل بغا الشرابي ، وكان سبب قتله أنه كان يحرض المعتز على المسير الى بغداد والمعتز يأبى ذلك ويكرهه ، فاتفق أن بغا اشتغل بتزويج ابنته من صالح بن وصيف فركب المعتز ومعه أحمد بن اسرائيل الى كرخ سامرا إلى بابكيال^(١) التركي ومن معه من المنحرفين عن بغا ، وكان سبب انحرافه عنه أنهما كانا على شراب لهما فعربد أحدهما على الآخر فاختنفى بابكيال من بغا ، فلما أتاها المعتز اجتمع معه أهل الكرخ ، وأهل الدور ثم اقبلوا مع المعتز الى الجوسق بسامرا وبلغ ذلك بغا فخرج في غلمانة - وهم زهاء خمسمائة انسان من ولده وقواده - فسار الى السن فشكا أصحابه بعضهم الى بعض ما هم فيه من العسف وأنهم خرجوا بغير مضارب ولا ما يلبسونه في البرد وأنهم في شتاء فأتاه بعض أصحابه وأخبره بقولهم فقال : دعني حتى أنظر الليلة ، فلما جن عليه الليل ركب في زورق ومعه خادمان وشيء من المال الذي صحبه وكان قد صحبه تسع عشرة بدره دنائير ومائة بدره دراهم ولم يحمل معه سلاحاً ولا سكيناً ولا شيئاً ولم يعلم به أحد من عسكره ، وكان المعتز في غيبة بغا لا ينام الا في ثيابه وعليه السلاح ، فسار بغا الى الجسر في الثلث الأول من الليل فبعث الموكلون بالجسر ينظرون من هو فصاح الغلام فرجع ، وخرج بغا في البستان الخاقاني فلحقه عدة من الموكلين فوقف لهم بغا وقال : أنا بغا إما أن تذهبوا معي الى صالح بن وصيف وإما أن تصيروا معي حتى أحسن اليكم ، فتوكل به بعضهم وأرسلوا الى المعتز بالخبر فأمر بقتله فقتل وحمل رأسه الى المعتز ونصب بسامرا وبيغداد وأحرقت المغاربة جسده ، وكان أراد أن يختفي عند

(١) في الطبري بابكيالك وقد تقدم قبل غير مرة كذلك .

صالح بن وصيف فإذا اشتغل الناس بالعيد - وكان قد قرب - خرج هو وصالح ووثبوا بالمعتر .

ذكر ابتداء حال أحمد بن طولون

كانت ديار مصر قد أقطعتها بابكيال - وهو من أكابر قواد الأتراك - وكان مقيماً بالحضرة واستخلف بها من ينوب عنه بها، وكان طولون والد أحمد بن طولون أيضاً من الأتراك وقد نشأ هو بعد والده على طريقة مستقيمة وسيرة حسنة، فالتمس بابكيال من يستخلفه بمصر فأشير عليه بأحمد بن طولون لما ظهر عنه من حسن السيرة فولاه وسيّره إليها، وكان بها ابن المدبر على الخراج وقد تحكم في البلد فلما قدمها أحمد كف يد ابن المدبر واستولى على البلد، وكان بابكيال قد استعمل أحمد بن طولون على مصر وحدها سوى باقي الأعمال كالاسكندرية وغيرها، فلما قتل المهدي بابكيال وصارت مصر لياركوج التركي وكان بينه وبين أحمد بن طولون مودة متأكدة استعمله على ديار مصر جميعها فقوي أمره وعلا شأنه ودامت أيامه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ذكر وقعة بين مساور الخارجي وبين عسكر الموصل

كان مساور بن عبد الحميد قد استولى على أكثر أعمال الموصل وقوي أمره فجمع له الحسن بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي - وكان خليفة أبيه بالموصل - عسكرياً كثيراً منهم حمدان بن حمدون جد الأمراء الحمدانية وغيره وسار إلى مساور وعبر إليه نهر الزاب فتأخر عنه مساور عن موضعه ونزل بموضع يقال له : وادي الريات - وهو واد عميق - فسار الحسن في جملته فالتقوا في جمادى الأولى واقتتلوا واشتد القتال فانهزم عسكر الموصل وكثر القتل فيهم وسقط كثير منهم في الوادي فهلك فيه أكثر من القتلى، ونجا الحسن فوصل إلى حرة من أعمال أربل اليوم، ونجا محمد بن علي بن السيد فظن الخوارج أنه الحسن فتبعوه - وكان فارساً شجاعاً - فقاتلهم فقتل واشتد أمر مساور وعظم شأنه وخافه الناس .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفي أبو أحمد بن الرشيد وهو عم الواثق، والمتوكل، وعم أبي

المنتصر، والمستعين، والمعتز، وكان معه من الخلفاء أخواه الأمين والمأمون،
والمعتصم، وابنا أخيه الواثق، والمتوكل ابنا المعتصم، وابناء ابني أخيه وهم
المنتصر والمستعين والمعتز.

وفيها في جمادى الآخرة توفي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بسامرا - وهو أحد من
يعتقد الامامية إمامته - وصلى عليه أبو أحمد بن المتوكل وكان مولده سنة اثنتي عشرة
ومائتين.

وفيها عقد صالح بن وصيف لديوداد على ديار مصر وقنسرين، والعواصم، وفيها
أوقع مفلح بأهل قم فقتل منهم مقتلة عظيمة.

وفيها عاود أهل ماردة من بلاد الأندلس الخلاف على محمد بن عبد الرحمن
صاحب الأندلس.

وسبب ذلك أنهم خالفوا قديماً على أبيه فظفر بهم وتفرق كثير من أهلها، فلما
كان الآن تجمع إليها من كان فارقتها فعادوا إلى الخلاف والعصيان فسار محمد إليهم
وحصرهم وضيق عليهم فانقادوا إلى التسليم والطاعة فنقلهم وأموالهم إلى قرطبة وهدم
سور ماردة وحصن بها الموضع الذي كان يسكنه العمال دون غيرهم، وفيها هلك
أردون بن ردمير صاحب جليقية من الأندلس وولي مكانه ادفونش وهو ابن اثنتي عشرة
سنة، وفيها انكسف القمر كسوفاً كلياً لم يبق منه شيء ظاهر، وفيها كان ببلاد الأندلس
قحط شديد تتابع عليهم من سنة احدى وخمسين إلى سنة خمس وخمسين وكشف الله
عنهم.

وفيها وصل دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي إلى الأهواز وجند يسابور.
وتستر فجبي بها مائتي ألف دينار ثم انصرف وكان والده أمره بذلك، وفي رمضان سار
نوشري إلى مساور الشاري فلقه فهزمه وقتل من أصحابه جماعة كثيرة، وحج بالناس
علي بن الحسين بن اسماعيل بن عباس بن محمد.

وفيها توفي أبو الوليد بن عبد الملك بن قطن النخوي القيرواني بها وكان إماماً في
النحو واللغة وإماماً بالعربية، قيل: مات سنة خمس وخمسين وهو أصح.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين ذكر استيلاء يعقوب بن الليث الصفار على كرمان

فيها استولى يعقوب بن الليث الصفار على كرمان، وسبب ذلك أن علي بن الحسين بن شبل كان على فارس فكتب إلى المعتر يطلب^(١) كرمان ويذكر عجز الطاهرية وأن يعقوب قد غلبهم على سجستان، وكان علي بن الحسين قد تباطأ بحمل خراج فارس فكتب إليه المعتر بولاية كرمان وكتب إلى يعقوب بن الليث بولايتها أيضاً يلتمس اغراء كل واحد منهما بصاحبه ليسقط مؤنة الهالك عنه وينفرد بالآخر، وكان كل واحد منهما يظهر طاعة لا حقيقة لها والمعتر يعلم ذلك منهما، فأرسل علي بن الحسين طوق بن المغلس إلى كرمان وسار يعقوب إليها فسبقه طوق واستولى عليها، وأقبل يعقوب حتى بقي بينه وبين كرمان مرحلة فأقام بها شهرين لا يتقدم إلى طوق ولا طوق يخرج إليه، فلما طال ذلك عليه أظهر الارتحال إلى سجستان فارتحل مرحلتين، وبلغ طوقاً ارتحاله فظن أنه قد بدا له في حربه وترك كرمان فوضع آلة الحرب وقعد للأكل والشرب والملاهي، واتصل بيعقوب إقبال طوق على الشرب فكر راجعاً فطوى المرحلتين في يوم واحد فلم يشعر طوق إلا بغبرة عسكره فقال: ما هذا؟ فقبل: غبرة المواشي فلم يكن بأسرع من موافاة يعقوب فأحاط به وأصحابه فذهب أصحابه يريدون المناهضة والدفع عن أنفسهم فقال يعقوب لأصحابه: أفرجوا للقوم فمروا هاربين وخلوا كل ما لهم وأسر يعقوب طوقاً، وكان علي بن الحسين قد سير مع طوق في صناديق قيوداً ليقيد بها من يأخذه من أصحاب يعقوب وفي صناديق أطوقه وأسورة ليعطيها أهل البلاء من أصحاب نفسه فلما غنم يعقوب عسكرهم رأى ذلك فقال: ما هذا يا طوق؟ فأخبره الأطوق والأسورة فأعطاها أصحابه وأخذ القيود والاغلال فقيد بها

(١) في الطبري «يخطب» .

أصحاب علي ، ولما أخرج يد طوق ليضع فيها الغل رآها يعقوب وعليها عصابة فسأله عنها فقال أصابني حرارة ففصدتها ، فأمر بترع خف نفسه فتساقط منه كسر خبز يابسة فقال : يا طوق هذا خفي لم أنزعه منذ شهرين من رجلي وخبزي في خفي منه أكل وأنت جالس في الشرب ، ثم دخل كرمان وملكها مع سجستان .

ذكر ملك يعقوب فارس

وفيها رابع جمادى الأولى ملك يعقوب بن الليث فارس ، ولما بلغ علي بن الحسين بن شبل بفارس ما فعله يعقوب بطوق أيقن بمجيئه إليه - وكان علي بشيراز - فجمع جيشه وسار إلى مضيق خارج شيراز من أحد جانبيه جبل لا يسلك ومن الجانب الآخر نهر لا يخاض ، فأقام على رأس المضيق وهو ضيق ممره لا يسلكه إلا واحد بعد واحد وهو على طرف البر وقال : إن يعقوب لا يقدر على الجواز إلينا فرجع ، وأقبل يعقوب حتى دنا من ذلك المضيق فنزل على ميل منه وسار وحده ومعه رجل آخر فنظر إلى ذلك المضيق والعسكر وأصحاب علي بن الحسين يسبونه - وهو ساكت - ثم رجع إلى أصحابه ، فلما كان الغد الظهر سار بأصحابه حتى صار إلى طرف المضيق مما يلي كرمان فأمر أصحابه بالتزول وحط الأثقال ففعلوا وركبوا دوابهم عرياً وأخذ كلباً كان معه فألقاه في الماء فجعل يسبح إلى جانب عسكر علي بن الحسين - وكان علي بن الحسين وأصحابه قد ركبوا ينظرون إلى فعله ويضحكون منه - وألقى يعقوب نفسه وأصحابه في الماء على خيلهم وبأيديهم الرماح يسيرون خلف الكلب ، فلما رأى علي بن الحسين أن يعقوب قد قطع عامة النهر تحير في أمره وانتقض عليه تدبيره ، وخرج أصحاب يعقوب من وراء أصحاب علي فلما خرج أوائلهم هرب أصحابه إلى مدينة شيراز لأنهم كانوا يصيرون إذا خرج يعقوب وأصحابه بين جيش يعقوب والمضيق ولا يجدون ملجأ فانهزموا فسقط علي بن الحسين عن دابته كَبَا بِهِ الفرس فأخذ أسيراً وأُتِيَ بِهِ إلى يعقوب فقيده وأخذ كل ما في عسكره ، ثم رحل من موضعه ودخل شيراز ليلاً فلم يتحرك أحد ، فلما أصبح نهب أصحابه دار علي ودور أصحابه وأخذ ما في بيوت الأموال وجبي الخراج ورجع إلى سجستان .

وقيل : إنه جرى بين يعقوب الصفار وبين علي بن الحسين بعد عبوره النهر حرب شديدة ، وذلك أن علياً كان قد جمع عنده جمعاً كثيراً من الموالي ، والأكراد ، وغيرهم

بلغت عدتهم خمسة عشر ألفاً بين فارس وراجل فعبى أصحابه ميمنة وميسرة وقلباً ووقف هو في القلب، وأقبل الصفار فعبر النهر فلما صار مع علي على أرض واحدة حمل هو وعسكره حملة واحدة على عسكر علي فثبتوا لهم ثم حمل ثانية فأزالهم عن مواقعهم وصدقهم في الحرب فانهزموا على وجوههم لا يلوي أحد على أحد، وتبعهم علي يصيح بهم ويناشدهم الله ليرجعوا أو ليقفوا فلم يلتفت إليه أحد، وقتل الرجالة قتلاً ذريعاً، وأقبل المنهزمون إلى باب شيراز مع العصر فازدحموا في الأبواب فتفرقوا في نواحي فارس وبلغ بعضهم في هزيمته إلى الأهواز، فلما رأى الصفار ما لقوا من القتل أمر بالكف عنهم ولولا ذلك لقتلوا عن آخرهم وكان القتلى خمسة آلاف قتيل، وأصاب علي بن الحسين ثلاث جراحات ثم أخذ أسيراً لما عرفوه، ودخل الصفار إلى شيراز وطاف بالمدينة ونادى بالأمان فاطمأن الناس، وعذب علياً بأنواع العذاب وأخذ من أمواله ألف بدرة؛ وقيل: أربعمائة بدرة من السلاح والأفراس وغير ذلك ما لا يحد، وكتب إلى الخليفة بطاعته وأهدى له هدية جليلة، منها عشر بازات بيض وباز ابلق صيني، ومائة من مسك وغيرها من الطرائف وعاد إلى سجستان ومعه علي وطوق تحت الاستظهار فلما فارق بلاد فارس أرسل الخليفة عماله إليها.

ذكر خلع المعتز وموته

وفيهما في يوم الأربعاء لثلاث بقين من رجب خلع المعتز، ولليلتين خلنا من شعبان ظهر موته؛ وكان سبب خلعه أن الأتراك لما فعلوا بالكتاب ما ذكرناه ولم يحصل منهم مال ساروا إلى المعتز يطلبون أرزاقهم وقالوا: أعطنا أرزاقنا حتى نقتل صالح بن وصيف فلم يكن عنده ما يعطيهم فزلوا معه إلى خمسين ألف دينار، فأرسل المعتز إلى أمه يسألها أن تعطيه مالا ليعطيهم فأرسلت إليه ما عندي شيء، فلما رأى الأتراك أنهم لا يحصل لهم من المعتز شيء ولا من أمه وليس في بيت المال شيء اتفقت كلمتهم وكلمة المغاربة والفراغنة على خلع المعتز، فساروا إليه وصاحوا فدخل إليه صالح، ومحمد بن بغا المعروف بأبي نصر وبابكيال^(١) في السلاح فجلسوا على بابهِ وبعثوا إليه أن اخرج إلينا فقال: قد شربت امس دواء وقد أفرط في العمل فإن كان أمر لا بد منه

(١) في الطبري «بابيك» .

فليدخل بعضكم - وهو يظن أن أمره واقف على حاله - فدخل إليه جماعة منهم فجروه برجله إلى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس في الدار فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحر وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده ، وأدخلوه حجرة وأحضروا ابن أبي الشوارب وجماعة أشهدوهم على خلعه وشهدوا على صالح بن وصيف أن للمعتز وأمه وولده وأخته الامان ، وكانت أمه قد اتخذت في دارها سرباً فخرجت منه هي وأخت المعتز وكانوا أخذوا عليها الطريق ومنعوا أحداً يجوز إليها ، وسلموا المعتز إلى من يعذبه فمنعه الطعام والشراب ثلاثة أيام فطلب حسوة من ماء البثر فمنعوه ثم أدخلوه سرداباً وجصصوا عليه فمات ، فلما مات اشهدوا على موته بني هاشم والقواد وانه لا أثر فيه ودفنوه مع المنتصر .

وكانت خلافته من لدن بويغ إلى أن خلع أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، وكان عمره كله أربعاً وعشرين سنة ، وكان أبيض ، أسود الشعر ، كثيفه ، حسن العينين والوجه ، أحمر الوجنتين ، حسن الجسم طويلاً وكان مولده بسر من رأى وكان فصيحاً .

فمن كلامه لما سار المستعين إلى بغداد وقد أحضر جماعة للرأي فقال لهم : أما تنظرون إلى هذه العصابة التي ذاع نفاقهم الهمج العصاة الأوغاد الذين لا مسكة بهم ولا اختيار لهم ولا تمييز معهم قد زين لهم تقحم الخطأ سوء أعمالهم فهم الأقلون وإن كثروا والمذمومون إذا ذكروا ، وقد علمت أنه لا يصلح لقود الجيوش وسد الثغور وإبرام الأمور وتدبير الأقاليم إلا رجل قد تكاملت فيه خصال أربع : حزم يتقي به عند موارد الأمور حقائق مصادرها ، وعلم يحجزه عن التهور والتغريب في الأشياء إلا مع إمكان فرصتها ، وشجاعة لا ينقصها الملهمات مع تواتر جوائحها ، وجُود يهون تبذير الأموال عند سؤالها : وأما الثلاث فسرعة مكافأة الاحسان إلى صالح الأعوان وثقل الوطأة على أهل الزيف والعدوان والاستعداد للحوادث إذ لا تؤمن حوادث الزمان ، وأما الاثنان فاسقاط الحجاب عن الرعية ، والحكم بين القوي والضعيف بالسوية ، وأما الواحدة فالتيقظ للأمر وقد اخترت لهم رجلاً من موالي ، أحدهم شديد الشكيمة ماضي العزيمة ، لا تبطره السراء ولا تدهشه الضراء ، ولا يهاب ما وراءه ولا يهوله ما يلقاه فهو كالحرش في أصل السلام ان حرك حمل وإن نهش قتل ، عدته عتيده ونقمته شديدة ، يلقي الجيش

في النفر القليل العديد بقلب أشد من الحديد ، طالب للثأر لا تفلته العساكر باسل الباس ومقتضب الأنفاس ، لا يعوزه ما طلب ولا يفوته من هرب ، وارى الزناد مضطلع العماد ، لا تشرعه الرغائب ولا تعجزه النوائب ، إن ولي كفى وإن قال وفى ، وإن نازل فبطل وإن قال فعل ، ظله لوليه ظليل وبأسه في الهياج عليه دليل ، يفوق من ساماه ويعجز من ناواه ، ويتعب من جراه وينعش من والاہ .

ذكر خلافة المهتدي

وفي يوم الأربعاء ليلة بقيت من رجب ببيع لمحمد بن الواثق ولقب بالمهتدي بالله وكان يكنى أبا عبد الله ، وأمه رومية وكانت تسمى قرب ، ولم يقبل بيعته أحد^(١) فأتى بالمعتز فخلع نفسه وأقر بالعجز عما أسند إليه وبالرغبة في تسليمها إلى ابن الواثق فبايعه الخاصة والعامة^(٢) .

ذكر الشغب ببغداد

في هذه السنة شغبت العامة ببغداد سلخ رجب ووثبوا بسليمان بن عبد الله ، وكان سببه أن كتاب المهتدي ورد سلخ رجب إلى سليمان يأمره بأخذ البيعة له وكان أبو

(١) في الطبري «بيعة أحد» .

(٢) وهاك صورة الرقعة بخلع المعتز نفسه كما في الطبري : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد عليه الشهود المسمون في هذا الكتاب شهدوا أن ابا عبدالله بن أمير المؤمنين المتوكل على الله أقر عندهم وأشهدهم على نفسه في صحة من عقله وجواز من أمره طائفاً غير مكره أنه نظر فيما كان تقلده من أمر الخلافة والقيام بأمور المسلمين فرأى أنه لا يصلح لذلك ولا يكمل له وأنه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها ضعيف عن ذلك فأخرج نفسه وتبرأ منها وخلعها من رقبته وخلع نفسه منها وبرأ كل من كانت له في عنقه بيعة من جميع أوليائه وسائر الناس مما كان له في رقابهم من البيعة والمهود والمواثيق والأيمان بالطلاق والعناق والصدقة والحج وسائر الأيمان وحللهم من جميع ذلك وجعلهم في سعة منه في الدنيا والآخرة بعد أن تبين له أن الصلاح له والمسلمين في خروجه عن الخلافة والتبرؤ منها وأشهد على نفسه بجميع ما سعى ووصف في هذا الكتاب جميع الشهود المسمين فيه وجميع من حضر بعد أن قرئ عليه حرفاً فآقر بفهمه ومعرفته جميع ما فيه طائفاً غير مكره وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ فوقع المعتز في ذلك أقر أبو عبدالله بجميع ما في هذا الكتاب وكتب بخطه وكتب الشهود شهاداتهم شهد الحسن بن محمد ومحمد بن يحيى . وأحمد بن جناب . ويحيى بن زكريا بن أبي يعقوب الأصبهاني . وعبدالله بن محمد العامري . وأحمد بن الفضل بن يحيى . وحمد بن اسحاق . وعبدالله بن محمد . وإبراهيم بن محمد ، وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ .

أحمد بن المتوكل ببغداد كان المعتز قد سيره إليها كما تقدم فأرسل سليمان إليه فأخذه إلى داره ، وسمع من ببغداد من الجند ، والعامّة بأمر المعتز فاجتمعوا إلى باب دار سليمان فقاتلهم أصحابه وقيل لهم : ما يرد علينا من سامرا خبر فانصرفوا ، ورجعوا الغد - وهو يوم الجمعة - على ذلك وخطب للمعتز ببغداد فانصرفوا ، وبكروا يوم السبت فهجموا على دار سليمان ونادوا باسم أبي أحمد ودعوا إلى بيعته وسألوا سليمان أن يريهم أبا أحمد فأظهره لهم ووعدهم أن يصير إلى محبتهم إن تأخر عنهم ما يحبون فانصرفوا بعد أن أكدوا عليه في حفظ أبي أحمد . ثم أرسل إليهم من سامرا مال ففرق فيهم فرضوا وبايعوا للمهتدي لسبع خلون من شعبان وسكنت الفتنة .

ذكر ظهور قبيحة أم المعتز

قد ذكرنا استئثارها عند قتل ابنها . وكان السبب في هربها وظهورها أنها كانت قد واطأت النفر من الكتاب الذين أوقع بهم صالح على الفتك بصالح ، فلما أوقع بهم وعذبهم علمت أنهم لا يكتمون عنه شيئاً فأيقنت بالهلاك فعملت في الخلاص ، وأخرجت ما في الخزائن إلى خارج الجوسق من الأموال ، والجواهر ، وغيرها فأودعته ، واحتالت فحفرت سرباً في حجرة لها إلى موضع يفوت التفتيش ، فلما خرجت الحادثة على المعتز بادرت فخرجت في ذلك السرب . فلما فرغوا من المعتز طلبوها فلم يجدوها ورأوا السرب فخرجوا منه فلم يقفوا على خبرها وبحثوا عنها فلم يظفروا بها ، ثم إنها فكرت فرأت أن ابنها قتل وأن الذي تختفي عنده يطمع في مالها وفي نفسها ويتقرب بها إلى صالح فأرسلت امرأة عظارة إلى صالح بن وصيف فتوسطت الحال بينهما وظهرت في رمضان .

وكانت لها أموال ببغداد فأحضرتها وهي مقدار خمسمائة ألف دينار ، وظفروا لها بخزائن تحت الأرض فيها أموال كثيرة ، ومن جملتها دار تحت الأرض وجدوا فيها ألف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار ووجدوا في سبط قدر ميكوك زمرد لم ير الناس مثله ، وفي سبط آخر مقدار ميكوك من اللؤلؤ الكبار ، وفي سبط مقدار كيلجة من الياقوت الأحمر الذي لم يوجد مثله فحمل الجميع إلى صالح ، فسبها وقال : عرضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار وعندها هذه الأموال كلها ؛ ثم سارت قبيحة إلى مكة فسمعت وهي تدعو بصوت عال على صالح بن وصيف وتقول : اللهم اخز صالحاً كما هتك ستري وقتل

ولدي وشتت شملي وأخذ مالي وغربني عن بلدي وركب الفاحشة مني وأقامت بمكة ، وكان المتوكل سماها قبيحة لحسنها وجمالها كما يسمى الاسود كافوراً قال : وكانت أم المهدي قد ماتت قبل استخلافه وكانت تحت المستعين فلما قتل جعلها المعز في قصر الرصافة فماتت ، فلما ولي المهدي قال : أما أنا فليس لي أم أحتاج لها إلى غلة عشرة آلاف دينار^(١) في كل سنة لجواريتها وخدمها والمتصلين بها وما أريد إلا القوت لنفسي وولدي وما أريد فضلاً إلا لاختوتي فإن الضائقة قد مستهم .

ذكر قتل أحمد بن اسرائيل وأبي نوح

وفيها قتل أحمد بن اسرائيل وكان صالح قد عذبه بعد أن أخذه وأخذ ماله ومال الحسن بن مخلد ثم أمر بضربه وضرب أبي نوح ضرب التلف كل واحد منهما خمسمائة سوط فماتا ودفنا وبقي الحسن بن مخلد، ولما بلغ المهدي ضربهما قال : أما عقوبة إلا السوط والقتل أما يكفي الحبس ؟ إنا لله وإنا إليه راجعون يكرر ذلك مراراً .

ذكر ولاية سليمان بن عبد الله بن طاهر بغداد وشغب الجند والعامه بها

وفي رمضان وثب عامة بغداد وجندها بمحمد بن أوس البلخي .

وكان السبب في ذلك أن محمد بن أوس قدم من خراسان مع سليمان بن عبد الله بن طاهر على الجيش القادمين من خراسان وعلى الصعاليك الذين معهم ولم يكن أسماؤهم في ديوان العراق ، وكانت العادة أن يقام لمن يقدم من خراسان بالعراق ما كان لهم بخراسان ويكون وجه ذلك من دخل ضياع ورثة طاهر بن الحسين ويكتب إلى خراسان ليعطى الورثة من بيت المال عوضه ، فلما سمع عبيد الله بن عبد الله بقدم سليمان إلى العراق ومصير الأمر إليه أخذ ما في بيت مال الورثة وأخذ نجوماً لم تحل وسار فأقام بالجويث^(٢) في شرقي دجلة ثم انتقل إلى غريبها ، فقدم سليمان فرأى بيت مال الورثة فارغاً فضاقت عليه الدنيا وأعطى أصحابه من أموال جند بغداد وتحرك الجند والشاكرية في طلب الأرزاق ، وكان الذين قدموا مع محمد بن أوس من خراسان قد

(١) في الطبري « عشرة آلاف الف » .

(٢) في نسخة « بالجويث » وما هنا موافق لما في المعجم .

أساؤوا مجاورة أهل بغداد وجأهروا بالفاحشة وتعرضوا للحرم والغلمان بالقهر فامتلاً عليهم غيظاً وحنقاً ، فاتفق العامة مع الجند وثاروا وأتوا سجن بغداد عند باب الشام فكسروا بابه وأطلقوا من فيه .

وجرى حرب بين القادمين مع ابن أوس وبين أهل بغداد فعبر ابن أوس ، وأصحابه ، وأولاده الى الجزيرة ، وتصايح الناس من أراد النهب فليلق بنا فقيل : إنه عبر إلى الجزيرة من العامة أكثر من مائة ألف نفس ؛ وأناهم الجند في السلاح فهرب ابن أوس إلى منزله فتبعه الناس فتحاربوا نصف نهار حرباً شديدة وجرح ابن أوس وانهزم هو وأصحابه وتبعهم الناس حتى أخرجوهم من باب الشماسية وانهبوا منزله وجميع ما كان فيه فقيل : كان قيمة ذلك ألفي ألف درهم وأخذوا له من الأمتعة ما لا حدّ عليه ، ونهب أهل بغداد منازل الصعاليك من أصحابه ، فأرسل سليمان بن عبدالله إلى ابن أوس يأمره بالمسير إلى خراسان ويعلمه أنه لا طريق له إلى العود إلى بغداد فرحل إلى النهروان فنهب وأفسد . ثم أتى بابكيال^(١) التركي كتب إليه ولاية طريق خراسان في ذي القعدة ، وكان مساور بن عبد الحميد قد استخلف رجلاً اسمه موسى بالدسكرة ونواحيها في ثلاثمائة رجل واليه ما بين حلوان والسوس على طريق خراسان ، ويطن جوخي ، وفيها أمر المهتدي باخراج القيان والمغنين من سامرا ونفاهم عنها ، وأمر بقتل السباع التي كانت بدار السلطان ، وطرده الكلاب ، ورد المظالم وجلس للعامة ، ولما ولي كانت الدنيا كلها بالفتن منسوجة .

ذكر استيلاء مفلح على طبرستان وعوده عنها

في هذه السنة سار مفلح إلى طبرستان فحارب الحسن بن زيد العلوي فانهزم الحسن ولحق بالديلم ودخل مفلح البلد وأحرق منازل الحسن وسار إلى الديلم في طلبه ، ثم عاد عن طبرستان بعد أن دخلها وهزم الحسن بن زيد العلوي وعاد موسى بن بَغَا من الري .

وسبب ذلك أن قبيحة أم المعتز لما رأت اضطراب الاتراك كتبت إلى موسى تسأله القدوم عليهم وأملت أن يصل قبل أن يفرط في ولدها فارط ، فعزم موسى على

(١) في الطبري « بابك » وقد تقدم غير مرة كذلك .

الانصراف وكتب إلى مفلح يأمره بالانصراف عن طبرستان إليه بالري ، فورد كتابه إلى مفلح وهو قد توجه إلى أرض الديلم في طلب الحسن بن زيد العلوي ، فلما أتاه الكتاب رجع فأتاه من كان هرب من الحسن من أهل طبرستان ورجوا العود إلى بيوتهم وقالوا له : ما سبب عودك ؟ فأخبرهم بكتاب الأمير إليه يعزم عليه ، ولم يتهياً لموسى المسير عن الري حتى أتاه خبر قتل المعتز والبيعة للمهتدي فبايعوا المهتدي ، ثم إن الموالي الذين مع موسى بلغهم ما أخذ صالح بن وصيف من أموال الكتاب وأسلاب المعتز فحسدوا المقيمين بسامرا فدعوا موسى بن بُغا بالانصراف وقدم عليهم مفلح وهو بالري فسار نحو سامرا ، فكتب إليه المهتدي يأمره بالعود إلى الري ولزوم ذلك الثغر فلم يفعل ، فأرسل إليه رجلين من بني هاشم يعرفانه ضيق الأموال عنده ويحذرانه غلبة العلويين على ما يجعله خلفه فلم يسمع ذلك ، وكان صالح بن وصيف يعظم على المهتدي انصرافه وينسبه إلى المعصية والخلاف ويتبرأ إلى المهتدي من فعله ، ولما أتى الرسل موسى ضج الموالي وكادوا أن يثبوا بالرسل ، ورد موسى الجواب يعتذر بتخلف من معه عن الرجوع إلى قوله دون ورود باب أمير المؤمنين ويحتج بما عاين الرسل وأنه إن تخلف عنهم قتلوه ، وسير مع الرسل جماعة من أصحابه فقدموا سامرا سنة ست وخمسين ومائتين .

ذكر استيلاء مساور على الموصل

لما انهزم عسكر الموصل من مساور الخارجي كما ذكرناه قوي أمره وكثر اتباعه ، فسار من موضعه وقصد الموصل فنزل بظاهرها عند الدير الأعلى فاستتر أمير البلد منه - وهو عبد الله بن سليمان - لضعفه عن مقاتلته ، ولم يدفعه أهل الموصل أيضاً لميلهم إلى الخلاف ، فوجه مساور جمعاً إلى دار عبد الله أمير البلد فأحرقها ، ودخل مساور الموصل بغير حرب فلم يعرض لأحد ، وحضرت الجمعة فدخل المسجد الجامع وحضر الناس أو من حضر منهم فصعد المنبر وخطب عليه فقال في خطبته : اللهم اصلحنا وأصلح ولاتنا ، ولما دخل في الصلاة جعل إبهاميه في أذنيه ثم كبر ست تكبيرات ثم قرأ بعد ذلك ، ولما خطب جعل على درج المنبر من أصحابه من يحرسه بالسيوف وكذلك في الصلاة لأنه خاف من أهل الموصل ، ثم فارق الموصل ولم يقدر على المقام بها لكثرة أهلها وسار إلى الحديثة لأنه كان اتخذها دار هجرته .

ذكر أول خروج صاحب الزنج

وفي شوال خرج في فرات البصرة رجل وزعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وجمع الزنج الذين كانوا يسكنون السباخ^(١) وعبر دجلة فنزل الديناري .

قال أبو جعفر : وكان اسمه فيما ذكر علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه في عبد القيس وأمه ابنة علي بن رحيب بن محمد بن حكيم من بني أسد بن خزيمة من قرى الري ، وكان يقول : جدي محمد بن حكيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن علي بن الحسين فلما قتل زيد هرب فلحق بالري فجاء إلى قرية ورزنين وأقام بها ، وإن أبا أبيه عبد الرحيم رجل من عبد القيس كان مولده بالطالقان وقدم العراق واشترى جارية سندية وأولدها محمداً أباه ، وكان متصلاً قبل بجماعة من حاشية المنتصر ، منهم غانم الشطرنجي ، وسعيد الصغير وكان معاشه منهم ومن أصحاب السلطان وكان يمدحهم ويستميحهم بشعره منهم ومن غيرهم .

ثم إنه شخص من سامرا سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين فادعى بها أنه على عبد الله بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب ودعا الناس بهجر إلى طاعته فاتبعه جماعة كثيرة من أهلها ومن غيرهم فجرى بين الطائفتين عصبية قتل فيها جماعة ، وكان أهل البحرين قد أحلوه بمحل نبي وجبي الخراج ونفذ فيهم حكمه وقاتلوا أصحاب السلطان بسببه فوتر منهم جماعة فتنكروا له فانتقل عنهم إلى الاحساء ، ونزل على قوم من بني سعد بن تميم يقال لهم : بنو الشماس وأقام فيهم وفي صحبته جماعة من البحرين منهم يحيى بن محمد الأزرق البحراني ، وسليمان بن جامع وهو قائد جيشه ، وكان يتنقل بالبادية فذكر عنه أنه قال : أوتيت في تلك الأيام بالبادية آيات من آيات امامتي ظاهرة للناس ، منها اني لقنت سوراً من القرآن فجرى بها لساني في ساعة وحفظتها في دفعة واحدة منها سبحان ، والكهف ، وصاد ومنها أني فكرت في الموضع الذي أقصده حيث نبت بي البلاد فاظلنتني غمامة وخطبت منها فليل لي : أقصد البصرة .

وقيل عنه إنه قال لأهل البادية : إنه يحيى به عمر العلوي أبو الحسن المقتول

(١) في الطبري « يكسحون السباخ » وكذلك في النجوم الزاهرة .

بناحية الكوفة فخذع أهلها فأثاءه منهم جماعة كثيرة فزحف بهم إلى موضع يقال له الردم من البحرين فكانت بينهم وقعة عظيمة وكانت الهزيمة عليه وعلى أصحابه قتلوا قتلاً كثيراً فتفرقت العرب عنه ، فلما تفرقت عنه سار فنزل البصرة في بني ضبيعة فاتبعه منهم جماعة كثيرة منهم علي بن أبان المهلبي ، وكان قدومه البصرة سنة أربع وخمسين ومائتين ، ومحمد بن رجاء الحضاري عاملها ، ووافق ذلك فتنة أهل البصرة بالبلالية ، والسعدية وطمع في إحدى الطائفتين أن تميل إليه فأرسل إليهم يدعوهم فلم يجبه أحد من أهل البلد ، وطلبه ابن رجاء فهرب فحبس رجاء جماعة ممن كانوا يميلون إليه منهم ابنه وزوجته ، وابنة له ، وجارية حامل منه ، وسار يريد بغداد ومعه من أصحابه محمد بن سلم ، ويحيى بن محمد ، وسليمان بن جامع ، ومرقس القريعي^(١) ، فلما سار بالطبيعة نذر بهم رجل كان يلي أمرها اسمه عمير بن عمار فحملهم إلى محمد بن أبي عون^(٢) عامل واسط فخلص منه هو وأصحابه ، فدخل بغداد فأقام بها حولاً فانتسب إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد ، فزعم بها أنه ظهر له آيات عرف بها ما في ضماثر أصحابه وما يفعل كل واحد منهم فاستمال جماعة من أهل بغداد ، منهم جعفر بن محمد الصوحاني من ولد يزيد بن صوحان ، ومحمد بن القاسم ، ومشرق ، ورقيق غلاما يحيى بن عبد الرحمن فسمى مشرقاً حمزة وكناه أبا أحمد وسمى رقيقاً جعفرأ وكناه أبا الفضل ، وعزل محمد بن رجاء عن البصرة فوثب رؤساء البلالية ، والسعدية ، فأخرجوا من في الحبوس فخلص أهلهم فيهم فلما بلغه خلاص أهلهم رجع إلى البصرة وكان رجوعه إليها في رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه علي بن أبان ، ويحيى بن محمد ، وسليمان ، ومشرق ، ورقيق فوافوا البصرة فنزل بقصر القرشي على نهر يعرف بعمود ابن المنجم وأظهر أنه وكيل لولد الوثاق في بيع السباخ فأقام هنالك .

وذكر ريحان أحد غلمان السورجيين^(٣) - وهو أول من صحبه منهم- أنه قال :

كنت موكلاً بغلمان مولاي أنقل لهم الدقيق فأخذني أصحابه فساروا بي إليه وأمروني أن

(١) في الطبري « وبريش القريعي » .

(٢) في نسخة « محمد بن عوف » بالفاء وهو تصحيف

(٣) في الطبري « الشورجيين » بالشين المعجمة وكذا ما بعده .

أسلم عليه بالأمر ففعلت ، فسألني عن الموضوع الذي جئت منه فأخبرته ، وسألني عن أخبار البصرة فقلت : لا علم لي ، وسألني عن غلمان السورجيين وعن أحوالهم وما يجري لهم فأعلمته ، فدعاني الى ما هو عليه فأجبتة فقال : احتل فيمن قدرت عليه من الغلمان وأقبل بهم إلي ، ووعدني أن يقودني على من آتبه به واستحلفني أن لا أعلم أحداً بموضعه وأن أرجع إليه وخلي سبيلي ، وعدت إليه من الغداة وقد أتاه جماعة من غلمان الدباشين^(١) فكتب في حرية ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾^(٢) الآية وجعلها في رأس مردي ، وما زال يدعو غلمان أهل البصرة ويقبلون إليه للخلاص من الرق والتعب فاجتمع عنده منهم خلق كثير ، فخطبهم ووعدهم أن يقودهم ويملكهم الأموال وحلف لهم بالإيمان أن لا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيئاً من الاحسان إلا أتى به إليهم ، فاتاه مواليتهم وبذلوا له على كل عبد خمسة دنانير ليسلم إليه عبده فبطح أصحابهم وأمر كل من عنده من العبيد فضربوا مواليتهم أو وكيلهم كل سيد خمسمائة سوط ، ثم أطلقهم فمضوا نحو البصرة ثم ركب في سفن هناك فعبر دجلاً إلى نهر ميمون فأقام هناك ولم يزل هذا دأبه يتجمع إليه السودان ، فلما كان يوم الفطر خطبهم وصلى بهم وذكرهم ما كانوا فيه من الشقاء وسوء الحال وأن الله تعالى أبعدهم من ذلك وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد والأموال ، فلما كان بعد يومين^(٣) رأى أصحابه الحميري فقاتلوه حتى أخرجوه من دجلة ، واستأمن الى صاحب الزنج رجل من رؤساء الزنج يكنى بأبي صالح ويعرف بالقصير في ثلاثمائة من الزنج فلما كثروا جعل القواد فيهم منهم وقال لهم : كل من أتى منكم برجل فهو مضموم إليه ، وكان ابن أبي عون قد نقل من واسط الى ولاية الإبله وكور دجلة .

وسار قائد الزنج إلى المحمدية فلما نزلها وافاه أصحاب ابن أبي عون فصاح الزنج السلاح وقاموا وكان فيهم فتح الحجام فقام وأخذ طبقاً كان بين يديه فلقه رجل من السورجيين^(٤) يقال له : بلبل فلما رآه فتح حمل عليه وحذفه بالطبق الذي بيديه فرمى

(١) في الطبري « الدباشين » بالسین المهملة .

(٢) التوبة : ١١١ .

(٣) في الطبري « بعد يوم » .

(٤) في الطبري « من السورجيين » بالشين المعجمة وقد تقدم غير مرة .

سلاحه وولى هارباً وانهزم أصحابه وكانوا أربعة آلاف وقتل منهم جماعة ومات بعضهم عطشاً وأسر منهم وأمر بضرب أعناقهم .

ثم سار إلى القادسية فنهبا أصحابه بأمره ، وما زال يتردد إلى أنهار البصرة فوجد بعض السودان داراً لبعض بني هاشم فيها سلاح بالسيف فانتهبوه فصار معهم ما يقاتلون به ، فأتاه وهو بالسيف جماعة من أهل البصرة يقاتلونه فوجه يحيى بن محمد في خمسمائة رجل فلقوا البصريين فانهمز البصريون منهم وأخذوا سلاحهم ، ثم قاتل طائفة أخرى عند قرية تعرف بقرية اليهود فهزمهم أيضاً واثبت أصحابه في الصحراء .

ثم أسرى إلى الجعفرية فوضع في أهلها السيف فقتل أكثرهم وأتى منهم بأسرى فأطلقهم ، ولقي جيشاً كبيراً للبصريين مع رئيس اسمه عقيل فهزمهم وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وكان معهم سفن فهبت عليها ريح فألقته إلى الشط فنزل الزنج وقتلوا من وجدوا فيها وغنموا ما فيها ، وكان مع الرئيس سفن فركبها ونجا فأنفذ صاحب الزنج فأخذها ونهب ما فيها ، ثم نهب القرية المعروفة بالمهلبية وأحرقها وأفسد في الأرض وعاث ، ثم لقيه قائد من قواد الأتراك يقال له : أبو هلال في أربعة آلاف مقاتل على نهر الريان فاقتتلوا وحمل السودان عليه حملة صادقة فقتلوا صاحب علمه فانهمز هو وأصحابه وتبعهم السودان فقتلوا من أصحاب أبي هلال أكثر من ألف وخمسمائة رجل وأخذوا منهم أسرى فأمر بقتلهم ، ثم إنه أتاه من أخبره أن الزينبي قد أعد له الخيول ، والمتطوعة ، والبلالية ، والسعدية وهم خلق كثير وقد أعدوا الحبال ليكتف من يأخذه من السودان والمقدم عليهم أبو منصور وأخذ موالي الهاشميين فأرسل علي بن أبان في مائة أسود ليأتيه بخبرهم فلقي طائفة منهم فهزمهم وصار من معهم من العبيد إلى علي بن أبان ، وأرسل طائفة أخرى من أصحابه فأتوا إلى موضع فيه ألف وتسعمائة سفينة ومعها من يحفظها فلما رأوا الزنج هربوا عنها فأخذ الزنج السفن وأتوا بها إلى صاحبهم فلما أتوه قعد على نشز من الأرض وكان في السفن قوم حجاج أرادوا أن يسلكوا طريق البصرة فناظرهم فصدقوه على قوله وقالوا له : لو كان معنا فضل نفقة لأقمنا معك فأطلقهم .

وأرسل طليعة تأتيه بخبر ذلك العسكر فأتاه خبرهم أنه قد أتوه في خلق كثير فأمر محمد بن سالم ، وعلي بن أبان أن يقعد لهم بالنخل وقعد هو على جبل مشرف فلم

يلبث أن طلعت الأعلام والرجال فأمر الزنج فكبروا وحملوا عليهم وحملت الخيول فراجع الزنج حتى بلغوا الجبل الذي هو عليه ثم حملوا فثبتوا لهم وقتل من الزنج فتح الحجام ، وصدق الزنج الحملة فأخذوهم بين أيديهم ، وخرج محمد بن سالم ، وعلي بن أبان وحملوا عليهم فقتلوا منهم وانهزم الناس وذهبوا كل مذهب وتبعهم السودان الى نهر بيان فوقعوا في الوحل فقتلهم السودان وغرق كثير منهم ، وأتى الخبر الى الزنوج بأن لهم كميناً فساروا إليه فإذا الكمين في أكثر من ألف من المغاربة فقاتلهم قتالاً شديداً ثم حمل السودان عليهم فقتلوهم أجمعين وأخذوا سلاحهم ، ثم وجه أصحابه فرأوا مائتي سفينة فيها دقيق فأخذوه ومتاعاً فنهبوه ونهب المعلى بن أيوب ، ثم سار فرأى مسلحة الزينبي فقاتلوه فقاتلهم فقتلهم أجمعين فكانوا مائتين ، ثم سار فنهب قرية ميزران ورأى فيها جمعاً من الزنج ففرقهم على قواده ، ثم سار فلقى ستمائة فارس مع سليمان ابن أخي الزينبي ولم يقاتله فأرسل من ينهب فأتوه بغنم وبقر فذبحوا وأكلوا وفرق أصحابه في انتهاب ما هناك .

ثم إن صاحب الزنج سار يريد البصرة حتى إذا قابل النهر المعروف بالرياحي أتاه قوم من السودان فأعلموه أنهم رأوا في الرياحي بارقة فلم يلبث إلا يسيراً حتى تنادى السودان : السلاح السلاح ، وأمر علي بن أبان بالعبور إليهم فعبّر في ثلاثمائة رجل^(١) وقال له : ان احتجت إلى مدد فاستمدني ، فلما مضى علي صاح الزنج السلاح السلاح لحركة رأوها في جهة أخرى فوجه محمد بن سالم فرأى جمعاً فقاتلهم من وقت الظهر إلى آخر وقت العصر ، ثم حمل الزنوج حملة صادقة فهزموهم وقتلوا من أهل البصرة والأعراب زهاء خمسمائة ورجعوا إلى صاحبهم ، ثم أقبل علي بن أبان في أصحابه وقد هزموا من بازائهم وقتلوا منهم ومعه رأس ابن أبي الليث البلالي القواريري من أعيان البلالية ، ثم سار من الغد عن ذلك المكان ونهى أصحابه عن دخول البصرة فتسرع بعضهم ، فلقاهم أهل البصرة في جمع عظيم وانتهى الخبر إليه فوجه محمد بن سالم ، وعلي بن أبان ، ومشرفاً وخلقاً كثيراً وجاء هو يسايرهم فلقوا البصريين فأرسل إلى أصحابه ليتأخروا عن المكان الذي هم فيه فراجعوا فأكب عليهم أهل البصرة فانهزموا وذلك عند العصر ، ووقع الزنوج في نهر كبير ونهر شيطان وقتل منهم جماعة وغرق

(١) في الطبري « فعبّر في زهاء ثلاثة آلاف »

جماعة وتفرق الباكون وتخلف صاحبهم عنهم وبقي في نفر يسير فنجاه الله تعالى ، ثم لقيهم وهم متحIRON لفقده وسأل عن أصحابه فإذا ليس معه إلا خمسمائة رجل فأمر بالنفخ في البوق الذي يجتمعون لصوته فلم يأت أحد ، وكان أهل البصرة قد انتهبوا السفن التي كانت للزنوج وبها متاعهم ، فلما أصبح رأى أصحابه في ألف رجل ، وأرسل محمد بن سالم إلى أهل البصرة يعظهم ويعلمهم ما الذي دعاه إلى الخروج فقتلوه .

فلما كان يوم الاثنين لأربع^(١) خلون من ذي القعدة جمع أهل البصرة وحشدوا لما رأوا من ظهورهم عليه وانتدب لذلك رجل يعرف بحماز^(٢) الساجي وكان من غزاة البحر وله علم في ركوب السفن فجمع المتطوعة ورماة الأهداف ، وأهل المسجد الجامع ، ومن خف معه من البلالية ، والسعدية ، ومن أحب النظر من غيرهم وشحن ثلاث مراكب وشذوات مقابلة^(٣) وجعلوا يزدحمون ، ومضى جمهور الناس رجالة منهم من معه سلاح ومنهم نظارة فدخلت المراكب في المد والرجالة على شاطئ النهر ، فلما علم صاحب الزنج بذلك وجه طائفة من أصحابه مع زريق الأصبهاني في شرقي النهر كميناً وطائفة مع شبل ، وحسين الحمامي في غربيه كميناً وأمر علي بن إبان أن يلقي أهل البصرة وأن يستتر هو ومن معهم بتراسهم ولا يقاتل حتى تظهر أصحابه ، وتقدم إلى الكمينين إذا جاوزهم أهل البصرة أن يخرجوا ويصيحوا بالناس ، وبقي هو في نفر يسير من أصحابه وقد هاله ما رأى من كثرة الجمع فسار أصحابه إليهم وظهر الكمينان من جانبي النهر ومن وراء السفن والرجالة فضربوا من ولي^(٤) من الرجالة والنظارة فغرقت طائفة وقتلت طائفة وهرب الباكون إلى الشط فأدركهم السيف فمن ثبت قتل ومن ألقى نفسه في الماء غرق فهلك أكثر ذلك الجمع فلم ينج إلا الشريد ، وكثر المفقودون من أهل البصرة وعلا العويل من نسائهم ، وهذا يوم البيداء^(٥) الذي أعظمه الناس ، وكان فيمن قتل جماعة من بني هاشم وغيرهم في خلق كثير لا يحصى ، وجمعت للخبث

(١) في الطبري « لأربع عشرة ليلة » الخ .

(٢) في الطبري « بحماز » .

(٣) في الطبري « من الشذا من الرما » . الخ .

(٤) في الطبري « وخبطوا من ولي » .

(٥) في الطبري « وهذا يوم الشذا » .

الرؤوس فأتاه جماعة من أولياء المقتولين فأعطاهم ما عرفوا ، وجمع الرؤوس التي لم تطلب وجعلها في خزينته^(١) فأطلقها فوافت البصرة فجاء الناس وأخذوا كل ما عرفوه منها وقوي عدو الله بعد هذا اليوم وتمكن الرعب في قلوب أهل البصرة منه وأمسكوا عن حربته .

وكتب الناس إلى الخليفة بخبر ما كان فوجه إليهم جعلان التركي مدداً وأمر أبا الأحوص الباهلي بالمسير إلى الأبله والياً وأمدّه بقائد من الأتراك يقال له : جريح ، وأما الخبيث صاحب الزنج فإنه انصرف بأصحابه إلى سبخة في آخر النهار^(٢) وهي سبخة أبي قره وبث أصحابه يميناً وشمالاً للغارة والنهب فهذا ما كان منه في هذه السنة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كانت وقعة بين عسكر الخليفة وبين مساور الشاري فانهزم عسكر الخليفة ؛ وفيها مات المعلى بن أيوب ، وفيها ولي سليمان بن عبد الله بن طاهر بغداد^(٣) والسواد في ربيع الأول وكان قدومه من خراسان فيه أيضاً فسار إلى المعتز فخلع عليه وسار إلى بغداد ، فقال ابن الرومي :

مَنْ عذيري من الخلائق ضلوا في سليمان عن سواء السبيل
عوضوه بعد الهزيمة بغدا د كأن قد أتى بفتح جليل
من يخوض الردى إذا كان من ف ر أنابوه بالجزء الجميل

يعني هزيمة سليمان من الحسن بن زيد العلوي ، وفيها أخذ صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل ، والحسن بن مخلد ، وأبا نوح عيسى بن إبراهيم فقيدهم وطالبهم بالأموال ، وكان سببه أن الأتراك طلبوا أرزاقهم فقال صالح للمعتز : هؤلاء يطلبون أرزاقهم وليس في بيت المال شيء وقد ذهب هؤلاء الكتاب بالأموال ، وكان أحمد وزير المعتز ، والحسين وزير أم المعتز ، وقال له أحمد بن إسرائيل : يا عاصي ابن العاصي فتراجعا الكلام فسقط صالح مغشياً عليه فرش على وجهه الماء ، وبلغ ذلك أصحابه

(١) في الطبري « في جريبة » .

(٢) في الطبري « إلى سبخة بها خير أنهارهم » ولعل ما هنا محرف عن « إلى سبخة في آخر الأنهار » لأن الطبري فسرها بعد بقوله « هي سبخة أبي قره وقعها بين النهرين نهر أبي قره والنهر المعروف بالحاجر » .

(٣) في الطبري « شرطة بغداد » .

وهم بالباب فصاحوا صيحة واحدة واختلطوا سيوفهم ودخلوا على المعتز مصلتين فدخل وتركهم ، وأخذ صالح أحمد بن اسرائيل ، وابن مخلد ، وعيسى فأثقلهم بالحديد وحملهم إلى داره ، فقال المعتز لصالح قبل أن يحملهم : هب لي أحمد فإنه كاتبي وقد رباني فلم يفعل ، ثم ضربهم وأخذ خطوطهم بمال جزيل قسظ عليهم ولم يحصل منهم شيء وقام جعفر بن محمود بالأمر والنهي ، وفيها في رجب ظهر عيسى بن جعفر ، وزيد بن علي الحسينان بالكوفة فقتلا بها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى ، وفيها في ذي القعدة حبس الحسن بن محمد بن أبي الشوارب القاضي وولي عبد الرحمن بن نائل البصري قضاء سامرا في ذي الحجة .

وحج بالناس علي بن الحسين بن العباس^(١) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس . وفيها ظهر بمصر إنسان علوي ذكر أنه أحمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن طباطبا وكان ظهوره بين برقة والاسكندرية وسار الى الصعيد وكثر اتباعه وادعى الخلافة فسير اليه أحمد بن طولون جيشاً فقاتلوه وانهزم اصحابه عنه وثبت هو فقتل وحمل رأسه الى مصر . وفيها توفي خفاجة بن سفيان أمير صقلية في رجب وولي بعده ابنه محمد وتقدم ذكر ذلك سنة سبع وأربعين ومائتين ، ولما ولي محمد سير عمه عبد الله بن سفيان الى سرقوسة فأهلك زرعها وعاد .

وفيها توفي أبو أحمد عمر بن شمر بن حمدويه الهروي اللغوي وكان إماماً في الاشعار وروى عن ابن الأعرابي ، والرياشي وغيرهما ، وفيها توفي محمد بن كرام بن عراف بن خزانة بن البراء صاحب المقالة المشهورة في التشبيه وكان موته بالشام وهو من سجستان . وفيها توفي الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قاضي مكة وكان سقط من سطح فمكث يومين ومات وكان عمره أربعاً وثمانين سنة^(٢) ، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي صاحب المسند توفي في ذي الحجة وعمره خمس وسبعون سنة ، وأبو عمران عمرو بن بحر الجاحظ وهو من متكلمي المعتزلة ، وعلي بن المثنى بن يحيى بن عيسى الموصلي والد أبي يعلى صاحب المستند ، وفيها توفي محمد سحنون الفقيه المالكي القيرواني بها .

(١) في الطبري « علي بن الحسن بن اسماعيل بن العباس » .

(٢) كان عالماً بالانساب وأيام الناس .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين

ذكر وصول موسى بن بغا الى سامرا واختفاء صالح

وفيها في ثاني عشر المحرم دخل موسى بن بغا إلى سامرا وقد عيى أصحابه واختفى صالح بن وصيف ، وسار موسى إلى الجوسق والمهتدي جالس للمظالم فأعلم بمكان موسى فأمسك ساعة عن الإذن له ثم أذن له ولمن معه فدخلوا فتناظروا ، واقاموا المهتدي من مجلسه وحملوه على دابة من دواب الشاكرية وانتهبوا ما كان في الجوسق ، وأدخلوا المهتدي دار ياجور ، وكان سبب أخذه أن بعضهم قال : إنما سبب هذه المطاولة حيلة عليكم حتى يكبسكم صالح بجيشه فخافوا من ذلك فأخذوه ، فلما أخذه قال لموسى بن بغا : اتق الله ويحك فإنك قد ركبت أمراً عظيماً فقال له موسى : وترية المتوكل ما نريد إلا خيراً ولو أراد به خيراً لقال وترية المعتصم ، والوائق ، ثم أخذوا عليه العهود أن لا يمايل صالحاً ولا يضمّر لهم إلا مثل ما يظهر ثم جددوا له البيعة ، ثم أصبحوا وأرسلوا إلى صالح ليحضر ويطالبوه بدماء الكتاب والأموال التي للمعتز وأسبابه فوعدهم ، فلما كان الليل رأى أن أصحابه قد تفرقوا ولم يبق إلا بعضهم فهرب واختفى .

ذكر قتل صالح بن وصيف

وفيها قتل صالح بن وصيف لثمان بقين من صفر . وكان سببه أن المهتدي لما كان لثلاث بقين من المحرم أظهر كتاباً زعم أن امرأة دفعته إلى سيما الشرايبي وقالت : إن فيه نصيحة وإن منزلها بمكان كذا فإن طلبوني فأنا فيه وطلبت المرأة فلم توجد ، وقيل : إنه لم يدر من ألقى الكتاب ، ودعا المهتدي القواد ، وسليمان بن وهب فأراهم الكتاب فزعم سليمان أنه خط صالح فقرأه على القواد فإذا فيه أنه مستخف بسامرا وإنما استتر طلباً للسلامة وإبقاء الموالى وطلباً لانقطاع الفتن وذكر ما صار إليه من أموال

الكتاب وأم المعتز وجهة خروجها ويدل فيه على قوة نفسه ، فلما فرغوا من قراءته وصله المهتدي بالحث على الصلح والاتفاق والنهي عن التباعد والتباين فاتهمه الأتراك بأنه يعرف مكان صالح ويميل إليه وطال الكلام بينهم في ذلك .

فلما كان الغد اجتمعوا بدار موسى بن بُغا داخل الجوسق واتفقوا على خلع المهتدي ، فقال لهم بابكيال : إنكم قتلتم ابن المتوكل وهو حسن الوجه سخي الكف فاضل النفس ، وتريدون قتل هذا وهو مسلم يصوم ولا يشرب النبيذ من غير ذنب والله لئن قتلتم هذا لألحقن بخراسان لأشيع أمركم هناك ، فاتصل الخبر بالمهتدي فتحول من مجلسه متقلداً سيفاً وقد لبس ثياباً نظافاً وتطيب ثم أمر بإدخالهم عليه فدخلوا فقال لهم : بلغني ما أنتم عليه ولست كمن تقدمني مثل المستعين ، والمعتز ، والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنط وقد أوصيت إلى أخي بولدي وهذا سيفي والله لأضربن به ما استمسك قائمه بيدي ، والله لئن سقط مني شعرة ليهلكن وليذهبن أكثركم ، كم هذا الخلاف على الخلفاء والاقدام والجراءة على الله ، سواء عليكم من قصد الإبقاء عليكم ومن كان إذا بلغه هذا منكم دعا بالنبيذ فشربه مسروراً بمكروهم حتى تعلموا أنه وصل إلى شيء من دنياكم ، أما إنكم لتعلمون أن بعض المتصلين بكم أيسر من جماعة من أهلي وولدي سواء لكم يقولون : إني أعلم بمكان صالح وهل هو إلا رجل من الموالى فكيف الإقامة معه إذا ساء رأيكم فيه ؟ وإذا أبرتم الصلح فيه كان لكم ما أنفذه لجميعكم وإن أبيتم إلا الإقامة على ما أنتم عليه فشأنكم واطلبوا صالحاً وأما أنا فما أعلم مكانه ، قالوا : فاحلف لنا على ذلك ، قال : أما اليمين فنعم ولكنها تكون بحضرة بني هاشم ، والقضاة غدا إذا صليت الجمعة ، ثم قال لبابكيال^(١) ولمحمد بن بغا : قد حضرتما ما عمله صالح في أموال الكتاب ، وأم المعتز فإن أخذ منه شيئاً فقد أخذتما مثله فاحفظهما ذلك ثم أرادوا خلعه وإنما منعهم خوف الاضطراب وقلة الأموال ، فأتاهم مال من فارس عشرة آلاف درهم وخمسمائة ألف درهم .

فلما كان سلخ المحرم انتشر الخبر في العامة أن القوم قد اتفقوا على خلع المهتدي والفتك به وأنهم قد أرهقوه وكتبوا الرقاع ورموها في الطرق والمساجد مكتوب

(١) في الطبري « بابكيال » وقد تقدم غير مرة ، وفي النجوم الزاهرة « بابك » .

فيها : يا معشر المسلمين ادعوا الله لخليفتكم العدل الرضا المضاوي لعمر بن الخطاب أن ينصره الله على عدوه ويكفيه مؤنة ظالمه ويتم النعمة عليه وعلى هذه الأمة ببقائه فإن الأتراك قد أخذوه بأن يخلع نفسه وهو يعذب منذ أيام وصلى الله على محمد ، فلما كان يوم الأربعاء لأربع خلون من صفر تحرك الموالي بالكرخ ، والدور وبعثوا إلى المهدي وسألوه أن يرسل إليهم بعض إخوته ليحملوه رسالة ، فوجه إليهم أخاه أبا القاسم عبد الله فذكروا له أنهم سامعون مطيعون وأنهم بلغهم أن موسى ، وبابكيال ، وجماعة معهما يريدونه على الخلع وأنهم يذلون دماءهم دون ذلك . وشكوا تأخر أرزاقهم وما صار من الاقطاع والزيادات والرسوم إلى قوادهم التي قد أجحفت بالخراج والضياح وما قد أخذوا النساء والدخلاء .

فكتبوا بذلك كتاباً فحمله إلى المهدي وكتب جوابه بخطه قد فهمت كتابكم وسرني ما ذكرت من طاعتكم فأحسن الله جزاءكم ، وأما ما ذكرت من خلتكم وحاجتكم فعزير عليّ ذلك ولوددت والله أن صلاحكم يهياً بأن لا آكل ولا أشرب ولا أطعم ولدي إلا القوت ولا أكسوه إلا ستر العورة وأنتم تعلمون ما صار إلي من الأموال ، وأما ما ذكرت من الاقطاعات وغيرها فأنا أنظر في ذلك وأصرفه إلى محبتكم إن شاء الله تعالى ، فقرؤوا الكتاب وكتبوا بعد الدعاء يسألون أن يرد الأمور في الخاص والعام إلى أمير المؤمنين لا يعترض عليه معترض وان يرد رسومهم إلى ما كانت عليه أيام المستعين وهو أن يكون على كل تسعة عريف وعلى كل خمسين خليفة وعلى كل مائة قائد وان يسقط النساء والزيادات ولا يدخل مولى في ماله ولا غيره^(١) وان يوضع لهم العطاء كل شهرين وان تبطل الاقطاعات ، وذكروا أنهم سائرون إلى بابه ليقضي حوائجهم وان بلغهم أن أحداً اعترض عليه أخذوا رأسه وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا بها موسى بن بَغا ، وبابكيال ، وباجور ، وغيرهم وأرسلوا الكتاب مع أبي القاسم ، وتحولوا إلى سامرا فاضطرب القواد جداً ؛ وقد كان المهدي قعد للمظالم وعنده الفقهاء ، والقضاة وقام القواد في مراتبهم فدخل أبو القاسم إليه بالكتاب فقرأه للقواد قراءة ظاهرة وفيهم موسى ، وكتب جوابه بخطه فأجابهم إلى ما سألوا ودفعه إلى أبي القاسم .

(١) في الطبري « في قبالة ولا غيرها » .

فقال أبو القاسم لموسى بن بُغا ، وبابكيال ، ومحمد بن بغا : وجهوا معي رسلاً يعتذرون إليهم عنكم ، فوجهوا معه رسلاً فوصلوا إلى الأتراك وهم زهاء ألف فارس وثلاثة آلاف راجل وذلك لخمس خلون من صفر ، فأوصل الكتاب وقال : إن أمير المؤمنين قد أجابكم إلى ما سألتهم وقال لهم : هؤلاء رسل القواد إليكم يعتذرون من شيء إن كان بلغكم عنهم وهم يقولون : إنما أنتم أخوة وأنتم منا وإلينا واعتذر عنهم ، فكتبوا إلى المهتدي يطلبون خمس توقيعات : توقيعات بخط الزيادات ، وتوقيعاً برد الإقطاعات ، وتوقيعاً بإخراج الموالى البرانيين^(١) من الخاصة إلى البرانيين ، وتوقيعاً برد الرسوم إلى ما كانت عليه أيام المستعين ، وتوقيعاً برد البلاجي^(٢) ، ثم يجعل أمير المؤمنين الجيش إلى أحد أخوته أو غيرهم ممن يرى ليرفع إليه أمورهم ولا يكون رجلاً من الموالى وأن يحاسب صالح بن وصيف ، وموسى بن بغا عما عندهما من الأموال ويجعل لهم العطاء كل شهرين لا يرضيهم إلا ذلك ودفعوا الكتاب إلى أبي القاسم .

وكتبوا كتاباً آخر إلى القواد موسى ، وغيره ذكروا فيه أنهم كتبوا إلى أمير المؤمنين بما كتبوا وأنه لا يمنعهم شيئاً مما طلبوا إلا أن يعترضوا عليه وأنهم إن فعلوا ذلك لم يوافقوهم وأن أمير المؤمنين إن شاكه شوكه وأخذ من رأسه شعرة أخذوا رؤوسهم جميعاً ولا يقنعهم إلا أن يظهر صالح ويجتمع هو وموسى بن بُغا حتى ينظر أين الأموال ، فلما قرأ المهتدي الكتاب أمر بإنشاء التوقيعات الخمس على ما سألوا وسيرها إليهم مع أبي القاسم وقت المغرب وكتب إليهم بإجابتهم إلى ما طلبوا وكتب إليهم موسى بن بُغا كذلك وأذن في ظهور صالح وذكر أنه أخوه وابن عمه وأنه ما أراد ما يكرهون ، فلما قرؤوا الكتابين قالوا : قد أمسينا وغداً نعرفكم رأينا فافترقوا .

فلما كان الغد ركب موسى من دار الخليفة ومعه من عسكره ألف وخمسمائة رجل فوقف على طريقهم وأتاهم أبو القاسم فلم يعقل منهم جواباً إلا كل طائفة يقولون شيئاً ، فلما طال الكلام انصرف أبو القاسم فاجتاز بموسى بن بُغا وهو في أصحابه فانصرف معه ، ثم أمر المهتدي محمد بن بغا أن يسير إليهم مع أخيه أبي القاسم فسار في

(١) في الطبري « البوابين » .

(٢) في الطبري « التلاجي » ..

خمسمائة فارس ، ورجع موسى إلى مكانه بكرة ، وتقدم أبو القاسم ، ومحمد بن بغا فوعدهم عن المهتدي وأعطياهم توقيعاً فيه أمان صالح بن وصيف مؤكداً غاية التوكيد ، فطلبوا أن يكون موسى في مرتبة بغا الكبير وصالح في مرتبة أبيه ويكون الجيش في يد من هو في يده وأن يظهر صالح بن وصيف ويوضع لهم العطاء ، ثم اختلفوا فقال قوم : قد رضينا وقال قوم : لم نرض ، فانصرف أبو القاسم ، ومحمد بن بغا على ذلك وتفرق الناس إلى الكرخ ، والدور ، وسامرا ، فلما كان الغد ركب بنو وصيف في جماعة معهم وتنادوا السلاح ونهبوا دواب العامة وعسكروا بسامرا وتعلقوا بأبي القاسم وقالوا : نريد صالحاً ، وبلغ ذلك المهتدي فقال لموسى : يطلبون صالحاً مني كاني أنا أخفيته إن كان عندهم فينبغي لهم أن يظهره ، ثم ركب موسى ومن معه من القواد فاجتمع الناس إليه فبلغ عسكره أربعة آلاف فارس وعسكروا ، وتفرق الأتراك ومن معهم ولم يكن للكرخيين ولا للدوريين في هذا اليوم حركة ، وجد موسى ومن معه في طلب ابن وصيف واتهموا جماعة به فلم يكن عندهم .

ثم إن غلاماً دخل داراً وطلب ماء ليشربه فسمع قائلاً يقول : أيها الأمير تنح فإن غلاماً يطلب ماء ، فسمع الغلام الكلام فجاء إلى عند عيار فأخبره فأخذ معه ثلاثة نفر وجاء إلى صالح ويده مرآة ومشط وهو يسرح لحيته فأخذه فتضرع إليه فقال : لا يمكنني تركك ولكني أمر بك على ديار أهلك وقوادك وأصحابك فإن اعترضك منهم اثنان أطلقتهما ، فأخرج حافياً ليس على رأسه شيء والعامة تعدو خلفه وهو على برذون بأكاف فأتوا به نحو الجوسق فضربه بعض أصحاب موسى على عاتقه ثم قتلوه وأخذوا رأسه وتركوا جثته ووافوا به دار المهتدي قبل المغرب فقالوا له في ذلك فقال : واروه ، ثم حمل رأسه وطيف به على قناة ، ونودي عليه هذا جزاء من قتل مولاه ، ولما قتل أنزل رأس بغا الصغير وسلم إلى أهله ليدفنه ، ولما قتل صالح قال السلولي لموسى بن بغا :

ونلت وترك من فرعون حين طغى
ثلاثة كلهم باغ أخو حسد
وحيث إذ جئت^(١) يا موسى على قدر
يرميك بالظلم والعدوان عن وتر
وصيف في الكرخ^(٢) ممثول به وبغا
بالجسر محترق بالنار والشرر

(١) في الطبري « وجئت إذ جئت » .

(٢) في الطبري « بالكرخ » .

وصالح بن وصيف بعد مُنْعِفِر بالحيير جثته^(١) والروح في سقر

ذكر اختلاف الخوارج على مساور

في هذه السنة خالف انسان من الخوارج اسمه عبيدة من بني زهير العمروي^(٢) على مساور .

وسبب ذلك أنه خالفه في توبة الخاطيء فقال مساور : تقبل توبته ، وقال عبيدة : لا تقبل ، فجمع عبيدة جمعاً كثيراً وسار إلى مساور ، وتقدم إليه مساور من الحديثة فالتقوا بنواحي جهينة بالقرب من الموصل في جمادى الأولى سنة سبع وخمسين واقتتلوا أشد قتال فترجل من عنده ومعه جماعة من أصحابه وعرقبوا دوابهم فقتل عبيدة وانهزم جمعه فقتل أكثرهم ، واستولى مساور على كثير من العراق ومنع الأموال عن الخليفة فضاقت على الجند أرزاقهم فاضطروهم ذلك إلى أن سار إليه موسى بن بغا ، وبابكيال ، وغيرهما في عسكر عظيم فوصلوا إلى السن فأقاموا به ثم عادوا إلى سامرا لما نذكرك من خلع المهتدي ، فلما ولي المعتمد الخلافة سير مفلحاً إلى قتال مساور في عسكر كبير حسن العدة ، فلما قارب الحديثة فارقتها مساور وقصد جبلين يقال لأحدهما : زيني وللآخر عامر - وهما بالقرب من الحديثة - فتبعه مفلح فعطف عليه مساور - وهو في أربعة آلاف فارس - فاقتتل هو ومفلح ، وكان مساور قد انصرف عن حرب عبيدة وقد جمع كثيراً من أصحابه فلقوا مفلحاً بجبل زيني فلم يصل مفلح منه إلى ما يريده فصعد رأس الجبل فاحتذى به ونزل مفلح في أصل الجبل وجرى بينهما وقعات كثيرة ، ثم أصبحوا يوماً وطلبوا مساوراً فلم يجدوه وكان قد نزل ليلاً من غير الوجه الذي فيه مفلح لما أيس من الظفر لضعف أصحابه من الجراح ، فحيث لم يره مفلح سار إلى الموصل فسار منها إلى ديار ربيعة سنجار ، ونصيبين ، والخابور فنظر في أمرها ثم عاد إلى الموصل فأحسن السيرة في أهلها ورجع عنها في رجب متأهباً للقاء مساور ، فلما قارب الحديثة فارقتها مساور وكان قد عاد إليها عند غيبة مفلح فتبعه مفلح فكان مساور يرحل عن المنزل فينزله مفلح ، فلما طال الأمر على مفلح وتوغل في الجبال والشعاب والمضايق وراء

(١) في الطبري « جيفته » .

(٢) في الطبري « العمروسي » .

مساور ولحق الجيش الذي معه مشقة ونصب فعاد عنه فتبعه مساور يقفو أثره ويأخذ كل من ينقطع عن ساقه العسكر فرجع إليه طائفة منهم فقاتلوه ثم عادوا ولحقوا مفلحاً ، ووصلوا الحديثة فأقام بها مفلح أياماً وانحدر أول شهر رمضان إلى سامرا فاستولى حينئذ مساور على البلاد وجبى خراجها وقويت شوكته واشتد أمره .

ذكر خلع المهدي وموته

في رجب الخامس عشر منه^(١) خلع المهدي وتوفي لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه ، وكان السبب في ذلك أن أهل الكرخ ، والدور من الأتراك الذين تقدم ذكرهم تحركوا في أول رجب لطلب أرزاقهم فوجه المهدي إليهم أخاه أبا القاسم ، وكيغلو ، وغيرهما فسكنوهم فرجعوا ، وبلغ أبو نصر محمد بن بُغا أن المهدي قال للأتراك : إن الأموال عند محمد ، وموسى ابني بغا فهرب إلى أخيه - وهو بالسن - مقابل مساور الشاري ، فكتب المهدي إليه أربعة كتب يعطيه الأمان فرجع هو وأخوه حيسون^(٢) فحبسهما ومعهما كيغلو ؛ وطولب أبو نصر محمد بن بُغا بالأموال فقبض من وكيله خمسة عشر ألف دينار وقتل ثلاث خلون من رجب ورُمي به في بئر فأتين فأخرجوه إلى منزله وصلى عليه الحسن بن المأمون .

وكتب المهدي إلى موسى بن بُغا لما حبس أخاه أن يسلم العسكر إلى بابكيال والرجوع إليه ، وكتب إلى بابكيال أن يتسلم العسكر ويقوم بحرب مساور الشاري وقتل موسى بن بغا ، ومفلح ، فسار بابكيال بالكتاب إلى موسى فقراه عليه وقال : لست أفرح بهذا فإنه تدبير علينا جميعنا فما ترى ؟ فقال موسى : أرى أن تسير إلى سامرا وتخبره أنك في طاعته ونصرتة عليّ وعلى مفلح فهو يطمئن إليك ثم تدبر في قتله ، فأقبل إلى سامرا فوصلها ومعه ياركوج ، واسارتيكين ، وسيما الطويل ، وغيرهم فدخلوا دار الخلافة لاثنتي عشرة مضت من رجب فحبس بابكيال وصرف الباقين ، فاجتمع أصحاب بابكيال وغيرهم من الأتراك وقالوا : لم حبس قائدنا ؟ ولم قتل أبو نصر بن بُغا ؟

(١) في الطبري « لأربع عشرة ليلة خلت منه » .

(٢) في الطبري « حبسون » .

وكان عند المهتدي صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور فشاوره فيه فقال له : انه لم يبلغ أحد من آبائك ما بلغته من الشجاعة وقد كان أبو مسلم أعظم شأنًا عند أهل خراسان من هذا عند أصحابه وقد كان فيهم من يعبده فما كان الا أن طرح رأسه حتى سكتوا فلو فعلت مثل ذلك سكتوا ، فركب المهتدي وقد جمع له جميع المغاربة ، والأتراك ، والفراغنة فصير في الميمنة مسروراً البلخي ، وفي الميسرة ياركوج ووقف هو في القلب مع اسارتكين ، وطبايغو ، وغيرهما من القواد ، فأمر بقتل بابكيال وألقى رأسه إليهم عتاب بن عتاب فحملوا على عتاب فقتلوه ، وعظفت ميمنة المهتدي وميسرته بمن فيها من الأتراك فصاروا مع اخوانهم الأتراك فانهزم الباقون عن المهتدي ، وقتل جماعة من الفريقين فقليل : قتل سبعمائة وثمانون رجلاً . وقيل : قتل من الأتراك نحو أربعة آلاف ، وقيل : الفان ، وقيل : ألف ، وقتل من أصحاب المهتدي خلق كثير وولى منهزماً ويده السيف وهوينادي : يا معشر المسلمين أنا أمير المؤمنين قاتلوا عن خليفتم فلم يجبه أحد من العامة إلى ذلك ، فسار إلى باب السجن فأطلق من فيه وهو يظن أنهم يعينونه فهربوا ولم يعنه أحد ، فسار إلى دار أحمد بن جميل صاحب الشرطة فدخلها وهم في أثره فدخلوا عليه وأخرجوه وساروا به إلى الجوسق على بغل فحبس عند أحمد بن خاقان وقبل المهتدي يده فيما قيل مراراً عديدة^(١) ، وجرى بينهم وبينه - وهو محبوس - كلام كثير أرادوه فيه على الخلع فأبى واستسلم للقتل ، فقالوا : إنه كتب بخطه رقعة لموسى بن بغا ، وبابكيال ، وجماعة من القواد أنه لا يغدر بهم ولا يغتالهم ولا يفتك بهم ولا يهزمهم بذلك وأنه متى فعل ذلك فهم في حل من بيعته والأمر إليهم يقعدون من شاؤوا فاستحلوا بذلك نقض أمره ، فداسوا خصيته وصفعوه فمات وأشهدوا على موته أنه سليم ليس به أثر ودفن بمقبرة المنتصر .

وقيل : كان سبب خلعه وموته أن أهل الكرخ والدور اجتمعوا وطلبوا أن يدخلوا إلى المهتدي ويكلموه بحاجاتهم فدخلوا الدار وفيها أبو نصر محمد بن بغا وغيره من القواد فخرج أبو نصر منها ودخل أهل الكرخ والدور وشكوا حالهم إلى المهتدي - وهم في أربعة آلاف - وطلبوا منه أن يعزل عنهم أمراءهم وأن يصير الأمر إلى إخوته وأن يأخذ القواد وكتابهم بالمال الذي صار إليهم فوعدهم بإجابتهم إلى ما سألوه ، فأقاموا يومهم

(١) في الطبري « وقتل المهتدي فيما قيل في الوقعة عدة كثيرة في يده » .

في الدار فحمل المهتدي إليهم ما يأكلون ، وسار محمد بن بغا إلى المحمدية وأصبحوا من الغد يطلبون ما سألوهم فقبل لهم : ان هذا أمر صعب واخراج الامر عن يد هؤلاء القواد ليس سهل فكيف إذا جمع إليه مطالبتهم بالأموال ؟ فانظروا في أموركم فإن كنتم تصبرون على هذا الأمر إلى أن تبلغ غايته وإلا فأمر المؤمنين يحسن لكم النظر ، فأبوا إلا ما سألوهم فدعوا إلى أيمان البيعة على أن يقيموا على هذا القول وأن يقتلوا من قاتلهم وينصحوا أمير المؤمنين فأجابوا إلى ذلك ، فأخذت عليهم أيمان البيعة ثم كتبوا إلى أبي نصر عن أنفسهم وعن المهتدي ينكرون خروجه عن الدار بغير سبب وأنهم إنما قصدوا ليشكوا حالهم ولما رأوا الدار فارغة أقاموا فيها ، فرجع فحضر عند المهتدي فقبل رجله ويده ووقف فسأله عن الأموال وما يقوله الأتراك فقال : وما أنا والأموال ، قال : وهل هي إلا عندك وعند أخيك وأصحابكما ؟ ثم أخذوا بيد محمد وحسوه ، وكتبوا إلى موسى بن بغا ، ومفلح بالانصراف إلى سامرا وتسليم العسكر إلى قواد ذكروهم ، وكتبوا إلى الأتراك الصغار في تسليم العسكر منهما وذكروا ما جرى لهم وقالوا : ان اجاب موسى ومفلح إلى ما أمرا به من الإقبال إلى سامرا وتسليم العسكر وإلا فشدوهم وثاقاً واحملوهم إلى الباب ، وأجرى المهتدي على من أخذت عليه البيعة كل رجل درهمين ، فلما وصلت الكتب إلى عسكر موسى أخذها موسى وقرئت عليه وعلى الناس وأخذوا عليهم البيعة بالنصرة لهم وساروا نحو سامرا فترلوا عند قنطرة الرقيق لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب ، وخرج المهتدي وعرض الناس وعاد من يومه .

وأصبح الناس من الغد وقد دخل من أصحاب موسى زهاء ألف فارس منهم كويكين وغيره وعاد ، وخرج المهتدي فصف أصحابه وفيهم من أتى من أصحاب موسى ، وترددت الرسل بينهم وبين موسى يريد أن يولي ناحية ينصرف إليها وأصحاب المهتدي يريدون أن يجيء إليه لينظرهم على الأموال فلم يتفقوا على شيء ، وانصرف عن موسى خلق كثير من أصحابه فعدل هو ومفلح يريدان طريق خراسان ، وأقبل بابكيال وجماعة من القواد فوصلوا إلى المهتدي فسلموا وأمرهم بالانصراف وحبس بابكيال وقتله ولم يتحرك أحد ولا تغير شيء إلا تغيراً يسيراً ، وكان ذلك يوم السبت ، فلما كان الأحد أنكر الأتراك مساواة الفراغة لهم في الدار ودخلهم معهم ، ورفع أن الفراغة إنما تم لهم هذا بعدم رؤساء الأتراك فخرجوا من الدار بأجمعهم وبقيت الدار على الفراغة والمغاربة ، فأنكر الأتراك ذلك وأضافوا إليه طلب بابكيال فقال المهتدي

للفراغنة والمغاربة : ما جرى من الأتراك وقال لهم : ان كنتم تظنون فيكم قوة فيما أكره
قربكم وإلا فأرضيناكم من قبل تفاقم الامر فذكروا أنهم يقومون به ، فخرج بهم
المهتدي وهم في ستة آلاف منهم من الأتراك نحو ألف - وهم أصحاب صالح بن
وصيف - وكان الأتراك في عشرة آلاف فلما التقوا انهزم أصحاب صالح وخرج عليهم
كمين للأتراك فانهزم أصحاب المهتدي ، وذكر نحو ما تقدم إلا أنه قال : انهم لما رأوا
المهتدي بدار أحمد بن جميل قاتلهم فأخرجوه وكان به أثر طعنة فلما رأى الجرح ألقى
بيده اليهم وأرادوه على الخلع فأبى أن يجيبهم فمات يوم الأربعاء وأظهره للناس يوم
الخميس وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد ، وكانوا قد خلعوا أصابع يديه من كفيه
ورجله من كعبيه حتى ورمت كفاه وقدماه وفعلوا به غير شيء حتى مات ، وطلبوا
محمد بن بغا فوجدوه ميتاً فكسروا على قبره ألف سيف ؛ وكانت مدة خلافة المهتدي
أحد عشر شهراً وخمس عشرة ليلة^(١) ، وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة ، وكان واسع
الجهة أسمر رقيقاً أشهل جهم الوجه عريض البطن^(٢) عريض المنكبين قصيراً طويلاً
الliche ومولده بالقاطول .

ذكر بعض سيرة المهتدي

كان المهتدي بالله من أحسن الخلفاء مذهباً وأجملهم طريقة وأظهرهم ورعاً
وأكثرهم عبادة ، قال عبد الله بن ابراهيم الاسكافي : جلس المهتدي للمظالم
فاستعده رجل على ابن له فأمر بإحضاره فأحضر وأقامه إلى جانب خصمه ليحكم بينهما
فقال الرجل للمهتدي : والله يا أمير المؤمنين ما أنت إلا كما قيل :

حكمتوه قاضياً بينكم أبلج مثل القمر الزاهر
لا يقبل الرشوة في حكمه ولا يُبالي غبن الخاسر

فقال المهتدي : أما أنت أيها الرجل فأحسن الله مقالتك وأما أنا فما جلست حتى

(١) في الطبري « وخمسة وعشرين يوماً » .

(٢) في الطبري « عظيم البطن » .

قرأت ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ (١) الآية قال : فما رأيت باكياً أكثر من ذلك اليوم .

قال أبو العباس بن هاشم بن القاسم الهاشمي : كنت عند المهدي بعض عشايا شهر رمضان فقمتم لأنصرف فأمرني بالجلوس فجلست حتى صلى المهدي بنا المغرب وأمر بالطعام فأحضر وأحضر طبق خلاف عليه رغيفان وفي إناء ملح وفي آخر زيت وفي آخر خل فدعاني إلى الأكل وأكلت مقتصرأ ظناً مني أنه يحضر طعاماً جيداً فلما رأى أكلي كذلك ، قال : أما كنت صائماً ؟ قلت : بلى ، قال : أفلمست تريد الصوم غداً ؟ قلت : وكيف لا وهو شهر رمضان فقال : كل واستوف عشاءك فليس ههنا غير ما ترى فعجبت من قوله وقلت : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قد أسبغ الله عليك النعمة ووسع رزقه فقال : ان الأمر على ما وصفت والحمد لله ولكني فكرت في أنه كان من بني أمية عمر بن عبد العزيز فغرت لبني هاشم أن لا يكون في خلفائهم مثله وأخذت نفسي بما رأيت .

قال ابراهيم بن مخلد بن محمد بن عرفة عن بعض الهاشمين : إن المهدي وجدوا له سقفاً فيه جبة صوف ، وكساء ، وبرنس كان يلبسه بالليل ويصلي فيه ويقول : أما تستحي بنو العباس أن لا يكون فيهم مثل عمر بن عبد العزيز ، وكان قد اطرَحَ الملاهي ، وحرم الغناء ، والشراب ، ومنع أصحاب السلطان عن الظلم رحمه الله تعالى ورضى عنه .

ذكر خلافة المعتمد على الله

لما أخذ المهدي بالله وحبس أحضر أبو العباس أحمد بن المتوكل - وهو المعروف بابن فتيان - وكان محبوساً بالجوسق فبايعه الناس ، فبايعه الأتراك وكتبوا بذلك إلى موسى بن بغا - وهو بخانقين - فحضر إلى سامرا فبايعه ولقب المعتمد على الله ، ثم إن المهدي مات ثاني يوم بيعة المعتمد وسكن الناس واستوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان .

ذكر أخبار صاحب الزنج

في هذه السنة سير جعلان لحرب صاحب الزنج بالبصرة ، فلما وصل الى البصرة نزل بمكان بينه وبين صاحب الزنج فرسخ وخندق عليه وعلى أصحابه وأقام ستة أشهر في خندقه ، وجعل يوجه الزينبي ، وبني هاشم ، ومن خف لحربهم هذا اليوم الذي تواعدهم جعلان للقاءه فلم يكن بينهم إلا الرمي بالحجارة والنشاب ، ولا يجد جعلان إلى لقاءه سبيلاً لضيق المكان عن مجال الخيل وكان أكثر أصحاب جعلان خيالة ، فلما طال مقامه في خندقه أرسل صاحب الزنج أصحابه إلى مسالك الخندق فبيتوا جعلان وقتلوا من أصحابه جماعة وخاف الباقون خوفاً شديداً ، وكان الزينبي قد جمع البلالية ، والسعدية ، ووجه بهم من مكانين وقاتلوا الخبيث فظفر بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فترك جعلان خندقه وانصرف الى البصرة وظهر عجزه للسلطان ، فصرفه عن حرب الزنج وأمر سعيداً الحاجب بمحاربتهم ، وتحول صاحب الزنج بعد ذلك من السبخة التي كان فيها ونزل بنهر أبي الخصيب وأخذ أربعة وعشرين مركباً من مراكب البحر وأخذوا منها أموالاً كثيرة لا تحصى وقتل من فيها ونهبها أصحابه ثلاثة أيام وأخذ لنفسه بعد ذلك من النهب .

ذكر دخول الزنج الأبله

وفيها دخل الزنج الأبله فقتلوا فيها خلقاً كثيراً وأحرقوها ، وكان سبب ذلك أن جعلان لما تنحى عن خندقه إلى البصرة ألح شنا صاحب الزنج بالغارات على الأبله وجعلت سراياه تضرب الى ناحية معقل ، ولم يزل يحارب الى يوم الأربعاء^(١) لخمس بقين من رجب فافتتحها^(٢) وقتل أبو الأحوص ، وعبيد الله بن حميد بن الطوسي واضرمها ناراً وكانت مبنية بالساج فاسرعت النار فيها وقتل من أهلها خلق كثير وحروا الأموال العظيمة ، وكان ما أحرقت النار أكثر من الذي نهب .

(١) في الطبري « الى ليلة الأربعاء » .

(٢) في الطبري « فافتحمها » .

ذكر أخذ الزنج عبادان

وفيهما أرسل أهل عبادان الى صاحب الزنج فسلموا إليه حصنهم ، وكان الذي حملهم على ذلك أنه لما فعل بأهل الأبله ما فعل خاف أهل عبادان على أنفسهم وأهلهم وأموالهم ، فكتبوا إليه يطلبون الأمان على أن يسلموا إليه البلد فأمنهم وسلموه إليه فأنفذ أصحابه إليهم وأخذوا ما فيه من العبيد والسلاح ففرقه في أصحابه .

ذكر أخذهم الأهواز

ولما فرغ العلوي البصري من الأبله ، وعبادان ، طمع في الأهواز فاستنهض أصحابه نحو جبي فلم يلبث أهلها وهربوا منهم فدخلها الزنج وقتلوا من رأوا بها وأحرقوا ونهبوا وأخربوا ما وراءها الى الأهواز ، فلما بلغوا الأهواز هرب من فيها من الجند ومن أهلها ولم يبق إلا القليل فدخلوها وأخربوها وكان بها إبراهيم ابن المدبر متولي الخراج فأخذوه أسيراً بعد أن جرح ونهب جميع ماله وذلك لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان ، فلما فعل ذلك بالأهواز ، وعبادان ، والأبله خافه أهل البصرة وانتقل كثير من أهلها في البلدان .

ذكر عزل عيسى بن الشيخ عن الشام وولايته أرمينية

لما استولى ابن الشيخ على دمشق وقطع الحمل عن بغداد اتفق ان ابن المدبر حمل مالاً من مصر الى بغداد مقدار سبعمائة ألف دينار فأخذها عيسى بن الشيخ ؛ فأرسل من بغداد إليه حسين الخادم يطالبه بالمال فذكر أنه أخرجه على الجند ، فأعطاه حسين عهده على أرمينية ليقوم الدعوة للمعتمد وكان قد امتنع من ذلك فأخذ العهد وأقام الدعوة للمعتمد وليس السواد ظناً منه أن الشام تكون بيده ، فأنفذ المعتمد أماجور وقلده دمشق وأعمالها فسار إليها في ألف رجل فلما قرب منها أنهض عيسى إليه ولده منصوراً في عشرين ألف مقاتل ، فلما التقوا انهزم عسكر منصور وقتل منصور فوهن عيسى وسار إلى أرمينية على طريق الساحل وولي أماجور دمشق .

ذكر ابن الصوفي العلوي وخروجه بمصر

وفيهما ظهر بصعيد مصر إنسان علوي ذكر أنه إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام ويعرف بابن الصوفي ومملك مدينة

إسنا ونهبها وعم شره البلاد ، فسير إليه أحمد بن طولون جيشاً فهزمه العلوي وأسر
المقدم على الجيش فقطع يديه ورجليه وصلبه ، فسير إليه ابن طولون جيشاً آخر فالتقوا
بنواحي أحميم فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهمز العلوي وقتل كثير من رجاله وسار هو حتى
دخل الواحات ، وسيرد ذكره سنة تسع وخمسين ومائتين إن شاء الله تعالى .

ذكر ظهور علي بن زيد على الكوفة وخروجه عنها

في هذه السنة ظهر علي بن زيد العلوي بالكوفة واستولى عليها وأزال عنها نائب
الخليفة واستقر بها ، فسير إليه الشاه بن ميكال في جيش كثيف فالتقوا واقتتلوا فانهمز
الشاه وقتل جماعة كثيرة من أصحابه ونجا الشاه ، ثم وجه المعتمد إلى محاربته كييجور
التركي وأمره أن يدعوه إلى الطاعة ويذل له الأمان ، فسار كييجور فتزل بشاهي وارسل
إلى علي بن زيد يدعوه إلى الطاعة ويذل له الأمان فطلب علي أموراً لم يجبه إليها
كييجور فتنحى علي بن زيد عن الكوفة إلى القادسية فعسكر بها ودخل كييجور إلى الكوفة
ثالث شوال من السنة ، ومضى علي بن زيد إلى خفان ودخل بلاد بني أسد وكان قد
صاهرهم وأقام هناك ثم سار إلى جنبل ، وبلغ كييجور خبره فأسرى إليه من الكوفة سلخ
ذي الحجة من السنة فواقعه فانهمز علي بن زيد وطلبه كييجور ففاته وقتل نفرأ من
أصحابه وأسر آخرين وعاد كييجور إلى الكوفة ، فلما استقامت أمورها عاد إلى سر من
رأى بغير أمر الخليفة فوجه إليه الخليفة نفرأ من القواد فقتلوه بعكبرا في ربيع الأول سنة
سبع وخمسين ومائتين .

ذكر عدة حوادث

وفيهما تقدم سعيد بن صالح الحاجب لحرب صاحب الزنج من قبل السلطان .
وفيهما تحارب مساور الخارجي وأصحاب موسى بن بغا بناحية خانقين وكان مساور في
جمع كثير وكان أصحاب موسى بن بغا نحو مائتين فالتقوا بمساور وقتلوا من أصحابه
جماعة كثيرة . وفيها وثب ابن واصل بن ابراهيم التميمي - وهو من أهل فارس - ورجل
من أكرادها يقال له : أحمد بن الليث بالحرث بن سيما عامل فارس فحارباه وقتلاه
وغلب محمد بن واصل على فارس .

وفيهما وجه مفلح لحرب مساور ، وفيها غلب الحسن بن زيد الطالبي على الري

في رمضان فزار موسى بن بغا إلى الري في شوال وشيَّعه المعتمد وحج بالناس في هذه السنة محمد بن أحمد بن عيسى بن أبي جعفر المنصور . وفيها توفي الإمام أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي صاحب المسند الصحيح وكان مولده سنة أربع وتسعين ومائة .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين

ذكر عود أبي احمد الموفق من مكة الى سر من رأى

لما اشتد أمر الزنج وعظم شرهم وأفسدوا في البلاد أرسل المعتمد على الله إلى أخيه أبي احمد الموفق فأحضره من مكة ، فلما حضر عقد له على الكوفة ، وطريق مكة ، والحرمين ، واليمن ثم عقد له على بغداد ، والسواد ، وواسط ، وكور دجلة ، والبصرة ، والأهواز ، وفارس ، وأمر أن يعقد لياركوج^(١) على البصرة ، وكور دجلة والبحرين ، واليمامة مكان سعيد بن صالح فاستعمل ياركوج منصور بن جعفر الخياط على البصرة ، وكور دجلة إلى مايلي الأهواز .

ذكر انهزام الزنج من سعيد الحاجب

وفيهما في رجب أوقع سعيد الحاجب بجماعة من الزنج فهزمهم واستنقذ ما معهم من النساء والنهب وجرح سعيد عدة جراحت ، وبلغه الخبر بجمع آخر منهم فسار اليهم فلقبهم فهزمهم أيضاً واستنقذ ما معهم فكانت المرأة من تلك الناحية تأخذ الزنجي فتأتي به عسكر سعيد فلا يمتنع عليها ، وعسكر سعيد بهطة^(٢) ثم عبر الى غرب دجلة فأوقع بصاحب الزنج عدة وقعات ثم عاد الى معسكره بهطة فأقام إلى باقي رجب وعامة شعبان .

ذكر خلاص ابن المدبر من الزنج

وفيهما تخلص ابراهيم بن محمد بن المدبر من حبس الزنج ، وكان سبب خلاصه

(١) في الطبري « لياركوج » وكذا ما بعده .

(٢) في الطبري « بهطمة » .

أنه كان محبوساً في بيت يحيى بن محمد البحراني ووكل به رجلين منزلهما ملاصق المنزل الذي فيه ابراهيم فضمن لهما مالا ورغبهما فعملا سرباً الى البيت الذي فيه ابراهيم فخرج هو وابن أخ له يقال له : أبو غالب ورجل هاشمي .

ذكر انهزام سعيد من الزنج وولاية منصور بن جعفر البصرة

وفيها أوقع العلوي صاحب الزنج بسعيد وكان يسير إليه جيشاً فأوقعوا به ليلاً وأصابوا منه فقتلوا من أصحاب سعيد خلقاً كثيراً وأحرقوا عسكره فضعف هو ومن معه فأمر بالمسير الى باب الخليفة ونزل بفراج بالبصرة فسار سعيد عن البصرة وأقام بها بفراج يحمي أهلها فرد السلطان أمرها إلى منصور بن جعفر الخياط بعد سعيد الحاجب ، وكان منصور يذرق السفن ويحميها وسيرها إلى البصرة فضاقت الميرة على الزنج ، فجمع منصور الشداوات فأكثر منها وسار نحو صاحب الزنج فكمّن له صاحب الزنج فلما أقبل خرجوا عليه فقتلوا في أصحابه مقتلة عظيمة وغرق منهم خلق كثير وحملوا من رؤوس أصحابه الى البحراني ومن معه من الزنوج بنهر معقل .

ذكر انهزام جيش الزنج بالأهواز

وفيها ارسل صاحب الزنج جيشاً مع علي بن أبان لقطع قطرة أربك فلقبهم ابراهيم بن سيما منصرفاً من فارس فأوقع بجيش العلوي فهزمهم وقتل منهم وجرح علي بن أبان ، ثم إن ابراهيم سار قاصداً نهر جبي فأمر كاتبه شاهين بن بسطام بالمسير على طريق آخر ليوافيه بنهر جبي بعد الوقعة مع علي بن أبان ، وكان علي بن أبان قد سار من الوقعة فنزل بالخيزرانية فأتاه رجل فأخبره بإقبال شاهين إليه فسار نحوه فالتقيا وقت العصر بموضع بين جبي ونهر موسى واقتتلوا قتالاً شديداً ثم صدمهم الزنج صدمة صادقة فهزموهم وقتلوا شاهين وابن عم له وقتل معه خلق كثير ، فلما فرغ الزنج منهم أتاهم الخبر بقرب ابراهيم بن سيما منهم فسار عليّ نحوه فوافاه وقت العشاء الآخرة فأوقع بإبراهيم دفعة أخرى شديدة قتل فيها جمعاً كثيراً قال علي بن أبان : وكان أصحابي قد تفرقوا بعد الوقعة مع شاهين ولم يشهد معي حرب ابراهيم غير خمسين رجلاً وانصرف علي إلى جبي .

ذكر أخذ الزنج البصرة وتخريبها

لما سار سعيد إلى البصرة ضم السلطان عمله الى منصور بن جعفر الخياط وكان منه ما ذكرنا ولم يعد منصور لقتاله واقتصر على تخفير القيروانات والسفن فامتنع أهل البصرة ، فعظم ذلك على العلوي فتقدم إلى علي بن أبان بالمقام بالخيزرانية ليشغل منصوراً عن تسيير القيروانات ، فكان بنواحي جبي ، والخيزرانية وشغل منصوراً فعاد أهل البصرة إلى الضيق وألح أصحاب الخبيث عليهم بالحرب صباحاً ومساءً ، فلما كان في شوال أزمع الخبيث على جمع أصحابه لدخول البصرة والجد في إخراجها لضعف أهلها وتفرقهم وخراب ما حولها من القرى ، ثم أمر محمد بن يزيد الدارمي - وهو أحد من صحبه بالبحرين - أن يخرج إلى الأعراب ليجمعهم فأتاه منهم خلق كثير فأنابوا بالقنديل ، ووجه إليهم العلوي سليمان بن موسى الشعراني وأمرهم بتطرق البصرة والإيقاع بها ليتمرن الأعراب على ذلك ، ثم انهض علي بن أبان وضم إليه طائفة من الأعراب وأمره باتيان البصرة من ناحية بني سعيد ، وأمر يحيى بن محمد البحراني بإتيانها مما يلي نهر عدي وضم إليه سائر الأعراب ، فكان أول من واقع أهل البصرة علي بن أبان وبفراج^(١) يومئذ بالبصرة في جماعة من الجند فأقام يقاتلهم يومين ومال الناس نحوه ، وأقبل يحيى بن محمد فيمن معه نحو الجسر فدخل علي بن أبان وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة بقيت من شوال فأقام يقتل ويحرق يوم الجمعة ، وليلة السبت ، ويوم السبت ، وغادى يحيى البصرة يوم الأحد فتلقيه بفراج^(٢) ، وبرية في جمع فردوه فرجع فأقام يومه ذلك ، ثم غاداهم اليوم الآخر فدخل وقد تفرق الجند وهرب برية وإنحاز بفراج ومن معه ولقيه ابراهيم بن يحيى المهلبى فاستأمنه لأهل البصرة فأمنهم ، فنادى منادي ابراهيم من أراد الأمان فليحضر دار ابراهيم فحضر أهل البصرة قاطبة حتى ملؤوا الرحاب ، فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة لئلا يتفرقوا فغدر بهم وأمر أصحابه بقتلهم فكان السيف يعمل فيهم وأصواتهم مرتفعة بالشهادة فقتل ذلك الجمع كله ولم يسلم إلا النادر منهم ، ثم انصرف يومه ذلك الى الحرية^(٣) ودخل علي بن أبان

(١) في الطبري « وبفراج » بالغين المعجمة .

(٢) في الطبري « بفراج وبريه » .

(٣) في الطبري « الحرية » بالخاء المعجمة .

الجامع فأحرقه وأحرقت البصرة في عدة مواضع منها المريد ، وزهران ، وغيرهما ، واتسع الحريق من الجبل الى الجبل وعظم الخطب وعمها القتل ، والنهب والإحراق وقتلوا كل من رآوه بها ، فمن كان من أهل اليسار أخذوا ماله وقتلوه ومن كان فقيراً قتلوه لوقته وبقوا كذلك عدة أيام ، ثم أمر يحيى أن ينادى بالأمان ليظهروا فلم يظهر أحد ، ثم انتهى الخبر إلى الخبيث فصرف علي بن أبان عنها وأقر يحيى عليها لموافقة هواه في كثرة القتل وصرف علياً لإبقائه على أهلها ، فهرب الناس على وجوههم وصرف الخبيث جيشه عن البصرة ، فلما أخرج البصرة انتسب إلى يحيى بن زيد وذلك لمصير جماعة من العلويين إليه وكان فيهم علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد وجماعة من نسائهم فترك الانتساب الى عيسى بن زيد وانتسب إلى يحيى بن زيد ، قال القاسم بن الحسن النوفلي : كذب إن يحيى لم يعقب غير بنت ماتت وهي ترضع .

ذكر مسير المولّد لحرب الزنج

وفيها في ذي القعدة أمر المعتمد محمداً المولّد بالمسير إلى البصرة لحرب الزنج فسار فنزل الأبلّة ، وجاء بريّة فنزل البصرة واجتمع اليه من أهلها خلق كثير ، فسّير العلوي الى حرب المولّد يحيى بن محمد فسار إليه فقاتله عشرة ايام ثم وطن المولّد نفسه على المقام ، فكتب العلوي إلى يحيى يأمره بتبئيت المولّد ووجه إليه الشذافات مع أبي الليث الأصفهاني فبيّته ، ونهض المولّد فقاتله تلك الليلة ومن الغد إلى العصر ثم انهزم عنه ودخل الزنج عسكره فغنموا ما فيه ، فاتبعه يحيى إلى الجامدة فأوقع بأهلها ونهب تلك القرى جميعها وسفك ما قدر عليه من الدماء ثم رجع الى نهر معقل .

ذكر قصد يعقوب فارس وملكه بلخ وغيرها

وفي هذه السنة سار يعقوب بن الليث إلى فارس فأرسل اليه المعتمد ينكر ذلك عليه ، فكتب إليه الموفق بولاية بلخ ، وطخارستان ، وسجستان ، والسند فقبل ذلك وعاد وسار الى بلخ ، وطخارستان ، فلما وصل إلى بلخ نزل بظاهرها وخرب نوشاد وهي أبنية كان بناها داود بن العباس بن مابنجور خارج بلخ ، ثم سار يعقوب من بلخ الى كابل واستولى عليها وقبض على زنبيل ، وأرسل رسولاً إلى الخليفة ومعه هدية جليلة المقدار وفيها أصنام أخذها من كابل وتلك البلاد ، وسار إلى بست فأقام بها سنة ، وسبب إقامته أنه أراد الرحيل فرأى بعض قواده قد حمل بعض أثقاله فغضب وقال :

أترحلون قبلي وأقام سنة ثم رجع الى سجستان ، ثم عاد إلى هراة وحاصر مدينة كروخ حتى أخذها ، ثم سار الى بوشنج وقبض على الحسين بن طاهر بن الحسين الكبير وأنفذ إليه محمد بن طاهر بن عبدالله فسأله اطلاقه وهو عم ابيه الحسين بن طاهر فلم يفعل وبقي في يده .

ذكر ملك الحسن بن زيد العلوي جرجان

وفي هذه السنة قصد الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان جرجان واستولى عليها ، وكان محمد بن طاهر أمير خراسان ، ولما بلغه ذلك من عزم الحسن على قصد جرجان قد جهز العساكر فأنفق عليها أموالاً كثيرة وسيرها إلى جرجان لحفظها ، فلما قصدها الحسن لم يقوموا له وظفر بهم وملك البلد وقتل كثيراً من العساكر وغنم هو وأصحابه ما عندهم ، وضعف حينئذ محمد بن طاهر وانتقض عليه كثير من الأعمال التي كان يجبي خراجها إليه فلم يبق في يده إلا بعض خراسان ، وأكثر ذلك مفتون متنقض بالمتغلبين في نواحيها والشراة الذين يعيشون في عمله فلا يمكنه دفعهم ، فكان ذلك سبب تغلب يعقوب الصفار على خراسان كما نذكره سنة تسع وستين ومائتين إن شاء الله تعالى .

ذكر عدة حوادث

وفيها أخذ محمد المولد سعيد بن أحمد بن سعيد الباهلي - وكان قد تغلب على البطائح وأفسد الطريق - وحمل إلى سامرا فضرب ستمائة سوط فمات وصلب ميتاً ، وحج بالناس الفضل بن اسحاق بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي ، وفيها وثب بسيل المعروف بالصقلي - وإنما قيل له الصقلي وهو من بيت المملكة لأن أمه صقلبية - على ميخائيل بن توفيل ملك الروم فقتله ، وكان ملك ميخائيل أربعاً وعشرين سنة وملك بسيل الروم . وفيها أقطع المعتمد مصر وأعمالها لياركوج التركي فأقر عليها أحمد بن طولون ، وفيها فارق عبد العزيز بن أبي دلف الري من غير خوف وأخلاها فأرسل اليها الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان القاسم بن علي بن القاسم بن علي العلوي المعروف بدليس فغلب عليها فأساء السيرة في أهلها جداً وقلعوا أبواب المدينة وكانت من حديد وسيرها الى الحسن بن زيد وبقي كذلك نحو ثلاث سنين .

وفيهما خرج علي بن مساور الخارجي وخارجي آخر اسمه طوق من بني زهير فاجتمع اليه أربعة آلاف فسار الى اذمة فحاربه أهلها فظفر بهم فدخلها بالسيف وأخذ جارية - بكرةً فجعلها فيثاً وافتضها في المسجد ، فجمع عليه الحسن بن أيوب بن أحمد العدوي جمعاً كثيراً فحاربه فقتله وقطع رأسه وأنفذه إلى سامرا . وفيها قتل محمد بن خفاجة أمير صقلية قتله خدومه نهائراً وكنتموا قتله فلم يعرف الا من الغد وكان الخدم الذين قتلوه قد هربوا فطلبوا فأخذوا وقتل بعضهم ، ولما قتل استعمل محمد بن أحمد بن الأغلب على صقلية أحمد بن يعقوب بن المضاء بن سلمة فلم تطل أيامه ومات سنة ثمان وخمسين ومائتين . وفيها توفي الحسن بن عمر العبدي وكان مولده سنة خمسين ومائة بسر من رأى . وفيها توفي أبو الفضل العباس بن الفرّج الرياشي اللغوي من كبارهم وروى عن الأصمعي وغيره، وفيها توفي محمد بن الخطّاب الموصلي وكان من أهل العلم والزهد .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين

ذكر قتل منصور بن جعفر الخياط

في هذه السنة قتل منصور بن جعفر بن زياد الخياط .

وكان سبب قتله أن العلوي البصري لما فرغ من أمر البصرة أمر علي بن أبيان بالمسير إلى جبي لحرب منصور بن جعفر وهويلي يومئذ الأهواز وأقام بازائه شهراً وكان منصور في قلة من الرجال فأتى عسكر علي وهو بالخيزرانية ، ثم ان الخبيث صاحب الزنج وجه إلى علي باثنتي عشرة شذاوة مشحونة بجلة أصحابه وولى أمرهم أبا الليث الأصبهاني وأمره بطاعة علي فلما صار إليه خالفه واستبد عليه ، وجاء منصور كما كان بجبي للحرب فتقدم إليه أبو الليث عن غير إذن علي فظفر به منصور وبالشذاوة التي معه وقتل فيها من البيض والزنج خلقاً كثيراً وأفلت أبو الليث ورجع الى الخبيث ، ثم إن علياً وجه طلائع يأتونه بخبر منصور وأسرى إلى والٍ كان لمنصور على كرني فقتله وقتل أكثر أصحابه وغنم ما كان معهم ورجع ، وبلغ الخبر منصوراً فأسرى الى الخيزرانية وخرج إليه علي فتحاربوا إلى الظهر ثم انهزم منصور وتفرق عنه أصحابه وانقطع عنهم وأدركته طائفة من الزنج فحمل عليهم وقتلهم حتى تكسر رمحه وفني نشابه ثم حمل حصانه ليعبر النهر فوقع في النهر ولم يعبره ، وكان سبب وقوعه أن بعض الزنج راه حين أراد أن يعبر النهر فألقى نفسه في النهر قبل منصور وتلقى الفرس حين وثب فنكص ، فلما سقط في النهر قتله الأسود وأخذ سلبه وقتل معه أخوه خلف بن جعفر وغيره ، فولى ياركوج^(١) ما كان الى منصور بن جعفر من العمل .

(١) في الطبري « ياركوج » .

ذكر مسير أبي أحمد إلى الزنج وقتل مفلح

وفيها في ربيع الأول عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على ديار مصر ، وقنسرين والعواصم وخلع عليه وعلى مفلح في ربيع الآخر وسيرهما إلى حرب الزنج بالبصرة ، وركب المعتمد معه يشيعه وسار نحو البصرة ونازل العلوي وقاتله ، وكان سبب تسييره ما فعله بالبصرة وأكثر الناس ذلك وتجهزوا إليه وساروا في عدة حسنة كاملة وصحبه من سوقة بغداد خلق كثير ، وكان علي بن أبان بجبي على ما ذكرنا ، وسار يحيى بن محمد البحراني إلى نهر العباس ومعه أكثر الزنوج فبقي أصحابهم في قلة من الناس وأصحابه يغادون البصرة ويرأوحونها لنقل ما نالوه منها ، فلما نزل عسكر أبي أحمد بنهر معقل احتفل من فيه من الزنوج إلى أصحابهم مرعوبين وأخبروه بعظم الجيش وانهم لم يرد عليهم مثله ، وأحضر رئيسين من أصحابه فسألتهما عن قائد الجيش فلم يعرفاه فجزع وارتاع ، ثم أرسل إلى علي بن أبان يأمره بالمسير إليه فيمن معه ، فلما كان يوم الأربعاء لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى أتاه بعض قواده فأخبره بمجيء العسكر وتقدمهم وأنهم ليس في وجوههم من يردهم من الزنوج وكذبه وسبه ، وأمر فنودي في الزنوج بالخروج إلى الحرب فخرجوا فرأوا مفلحاً قد أتاهم في عسكر لحربهم فقاتلهم ، فبينما مفلح يقاتلهم إذ أتاه سهم غرب لا يعرف من رمى به فأصابه فرجع وانهم أصحابه وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً وحملوا الرؤوس إلى العلوي واقتسم الزنج لحوم القتلى ، وأتي بالأسرى فسألهم عن قائد الجيش فأخبروه أنه أبو أحمد ، ومات مفلح من ذلك السهم فلم يلبث العلوي إلا يسيراً حتى وافاه علي بن أبان ، ثم إن أبا أحمد رحل نحو الأبله ليجمع ما فرقته الهزيمة ثم سار إلى نهر أبي الأسد ، ولما علم الخبيث كيف قتل مفلح ولم ير أحداً يدعي قتله زعم أنه هو الذي قتله وكذب فإنه لم يحضره .

ذكر قتل يحيى بن محمد البحراني

وفيها أسر يحيى بن محمد البحراني قائد صاحب الزنج .

وكان سبب ذلك أنه لما سار نحو نهر العباس لقيه عسكر اصعجور^(١) عامل الأهواز بعد منصور وقاتلهم وكان أكثر منهم عدداً فنال ذلك العسكر من الزنج بالنشاب

(١) في الطبري « اصعجون » .

وجرحوهم ، فعبّر يحيى النهر إليهم فانجازوا عنه وغنم سلفاً كانت مع العسكر فيها الميرة وساروا بها الى عسكر صاحب الزنج على غير الوجه الذي فيه علي بن أبان لتحاسد كان بينه وبين يحيى ، ووجه يحيى طلائعه الى دجلة فلقبهم جيش أبي أحمد الموفق سائرين الى نهر أبي الأسد فرجعوا الى علي فأخبروه بمجيء الجيش فرجع من الطريق الذي كان سلكه وسلك نهر العباس وعلى فم النهر شداوة لحمية من عسكر الخليفة ، فلما رآهم يحيى راعه ذلك وخاف أصحابه فنزلوا السفن وعبروا النهر ، ولقي يحيى ومن معه بضعة عشر رجلاً فقاتلهم هو وذلك النفر اليسير فرموهم بالسهم فجرح ثلاث جراحات ، فلما جرح تفرق أصحابه عنه ولم يعرف حتى يؤخذ ، فرجع حتى دخل بعض السفن وهو مثخن بالجراح ؛ وأخذ أصحاب السلطان الغنائم وأخذوا السفن وعبروا الى سفن كانت للزنج فأحرقوها وتفرق الزنج عن يحيى بقية نهارهم فلما رأى تفرقهم ركب سميرية وأخذ معه طبيباً لأجل الجراح وسار فيها ، فرأى الملاحون سميريات السلطان فخافوا فألقوا يحيى ومن معه على الأرض فمشى وهو مثقل ، وقام الطبيب الذي معه أصحاب السلطان فأخبرهم خبره فأخذوه وحملوه الى أبي أحمد فحملة أبو أحمد الى سامرا فقطعت يده ورجلاه ثم قتل ، فجزع الخبيث والزنج عليه جزعاً كثيراً وقال لهم : لما قتل يحيى اشتد جزعي عليه فخطبت ان قتله كان خيراً لك انه كان شراً .

ذكر عود أبي أحمد الى واسط

وفيهما انحاز أبو أحمد من موضعه الى واسط ، وكان سبب ذلك أنه لما سار الى نهر أبي الأسد كثرت الأمراض في أصحابه وكثر فيهم الموت فرجع إلى باذآورد فأقام به ، وأمر بتجديد الآلات وإعطاء الجند أرزاقهم وإصلاح السميريات والشداوات وشحنها بالقواد وعاد إلى عسكر صاحب الزنج ، وأمر جماعة من قواده بقصد مواضع سماها من نهر أبي الخصيب وغيره وبقي معه جماعة ، فمال أكثر الخلق حين التقى الناس ونشبت الحرب الى نهر أبي الخصيب وبقي أبو أحمد في قلة من أصحابه فلم يزل عن موضعه خوفاً أن يطمع الزنج ، ولما رأى الزنج قلة من معه طمعوا فيه وكثروا عليه واشتدت الحرب عنده وكثر القتل والجراح وأحرق أصحاب أبي أحمد منازل الزنج واستنقذوا من النساء جمعاً كثيراً ثم ألقى الزنج جدهم نحوه ، فلما رأى أبو أحمد

ذلك علم أن الحزم في المحاجزة فأمر أصحابه بالرجوع إلى سفنهم على مهل وتؤدة ، واقتطع الزنج طائفة من أصحابه فقاتلوهم فقتلوا من الزنج خلقاً كثيراً ثم قتلوا جميعهم وحملت رؤوسهم الى قائد الزنج - وهي مائة رأس وعشرة أرؤس - فزاد ذلك في عتوه، ونزل أبو حامد في عسكره بباذارد فأقام يعبي أصحابه للرجوع على الزنج فوقعت نار في أطراف عسكره في يوم ريح عاصف فاحترق كثير منه فرحل منها الى واسط ؛ فلما نزل واسط تفرق عنه عامة أصحابه فصار منها الى سامرا واستخلف على واسط لحرب العلوي محمد بن المولد .

ذكر عدة حوادث

وفيهما وقع الوباء في كور دجلة فهلك منها خلق كثير ببغداد، وواسط، وسامرا، وغيرها . وفيها قتل سرسجارس ببلاد الروم مع جماعة كثيرة من أصحابه ، وفيها كانت هدة عظيمة هائلة بالصيمرة ثم سمع من غد ذلك اليوم هدة أعظم من الأولى فانهدم أكثر المدينة وتساقطت الجيطان وهلك من أهلها زهاء عشرين ألفاً . وفيها مات ياركوج^(١) التركي في رمضان وصلى عليه أبو عيسى بن المتوكل وكان صاحب مصر ومقطعها ويدعى له فيها قبل أحمد بن طولون فلما توفي استقل أحمد بمصر .

وفيهما كانت وقعة بين أصحاب موسى بن بغا وأصحاب الحسن بن زيد العلوي فانهمز أصحاب الحسن ، وفيها أسر مسرور البلخي جماعة من أصحاب مساور الشاري ، وسار مسرور الى البوازيح فلقى مساوراً هناك فكان فيها بينهما وقعة أسر فيها من أصحاب مسرور جماعة ، ثم انصرف في ذي الحجة الى سامرا واستخلف على عسكره بحديثة الموصل جعلان ، وفيها رجع أكثر الناس^(٢) من القرعاء خوف العطش وسلم من سار الى مكة ، وحج بالناس الفضل بن إسحاق بن الحسن . وفيها أوقع بأعراب بتكريت كانوا أعانوا مساوراً الشاري . وفيها أوقع مسرور البلخي بالأكراد اليعقوبية فهزمهم وأصاب فيها^(٣) ، وفيها صار محمد بن واصل في طاعة السلطان

(١) في الطبري « يارجوخ » .

(٢) في الطبري « وفيها رجع أكثر الحاج من القرعاء » وهي أظهر .

(٣) في الطبري « وأصاب فيهم » .

وسلم فارس الى محمد بن الحسن بن أبي الفياض ، وفيها أسر جماعة من الزنج كان فيهم قاض كان يقضي لهم بعبادان فحملوا الى سامرا فضربت أعناقهم ، وفيها توفي محمد بن يحيى بن عبدالله بن خالد الذهلي النيسابوري وله مع البخاري حادثة ظلمه بها حسداً له ليس هذا مكان ذكرها^(١) ، وفيها توفي يحيى بن معاذ الرازي الواعظ في جمادى الأولى وكان عابداً صالحاً صاحب أبا يزيد وغيره^(٢) .

(١) وهي القول بأن القرآن مخلوق فإن الذهلي رحمه الله أخذ يشنع على البخاري عند دخوله نيسابور ويزعم أنه يقول لفظي بالقرآن مخلوق حتى أخرجه منها وقد صح أن البخاري رحمه الله تعالى تبرأ من هذا الإطلاق .
 (٢) وكان أوحده وقتة في علوم الحقائق وكانوا ثلاثة اخوة يحيى ، واسماعيل ، وابراهيم وكان اسماعيل أكبرهم ويحيى الأوسط .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين ذكر دخول الزنج الأهواز

وفيها في رجب دخلت الزنج الأهواز .

وكان سببه أن العلوي أنفذ علي بن أبان المهلي وضم إليه الجيش الذي كان مع يحيى بن محمد البحراني ، وسليمان بن موسى الشعراني وسيره الى الأهواز ، وكان المتولي لها بعد منصور بن جعفر رجلاً يقال له : اصعجور^(١) فبلغه خبر الزنج فخرج إليهم والتقى العسكران بدشت ميسان^(٢) فانهزم اصعجور وقتل معه ثيرك^(٣) وجرح خلق كثير من أصحابه وغرق اصعجور وأسر خلق كثير ، فيهم الحسن بن هرثمة ، والحسن بن جعفر وحملت الرؤوس والأعلام ، والأسرى الى الخبيث ، فأمر بحبس الأسرى ، ودخل الزنج الأهواز فأقاموا يفسدون فيها ويعيثون الى أن قدم موسى بن بغا .

ذكر مسير موسى بن بغا لحرب الزنج

وفيها في ذي القعدة أمر المعتمد موسى بن بغا بالمسير الى حرب صاحب الزنج ، فسير إلى الأهواز عبد الرحمن بن مفلح ، والي البصرة اسحاق بن كنداجيق^(٤) ، والي باذاورد ابراهيم بن سيما وأمرهم بمحاربة صاحب الزنج ، فلما ولي عبد الرحمن الأهواز سار الى محاربة علي بن أبان فتواقعا فانهزم عبد الرحمن ، ثم

(١) في الطبري « اصعجون » .

(٢) في الطبري « بدستاران » وفي المعجم « دستميسان » وضبطها بفتح الدال وسين مهملة ساكنة وتاء مثناة من فوقها وميم مكسورة وياء مثناة من تحت وسين أخرى مهملة وآخره نون .

(٣) في الطبري « نيزك » .

(٤) في الطبري « اسحاق بن كنداج » .

استعد وعاد الى علي فأوقع به وقعة عظيمة قتل فيها من الزنج قتلاً ذريعاً وأسر خلقاً كثيراً وانهزم علي بن أبان والزنج ، ثم اراد ردهم فلم يرجعوا من الخوف الذي دخلهم من عبد الرحمن ، فلما رأى ذلك أذن لهم بالانصراف فانصرفوا الى مدينة صاحبهم ، ووافى عبد الرحمن حصن مهدي ليعسكر به فوجه إليه صاحب الزنج علي بن أبان فواقعه فلم يقدر عليه ومضى يريد الموضوع المعروف بالدكة^(١) .

وكان إبراهيم بن سيما بباذورد فواقعه علي بن أبان فهزمه علي بن أبان^(٢) ، ثم واقع ثانية فهزمه ابراهيم فمضى علي في الليل ومعه الأدلاء في الأجام حتى انتهى الى نهر يحيى ، وانتهى خبره الى عبد الرحمن فوجه اليه طاشتمر في جمع من الموالي فلم يصل إليه لامتناعه بالقصب والحلافي فأضرمه عليهم ناراً فخرجوا منها هاربين فأسر منهم أسرى وانصرف أصحاب عبد الرحمن بالأسرى ، والظفر ، ثم سار عبد الرحمن نحو علي بن أبان بمكان نزل فيه فكتب علي إلى صاحب الزنج يستمده فأمدته بثلاثة عشر شذاة ووافاه عبد الرحمن فتوافقا يومهما ، فلما كان الليل انتخب علي من أصحابه جماعة ممن يثق بهم وسار وترك عسكره ليخفي أمره وأتى عبد الرحمن من ورائه فبيته فنال منه شيئاً يسيراً ، وانحاز عبد الرحمن فأخذ علي منهم أربع شذارات ، وأتى عبد الرحمن دولاب فأقام به ، وسار طاشتمر الى علي فوافاه وقتله فانهزم علي إلى نهر السدرة ، وكتب يستمد عبد الرحمن فأخبره بانهزام علي عنه فأتاه عبد الرحمن وواقع علياً بنهر السدرة وقعة عظيمة فانهزم علي الى الخبيث ، وعسكر عبد الرحمن ببيان^(٣) فكان هو وابراهيم بن سيما يتناوبان المسير الى عسكر الخبيث فيوقعان به ، وإسحاق بن كنداجيق بالبصرة وقد قطع الميرة عن الزنج ، فكان صاحبهم يجمع أصحابه يوم محاربة عبد الرحمن ، وابراهيم فإذا انقضى الحرب سير طائفة منهم إلى البصرة يقاتل بهم اسحاق ، فأقاموا كذلك بضعة عشر شهراً إلى أن صرف موسى بن بغا عن حرب الزنج ووليها مسرور البلخي فانتهى الخبر بذلك الى الخبيث .

(١) في الطبري « بالدكر » .

(٢) في الطبري « فهزم علي بن أبان » .

(٣) في نسخة « ببيان » وما هنا موافق لما في الطبري والمعجم .

ذكر ملك يعقوب نيسابور

وفيها في شوال دخل يعقوب بن الليث نيسابور .

وكان سبب مسيره إليها أن عبدالله السجزي كان ينازع يعقوب بسجستان فلما قوي عليه يعقوب هرب منه إلى محمد بن طاهر فأرسل يعقوب يطلب من ابن طاهر أن يسلمه إليه فلم يفعل فسار نحوه إلى نيسابور فلما قرب منها وأراد دخولها وجه محمد بن طاهر يستأذنه في تلقيه فلم يأذن له فبعث بعمومته وأهل بيته فتلقوه ، ثم دخل نيسابور في شوال فركب محمد بن طاهر فدخل إليه في مضربه فسأله ثم وبخه على تفريطه في عمله ، وقبض على محمد بن طاهر وأهل بيته واستعمل على نيسابور ، وأرسل إلى الخليفة يذكر تفريط محمد بن طاهر في عمله وأن أهل خراسان سألوه المسير اليهم ويذكر غلبة العلويين على طبرستان وبالحق في هذا المعنى فأنكر عليه ذلك وأمر بالاعتصار على ما أسند إليه وأن لا يسلك معه مسلك المخالفين ، وقيل : كان سبب ملك يعقوب نيسابور ما ذكرناه سنة سبع وخمسين من ضعف محمد بن طاهر أمير خراسان ، فلما تحقق يعقوب ذلك وأنه لا يقدر على الدفع سار إلى نيسابور ، وكتب إلى محمد بن طاهر يعلمه أنه قد عزم على قصد طبرستان ليمضي ما أمره الخليفة في الحسن بن زيد المتغلب عليها وأنه لا يعرض لشيء من عمله ولا إلى أحد من أسبابه ، وكان بعض خاصة محمد بن طاهر وبعض أهله لما رأوا ادبار أمره وقد مالوا إلى يعقوب فكتبوه واستدعوه ، وهونوا على محمد أمر يعقوب من نيسابور فأعلموه أنه لا خوف عليه منه وثبطوه عن التحرز منه ، فركن محمد إلى قولهم حتى قرب يعقوب من نيسابور فوجه إليه قائداً من قواده يطيب قلبه وأمره بمنعه عن الانتزاع عن نيسابور إن أراد ذلك ، ثم وصل يعقوب إلى نيسابور رابع شوال وأرسل أخاه عمرو بن الليث إلى محمد بن طاهر فأحضره عنده فقبض عليه وقيدته وعنفه على إهماله وعجزه عن حفظه ، ثم قبض على جميع أهل بيته وكانوا نحواً من مائة وستين رجلاً وحملهم إلى سجستان واستولى على خراسان ورتب في الأعمال نوابه ، وكانت ولاية محمد بن طاهر إحدى عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام .

ذكر ظهور ابن الصوفي بمصر ثانياً

وفيها عاد ابن الصوفي العلوي وظهر بمصر ، وقد ذكرنا سنة ست وخمسين

ظهوره وهربه إلى الواحات فأحم نفسه ودعا الناس إلى نفسه فتبعه خلق كثير وسار بهم إلى الأشمونين ، فوجه إليه جيش عليهم قائد يعرف بابن أبي الغيث فوجده قد أصعد إلى لقاء أبي عبد الرحمن العمري وسنذكره بعد هذا ، فلما وصل العلوي إلى العمري التقياً فكان بينهما قتال شديد أجلت الوقعة من انهزام العلوي فولى منهزماً إلى أسوان فعاث فيها وقطع كثيراً من نخلها ، فسير إليه ابن طولون جيشاً وأمرهم بطلبه أين كان ، فسار الجيش في طلبه فولى هارباً إلى عيذاب وعبر البحر إلى مكة وتفرق أصحابه ، فلما وصل إلى مكة بلغ خبره إلى واليها فقبض عليه وحبسه ثم سيره إلى ابن طولون ، فلما وصل إلى مصر أمر به فطيف به في البلد ثم سجنه مدة وأطلقه ثم رجع إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات .

ذكر حال أبي عبد الرحمن العمري

قد تقدم ذكر أبي عبد الرحمن العمري - واسمه عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب - .

وكان سبب ظهوره بمصر أن البجاة أقبلت يوم العبد فنهبوا وقتلوا وعادوا غانمين. وفعلوا ذلك مرات ، فخرج هذا العمري غضباً لله وللمسلمين وكمن لهم في طريقهم ، فلما عادوا خرج عليهم وقتل مقدمهم ومن معه ودخل بلادهم فنهبها وقتل فيهم فأكثر ونهبوا ما لا يحصى وتابع عليهم الغارات حتى أدوا إليه الجزية ولم يفعلوها قبل ذلك واشتدت شوكة العمري وكثر أتباعه ، فلما بلغ خبره ابن طولون سير إليه جيشاً كثيفاً فلما التقوا تقدم العمري وقال لمقدم الجيش : ان ابن طولون لا يعرف خبري لا شك على حقيقته فإنني لم أخرج للفساد ولم يتأذ بي مسلم ولا ذمي وإنما خرجت طلباً للجهاد ، فأكتب إلى الأمير أحمد عرفه كيف حالي فإن أمرك بالانصراف فانصرف وإلا فإن أمرك بغير ذلك كنت معذوراً فلم يجبه إلى ذلك وقاتله فانهزم جيش ابن طولون ، فلما وصلوا إليه أخبروه بحال العمري فقال : كنتم أنهيتم حاله إلي فإنه نصر عليكم ببيغيكم وتركه ، فلما كان مدة وثب على العمري غلامان له فقتلاه وحملوا رأسه إلى أحمد بن طولون ؛ فلما حضرا عنده سألهما عن سبب قتله فقالا : أردنا التقرب إليك بذلك فقتلتهما وأمر برأس العمري فغسل وكفن ودفن .

ذكر ما كان هذه السنة بالأندلس

في هذه السنة سار محمد بن عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس إلى طليطلة فنازلها وحصرها وكان أهلها قد خالفوا عليه وطلبوا الأمان فأمنهم وأخذ رهائنهم ، وفيها خرج أهل طليطلة إلى حصن سكيان وكان فيه سبعمائة رجل من البربر وكان أهل طليطلة في عشرة آلاف فلما التحمت بينهم الحرب انهزم أحد مقدمي أهلها - وهو عبد الرحمن بن حبيب - فتبعه أهل طليطلة في الهزيمة ، وإنما انهزم لعدواة كانت بينه وبين مقدم آخر اسمه طريشة من أهل طليطلة فأراد أن يوهنه بذلك ، فلما انهزموا قتلوا البرقيل ، وفيها عاد عمرو بن عمرو إلى طاعة محمد بن عبد الرحمن وكان مخالفاً عليه عدة سنين فولاه مدينة أمشقة ، وحصر محمد حصون بني موسى ثم تقدم إلى بنبلونة فوطىء أرضها وعاد .

ذكر عدة حوادث

وفيها سارت سرية للمسلمين إلى مدينة سرقوسة فصالحه أهلها على أن يطلقوا الأسرى الذين كانوا عندهم من المسلمين ثلاثمائة وستين أسيراً فلما أطلقوهم عاد عنهم . وفيها قتل كيجور ، وكان سبب قتله أنه كان على الكوفة فسار عنها إلى سامرا بغير إذن فأمر بالرجوع فأبى فحمل إليه مال ليفرقه في أصحابه فلم يقنع به وسار حتى عكبرا فوجه إليه من سامرا عدة من القواد فقتلوه وحملوا رأسه إلى سامرا .

وفيها غلب شركب الحمار^(١) على مرو وناحيتها ونهبها ، وفيها انصرف يعقوب بن الليث عن بلخ فأقام بقهستان وولى عماله هراة ، وبوشنج ، وباذغيس وانصرف إلى سجستان ، وفيها فارق عبدالله السجزي يعقوب وحاصر نيسابور وبها محمد بن طاهر قبل أن يملكها يعقوب بن الليث فوجه محمد بن طاهر إليه الرسل والفقهاء فاختلفوا بينهما ثم ولاه الطبيين ، وقهستان ، وفيها غلب الحسن بن زيد على قومس ودخلها أصحابه .

وفيها كانت وقعة بين محمد بن الفضل بن بيان^(٢) وهوسودان بن جستان الديلمي

(١) في الطبري « شركب الجمال » .

(٢) في الطبري « بن سنان » .

وانهزم وهسودان ، وفيها نزلت الروم على سميساط^(١) ثم نزلوا على ملطية وقتلهم أهلها فانهزمت الروم وقتل بطريق البطارقة ، وحج بالناس^(٢) ابراهيم بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس المعروف ببرية . وفيها مات محمد بن يحيى بن موسى أبو عبدالله بن أبي زكريا الاسفرايني المعروف بابن حيويه ، ومحمد بن عمرو بن يونس بن عمران بن دينار الكوفي الثعلبي وكان شيعياً ضعيف الحديث . وفيها توفي أبو الحسن بن علي بن حرب الطائي الموصلبي وكان محدثاً وممن روى عنه أبوه علي بن حرب .

(١) سميساط - يسنين مهمتين كذا في الأصول وفي الطبري أيضاً وهي مدينة تقع على الفرات من أعمال الشام ، وفي النجوم الزاهرة « شمشاط » بشينين معجمتين مدينة بالروم على شاطئ الفرات أيضاً .
(٢) في الأصل زيادة لفظ « عباس بن » وسيأتي ذكره بعد بدونها .

ثم دخلت سنة ستين ومائتين ذكر دخول يعقوب طبرستان

وفيما واقع يعقوب بن الليث الحسن بن زيد العلوي فهزمه ودخل طبرستان ، وكان سبب ذلك أن عبدالله السجزي ينازع يعقوب الرياسة بسجستان فقهره يعقوب فهرب منه عبدالله إلى نيسابور ، فلما سار يعقوب إلى نيسابور كما ذكرنا هرب عبدالله إلى الحسن بن زيد بطبرستان فسار يعقوب في أثره فلقيه الحسن بن زيد بقرية سارية ، وكان يعقوب قد أرسل الى الحسن يسأله أن يبعث اليه عبدالله ويرجع عنه فإنه إنما جاء لذلك لا لحربه فلم يسلمه الحسن ، فحاربه يعقوب فانهزم الحسن ومضى نحو الشرز وأرض الديلم ودخل يعقوب سارية ، وآمل وجبى أهلها خراج سنة ، ثم سار في طلب الحسن فسار الى بعض جبال طبرستان وتتابعته عليه الأمطار نحواً من أربعين يوماً فلم يتخلص إلا بمشقة شديدة وهلك عامة ما معه من الظهر ، ثم أراد الدخول خلف الحسن فوقف على الطريق الذي يريد يسلكه وأمر أصحابه بالوقوف ثم تقدم وحده وتأمل الطريق ثم رجع إليهم فأمرهم بالانصراف فقال لهم : ان لم يكن طريق غير هذا والا لا طريق إليه ، وكان نساء اهل تلك الناحية قلن للرجال : دعوه يدخل فإنه ان دخل كفيناكم أمره وعلينا أسره لكم فلما خرج من طبرستان عرض رجاله ففقد منهم أربعون ألفاً وذهب أكثر ما كان معه من الخيل ، والإبل ، والبغال ، والانتقال ، وكتب الى الخليفة بما فعله مع الحسن من الهزيمة ، وسار الى الري في طلب عبدالله لأنه كان سار اليها بعد هزيمة الحسن ، فلما قاربها يعقوب كتب الى الصلاني واليها يخيره بين تسليم عبدالله إليه وينصرف عنه وبين المحاربة فسلم اليه عبدالله فرحل عنه وقتل عبدالله .

ذكر الفتنة بالموصل وإخراج عاملهم

كان الخليفة المعتمد على الله قد استعمل على الموصل اساتكين - وهو من أكابر قواد الأتراك - فسير إليها ابنه اذكوتكين في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين ومائتين ، فلما كان يوم النيروز من هذه السنة - وهو الثالث عشر من نيسان - فغيره المعتضد بالله ودعا الى اذكوتكين ووجوه أهل الموصل الى قبة في الميدان وأحضر أنواع الملاهي وأكثر الخمر وشرب ظاهراً وتجاهر أصحابه بالفسوق وفعل المنكرات وأساء السيرة في الناس ، وكان تلك السنة برد شديد أهلك الأشجار ، والثمار ، والحنطة ، والشعير وطالب الناس بالخراج على الغلات التي هلكت فأشدت ذلك عليهم ، وكان لا يسمع بفرس جيد عند أحد الا أخذه ، وأهل الموصل صابرون الى أن وثب رجل من أصحابه على امرأة فأخذها في الطريق فامتنعت واستغاثت - فقام رجل اسمه إدريس الحميري - وهو من أهل القرآن والصلاح - فخلصها من يده ، فعاد الجندي الى اذكوتكين فشكى من الرجل فأحضره وضربه ضرباً شديداً من غير أن يكشف الأمر ، فاجتمع وجوه أهل الموصل الى الجامع وقالوا : قد صبرنا على أخذ الأموال ، وشمم الأعراض ، وابطال السنن ، والعسف وقد أفضى الأمر الى أخذ الحریم فأجمع رأيهم على اخراجه والشكوى منه الى الخليفة ، وبلغه الخبر فركب اليهم في جنده وأخذ معه النفاطين فخرجوا إليه وقاتلوه قتالاً شديداً حتى أخرجوه عن الموصل ونهبوا داره وأصابه حجر فأنخنه ومضى من يومه الى بلده وسار منها الى سامرا ، واجتمع الناس الى يحيى بن سليمان وقلدوه أمرهم ففعل فبقي كذلك الى ان انقضت سنة ستين .

فلما دخلت سنة إحدى وستين كتب اساتكين الى الهيثم بن عبدالله بن المعمر التغلبي ثم العدوي في أن يتقلد الموصل وأرسل اليه الخلع واللواء وكان بديار ربيعة فجمع جموعاً كثيرة وسار الى الموصل ونزل بالجانب الشرقي وبينه وبين البلد دجلة فقاتلوه فعبر الى الجانب الغربي وزحف الى باب البلد فخرج اليه يحيى بن سليمان في أهل الموصل فقاتلوه فقتل بينهم قتلى كثيرة وكثرت الجراحات وعاد الهيثم عنهم ، فاستعمل اساتكين على الموصل اسحاق بن أيوب التغلبي فخرج في جمع يبلغون عشرين ألفاً منهم حمدان بن حمدون التغلبي وغيره فنزل عند الدير الأعلى فقاتله أهل الموصل ومنعوه فبقوا كذلك مدة ، فمرض يحيى بن سليمان الأمير فطمع إسحاق في

البلد وجد في الحرب فانكشف الناس بين يديه فدخل إسحاق ووصل الى سوق الأربعاء وأحرق سوق الحشيش ، فخرج بعض العدول اسمه زياد بن عبد الواحد وعلق في عنقه مصحفاً واستغاث بالمسلمين فأجابوه وعادوا الى الحرب وحملوا على إسحاق وأصحابه وأخرجوهم من المدينة ، وبلغ يحيى بن سليمان الخبر فأمر فحمل في محفة وجعل أمام الصف فلما رآه أهل الموصل قويت نفوسهم واشتد قتالهم ، ولم يزل الأمر كذلك وإسحاق يرسل أهل الموصل ويعدهم الأمان وحسن السيرة فأجابوه الى أن يدخل البلد ويقيم بالربض الأعلى فدخل وأقام سبعة أيام ، ثم وقع بين بعض أصحابه وبين قوم من أهل الموصل شر ، فرجعوا الى الحرب وأخرجوه عنها واستقر يحيى بن سليمان الموصل .

ذكر الحرب بين أهل طليطلة وهوارة

وفي هذه السنة ظهر موسى بن ذي النون الهواري بشت بربة وأغار على أهل طليطلة ودخل حصن وليد من شنت بربة ، فخرج أهل طليطلة إليه في نحو عشرين ألفاً فلما التقوا بموسى واقتتلوا انهزم محمد بن طريشة في أصحابه - وهو من أهل طليطلة - فتبعه أهل طليطلة في الهزيمة وانهزم معهم مطرف بن عبد الرحمن ، فعمل ذلك محمد مكافأة لمطرف حين انهزم بالناس في العام الماضي فقتل من أهل طليطلة خلق كثير وقوي موسى بن ذي النون وهابيه من حاذره .

ذكر علة حوادث

في هذه السنة قتل رجل من أصحاب مساور الشاري محمد بن هازون بن المعمر رآه وهو يريد سامرا فقتله وحمل رأسه الى مساور ، فطلبت ربيعة بثأره فندب مسرور البخلي وغيره الى أخذ الطرق على مساور ، وفيها اشتد الغلاء في عامة بلاد الاسلام فانجلى من أهل مكة كثير ورحل عنها عاملها وهو بربة وبلغ الكر الحنطة ببغداد عشرين ومائة دينار ودام ذلك شهوراً^(١) .

(١) في الطبري « فبلغ كثر الشعير عشرين ومائة دينار والحنطة خمسين ومائة ، والكر يضم أوله مكيال للعراق وهو ستون قفيزاً أو أربعون اردباً » .

وفيهما قتل الأعراب منجوراً^(١) والي حمص واستعمل عليها بكتمر ، وفيها قتل العلاء بن أحمد الأزدي عامل أذربيجان ، وكان سبب قتله أنه فلج فاستعمل الخليفة مكانه أبا الرديني عمر بن علي ، فلما قاربها خرج اليه العلاء فتحارباً فقتل العلاء وانهزم أصحابه وأخذ أبو الرديني ما خلفه العلاء وكان مبلغه ألفي ألف وسبعمائة ألف درهم ، وحج بالناس إبراهيم بن محمد بن اسماعيل المعروف ببرية وهو أمير مكة . وفيها ظهر بمصر انسان يكنى أبا روح - واسمه سكن - وكان من أصحاب ابن الصوفي واجتمع له جماعة فقطع الطريق وأخاف السبل فوجه اليه ابن طولون جيشاً فوقف أبو روح في أرض كثيرة الشقوق وقد كان بها قمح فحصد وبقي من تبنة على الأرض ما يستر الشقوق وقد ألفوا المشي على مثل هذه الأرض ، فلما جاءهم الجيش لقوهم ثم انهزم أصحاب أبي روح فتبعهم عسكر ابن طولون فوقعت حوافر خيولهم في تلك الشقوق فسقط كثير من فرسانها عنها وتراجع أصحاب أبي روح عليهم فقتلوهم شر قتلة وانهزم الباقيون أسوأ هزيمة ؛ فسار أحمد جيشاً الى طريقهم الى الواحات وجيشاً في طلبه فلقية الجيش الذي في طلبه وقد تحصن في مثل تلك الأرض فحذرهما عسكر أحمد فحين بطلت حيلهم انهزموا وتبعهم العسكر ؛ فلما خرجوا الى طريق الواحات رأى أبو روح الطريق قد ملكت عليه فراسل يطلب الأمان فبذل له وبطلت الحرب وكُفِيَ المسلمون شره .

وفيهما توفي علي بن محمد بن جعفر العلوي الحماني وكان يسكن الحمان فنسب إليها . وفيها قتل علي بن يزيد صاحب الكوفة قتله صاحب الزنج ، وفيها كان بإفريقية ، وببلاد المغرب ، والأندلس غلاء شديد وعمّ غيرها من البلاد وتبعه وباء وطاعون عظيم هلك فيه كثير من الناس ، وفيها توفي محمد بن إبراهيم بن عبدوس الفقيه المالكي صاحب المجموعة في الفقه وهو من أهل إفريقية ، وفيها مات مالك بن طوق التغلبي بالرحبة وهو بناها وإليه تنسب^(٢) وفيها توفي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام . وهو أبو محمد العلوي العسكري - وهو أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب

(١) في الطبري « منجور » بلون تنوين .

(٢) رجة مالك بن طوق هي بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات أسفل من قرقيسيا أحدثها مالك في خلافة المأمون ، ومالك بن طوق هذا كان أحد الأجواد ولي أمرة دمشق والأردن .

الامامية - وهو والد محمد الذي يعتقدونه المنتظر بسرداب سامرا وكان مولده سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وفيها توفي أبو علي الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني الفقيه الشافعي وهو من أصحاب الشافعي البغداديين ، وفيها توفي حسين بن إسحاق الحكيم الطبيب وهو الذي نقل كتب الحكماء اليونانيين إلى العربية وكان عالماً بها .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين

ذكر الحرب بين محمد بن واصل وابن مفلح

وفيهما تحارب ابنُ واصل وعبدُ الرحمن بن مُفلح . وطاشتمر، وكان سبب ذلك أن ابن واصل كان قَتَلَ الحرث بن سيماء، وتغلَّب على فارس، فأضاف المعتمد فارس إلى موسى بن بغا، والأهواز، والبصرة، والبحرين، واليمامة مع ما كان إليه، فوجه موسى عبد الرحمن بن مُفلح - وهو شابُّ عمره إحدى وعشرون سنة - إلى الأهواز وولَّاه إياها مع فارس، وأضاف إليه طاشتمر، فلما علم ذلك ابن واصل، وأنَّ ابن مفلح قد سار نحوه من الأهواز زحف إليه من فارس، فالتقيا بramerمز، وانضمَّ أبو داود الصُّغْلوك إلى ابن واصل، فاقتتلوا، فانهزم عبد الرحمن وأخذ أسيراً، وقتل طاشتمر، واصطلم عسكرهما، وغنم ما فيه من الأموال والعدة وغير ذلك، وأرسل الخليفةُ إلى ابن واصل في إطلاق عبد الرحمن فلم يفعل وقَّته، وأظهر أنه مات، وسار ابن واصل من رامهرمز من بعد هذه الواقعة مظهرًا أنه يريد واسط لحرب موسى بن بغا فانتهى إلى الأهواز وفيها إبراهيم بن سيماء في جمع كثير، فلما رأى موسى شدة الأمر بهذه الناحية وكثرة المتغلبين عليها وأنه يعجز عنهم سأل أن يعفى فأجيب إلى ذلك.

ذكر ولاية أبي الساج الأهواز

وفيهما وُلِّيَ أبو الساج الأهواز بعد مسير عبد الرحمن عنها إلى فارس، وأمر بمحاربة الزنج، فسير صهره عبد الرحمن لمحاربة الزنج فلقبه علي بن أبان بناسحية دولاب، فقتل عبد الرحمن، وانحاز أبو الساج إلى ناحية عسكر مكرم، ودخل الزنج الأهواز، فقتلوا أهلها وسَبَّوْا وأحرقوا، ثم انصرف أبو الساج عما كان إليه من الأهواز وحرب الزنج، وولاهها إبراهيم بن سيماء، فلم يزل بها حتى انصرف عنها مع موسى بن بغا. وفيها وُلِّيَ محمد بن أوس البلخي طريق خراسان.

ذكر عود الصفار إلى فارس، والحرب بينه وبين ابن واصل

لما كان من الوقعة بين عبد الرحمن بن مُفلح وبين ابن واصل ما ذكرناه اتَّصَلَ خبرُهما إلى يعقوب الصفار وهو بِسِجِسْتَان، فتجدَّدَ طَمَعُهُ في ملكِ بلاد فارس وأخذ الأموال والخزائن والسلاح التي غنمها ابن واصل من ابن مفلح فسارَ مُجدِّداً، وبلغ ابن واصل خبرُ قُربِهِ منه، وأَنَّهُ نزلَ البيضاء من أرض فارس وهو بالأهواز، فعاد عنها لا يلوي على شيء، وأرسل خاله أبا بلال مرداساً إلى الصفَّار، فوصل إليه وضمَّنَ له طاعة ابن واصل، فأرسل يعقوب الصفَّار إلى ابن واصل كتباً ورسلاً في المعنى، فحبسهم ابن واصل، وسار يطلب الصفَّار والرسل معه، يريد أن يخفي خبره، وأن يصل إلى الصفَّار بغتةً لم يعلم به، فينال منه غرضه ويوقع به، فسار في يوم شديد الحرِّ في أرضٍ صعبةٍ المسلك وهو يظن أن خبره قد خفي عن الصفار، فلما كان الظَّهر تعبت دوابهم، فنزلوا ليستريحوا، فمات من أصحاب ابن واصل من الرجال كثيرٌ جوعاً وعطشاً، وبلغ خبرُهم الصفَّار، فجمع أصحابه، وأعلمهم الخبر، وسار، وقال لأبي بلال: إن ابن واصل قد غدر بنا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ومضى الصفَّار إلى ابن واصل، فلما قاربهم وعلموا به انخدلوا وضعفت نفوسهم عن مقاومته ومقاتلته، ولم يتقدموا خُطوةً، فلما صار بين الفريقين رَمِيَّةٌ سَهْمٌ انهزم أصحابُ ابن واصل من غير قتال، وتبعهم عسكر الصفَّار، وأخذوا منهم جميع ما غنموه من ابن مُفلح، واستولى على بلاد فارس، ورتب بها أصحابه، وأصلح أحوالها، ومضى ابن واصل منهزماً، فأخذ أمواله من قلعتة، وكانت أربعين ألف درهم، وأوقع يعقوب بأهل زَمْ، لأنهم أعانوا ابن واصل، وحدث نفسه بالاستيلاء على الأهواز وغيرها.

ذكر تجهز أبي أحمد للمسير إلى البصرة

وفيها في شوال جلس المعتمد في دار العامة فولَّى ابنه جعفرًا العهد، ولقبه المفوَّض إلى الله، وضمَّ إليه موسى بن بغا فولاه أفریقیة ومصر والشام والجزيرة والموصل وأرمينية وطريق خراسان ومهرجانتقذ، وولَّى أخاه أبا أحمد العهد بعد جعفر، ولقبه الناصر لدين الله الموفق وولاه المشرق وبغداد والسواد والكوفة وطريق مكة والمدينة واليمن وكسكر وكور دجلة والأهواز وفارس وأصبهان وقَمْ وكرج. ودينور والري وزنجان والسند، وعقدَ لكل واحدٍ منهما لواءين أسود وأبيض، وشرطَ إن حَدَّثَ به

الموت وجعفر لم يبلغ أن يكون الأمر للموفق، ثم لجعفر بعده، وأخذت البيعة بذلك، فعقد جعفر لموسى على المغرب، وأمر الموفق أن يسير إلى حرب الزنج فولّى الموفق الأهواز والبصرة وكور دجلة مسروراً البلخي، وسيّره في مقدّمته في ذي الحجة، وعزم على المسير بعده، فحدث من أمر يعقوب الصفار ما منعه عن المسير، وسنذكره أول سنة اثنتين وستين ومائتين، وفيها فارق محمد بن زيدويه يعقوب بن الليث، وسار إلى أبي الساج وأقام معه بالأهواز، وخلع عليه المعتمد، وسأل أن يوجّه الحسين بن طاهر بن عبدالله بن طاهر إلى خراسان، وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، ومات الحسن بن محمد بن أبي الشوارب^(١) بمكة بعد ما حج.

ذكر ولاية نصر بن أحمد الساماني^(٢) ما وراء النهر

في هذه السنة استُعْمِلَ نصر بن أحمد بن أسد بن سامان خداه بن جثمان بن طمغاث بن نوشرد بن بهرام جوبين بن بهرام خشنش، وكان بهرام خشنش من الرّي، فجعله كسرى هرمز بن أنوشروان مرزبان أذربيجان، وقد تقدم ذكر بهرام جوبين عند ذكر كسرى هرمز، ولما ولي المأمون خراسان واصطاح أولاد أسد بن سامان وهم: نوح، وأحمد، ويحيى، وإلياس بنو أسد بن سامان، فقرّبهم ورفع منهم واستعملهم ورعى حق سلفهم، فلما رجع المأمون إلى العراق استخلف على خراسان غسان بن عبّاد، فولّى غسان نوح بن أسد في سنة أربع ومائتين سمرقند، وأحمد بن أسد فرغانة، ويحيى بن أسد الشّاش، وأشروسنة، وإلياس بن أسد هراة، فلما ولي طاهر بن الحسين خراسان ولّاهم هذه الأعمال، ثم توفي نوح بن أسد وأقرّ طاهر بن عبدالله أخويه على عمله يحيى وأحمد، وكان أحمد بن أسد عفيف الطّعمة مرضي السيرة لا يأخذ رشوة ولا أحد من أصحابه، ففيه قيل أو في ابنه نصر:

ثوى ثلاثين حولاً في ولايته فجاء يوم ثوى في قبره حشّمه^(٣)

وكان إلياس يلي هراة وله بها عقب وآثار كثيرة فاستقدمه عبدالله بن طاهر، وكان

(١) في البداية والنهاية : محمد بن أبي الشوارب .

(٢) في البداية والنهاية : الساماني الملقب بالسعيد .

(٣) الحَوْل : السنة . والحَشَم : الخدم .

رسمه فيمن يستقدمه أن يعد أيامه فأبطأ إلياس فكتب إليه بالمقام حيث يلقاه كتابه، فبلغه الكتاب وقد سار عن بوشنج، فأقام بها سنة تأدياً له ثم أذن له في القدوم عليه، فلما مات إلياس بهراة أقرَّ عبدالله ابنه أبا إسحاق محمد بن إلياس على عمله فأقام بهراة. وكان لأحمد بن أسد سبعة بنين وهم، نصر وأبو يوسف يعقوب وأبوزكريا يحيى وأبو الأشعث أسد واسماعيل وإسحاق وأبو غانم حميد. ولما توفي أحمد بن أسد استخلف ابنه نصرًا على أعماله بسمرقند وما وراءها، فبقي عاملاً عليها إلى آخر أيام الطاهرية، وبعد زوال أمرهم إلى أن مضى لسبيله. وكان اسماعيل بن أحمد يخدم أخاه نصرًا فولاه نصر بخارى سنة إحدى وستين ومائتين.

ومعنى قول أبي جعفر: وفي سنة إحدى وستين، ولي نصر بن أحمد ما وراء النهر، أنه ولّاه من جانب الخليفة، وإنما كان يتولاه من قبل من عمال خراسان، وإلا فالقوم تولّوا قبل هذا التاريخ.

وكان سبب استعماله إسماعيل أنه لما استولى يعقوب بن الليث على خراسان أنفذ نصرًا جيشاً إلى شط جيحون ليأمن عبور يعقوب فقتلوا مقدّمهم ورجعوا إلى بخارى فخافهم أحمد بن عمر نائب نصر على نفسه فتغيّب عنهم فأمروا عليهم أبا هاشم محمد بن المبشر بن رافع بن الليث بن نصر بن سيّار، ثم عزلوه وولّوا أحمد بن محمد بن ليث والد أبي عبدالله بن جُنَيْد، ثم صرفوه وولّوا الحسن بن محمد من ولد عبدة بن حديد، ثم صرفوه وبقيت بخارى بغير أمير فكتب رئيسها وفتيها أبو عبدالله بن أبي حفص إلى نصر يسأله توجيه من يضبط بخارى فوجّه أخاه إسماعيل ثم أن إسماعيل كاتب رافع بن هرثمة حين ولي خراسان فتعاقدوا على التعاون والتعاصّد، فطلب منه إسماعيل أعمال خوارزم فولاه إياها وكان إسماعيل يؤمّره في المكاتب. ثم سعت السعاة بين نصر وإسماعيل فأفسدوا ما بينهما فقصده نصر سنة اثنتين وسبعين ومائتين، فأرسل اسماعيل حمويه بن علي إلى رافع بن هرثمة يستنجده فسار إليه في جيش كثيف فوافي بخارى، قال حمويه: «ففكرت في نفسي وقلت: إن ظفّر إسماعيل بأخيه فما يؤمنني أن يقبض رافع على إسماعيل ويتغلب على ما وراء النهر. وإن لم يفعل ذلك، ووفى لاسماعيل فلا يزال إسماعيل معترفاً بأنه فقيد رافع وجريحه ويحتاج أن يتصرّف على أمره ونهيه». فاجتمعت برافع خلوة وقلت له: «نصيحتك واجبة عليّ وقد ظهر لي من

نصر وإسماعيل ما كان خفياً عني ولست آمنهما عليك والرأي أن لا تشاهد الحرب وتحملهما على الصلح فقبل ذلك فتصالحا وانصرف عنهما. قال حمويه: «ثم إنني أعلمت إسماعيل بعد ذلك الحال كيف كان فعذر رافعاً في إلزامه بالصلح واستصوب فعل حمويه وبقي نصر وإسماعيل مدة، ثم عادت السعاة ففسد ما بينهما حتى تحاربا سنة خمس وسبعين ومائتين فظفر إسماعيل بأخيه نصر، فلما حمل إليه ترجل له إسماعيل وقبل يديه وردّه من موضعه إلى سمرقند وتصرف على النياية عنه ببخارى. وكان إسماعيل خيراً يحب أهل العلم والدين ويكرمهم ويركّهم دام ملكه ومُلك أولاده وطالت أيامهم.

حكى أبو الفضل محمد بن عبدالله البلغمي قال: سمعت الأمير أبا إبراهيم إسماعيل بن أحمد يقول: «كنت بسمرقند فجلست يوماً للمظالم وجلس أخي إسحاق إلى جانبي فدخل أبو عبدالله محمد بن نصر الفقيه الشافعي فقامت له إجلالاً لعلّمه ودينه. فلما خرج عاتبني أخي إسحاق وقال: أنت أمير خراسان تدخل عليك رجل من رعيتك فتقوم له فتذهب السياسة بهذا قال: «بئس تلك الليلة، فرأيت النبي ﷺ في المنام وكأني واقف وأخي إسحاق فأقبل رسول الله ﷺ فأخذ بعصدي فقال لي: يا إسماعيل تبث مُلكك ومُلك بيتك لإجلالك لمحمد بن نصر، ثم التفت إلى إسحاق وقال: ذهب مُلك إسحاق ومُلك بيته باستخفافه بمحمد بن نصر». وكان هذا محمد بن نصر من العلماء بالفقه على مذهب الشافعي العاملين بعلمهم المصنفين فيه وسافر إلى البلاد في طلب العلم وأخذ العلم بمصر من أصحاب الشافعي يونس بن عبد الأعلى والربيع بن سليمان ومحمد بن عبدالله بن الحَكَم، وصحب الحرث المحاسبي وأخذ عنه علم المعاملة وبرز فيه أيضاً.

ذكر عصيان أهل برقة

وفي هذه السنة عصي أهل برقة على أحمد بن طولون وأخرجوا أميرهم محمد بن الفرج الفرغاني، فبعث ابن طولون جيشاً عليهم، غلامه لؤلؤة^(١) وأمره بالرفق بهم واستعمال اللين فإن انقادوا وإلا السيف، فسار العسكر حتى نزلوا على برقة وحصروا أهلها وفعلوا ما أمرهم من اللين. فطمع أهل برقة وأخرجوا يوماً على بعض العسكر وهم

(١) في البداية والنهاية ووفيات الأعيان «لؤلؤ»

نازلون على باب البلد، فأوقعوا بهم وقتلوا منهم. فأرسل لؤلؤة إلى صاحبه أحمد يعرفه الخبر. فأمره بالجد في قتالهم. فنصب عليهم المجانيق وجد في قتلهم وطلبوا الأمان فأتهم ففتحوا له الباب؛ فدخل البلد وقبض على جماعة من رؤسائهم وضربهم بالسياط وقطع أيدي بعضهم وأخذ معه جماعة منهم وعاد إلى مصر واستعمل على برقة عاملاً. ولما وصل لؤلؤة إلى مصر خلع عليه أحمد خلعة فيها طوقان فوضعها في رقبته وطيف بالأسرى في البلد.

ذكر ولاية ابراهيم بن أحمد إفريقية

في هذه السنة توفي محمد بن أحمد بن الأغلب صاحب إفريقية سادس جُمادى الأولى وكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وستة عشر يوماً. ولما حضره الموت عقد لابنه أبي عقاب العهد واستحلف أخاه إبراهيم لثلاثين سنة وأشهد عليه آل الأغلب ومشايخ القيروان وأمره أن يتولى الأمر إلى أن يكبر ولده. فلما مات أتى أهل القيروان، إبراهيم وسأله أن يتولى أمرهم لحسن سيرته وعدله فلم يفعل، ثم أجاب وانتقل إلى قصر الإمارة، وياشر الأمور وأقام فيها قياماً مرضياً. وكان عادلاً حازماً في أموره، آمن البلاد وقتل أهل البغي والفساد. وكان يجلس للعدل في جامع القيروان يوم الخميس والاثنين يسمع شكاوى الخصوم ويصبر عليهم وينصف بينهم. وكانت القوافل والتجار يسرون في الطرق آمنين. وبنى الحصون والمحارس على سواحل البحر حتى كان يوقد النار من سبتة، فيصل الخبر إلى الإسكندرية في الليلة الواحدة. وبنى على سوسة سوراً، وعزم على الحج فرد المظالم، وأظهر الزهد والنسك، وعلم أنه إن جعل طريقه إلى مكة على مصر منعه صاحبها ابن طولون فتجري بينهما حرب فيقتل المسلمون، فجعل طريقه على جزيرة صقلية ليجتمع بين الحج والجهاد ويفتح ما بقي من حصونها. فأخرج جميع ما أذخره من المال والسلاح وغير ذلك، وسار إلى سوسة فدخلها وعليه فرو مرقع في زي الزهاد أول سنة تسع وثمانين ومائتين، وسار منها في الأسطول إلى صقلية.

وسار إلى مدينة يروطينوا فملكها سلخ رجب وأظهر العدل وأحسن إلى الرعية، وسار إلى طبرمين^(١) فاستعد أهلها لقتاله. فلما وصل خرجوا إليه والتقوا فقرأ القارىء

(١) طبرمين : بفتح أوله وثانيه، وسكون الراء وكسر الميم ثم ياء مثناة قلعة بصقلية حصينة .

﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾^(١) فقال الأمير: اقرأ: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾^(٢) فقرأ فقال: اللهم إني أختصم أنا والكفار إليك في هذا اليوم. وحمل ومعه أهل البصائر فهزم الكفار، وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا ودخلوا معهم المدينة عنوة فركب بعض من بها من الروم مراكب فهربوا فيها والتجأ بعضهم إلى الحصن، وأحاط بهم المسلمون وقتلوه. فاستنزلوهم قهراً وغنموا أموالهم وسبوا ذراريهم وذلك لسبع بقين من شعبان. وأمر بقتل المقاتلة وبيع السبي والغنيمة.

ولما اتصل الخبر بفتح طبرمين إلى ملك الروم عظم عليه وبقي سبعة أيام لا يلبس التاج وقال: «لا يلبس التاج محزون». وتحركت الروم وعزموا على المسير إلى صقلية لمنعها من المسلمين فبلغهم أنه سائر إلى القسطنطينية، فترك الملك بها عسكرياً عظيماً وسير جيشاً كبيراً إلى صقلية. وأما الأمير إبراهيم فإنه لما ملك طبرمين بث السرايا في مدن صقلية التي بيد الروم؛ وبعث سرية إلى ميقش وسرية إلى دمنش، فوجدوا أهلها قد أجلوا عنها فغنموا ما وجدوا بها. وبعث طائفة إلى رمطة وطائفة إلى الباج فأذعن القوم جميعاً إلى أداء الجزية فلم يجبههم إلى ذلك، ولم يقبل منهم غير تسليم الحصون ففعلوا فهدمها. وسار إلى كستته فجاءته الرسل منها يطلبون الأمان فلم يجبههم.

وكان قد ابتدأ به المرض وهو علة الذرب فنزلت العساكر على المدينة فلم يجدوا في قتالها لغية الأمير عنهم، فإنه نزل منفرداً لشدة مرضه وامتنع منه النوم، وحدث به الفواق، وتوفي ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة تسع وثمانين ومائتين، فاجتمع أهل الرأي من العسكر أن يولّوا أمرهم أبا مضر بن أبي العباس عبدالله ليحفظ العساكر والأموال والخزائن، إلى أن يصل إلى ابنه بأفريقية.

وجعلوا الأمير إبراهيم في تابوت وحملوه إلى أفريقية ودفنوه بالقيروان، رحمه الله. وكانت ولايته خمساً وعشرين سنة، وكان عاقلاً حسن السيرة محباً للخير والاحسان. تصدق بجميع ما يملك، ووقف أملاكه جميعها. وكان له فطنة عظيمة بإظهار خفايا العملات. فمن ذلك أن تاجراً من أهل القيروان كانت له امرأة جميلة ضالحة، عفيفة، فأتصل خبرها بوزير الأمير إبراهيم، فأرسل إليها، فلم تجبه، فاشتد

(١) سورة الفتح ١

(٢) سورة الحج ١٩

غرامه بها وشكا حاله إلى عجوز كانت تغشاه، وكانت أيضاً لها من الأمير منزلة ومن والدته منزلة كبيرة، وهي موصوفة عندهم بالصّلاح يتبرّكون بها، ويسألونها الدعاء. فقالت للوزير: أنا أتلف بها وأجمع بينكما. وراحت إلى بيت المرأة فقرعت الباب وقالت: قد أصاب ثوبي نجاسة، أريد تطهيرها. فخرجت المرأة ولقيتها فرحبت بها، وأدخلتها وطهرت ثوبها وقامت العجوز تصلي، فعرضت المرأة عليها الطعام فقالت: إني صائمة، ولا بدّ من التردد إليك، ثم صارت تغشاها، ثم قالت لها: عندي يتيمة أريد أن أحملها إلى زوجها. فإن خفّ عليك إغارة حليك أجملها بها فعلت، فأحضرت جميع حليها، وسلمته إليها، فأخذته العجوز وانصرفت. وغابت أياماً وجاءت إليها فقالت لها: أين الحلي؟ فقالت: هو عند الوزير عبرت عليه وهو معي، فأخذه مني وقال: لا يسلمه إلا إليك. فتنازعتا، وخرجت العجوز. وجاء التاجر زوج المرأة فأخبرته الخير فحضر دار الأمير إبراهيم وأخبره بالخبر. فدخل الأمير إلى والدته وسألها عن العجوز فقالت: هي تدعوك، فأمر بإحضارها ليتبرّك بها، فأحضرتها والدته، فلما رآها أكرمها وأقبل عليها وانبسط معها، ثم انه أخذ خاتماً من اصبعها وجعل يلقبه ويعبث به، ثم إنه أحضر خصياً له وقال له: انطلق إلى بيت العجوز وقل لابنتها تسلم الحق^(١) الذي في الحلي وصفته كذا وهو كذا وكذا وهذا الخاتم علامة منها. فمضى الخادم وأحضر الحق، فقال للعجوز: ما هذا؟ فلما رأت الحق سقط في يدها وقتلها ودفنها في الدار. وأعطى الحق لصاحبه، وأضاف إليه شيئاً آخر وقال له: أما الوزير فإن انتقمته منه الآن ينكشف الأمر، ولكن سأجعل له ذنباً أخذه به. فتركه مدة يسيرة وجعل له جرماً أخذه به فقتله.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة استعمل المعتمد على الله الخليفة على أذربيجان محمد بن عمر بن علي بن مر الطائي الموصللي، فسار إليها وجمع معه جموعاً كثيرة من خوارج وغيرهم. وكان على أذربيجان العلاء بن أحمد الأزدي - وهو مفلوج - فخرج في محفة ليمنع محمد بن عمر فقاتله فانهزم عسكر العلاء وأخذ أسيراً؛ واستولى محمد بن عمر بن علي على قلعة العلاء وأخذ منها ثلاثة آلاف ألف درهم، ومات العلاء في يده.

(١) الحق: بضم الحاء وتشديد القاف: وعاء صغير يوضع فيه الطيب خصوصاً.

وفيهما استعمل المعتمد على الله على الموصل الخضر بن أحمد بن عمر بن الخطاب التغلبي الموصللي . وفيها رجع الحسن بن زيد إلى طبرستان وأحرق شالوس لممالة أهلها ليعقوب ، وأقطع ضياعهم للديالمة ؛ وفيها أمر المعتمد بجمع حاج خراسان والري وطبرستان وجرجان . وأعلمهم أنه لم يولَّ يعقوب خراسان ولم يكن دخوله خراسان ، وأسره محمد بن طاهر بأمرة . وفيها قتل مساور الشاري يحيى بن جعفر^(١) الذي كان يلي خراسان . فسار مسرور البلخي في طلبه وتبعه أبو أحمد - وهو الموفق بن المتوكل - فسار مساور من بين أيديهما فلم يدركاه . وفيها هرب ابن مروان الجليقي من قرطبة فقصده قلعة الحنش فملكها وامتنع بها فسار إليه محمد صاحب الأندلس ، فحصره ثلاثة أشهر . فضاق به الأمر حتى أكل دوابه فطلب الأمان فأمنه محمد ، فسار إلى مدينة بطليوس ، وفيها عصى أهل تاكرتا مع أسد بن الحرث بن رافع ، فغزاهم جيش محمد صاحب الأندلس وقتلهم فعادوا إلى الطاعة . وفيها توفي أبو هاشم داود بن سليمان الجعفري والحسن بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، قاضي القضاة ، وكان موته في رمضان ، وأبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري صاحب الصحيح ، وعبد العزيز بن حيان الموصللي ، وكان كثير الحديث ، والنضر بن الحسن الفقيه الحنفي وكان من الموصل أيضاً .

(١) في الطبري : « يحيى بن حفص الذي كان يلي طريق خراسان بكرخ جُدان » .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائتين

ذكر الحرب بين الموفق والصفار

في هذه السنة في المحرم سار الصفار من فارس إلى الأهواز. فلما بلغ المعتمد إقباله أرسل إليه إسماعيل بن إسحاق وبُفراج^(١)، وأطلق من كان في حبسه من أصحاب^(٢) يعقوب. فإنه كان حبسهم لما أخذ يعقوب محمد بن طاهر بن الحسين، وعاد إسماعيل برسالة من عند يعقوب. فجلس أبو أحمد ببغداد وكان قد أُنْخِرَ مسيره إلى الزنج، لما بلغه من خبر يعقوب. وأحضر التجار وأخبرهم بتولية يعقوب خراسان وجرجان وطبرستان والري وفارس والشرطة ببغداد.

وكان بمحضر من درهم صاحب يعقوب. كان يعقوب قد أرسله يطلب لنفسه ما ذكرنا. وأعاد أبو أحمد إلى يعقوب ومعه عمر بن سيماء^(٣) بما أُضيفَ إليه من الولايات. فعاد الرسل من عند يعقوب يقولون: إنه لا يرضيه ما كتب به إليه، دون أن يسير إلى باب المعتمد. وارتحل يعقوب من عسكر مكرم وسار إليه أبو السَّاج، وصار معه فأكرمه وأحسن إليه، ووصله.

فلما سمع المعتمد رسالة يعقوب خرج من سامرا في عساكره وسار إلى بغداد ثم إلى الزعفرانية، فنزلها وقَدَّم أخاه الموفق. وسار يعقوب من عسكر مكرم إلى واسط فدخلها لستَ بقين من جمادى الآخرة. وارتحل المعتمد من الزعفرانية إلى سيب بني كوما، فوافاه هناك مسرور البلخي، عائداً من الوجه الذي كان فيه. وسار يعقوب من

(١) في الطبري «إسماعيل بن إسحاق بُفراج».

(٢) في الطبري «من كان محبوساً في أسباب يعقوب».

(٣) في الطبري «ومحمد بن تركشه».

واسط إلى دير العاقول^(١)، وسير المعتمد أخاه الموفق في العساكر لمحاربة يعقوب، فجعل الموفق على ميمنته موسى بن بغا، وعلى ميسرته مسروراً البلخي. وقام هو في القلب والتقى فحملت ميسرة يعقوب على ميمنة الموفق، فهزمتها وقتلت منها جماعة من قوادهم، منهم ابراهيم بن سيما^(٢) وغيره. ثم تراجع المنهزمون، وكشف أبو أحمد الموفق رأسه وقال: أنا الغلام الهاشمي. وحمل معه سائر عسكره على عسكر يعقوب فثبتوا وتحاربوا حرباً شديدة، وقتل من أصحاب يعقوب جماعة، منهم الحسن الدرهمي، وأصاب يعقوب ثلاثة أسهم في حلقه ويديه، ولم تزل الحرب إلى آخر وقت العصر.

ثم وافى أبا أحمد الموفق الديراني ومحمد بن أوس فاجتمع جميع من بقي في عسكره. وقد ظهر من أصحاب يعقوب كراهة للقتال معه، إذ رأوا الخليفة يقاتله فحملوا على يعقوب، ومن قد ثبت معه للقتال. فانهزم أصحاب يعقوب وثبت يعقوب في خاصة أصحابه، حتى مضوا وفارقوا موضع الحرب. وتبعهم أصحاب الموفق فغنموا ما في عسكرهم، وكان فيه من الدواب والبغال أكثر من عشرة آلاف. ومن الأموال ما يكل عن حمله ومن جرب المسك أمر عظيم.

وتخلص محمد بن طاهر وكان مثقلاً بالحديد وخلع عليه الموفق وولاه الشرطة ببغداد بعد ذلك. وسار يعقوب من الهزيمة إلى خوزستان فنزل جنديسابور، وراسله العلوي البصري يحثه على الرجوع إلى بغداد ويعدّه المساعدة. فقال لكاتبه: اكتب إليه ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾^(٣) السورة وسير الكتاب إليه. وكانت الوقعة لإحدى عشرة خلت من رجب.

وكتب المعتمد إلى ابن واصل بتولية فارس. وكان قد سار إليها، وجمع جماعة، فغلب عليها، فسير إليه يعقوب عسكراً عظيماً عليهم ابن عزيز بن السري إلى فارس، واستولى عليها، ورجع المعتمد إلى سامرا. وأما أبو أحمد الموفق فإنه سار إلى واسط ليتبع الصفار وأمر أصحابه بالتجهز لذلك فأصابه مرض فعاد إلى بغداد ومعه مسرور،

(١) دير العاقول: بين مدائن كسرى والنعمان، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً على شاطئ دجلة.

(٢) في الطبري: «وطباغوا التركي ومحمد طغتا التركي والمعروف بالمبرقع المغربي»

(٣) سورة الكافرون ٢.

وقبض ما لأبي السّاج من الضّياغ والمنازل، واقطعها مسروراً البلخي، وقَدِمَ محمد بن طاهر بغداد.

ذكر أخبار الزنج

وفيها نفذ قائد الزّنج جيوشه إلى ناحية البَطِيحَة ودَسَتْ مِيسَانَ^(١). وكان سبب ذلك أن تلك النواحي لما خلت من العساكر السّلطانية بسبب عود مسرور لحرب يعقوب، بث صاحب الزنج سراياه فيها، تنهب وتخرّب، وأتته الأخبار بخلو البطيحة من جند السلطان. فأمر سليمان بن جامع وجماعة من أصحابه بالمسير إلى الحوانيت، وسليمان بن موسى بالمسير إلى القادسية. وقدم ابن التركي^(٢) في ثلاثين شداوة يريد عسكر الزنج فنهب وأحرق. فكتب الخبيث إلى سليمان بن موسى يأمره بمنعه من العبور فأخذ سليمان عليه الطريق فقاتلهم شهراً، حتى تخلص. وانحاز إلى سليمان بن جامع من مذكوري البلالية وإنجادهم جمع كثير في خمسين ومائة سميرية. وكان مسرور قد وجّه قبل مسيره عن واسط إلى المعتمد جماعة من أصحابه إلى سليمان في شداوات. فظفر بهم سليمان وهزمهم وأخذ منهم سبع شداوات، وقتل من أسر منهم. وأشار الباهليون على سليمان أن يتحصن في عقر ما وراء بطهشا^(٣) والأدغال التي فيها. وكرّها خروجهم عنهم لموافقته في فعله وخافوا السلطان، فسار إليه فنزل بقرية مروان بالجانب الشرقي من نهر طهشا. وجمع إليه رؤساء الباهلين، وكتب إلى الخبيث يعلمه بما صنع. فكتب إليه يصوّب رأيه ويأمره بإنفاذ ما عنده من ميرة ونعم، فأنفذ ذلك إليه.

وورد على سليمان أن أغرتمش، وحُشيشاً^(٤) قد أقبلًا في الخيل، والرجال، والسميريات، والشداوات يريدون حربه، فجزع جزعاً شديداً. فلما أشرفوا عليه وآههم أخذ جمعاً من أصحابه وسار راجلاً واستدبر اغرتمش. وجدّ أغرتمش في المسير إلى عسكر سليمان. وكان سليمان قد أمر الذي استخلفه من جيشه أن لا يظهر منهم أحد

(١) البَطِيحَة : ارض واسعة بين واسط والأهواز، ودَسَتْ مِيسَانَ : (دستميسان): كورة جليّة بين واسط والأهواز.

(٢) في الطبري : «أبا التركي».

(٣) في الطبري : «والتحصن بطهشا».

(٤) في الطبري «أغرتمش وحُشيشا» بالخاء.

لأصحاب اغرتمش، وان يخفوا أنفسهم ما قدروا إلى أن يسمعوا أصوات طبولهم.. فإذا سمعوها خرجوا عليه، وأقبل اغرتمش إليهم فجزع أصحاب سليمان جزعاً عظيماً فتفرقوا. ونهض شردمة منهم فواقعوهم وشغلوهم عن دخول العسكر. وعاد سليمان من خلفهم وضرب طبوله وألقوا أنفسهم في الماء للعبور إليهم. فانهزم اغرتمش، وظهر من كان من السودان بطهئا. ووضعوا السيوف فيهم وقتل حشيش، وانهزم اغرتمش، وتبعه الزنوج إلى عسكره فنالوا حاجاتهم منه وأخذوا منهم شذوات فيها مال وغيره. فعاد اغرتمش فانتزعها من أيديهم فعاد سليمان وقد ظفر وغنم؛ وكتب إلى صاحب الزنج بالخبر وسير إليه رأس حشيش، فسيره إلى علي بن أبان وهو بنواحي الأهواز. وسير سليمان سرية فظفروا باحدى عشرة شداوة وقتلوا أصحابها.

ذكر وقعة للزنج عظيمة انهزموا فيها

وفيهما كانت وقعة للزنوج مع أحمد بن ليثويه، وكان سببها أن مسروراً البلخي وجه أحمد بن ليثويه إلى كور الأهواز، فنزل السوس. وكان يعقوب الصفار قد قلد محمد بن عبيدالله بن هزارمرد^(١) الكردي كور الأهواز. فكتب محمد قائد الزنج يطمعه في الميل إليه، وأوهمه أنه يتولى له كور الأهواز. وكان محمد يكتبه قديماً وعزم على مداراة الصفار، وقائد الزنج حتى يستقيم له الأمر فيها. فكتبه صاحب الزنج يجيبه إلى ما طلب على أن يكون علي بن أبان المتولي للبلاد ومحمد بن عبيدالله يخلفه عليها. فقبل محمد ذلك، فوجه إليه علي بن أبان جيشاً كثيراً، وأمدهم^(٢) محمد بن عبيدالله. فساروا نحو السوس فمنعهم أحمد بن ليثويه ومن معه من جند الخليفة عنها وقتلهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر جماعة. وسار أحمد حتى نزل جندي سابور، وسار علي بن أبان من الأهواز ممدداً محمد بن عبيدالله على أحمد بن ليثويه، فلقيه محمد في جيش كثير من الأكراد والصعاليك، ودخل محمد تستر فانتهى إلى أحمد بن ليثويه الخبر بتظافرها على قتاله فخرج على جند يسابور إلى السوس.

وكان محمد قد وعد علي بن أبان أن يخطب لصاحبه قائد الزنج يوم الجمعة على منبر تستر. فلما كان يوم الجمعة خطب للمعتمد وللصفار، فلما علم علي بن أبان

(١) في الطبري: «محمد بن عبيدالله بن ازارمرد الكردي».

(٢) في الطبري: «وأيدهم».

ذلك انصرف إلى الأهواز وهدم قنطرة كانت هناك، لئلا يلحقه الخيل. فانتهى أصحاب عليّ إلى عسكر مكرم فنهبوا، وكانت داخله في سلم الخيـث. فغـدروا بها وساروا إلى الأهواز، فلما علم أحمد ذلك أقبل إلى تـستر، فواقع محمد بن عبيدالله ومن معه، فانهزم محمد بن عبيدالله ودخل أحمد تـستر. وأنت الأخبار علي بن أبان بأن أحمد على قصدك. فسار إلى لقائه ومحاربته. فالتقيا واقتتل العسكران فاستأمن جماعة من الأعراب إلى أحمد، من الأعراب الذين مع علي بن أبان. فانهزم باقي أصحاب عليّ وثبت معه جماعة يسيرة واشتد القتال. وترجل عليّ بن أبان وياشر القتال راجلاً فعرفه بعض أصحاب أحمد، فانذر الناس به. فلما عرفوه انصرف هارباً وألقى نفسه في المسرقان، فأناه بعض أصحابه بسميرية فركب فيها ونجا مجروحاً. وقتل من أبطال أصحابه جماعة كثيرة.

ذكر أخبار أحمد بن عبدالله الخجستاني

كان أحمد بن عبدالله الخجستاني من خجستان - وهي من جبال هراة من أعمال بادغيس^(١) - وكان من أصحاب محمد بن طاهر. فلما استولى يعقوب بن الليث على نيسابور، على ما ذكرناه ضم أحمد إليه وإلى أخيه علي بن الليث. وكان بنو شركب ثلاثة أخوة إبراهيم، وأبو حفص يعمر، وأبو طلحة منصور، بنو مسلم. وكان أسنهم إبراهيم، وكان قد أبلى بين يدي يعقوب عند واقعة الحسن بن زيد بجرجان، فقدمه، فدخل عليه يوماً نيسابور - وهو يوم فيه برد شديد - فخلع عليه يعقوب وبرسمو كان على كتفه. فحسده عليه الخجستاني فقال له: إن يعقوب يريد الغدربك، لأنه لا يخلع على أحد من خاصته خلعة إلا غدر به. فغم ذلك إبراهيم وقال: كيف الحيلة في الخلاص؟ قال: الحيلة أن نهرب جميعاً إلى أخيك يعمر، فإني خائف عليه أيضاً.

وكان يعمر قد حاصر أبا داود الناهجوزي ببلخ، ومعه نحو من خمسة آلاف رجل، فاتفقوا على الخروج ليلتهم فسبقه إبراهيم إلى الموعد، فانتظره ساعة فلم يره. فسار نحو سرخس، وذهب الخجستاني إلى يعقوب، فأعلمه، فأرسله في أثره فلحقوه بسرخس، فقتلوه ومال يعقوب إلى الخجستاني. فلما أراد يعقوب العودة إلى سجستان استخلف

(١) بادغيس: ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروز.

على نيسابور عزيز بن السري وولي أخاه عمرو بن الليث هراة. فاستخلف عمرو عليها طاهر بن حفص الباذغيسي. وسار يعقوب إلى سجستان سنة إحدى وستين ومائتين، وأحب الخجستاني التخلف لما كان يحدث به نفسه، فقال لعلّي بن الليث: «إن أخويك قد اقتسما خراسان، وليس لك بها من يقوم بشغلك، فيجب أن تردني إليها، لأقوم بأمورك». فاستأذن أخاه يعقوب في ذلك فأذن له. فلما حضر أحمد يودّع يعقوب أحسن له القول وردّه وخلع عليه. فلما ولى عنه قال يعقوب: «أشهد أن قفاه قفا مستعص، وأن هذا آخر عهدنا بطاعته». فلما فارقه جمع نحواً من مائة رجل، فورد بهم بشت نيسابور. فحارب عاملها وأخرجه عنها وجباها. ثم خرج إلى قومس فقتل ببسطام مقتلة عظيمة، وتغلب عليها، وذلك سنة إحدى وستين ومائتين. وسار إلى نيسابور وبها عزيز بن السري فهرب عزيز وأخذ أحمد أثقاله واستولى على نيسابور يدعو إلى الطاهرية، وذلك أول سنة اثنتين وستين ومائتين. وكتب إلى رافع بن هرثمة يستقدمه فقدم عليه، فجعله صاحب جيشه. وكتب إلى يعمر بن شركب وهو يحاصر بلخ يستقدمه ليتفقا على تلك البلاد فلم يثق إليه يعمر لفعله بأخيه. وسار يعمر إلى هراة فحارب طاهر بن حفص فقتله، واستولى على أعمال طاهر. فصار إليه أحمد فكانت بينهما مناوشات. وكان أبو طلحة بن شركب غلاماً من أحسن الغلمان وكان عبد الله بن بلال يميل إليه - وهو أحد قواد يعمر - فراسل الخجستاني وأعلمه أنه يعمل ضيافة ليعمر وقواده، ويدعوهم إليه يوماً ذكره ويأمره بالنهوض إليهم فيه، فإنه يساعده، وشرط عليه أن يسلم إليه أبا طلحة، فأجابه أحمد إلى ذلك. فصنع ابن بلال طعاماً ودعا يعمر وأصحابه وكبسهم أحمد وقبض على يعمر وسيّره إلى نائبه بنيسابور فقتله. واجتمع إلى أبي طلحة جماعة من أصحاب أخيه فقتلوا ابن بلال وساروا إلى نيسابور، وكان بها الحسين بن طاهر، أخو محمد بن طاهر قد وردها من أصبهان طمعاً أن يخطب لهم أحمد كما كان يظهره من نفسه. فلم يفعل فخطب له أبو طلحة بها وأقام معه. فصار إليه الخجستاني من هراة في اثني عشرة ألف عنان فأقام على ثلاثة مراحل من نيسابور. ووجه أخاه العباس إليها فخرج إليه أبو طلحة فقاتله فقتل العباس وانهزم أصحابه. فلما بلغ خبرهم إلى أحمد عاد إلى هراة ولم يعلم لأخيه خبراً فبذل الأموال لمن يأتيه بخبره، فلم يقدم أحد على ذلك. وأجابه رافع بن هرثمة إليه، فاستأمن إلى أبي طلحة فأمنه وقربه ووثق إليه. وتحقق رافع خبر العباس فانهاه إلى أخيه أحمد، وأنفذ أبو طلحة إلى

بيهق، وبست ليحيي أموالهما لنفسه. وضم إليه قائدین فجبي رافع الأموال وقبض على القائدين، وسار إلى الخجستاني إلى قرية من قرى خواف فنزلها وبها حلي بن يحيى الخارجي. فنزل ناحية عنه. فبلغ الخبر إلى أبي طلحة، فركب مجداً فوصل إليهم ليلاً فأوقع بحلي وأصحابه، وهويظنه رافعاً. وهرب رافع سالماً، وعلم أبو طلحة بحال حلي بعد حرب شديدة فكف عنه وأحسن إليه وإلى أصحابه، ثم وجه أبو طلحة جيشاً إلى جرجان وبها ثابت بن الحسن بن زيد ومعه الديلم وكان جيش أبي طلحة، إسحاق الشاري، فحاربوا الديلم بجرجان وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأجلوهم عنها. وذلك في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين. ثم عصي إسحاق على أبي طلحة، فسار إليه أبو طلحة واشتغل في طريقه باللهو والصيد فكبسه إسحاق وقتل أصحابه، وانهزم أبو طلحة إلى نيسابور فاستضعفه أهلها فأخرجوه منها. فنزل على فرسخ عنها وجمع جمعاً وحاربهم، ثم افتعل كتاباً عن أهل نيسابور إلى إسحاق، يستقدمونه إليهم، ويعقدونه المساعدة على أبي طلحة فاغتر إسحاق بذلك.

وكتب أبو طلحة عن إسحاق كتاباً إلى أهل نيسابور يعدهم أنه يساعدهم على أبي طلحة ويأمرهم. بحفظ الدروب وترك مقاربة البلد إلى أن يوافيهم فاغترّوا بذلك وظنّوه كتابه ففعلوا ما أمرهم. وسار إسحاق مجداً، فلما قارب نيسابور لقيه أبو طلحة فغافصه^(١) فطعنه أبو طلحة فألقاه عن فرسه في بئر هناك. فلم يعلم له خبر، وانهزم أصحابه ودخل بعضهم إلى نيسابور، وضيق عليهم أبو طلحة، فكاتبوا الخجستاني واستقدموه من هراة، فأناهم في يومين وليلتين. وورد عليهم ليلاً ففتحو له الأبواب ودخلها، وسار عنها أبو طلحة إلى الحسن بن زيد فأمدّه بجنود، فعاد إلى نيسابور فلم يظفر بشيء. فسار إلى بلخ وحصر أبا داود الناهجوزي واجتمع معه خلق كثير وذلك سنة خمس، وقيل: ست وستين ومائتين. وسار الخجستاني إلى محاربة الحسن بن زيد لمساعدته أبا طلحة فاستعان الحسن بأهل جرجان، فاعانوه فحاربهم الخجستاني، فهزمهم وأغار عليهم وجباهم أربعة آلاف ألف درهم. وذلك في رمضان سنة خمس وستين، واتفق أن يعقوب بن الليث توفي سنة خمس وستين أيضاً. ووَلَّى مكانه أخوه عمرو فعاد إلى سجستان وقصد هراة فعاد الخجستاني من جرجان إلى نيسابور، ووافاه عمرو بن الليث

(١) غافصه: فاجأه فأذاه.

فاقتتلا، وانهزم عمرو، ورجع إلى هراة وأقام أحمد بنيسابور.

وكان كيكان - وهو يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي - وجماعة من المتطوعة والفقهاء بنيسابور يميلون إلى عمرو لتولية السلطان إياه. فرأى الخجستاني أن يوقع بينهم ليشغل بعضهم ببعض، وأحضر منهم جماعة من الفقهاء القائلين بمذاهب أهل العراق. فاحسن إليهم وقربهم وأكرمهم وأظهروا الخلاف على كيكان ونابدوه. وكان كيكان يقول بمذهب أهل المدينة، فكفى شرهم وسار إلى هراة، فحصر بها عمرو بن الليث سنة سبع وستين، فلم يظفر بشيء فسار نحو سجستان فحصر في طريقه رمل (سي) فلم يظفر بشيء منها. فاحتال حتى استمال رجلاً قطاناً كانت داره إلى جانب السور، ووعدته أن ينقب إلى العسكر من داره، ويخرج أصحابه إلى البلد. فاستأمن رجلان إلى البلد من أصحاب الخجستاني، وذكر الخبر لصاحبه، فأخذ القطان وأخربت داره، وبطل ما كان الخجستاني عزم عليه. وكان خليفة الخجستاني بنيسابور قد أساء السيرة وقوي العيارين وأهل الفساد. فاجتمع الناس إلى كيكان، فثار على نائبه وأعانهم عمرو بن الليث، بجنده فقبضوا على خليفة الخجستاني، وأقام أصحاب عمرو بنيسابور، فبلغ الخبر إلى أحمد فوافى نيسابور فخرج عنها كيكان وغيره، فردهم أصحاب أحمد الخجستاني فقتل منهم جماعة، وغيب كيكان فلم يظهر إلا بعد مدة ميتاً، وقد بنى عليه حائطاً فمات فيه. وأقام أحمد بنيسابور تمام سنة سبع وستين ومائتين. ثم أن عمراً كاتب أبا طلحة وهو يحاصر بلخ يستقدمه إلى هراة فأناه فآكرمه وأعطاه مالاً عظيماً ووعدته وتركه بخراسان وعاد إلى سجستان.

فسار أحمد إلى سرخس وبها عامل عمرو فأناه أبو طلحة فقاتله فانهزم أبو طلحة ومرت على وجهه، وسار أحمد خلفه فلحقه بخلم^(١)، فحاربه فهزمه أيضاً. وسار نحو سجستان وأقام أحمد بطخارستان، وكان ناسرار عباس القطان قد أتى طلحة، فسار نحو نيسابور فاعانته أهلها فاخذوا والدته الخجستاني وما كان معها، وأقام بنيسابور ولحق به أبو طلحة فمنعه أهل نيسابور من دخولها. واتصل الخبر بالخجستاني وهو بطايبكان من طخارستان فسار مجدداً نحو نيسابور، ولما أيس الطاهرية من الخجستاني. وكان أحمد بن محمد بن طاهر بخوارزم والياً عليها فأنفذ أبا العباس النوفلي في خمسة آلاف

(١) خلم بضم الخاء المعجمة وسكون اللام اسم بلدة بنواحي بلخ على عشرة فراسخ منها.

رجل ليخرج أحمد من نيسابور، فبلغ خبره أحمد، فأرسل إليه ينهائه عن سفك الدماء، فأخذ النوفلي الرسل فأمر بضربهم وحلّق لحاهم وأراد قتلهم، فبينما هم يطلبون الجلادين والحلاقين ليحلّق لحاهم أتاهم الخبر بقرب جيش أحمد منهم، فاشتغلوا وتركوا الرسل فهربوا إلى أحمد وأعلموه الخبر، فعبى أصحابه وحملوا على النوفلي حملة رجل واحد فأكثروا فيهم القتل وقبضوا على النوفلي، وأحضروه عنده فقال له: إن الرسل لتختلف إلى بلاد الكفار فلا تتعرض لهم، أفلا استحييت أن تأمر في رسلي بما أمرت؟ فقال النوفلي: أخطأت فقال: لكني سأصيب في أمرك ثم أمر به فقتل. وبلغه أن إبراهيم بن محمد بن طلحة بمرودجى أهلها في سنتين خمسة عشر خراجاً فصار إليه في أبيورد في يوم وليلة فأخذه من على فراشه وأقام بمرودجى خراجها ثم ولّاها موسى البلخي، ثم وافاها الحسين بن طاهر فأحسن فيهم السيرة ووصل إليه نحو عشرين ألف ألف درهم.

ذكر قتل الخجستاني

لما كان الخجستاني بطخارستان وافاه خبر أخذ والدته من نيسابور وسار مجداً، فلما قارب هراة أتاه غلام لأبي طلحة يعرف بينال ده هزار مستأمناً فأتاه خبره قبل وصوله. وكان للخجستاني غلام اسمه رامجور على خزائنه فقال له كالممازح له: «إن سيدك بينال ده هزار، قد استأمن إليّ كما علمت فانظر كيف يكون برك به». فحقدتها عليه رامجور وخاف أن يقدم ذلك الغلام عليه ويطلب الفرصة ليقته. وكان لأحمد غلام يدعى قتلغ - وهو على شرابه - فسقاه يوماً فرأى في الكوز شيئاً فأمر به فقلعت إحدى عينيه، فتواطأ قتلغ ورامجور على قتله، فشرب يوماً بنيسابور عند وصوله من طايكان فسكروا. فتفرق عنه أصحابه فقتله رامجور وقتلغ. وكان قتله في شوال سنة ثمان وستين ومائتين. وأخذ رامجور خاتمه فأرسله إلى الإصطبل يأمرهم بإسراج عدة دواب ففعلوا. فسير عليها جماعة إلى أبي طلحة وهو بجرجان يعلمه الحال ويأمره بالقدوم. ثم أغلق رامجور الباب على أحمد واختفى. وبكر القواد إلى باب أحمد فوجدوا باب حجرته مغلقاً فانتظروه ساعة طويلة، فراهم الأمر ففتحو الباب فرأوه مقتولاً، فبحثوا عن الحال وأخبرهم صاحب الإصطبل خبر رامجور في إنفاذ الخاتم فطلبوه فلم يجدوه ثم وجدوه بعد مدة.

وكان سبب إطلاعهم عليه أن صبيّاً من أهل تلك الدار التي هو بها طلب ناراً فقبل له : ما تعملون بالنار في اليوم الحار؟ فقبل : نتخذ طعاماً للقائد، قيل : ومن القائد؟ قال : رامجور. فانهوا خبره إلى بعض القواد فاخذوه وقتلوه. واجتمع أصحاب أحمد بعد قتله على رافع بن هرثمة. وسنذكر أخبار رافع سنة ثمان وستين ومائتين. وكان أحمد بن عبد الله لما عاد من طايكان، بعد قتل والدته نصب رمحاً طويلاً في صحن داره وقال : يحتاج أهل نيسابور أن يضعوا الدر حتى يغمروا هذا الرمح فخافوا منه. واستخفى جمع من الرؤساء والتجار، وفرغ الناس إلى الدعاء وسألوا أبا عثمان وغيره من أصحاب أبي حفص الزاهد، أن يتضرعوا إلى الله تعالى ليفرج عنهم. وفعلوا، فتداركهم الله بحرمته فقتل تلك الليلة وفرج الله عنهم. وكان أحمد كريماً جواداً شجاعاً حسن العشيرة كثير البر لإخوانه الذين صحبوه قبل إمارته والإحسان إليهم ولم يتغير لهم عما كان يفعله من التواضع والآداب.

ذكر عدة حوادث

فيها ولي القضاء عليّ بن محمد بن أبي الشوارب، وفيها سار الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر إلى الجبل في صفر، وفيها مات الصلاني^(١) والي الري ووليها كيغلغ، وفيها نهب ابن زيدويه الطيب^(٢). ومات صالح بن عليّ بن يعقوب بن المنصور، وولي إسماعيل بن إسحاق قضاء الجانب الشرقي من بغداد فصار له قضاء الجانبين، وفيها تنافر أبو أحمد الموفق، وأحمد بن طولون أمير ديار مصر، وصار به بينهما وحشة مستحكمة. وتطلب الموفق من يتولى الديار المصرية فلم يجد أحداً لأن ابن طولون كانت خدمه وهداياه متصلة إلى القواد بالعراق، وأرباب المناصب، فلهذا لم يجد من يتولاها. فكتب إلى ابن طولون يهدده بالعزل فأجابه جواباً فيه بعض الغلظة. فسير إليه الموفق موسى بن بغا في جيش كثيف فصار إلى الرقة، وبلغ الخبر ابن طولون فحصّن الديار المصرية. وأقام ابن بغا عشرة أشهر بالرقة، لم يمكنه المسير لقلّة الأموال معه، وطالبه الأجناد بالعطاء فلم يكن معه ما يعطيهم، فاختلفوا عليه وثاروا بوزيره عبد الله بن سليمان فاستتر. واضطر ابن بغا إلى العودة إلى العراق، وكفى الله أحمد بن

(١) في الطبري « الصلاحي »

(٢) في الطبري « وفيها كبس ابن زيدويه الطيب فأنهبها ».

طولون شره فتصدق بأموال كثيرة . وفيها قتل محمد بن عتاب ، وكان سائراً إلى السيبين وهي في ولايته فقتله الأعراب . وفيها قتل القطان صاحب مفلح ، وكان عاملاً بالموصل فانصرف عنها فقتل بالرقعة ، وفيها عقد لكفتمر علي بن الحسين بن داود على طريق مكة . وفيها وقع بين الخياطين^(١) والجزارين بمكة قتال يوم التروية^(٢) حتى خاف الناس أن يبطل الحج ثم تحاجزوا إلى أن يحج الناس وقد قتل منهم سبعة عشر رجلاً ، وحج بالناس الفضل بن اسحاق بن الحسن بن العباس بن محمد . وفيها سير محمد صاحب الأندلس ابنه المنذر في جيش إلى الجليقي وكان بمدينة بطليوس فلما سمع خبرهم فارقتها ودخل حصن كركر فحوصر فيه ، وكثر القتل في أصحابه في شوال . وفيها مات عمرو بن شبة النميري الأخباري وكان مولده ثلاث وسبعين ومائة .

(١) في الطبري « الخناتين والجزارين » .

(٢) في الطبري : « قبل يوم التروية يوم » .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين

ذكر وقعة الزنج

لما انهزم علي بن أبان جريحاً، كما ذكرناه، وعاد إلى الأهواز لم يبق بها ومضى إلى عسكر صاحبه يدوي جراحه، واستخلف على عسكره بالأهواز. فلما برأ جرحه عاد إلى الأهواز ووجه أخاه الخليل بن أبان في جيش كثيف إلى أحمد بن ليثويه. وكان أحمد بعسكر مكرم فكمّن لهم أحمد وخرج إلى قتالهم فالتقى الجمعان واقتتلوا أشد قتال، وخرج الكمين على الزنج فانهمزوا وتفرقوا وقتلوا. ووصل المنهزمون إلى علي بن أبان فوجه مسلحة إلى المسرقان فوجه إليهم أحمد ثلاثين فارساً من أصحابه من أعيانهم فقتلهم الزنج جميعهم.

ذكر استيلاء يعقوب على الأهواز وغيرها

وفيهما اقبل يعقوب بن الليث من فارس، فلما بلغ النوبندهجان، انصرف أحمد بن الليث عن تستر، فلما بلغ يعقوب جند يسابور ونزلها، ارتحل عن تلك الناحية كل من بها، من عسكر الخليفة. ووجه إلى الأهواز رجلاً من أصحابه يُقال له: الخضر^(١) بن العنبر، فلما قاربها خرج عنها علي بن أبان ومن معه من الزنج، فنزل نهر السدرة ودخل الخضر الأهواز. وجعل أصحابه وأصحاب علي بن أبان يغير بعضهم على بعض ويصيب بعضهم من بعض، إلى أن استعد علي بن أبان وسار إلى الأهواز فأوقع بالخضر ومن معه وقعة قُتِلَ فيها من أصحاب الخضر خلقاً كثيراً، وأصاب الغنائم الكثيرة. وهرب الخضر ومن معه إلى عسكر مكرم وأقام علي بالأهواز ليستخرج ما كان فيها^(٢)، ورجع إلى نهر السدرة وسير طائفة إلى دورق وأوقعوا بمن كان هناك من

(١) في الطبري: «الحسن بن العنبر».

(٢) في الطبري: «حتى استباح ما كان فيها».

أصحاب يعقوب ، وأنفذ يعقوب الى الخضر مدداً ، وأمره بالكف عن قتال الزنج والاقتصار على المقام بالأهواز . فلم يجبههم عليّ إلى ذلك دون نقل طعام كان هناك فأجابه يعقوب إليه فنقله وترك العلف الذي كان بالأهواز وكفّ بعضهم عن بعض .

ذكر ملك الروم لؤلؤة

وفيهما سلمت الصقالبة لؤلؤة الى الروم ، وكان سبب ذلك أن احمد بن طولون قد أدمن الغزو بطرسوس قبل أن يلي مصر ، فلما ولي مصر كان يؤثر أن يلي طرسوس ليغزو منها اميراً ، فكتب الى ابي أحمد الموفق يطلب ولايتها فلم يجبه إلى ذلك . واستعمل عليها محمد بن طرون التغلبي فركب في سفينة في دجلة فالتفتها الريح إلى الشاطيء فاخذه أصحاب مساور الشاري فقتلوه ، واستعمل عوضه محمد بن عليّ الأرمني وأضيف اليه انطاكية ، فوثب به اهل طرسوس فقتلوه . فاستعمل عليها أرخوز بن يولغ بن طرخان التركي فسار اليها . وكان غراً جاهلاً فاساء السيرة وأخر عن أهل لؤلؤة ارزاقهم وميرتهم فضجوا من ذلك ، وكتبوا الى اهل طرسوس يشكون منه ويقولون : « إن لم ترسلوا الينا أرزاقنا وميرتنا وإلاّ سلّمنا القلعة إلى الروم » . فاعظم ذلك أهل طرسوس وجمعوا من بينهم خمسة عشر الف دينار ليحملوها إليهم ، فاخذها ارخوز ليحملها إلى أهل لؤلؤة فأخذها لنفسه ، فلما أبطأ عليهم المال سلموا القلعة إلى الروم . فقامت على أهل طرسوس القيامة ، لأنها كانت شبحاً في حلق العدو ولم يكن يخرج الروم في بر أو بحر إلا رأوه وأنذروا به ؛ واتصل الخبر بالمعتمد فقلدها أحمد بن طولون واستعمل عليها من يقوم بغزو الروم ويحفظ ذلك الثغر .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة مات مساور بن عبد الحميد الشاري . وكان قد رحل من البوازيح يريد لقاء عسكر قد سار إليه من عند الخليفة . فكتب أصحابه إلى محمد بن خرزاد وهو بشهرزور ليولّوه أمرهم ، فامتنع وكان كثير العبادة ، فبايعوا أيوب بن حيان الوارقي البجلي . فأرسل إليهم محمد بن خرزاد ليذكر لهم أنه نظر في أمره فلم يسعه إهمال الأمر لأن مساوراً عهد إليه ، فقالوا له : « قد بايعنا هذا الرجل ولا تغدر به » . فسار اليهم فيمن بايعه فقاتلهم ، فقتل أيوب بن حيان . فبايعوا بعده محمد بن عبدالله بن حبي الوارقي المعروف بالغلام ، فقتل أيضاً . فبايع أصحابه هارون بن عبدالله البجلي

فَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ وَعَادَ عَنْهُ ابْنُ خَرْزَادٍ ، وَاسْتَوْلَى هَارُونَ عَلَى أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ وَجَبَى خَرَاجَهُ .
 وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ مُوسَى ^(١) وَالْأَعْرَابِ فَوَجَّهُ الْمَوْفِقَ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ ^(٢)
 الْمَعْتَصِدَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوَادِهِ فِي طَلَبِ الْأَعْرَابِ . وَفِيهَا وَثَبَ الدِّيرَانِيُّ بِأَبْنِ أَوْسٍ
 فَكَبَسَهُ لَيْلًا فَتَفَرَّقَ عَسْكَرُهُ وَنَهَبَهُ وَمَضَى ابْنُ أَوْسٍ إِلَى وَاسِطٍ . وَفِيهَا ظَفَرَ أَصْحَابُ
 يَعْقُوبَ بْنِ اللَّيْثِ بِمُحَمَّدَ بْنِ وَاصِلٍ فَأَسْرَوْهُ . وَفِيهَا مَاتَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ
 خَاقَانَ وَزِيرَ الْمَعْتَمِدِ سَقَطَ عَنْ دَابَّتِهِ بِالْمِيدَانِ مِنْ صَدْمَةِ خَادِمٍ لَهُ فَسَالَ دِمَاغُهُ مِنْ مَنْخَرِهِ
 وَأَذَنُهُ فَمَاتَ لَوَقْتَهُ ^(٣) . وَصَلَّى عَلَيْهِ الْمَوْفِقُ ^(٤) وَمَشَى فِي جَنَازَتِهِ ، وَاسْتَوَزَرَ مِنَ الْغَدِ
 الْحَسَنَ بْنَ مَخْلَدٍ ، فَقَدِمَ مُوسَى بْنُ بَغَا سَامِرًا فَاخْتَفَى الْحَسَنُ وَاسْتَوَزَرَ مَكَانَهُ
 سُلَيْمَانَ بْنَ وَهَبٍ وَدَفَعَتْ دَارُ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَى كَيْغَلَخٍ ، وَفِيهَا أَخْرَجَ أَخُو شَرْكَبِ الْحُسَيْنِ بْنِ
 طَاهِرٍ عَنْ نَيْسَابُورٍ وَغَلَبَ عَلَيْهَا وَأَخَذَ أَهْلَهُ بِأَعْطَائِهِ ثَلَاثَ أَمْوَالِهِمْ ، وَسَارَ الْحُسَيْنُ إِلَى مَرُوهٍ
 وَبِهَا ابْنُ ^(٥) خَوَارِزْمِ شَاهٍ يَدْعُو لِمُحَمَّدَ بْنِ طَاهِرٍ ؛ وَفِيهَا سَيَّرَ مُحَمَّدُ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ ابْنَهُ
 الْمَنْذَرَ فِي جَيْشٍ كَثِيرٍ وَجَعَلَ طَرِيقَهُ عَلَى مَارِدَةٍ فَلَمَّا جَازَ مَارِدَةً إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ تَبِعَهُ
 تِسْعُمَائَةُ فَارَسَ مِنَ الْعَسْكَرِ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ اسْتَظْهَرُوا فَاقْتَتَلُوا
 قِتَالًا كَثِيرًا ، صَبَرُوا فِيهِ ، وَقَتَلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَدَدٌ كَثِيرٌ ، ثُمَّ اسْتَظْهَرَ ابْنُ الْجَلِيقِيِّ وَمَنْ
 مَعَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى التَّسْعُمَائَةِ فَوَضَعُوا السِّيفَ فِيهِمْ فَقَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ
 بِالشَّهَادَةِ . وَفِيهَا ابْتَدَأَ إِبْرَاهِيمُ أَمِيرُ أَفْرِيقِيَّةٍ بِنَاءَ مَدِينَةِ رَقَادَةَ . وَفِيهَا تَوَفَّى أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ
 الطَّائِي الْمَوْصِلِيُّ أَخُو عَلِيِّ بْنِ حَرْبٍ تَوَفَّى بِأَذْنَةٍ مِنْ بَلَدِ الثَّغْرِ وَحُجَّ بِالنَّاسِ هَذِهِ السَّنَةَ
 الْفَضْلُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ .

(١) فِي الطَّبْرِيِّ : « مُوسَى دَالِجُوه » .

(٢) فِي الطَّبْرِيِّ : « وَجَّهَ أَبُو أَحْمَدَ ابْنَهُ أَحْمَدَ فِي جَمَاعَةٍ » .

(٣) فِي الطَّبْرِيِّ : « فَمَاتَ بَعْدَ أَنْ سَقَطَ بِثَلَاثِ سَاعَاتٍ » .

(٤) فِي الطَّبْرِيِّ : « وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ الْمُتَوَكَّلِ » .

(٥) فِي الطَّبْرِيِّ : « أَخُو » .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين

ذكر أسر عبدالله بن كاوس

في هذه السنة أسرت الروم عبدالله بن رشيد بن كاوس . وكان سبب ذلك ، أنه دخل بلد الروم في أربعة آلاف من أهل الثغور الشامية ، فغنم وقتل ، فلما رحل عن البدندون خرج عليه بطريق سلوقية وبطريق قره كوكب وخرشنة فاحدقوا بالمسلمين ، فترل المسلمون وعرقبوا دوابهم وقاتلوا فقتلوا ، إلا خمسمائة فإنهم حملوا حملة رجل واحد ونجوا على دوابهم . وقتل الروم من قتلوا وأسروا عبدالله بن رشيد بعد ضربات أصابته وحمل إلى ملك الروم .

ذكر أخبار الزنج هذه السنة ودخولهم واسط

قد ذكرنا سنة اثنتين وستين ومائتين مسير سليمان بن جامع إلى البطائح وما كان منه مع أغرتمش ، فلما أوقع به كتب إلى صاحبه يستأذنه في المسير إليه ليحدث به عهداً ويصلح أمور منزله ، فأذن له في ذلك . فأشار عليه الحياتي أن يتطرق^(١) إلى عسكر تكين البخاري وهو يزدود فقيل قوله وسار إلى تكين . فلما كان على فرسخ منه قال له الحياتي : « الرأي أن تقيم أنت ههنا وأمضي أنا في السمريرات وأجرّ القوم إليك فيأتونك وقد تعبوا فتنال منهم حاجتك » . ففعل سليمان ذلك . وجعل بعض أصحابه كميناً ومضى الحياتي إلى تكين فقاتله ساعة ثم تطارد لهم فتبعوه ، فأرسل إلى سليمان يعلمه ذلك . وقال لأصحابه وهو بين يدي أصحاب تكين شبه المنهزم ليسمع أصحاب تكين قوله فيطمعوا فيه : « غررتموني وأهلكتموني وكنت نهيتكم عن الدخول ههنا فأبيتم ولا أرانا ننجوا منه » . وطمع أصحاب تكين ، وجدّوا في طلبه ، وجعلوا ينادون

(١) في الطبري : « الجائي بطرق » . وكذلك في تاريخ ابن خلدون .

بليل في قفص . فما زالوا كذلك ، حتى جازوا موضع الكمين ، وقاربوا عسكر سليمان ، وقد كمن أيضاً خلف جدار هناك . فخرج سليمان إليهم في أصحابه فقاتلهم . وخرج الكمين من خلفهم وعطف الحياتي على من في النهر فاشتد القتال فانهزم أصحاب تكين من الوجوه كلها ، وركبهم الزنج يقتلونهم ويسلبونهم أكثر من ثلاثة فراسخ وعادوا عنهم . فلما كان الليل عاد الزنج إليهم وهم في معسكرهم فكبسوه فقاتلهم تكين وأصحابه فانكشف سليمان . ثم عبي أصحابه فامر طائفة أن تأتيهم من جهة ذكرها لهم وطائفة في الماء ، وأتى هو في الباقي فقصدوا تكين من جهاته كلها فلم يقف من أصحابه أحد وانهزموا وتركوا عسكرهم فغنم الزنج ما فيه وعادوا بالغنيمة واستخلف سليمان الحياتي على عسكره وسار إلى صاحبه وكان ذلك سنة ثلاث وسنين ومائتين .

فلما سار سليمان إلى الخبيث خرج الحياتي بالعسكر الذي خلفه سليمان معه إلى مازوران^(١) ، لطلب الميرة فاعترضه جعلان فقاتله ، فانهزم الحياتي وأخذت سفنه . وأتته الأخبار أن منجورا ومحمد بن علي بن حبيب اليشكري قد بلغا الحجاجية ، فكتب إلى صاحبه بذلك فسير إليه سليمان فوصل إلى طهنا^(٢) مجدداً وأظهر أنه يريد قصد جعلان ، وقدم الحياتي وأمره أن يأتي جعلان ويقف بحيث يراه ولا يقاتله ، ثم سار سليمان نحو محمد بن علي بن حبيب مجدداً ، فأوقع به وقعة عظيمة وغنم غنائم كثيرة وقُتل أخا لمحمد بن علي ، ورجع وكان ذلك في رجب من هذه السنة ايضاً .

ثم سار في شعبان إلى قرية حسان وبها قائد يقال له : حسن بن خمار تكين^(٣) فأوقع به ، فهزمه ونهب القرية وأحرقها وعاد ، ثم سار في شعبان ايضاً إلى مواضع فنهبها وعاد . ثم سار في رمضان ، وأظهر أنه يريد جعلان بمازوران ، فبلغت الأخبار إلى جعلان بذلك فضبط عسكره فتركه سليمان وعدل إلى أبا فأوقع به وهو غار وغنم منه ست شذاوات . ثم أرسل الحياتي في جماعة لينتهب ، فصادفهم جعلان فاخذ سفنهم

(١) في الطبري : «مازروان» ، ولم اعثر عليها بمعجم البلدان .

(٢) في الطبري : « طهنا » .

(٣) في الطبري « جيش بن خمر تكين » .

وغنم منهم ، فأتاه سليمان في البر فهزمه واستنقذ سفنهم وغنم شيئاً آخر وعاد . ثم سار سليمان إلى الرّصافة في ذي القعدة فأوقع بمطر بن جامع وهو بها فغنم غنائم كثيرة وأحرق الرّصافة واستباحها ، وحمل أعلاماً وانحدر إلى مدينة الخبيث وأقام ليعيد هناك بمنزله . فسار مطر إلى الحجاجية فأوقع باهلها وأسر جماعة ، وكان بها قاضٍ لسليمان فأسره مطر وحمله إلى واسط . وسار مطر إلى قريب طهشا ورجع فكتب الحياتي إلى سليمان بذلك فسار نحوه فوافاه لليلتين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين . ثم صرف جعلان ووافى أحمد بن ليثويه فأقام بالشديدية ، ومضى سليمان إلى نهر ابان وبه قائد من قواد احمد فأوقع به فقتله .

ثم سار سليمان إلى تكين في خمس شذوات سنة أربع وستين فواقعه تكين بالشديدية ، وكان احمد بن ليثويه ، حينئذ قد سار إلى الكوفة وجنبلاء . فظهر تكين على سليمان وأخذ الشذوات بما فيها وكان بها صناديد سليمان وقواده فقتلهم ، ثم أن احمد عاد إلى الشديدية وضبط تلك الأعمال حتى وافاه محمد بن المولد وقد ولّاه الموفق مدينة واسط ، فكتب سليمان إلى الخبيث يستمده فأمدّه بالخليل بن أبان في زهاء ألف وخمسمائة فارس ، فلما أتاه المدد قصد إلى محاربة محمد بن المولد ، ودخل سليمان مدينة واسط فقتل فيها خلقاً كثيراً ونهب وأحرق ، وكان بها ابن منكجور البخاري^(١) فقاتله يومه إلى العصر ثم قتل ، وانصرف سليمان عن واسط إلى جُنبلاء ليعبث ويخرّب ، فأقام هناك تسعين ليلة ، وعسكرهم بنهر الأمير .

ذكر وزارة سليمان بن وهب للخليفة ووزارة الحسن بن مخلد وعزله

وفيها خرج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامراء وشيعة الموفق والقواد . فلما صار إلى سامراء غضب عليه المعتمد وحبسه وقيّده وانتهب داره وداري ابنه وهب ، وابراهيم واستوزر الحسن بن مخلد في ذي القعدة فسار الموفق من بغداد إلى سامراء ومعه عبدالله بن سليمان بن وهب ، فلما قرب من سامراء تحوّل المعتمد إلى الجانب الغربي فعسكر به مغاضباً للموفق . واختلف الرسل بينه وبين الموفق واتفقا وخلع على الموفق ومسرور وكيغلغ وأحمد بن موسى بن بغا ، وأطلق سليمان بن وهب وعاد الى

(١) في الطبري « وكان بها إذ ذاك كنجور البخاري » .

الجوسق ، وهرب الحسن بن مخلد ، وأحمد بن صالح بن شيرزاد ، فكتب بقبض أموالهما وقبض أحمد بن أبي الأصبح ، وهرب القواد الذين كانوا بسامراء مع المعتمد خوفاً من الموفق فوصلوا الى الموصل وجبوا الخراج .

ذكر وفاة أماجور وملك ابن طولون

الشام وطرسوس وقتل سيما الطويل

وفي هذه السنة توفي أماجور مقطع دمشق ، وولي ابنه مكانه فتجهز ابن طولون ليسير الى الشام فيملكه . فكتب الى ابن اماجور ، يذكر له أن الخليفة قد اقطعه الشام والثغور . فاجابه بالسمع والطاعة . وسار أحمد واستخلف بمصر ابنه العباس فلقبه ابن أماجور بالرملة فأقره عليها ، وسار الى دمشق فملكها وأقر قواد أماجور على أقطاعهم . وسار إلى حمص فملكها وكذلك حماة ، وحلب . وارسل سيما الطويل بأنطاكية يدعوه إلى طاعته ليقره على ولايته فامتنع فعلاوده فلم يطمعه ، فسار اليه أحمد بن طولون فحصره بأنطاكية ، وكان سيء السيرة مع أهل البلد . فكتبوا أحمد بن طولون ودلوه على عورة البلد فنصب عليه المجانيق وقتلته ، فملك البلد عنوة والحصن الذي له ، وركب سيما وقاتل قتالاً شديداً حتى قُتِل ، ولم يعلم به أحد . فاجتاز به بعض قواده فرآه قتيلاً ، فحمل رأسه الى أحمد فساء قتله ، ورحل عن أنطاكية إلى طرسوس فدخلها وعزم على المقام بها وملازمة الغزاة ، فغلا السعر بها وضاعت عنه وعن عساكره . فركب أهلها اليه بالمخيم وقالوا له : « قد ضيقت بلدنا وأغليت أسعارنا فيما أقمت في عدد يسير وإما ارتحلت عنا » . وأغلظوا له في القول وشغبوا عليه فقال أحمد لأصحابه : « لتنهزموا من الطرسوسيين وترحلوا عن البلد ليظهر للناس وخاصة العدو أن ابن طولون على بعد صيته وكثرة عساكره لم يقدر على أهل طرسوس » وانهزم عنهم ليكون أهيب لهم في قلب العدو وعاد إلى الشام فأثاه خبر ولده العباس ، وهو الذي استخلفه بمصر - أنه قد عصي عليه وأخذ الأموال وسار الى برقة مشاقفاً لأبيه فلم يكثر بذلك ولم ينزعج له . وثبت وقضى اشغاله وحفظ أطراف بلاده وترك بحرّان عسكرياً وبالبرقة عسكرياً مع غلامه لؤلؤ . وكانت حران لمحمد بن أتماش وكان شجاعاً فأخرجه عنها وهزمه هزيمة قبيحة ، واتصل خبره باخيه موسى بن أتماش وكان شجاعاً بطلاً فجمع عسكرياً كثيراً وسار نحو حران وبها عسكر ابن طولون ومقدمهم أحمد بن جيعويه .

فلما اتصل به خبر مسير موسى اقلقه ذلك وازعجه ففطن له رجل من الأعراب يقال له ؛ أبو الأغر فقال له : « أيها الأمير أراك مفكراً منذ أتاك خبر ابن أتامش وما هذا محله فإنه طياش ، قلق ، ولو شاء الأمير أن آتبه به أسيراً لفعلت » . فغاظه قوله وقال : قد شئت أن تأتي به أسيراً قال : فاضمم إليّ عشرين رجلاً اختارهم قال : افعل . فاختار عشرين رجلاً ، وسار بهم إلى عسكر موسى ، فلما قاربهم كمن بعضهم وجعل بينه وبينهم علامة إذا سمعوها ظهروا ، ثم دخل العسكر في الباقين في زي الأعراب ، وقارب مضارب موسى وقصد خيلاً مربوطة فأطلقها ، وصاح هو وأصحابه فيها فنفرت ، وصاح هو ومن معه من الأعراب ، وأصحاب موسى غاروا وقد تفرق بعضهم في حوائجهم وانزعج العسكر وركبوا ، وركب موسى ، فانهزم أبو الأغر من بين يديه فتبعه حتى أخرجه من العسكر وجاز به الكمين فنادى أبو الأغر بالعلامة التي بينهم . فثاروا من النواحي وعطف أبو الأغر على موسى فأسروه فأخذوه وساروا حتى وصلوا إلى ابن جيعويه ، فعجب الناس من ذلك وحاروا ، فسيّر ابن جيعويه إلى ابن طولون فاعتقله وعاد إلى مصر وكان ذلك في سنة خمس وستين ومائتين .

ذكر الفتنة ببلاد الصين

وفي هذه السنة ظهر ببلاد الصين إنسان لا يُعرف فجمع جمعاً كثيراً من أهل الفساد والعامّة ، فأهمل الملك أمره استصغاراً لشأنه ، فقوي وظهر حاله وكثف جمعه وقصده أهل الشرّ من كل ناحية فأغار على البلاد وأخربها ، ونزل على مدينة خانقوا وحصرها وهي حصينة ولها نهر عظيم وبها عالم كثير من المسلمين ، والنصارى ، واليهود ، والمجوس ، وغيرهم من أهل الصين ، فلما حصر البلد اجتمعت عساكر الملك وقصدته فهزمها وافتتح المدينة عنوة ، وبذل السيف فقتل منهم ما لا يحصى كثرة . ثم سار إلى المدينة التي فيها الملك وأراد حصرها فالتقاء ملك الصين ودامت الحرب بينهم نحو سنة ثم انهزم الملك وتبعه الخارجي إلى أن تحصن منه في مدينة من أطراف بلاده واستولى الخارجي على أكثر البلاد والخزائن ، وعلم أنه لا بقاء له في الملك إذ ليس هو من أهله ، فأخرب البلاد ونهب البلاد وسفك الدماء . فكاتب ملك الصين ملوك الهند يستمدّهم فأمدوهم بالعساكر فسار إلى الخارجي فالتقوا واقتتلوا نحو سنة أيضاً وصبر الفريقان ، ثم ان الخارجي أُعِدِمَ . فقيل : إنه قُتِلَ ، وقيل : بل غُرِقَ

وظفر الملك بأصحابه وعاد إلى مملكته ، ولقب ملوك الصين يعفور - ومعناه ابن السماء - تعظيماً لشأنه ، وتفرق الملك عليه وتغلب كل طائفة على طرف من البلاد ، وصار الصين على ما كان عليه ملوك الطوائف يظهرون له الطاعة وقَبَّعَ منهم بذلك ، وبقي على ذلك مدة طويلة .

ذكر ملك المسلمين مدينة سرقوسة

وفي هذه السنة رابع عشر رمضان ، ملك المسلمون سرقوسة ، وهي من أعظم صقلية ، وكان سبب ملكها أن جعفر بن محمد أمير صقلية غزاها فأفسد زرعها وزرع قطانية ، وطبرمين ، ورمطة ، وغيرها من بلاد صقلية التي بيد الروم ، ونازل سرقوسة وحصرها براً وبحراً وملك بعض أرباضها ، ووصل مراكب الروم نجدة لها فسير إليها اسطولاً فأصابوها فتمكنوا حينئذ من حصرها . فأقام العسكر محاصراً لها تسعة أشهر وفُتِحَتْ وقُتِلَ من أهلها عدة ألوف ، وأصيب فيها من الغنائم مالم يصب بمدينة أخرى ، ولم ينج من رجالها إلا الشاذ الفذ . وأقاموا فيها بعد فتحها شهرين ثم هدموها ، ثم وصل بعد هدمها من القسطنطينية اسطول فالتقوا هم والمسلمون فظفر بهم المسلمون ، وأخذوا منهم أربع قطع ، فقتلوا من فيها وانصرف المسلمون إلى بلدهم آخر ذي القعدة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سَيرَ محمد بن عبد الرحمن صاحب الأندلس ابنه المنذر في جيش إلى مدينة بَنِلُونَة ، وجعل طريقه على سرقسطة فقاتل أهلها ، ثم انتقل إلى تَطِيلَة وجال في مواضع بني موسى ثم دخر بنبلونة فخرّب كثيراً من حصونه وأذهب زروعَهُ وعاد سالمًا . وفيها سار جمع من العرب إلى مدينة جليقية فكان بينهم وقعة عظيمة قُتِلَ فيها من الطائفتين كثير . وفيها فرغ إبراهيم بن محمد بن الأغلب صاحب أفريقية من بناء رقادة ، وكان ابتداء عمارتها سنة ثلاث وستين ومائتين ، ولما فرغت انتقل إبراهيم إليها ، وفيها وجّه يعقوب بن الليث جيشاً إلى الصيمرة مقدّمة إليها وأخذوا صعون فأحضره عنده فمات . وفيها ماتت قبيحة أم المعتز . وفيها وقع الطاعون بخراسان جميعها وقومس فأفنى خلقاً كثيراً .

وحج بالناس هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى الهاشمي . وفيها توفي أبو زرعة الرازي - واسمه عبيد الله بن عبد الكريم - وكان حافظاً للحديث ثقة^(١) ومحمد بن اسماعيل بن علي^(٢) وكان موته بدمشق . وفيها مات أبو إبراهيم المزني صاحب الشافعي وكان موته بمصر^(٣) ، وعلي بن حرب الطائي وكان إماماً في الحديث .

(١) قيل إنه كان يحفظ سبعمئة ألف حديث ، وكان فقيهاً ورعاً زاهداً . البداية والنهاية ٤٠/١١ ط . دار الكتب العلمية .

(٢) قاضي دمشق ، انظر نفس المرجع السابق .

(٣) واسمه اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن عمرو بن مسلم الفقيه أبو إبراهيم المزني المصري صاحب التصانيف المهمة ، منها الجامع الكبير والجامع الصغير ومختصر المختصر، شذرات الذهب . ١٤٨/٢ .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين

ذكر أخبار الزنج

في هذه السنة كانت وقعة بين أحمد بن ليشويه وبين سليمان بن جامع والزنج بناحية جُنبلاء^(١) ، وكان سببها أن سليمان ، كتب إلى الخبيث ، يخبره بحال نهر يسمى الزهري ، ويسأله أن يأذن في عمله فإنه متى أنفذه تهيأ له ، حمل مافي جُنبلاء وسواد الكوفة . فأنفذ إليه نكرويه لذلك وأمره بمساعدته والنفقة على عمل النهر . فمضى سليمان فيمن معه وأقام بالشریطة^(٢) نحواً من شهر وشرعوا في عمل النهر . وكان أصحاب سليمان في أثناء ذلك يتطرقون ما حولهم فواقعه أحمد بن ليشويه - وهو عامل الموفق بجنبلاء - فقتل من الزنوج ، نيفاً وأربعين قائداً ، ومن عامتهم مالا يحصى كثرة ، وأحرق سفنهم . فمضى سليمان مهزوماً إلى طهثا^(٣) .

وفيهما سار جماعة من الزنوج في ثلاثين سميرية إلى جبل فأخذوا أربع سفن فيها طعام وانصرفوا ، وفيها دخل الزنج النعمانية فأحرقوها وسبوا فساروا إلى جرجرايا ودخل أهل السواد بغداد .

ذكر استعمال مسرور البلخي على الأهواز وانهزام الزنج منه

وفيهما استعمل الموفق مسروراً البلخي ، على كور الأهواز فولّى مسرور ذلك تكين البخاري ، فسار إليها تكين ، وكان علي بن أبان والزنج قد احاطوا بتستر ،

(١) جُنبلاء : بضمّتين ، وثانيه ساكن ، وهو مدور : كورة وبليد ، وهو منزل بني واسط والكوفة منه إلى قناطر بني دارا إلى واسط .

(٢) في الطبري : « حتى أقام بالشریطية » .

(٣) في الطبري : « فمضى مفلولاً حتى وافى طهثا » .

فخاف أهلها وعزموا على تسليمها إليهم ، فوافاهم في تلك الحال تكين البخاري ، فواقع عليّ بن أبان قبل أن ينزع ثيابه ، فانهزم عليّ والزنج ، وقتل منهم كثير وتفرّقوا . ونزل تكين بتستر ، وهذه الواقعة تعرف بوقعة باب كورك وهي مشهورة ، ثم إن عليّاً قدّم عليه جماعة من قواد الزنج ، فامرهم بالمقام بقنطرة فارس ، فهرب منهم غلام رومي إلى تكين وأخبره بمقامهم بالقنطرة وتشاغلهم بالنبيذ وتفرّقهم في جمع الطعام . فسار تكين إليهم ليلاً فأوقع بهم وقتل من قوادهم جماعة فانهزم الباقون . وسار تكين إلى عليّ بن أبان ، فلم يقف له عليّ ، وانهزم وأسر غلام له يُعرف بجعفرويه . ورجع عليّ إلى الأهواز ورجع تكين إلى تستر . وكتب عليّ إلى تكين يسأله الكفّ عن قتل غلامه فحبسه . ثم تراسل عليّ وتكين وتهاديا . فبلغ الخبر مسروراً بميل تكين إلى الزنج فسار حتى وافى تكين وقبض عليه وحبسه عند إبراهيم بن جعلان حتى مات . وتفرق أصحاب تكين ، وفرقة سارت إلى الزنج ، وفرقة إلى محمد بن عبيد الله الكردي ، فبلغ ذلك مسروراً فأمّنهم فجاءه منهم الباقون . وكان بعض ما ذكرناه من أمر مسرور سنة خمس وستين وبعضه سنة ست وستين ومائتين .

ذكر عصيان العباس بن أحمد بن طولون على أبيه

وفيها عصي العباس بن أحمد بن طولون على أبيه ، وسبب ذلك أن أباه كان قد خرج إلى الشام واستخلف ابنه العباس ، كما ذكرناه . فلما أبعد عن مصر حسن للعباس جماعة كانوا عنده أخذ الأموال والإنشراح إلى برقة ففعل ذلك وأتى برقة في ربيع الأول . وبلغ الخبر أباه ، فعاد إلى مصر وأرسل إلى ابنه ولأطفه واستعطفه فلم يرجع إليه . وخاف من معه فأشاروا عليه بقصد أفريقية فسار إليها ، وكتب وجوه البربر فأتاه بعضهم وامتنع بعضهم . وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب يقول : « إن أمير المؤمنين قد قلّدني أمر أفريقية وأعمالها » ورحل حتى أتى حصن لبدة ففتحها أهله له فعاملهم أسوأ معاملة ونهبهم ، فمضى أهل الحصن إلى إلياس بن منصور النفوسي ، رئيس الأباضية هناك ، فاستعانوا به ، فغضب لذلك وسار إلى العباس ليقاتله . وكان إبراهيم بن الأغلب قد أرسل إلى عامل طرابلس جيشاً وأمره بقتال العباس فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً قاتل العباس فيه بيده . فلما كان الغد وافاهم إلياس بن منصور الأباضي في اثني عشر ألفاً من الأباضية ، فاجتمع هو وعامل طرابلس على قتال العباس ، فقتل من أصحابه خلق

كثير ، وانهزم أقبح هزيمة ، وكاد يؤسر فخلّصه مولى له ونهبوا سواده ، وأكثر ما جملة من مصر وعاد إلى برقة أقبح عودة ، وشاع بمصر أن العباس انهزم فاعتم والده حتى ظهر عليه ، وسير إليه العساكر لما علم سلامته فقاتلوه قتالاً صبر فيه الفريقان فانهزم العباس ومن معه وكثر القتلى في أصحابه . وأخذ العباس أسيراً وحمل إلى أبيه فحبسه في حجرة ، في داره إلى أن قدم باقي الأسرى من أصحابه . فلما قدموا أحضرهم أحمد عنده والعباس معهم فأمره أبوه أن يقطع أيدي أعيانهم وأرجلهم ففعل . فلما فرغ منه وبّخه أبوه وذمّه ، وقال له : « هكذا يكون الرئيس والمقدم ، كان الأحسن أنك كنت ألقى نفسك بين يدي وسألت الصّح عنك وعنهم فكان أعلى لمحكك ، وكنت قضيت حقوقهم فيما ساعدوك وفارقوا أوطانهم لأجلك » ثم أمر به فضرب مائة مفرقة ودموعه تجري على خدّه رقة لولده ، ثم رده إلى الحجرة واعتقله . وذلك سنة ثمان وستين ومائتين .

ذكر موت يعقوب وولاية أخيه عمرو

وفيها مات يعقوب بن الليث الصفار ، تاسع شوال ، بجنديسابور من كور الأهواز . وكانت علته القولنج ، فأمره الأطباء بالاحتقان بالدواء ، فلم يفعل واختار الموت . وكان المعتمد قد أنفذ إليه رسولاً ، وكتاباً يستميله ويترضاه ، ويقلده أعمال فارس ، فوصل الرسول ويعقوب مريض ، فجلس له وجعل عنده سيفاً ورغيفاً من الخبز الخشكار ومعه بصل . وأحضر الرسول فأدى الرسالة فقال له : « قل للخليفة أنني عليل فإن مات فقد استرح منك ، واسترحت مني ، وإن عوفيت فليس بيني وبينك إلا هذا السيف ، حتى آخذ بثأري ، أو تكسرنى وتعقرني ، وأعود إلى هذا الخبز والبصل » وأعاد الرسول ، فلم يلبث يعقوب أن مات .

وكان الحسن بن زيد العلوي ، يسمى يعقوب بن الليث السندان لثباته . وكان يعقوب قد افتتح الرّنج وقاتل ملكها وأسلم أهلها على يده ، وكانت مملكته واسعة الحدود ، وكان اسم ملكها « كتير ، وكان يحمل على سزير من ذهب ، يحمله اثنا عشر رجلاً ، وابتنى على جبل عال بيتاً وسماه مكة وكان يدّعي الإلهية فقتله يعقوب وافتتح الخليجية ، وزابل ، وغير ذلك . ولم أعلم أي سنة كان ذلك حتى أذكره فيها . وكان يعقوب عاقلاً حازماً وكان يقول : « من عاشرته أربعين يوماً فلم تعرف أخلاقه فلا

تعرفها في أربعين سنة . وقد تقدم من سيرته ما يدل على عقله ، ولما مات قام بالأمر بعده أخوه عمرو بن الليث وكتب إلى الخليفة بطاعته فولّاه الموفق خراسان ، وفارس ، وأصبهان ، وسجستان والبند ، وكرمان ، والشرطة ببغداد ، وأشهد بذلك وسيّره إليه مع الخلع .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة وثب القاسم بن مهابة^(١) بدّلف بن عبد العزيز بن أبي دلف بأصبهان فقتله . ووثب جماعة من أصحاب أبي دلف بالقاسم فقتلوه ، وريسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز .

وفيهما لحق محمد المولد بيعقوب بن الليث ، فاكرمه يعقوب وأحسن إليه فامر الخليفة بقبض أمواله وعقاره . وفيها قتلت الأعراب جعلان المعروف بالعيار بدمماً ، وكان خرج يسيّر قافلة^(٢) فقتلوه ، فوجه في طلبهم فلم يلحقوا . وفيها حبس الموفق سليمان بن وهب ، وابنه عبيد الله ، وعدّة من أصحابهما ، وقبض أموالهم وضياعهم ، خلا أحمد بن سليمان ، ثم صالح سليمان وابنه عبيد الله على تسعمائة ألف دينار ، وجعلوا في موضع يصل إليهما من أرادوا .

وعسكر موسى بن أتامش ، وإسحاق بن كنداجيق^(٣) ، والفضل بن موسى بن بغا ، وعبروا جسر بغداد ، ومنعهم الموفق فلم يرجعوا ، ونزلوا صرصر^(٤) ، فاستكتب أبو أحمد الموفق صاعد بنت مخلد فمضى إلى أولئك القواد فردهم من صرصر فخلع عليهم .

وفيهما خرج خمسة بطارقة من الروم إلى أذنة فقتلوا وأسروا . وكان أرجوز^(٥) والي الثغور ، فعُزل عنها ، فأقام مرابطاً وأسروا نحواً من أربعمائة ، وقتلوا نحواً من ألف وأربعمائة ، وذلك في جمادى الأولى . وفيها غلب أحمد بن عبد الله الخجستاني على

(١) في الطبري : « القاسم بن مهابة » .

(٢) في الطبري : « وكان خرج ليدركة قافلة » .

(٣) في الطبري : « وينغجور بن أرخوز » .

(٤) صرصر : قرينان من سواد بغداد صرصر العليا وصرصر السفلى .

(٥) في الطبري : « في ثلاثين ألفاً من الروم إلى أذنة فصاروا إلى المصلى وأسروا أرخوز » .

نيسابور ، وسار الحسن بن طاهر بن عبدالله الى مرو ، وهو عامل أخيه محمد بن طاهر ، وأخربت طوس . وفيها استوزر أبو الصقر إسماعيل بن بلبل . وفيها وثب جماعة من الأعراب من بني أسد على عليّ بن مسرور البلخي ، قبل وصوله إلى المغيثة ، بطريق مكة ، وكان الموفق ولّاه الطريق . وفيها بعث ملك الروم إلى أحمد بن طولون بعبدالله بن رشيد بن كاوس وعدّة أسرى ، وأنفذ معهم عدة مصاحف منه هدية إليه ، وحج بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي . وفيها كانت موافاة ابي المغيرة عيسى^(١) بن محمد المخزومي إلى مكة لصاحب الزنج . وفيها توفي أبو بكر أحمد بن منصور الزنادي ، وعمره ثلاث وثمانون سنة ، وإبراهيم بن هانئ أبو إسحاق النيسابوري . وكان من الإبدال قد صحب أحمد بن حنبل ، وعليّ بن حرب بن محمد الطائي الموصلّي ، ومولده سنة خمس وسبعين ومائة ، وقيل : غير ذلك وقد تقدم ، وعلي بن موفّق الزاهد . وفيها قُتِلَ أبو الفضل العباس بن الفرّج الرياشي . قتله الزنج بالبصرة ، أخذ العلم عن أبي عبيدة والأصمعي .

(١) في الطبري : « أبي المغيرة بن عيسى بن محمد المخزومي » .

ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين ذكر أخبار الزنج مع أغرتمش

في هذه السنة ولّى اغرتمش ما كان يتولاه تكين البخاري من أعمال الأهواز. فدخل تستر في رمضان ومعه أبّا، ومطر بن جامع. وقتل مطر بن جامع جعفرويه، غلام عليّ بن أبان، وجماعة معه كانوا مأسورين، وساروا إلى عسكر مكرم، وأتاهم الزنج هناك مع عليّ بن أبان، فاقتتلوا، فلما رأوا كثرة الزنج، قطعوا الجسر وتحاجزوا ورجع عليّ إلى الأهواز، وأقام أخوه الخليل بالمسرقان في جماعة كثيرة من الزنج.

وسار اغرتمش ومن معه نحو الخليل ليعبروا إليه من قنطرة إربك. فكتب إلى أخيه عليّ، فوافاه في النهر، وأخاف أصحابه الذين خلفهم بالأهواز. فارتحلوا إلى نهر السدرة، وتحارب عليّ واغرتمش يومهم. ثم انصرف عليّ إلى الأهواز، فلم يجد أصحابه الذين خلفهم بالأهواز. فوجه من يردّهم من نهر السدرة، فعسر عليهم ذلك فتبعهم وأقام معهم. ورجع اغرتمش فنزل عسكر مكرم، واستعدّ عليّ لقتالهم. وبلغ ذلك اغرتمش ومن معه من عسكر الخليفة فساروا إليه، فكمّن لهم عليّ وقدم الخليل إلى قتالهم، فاقتتلوا، فكان أول النهار لأصحاب الخليفة، ثم خرج عليهم الكمين فانهزموا، وأسر مطر بن جامع، وعدة من القواد، فقتله عليّ بغلامه جعفرويه. وعاد إلى الأهواز، وأرسل رؤوس القتلى إلى الخبيث العلوي. وكان عليّ واغرتمش بعد ذلك في حروبهم على السواء. وصرف صاحب الزنج أكثر جنوده إلى عليّ بن أبان. فلما رأى ذلك اغرتمش وادعه، وجعل عليّ يغير على النواحي. فمن ذلك أنه أغار على قرية بيروذ فنهبها ووجّه الغنائم إلى صاحبه.

ذكر دخول الزنج رامهرمز

وفيها دخل عليّ بن أبان والزنج رامهرمز. وسبب ذلك أن محمد بن عبيد الله كان يخاف عليّ بن أبان، لما في نفس عليّ منه، لما ذكرناه. فكتب إلى انكلاي بن العلوي، وسأله أن يسأل أباه ليرفع يد عليّ عنه ويضّمه إلى نفسه. فزاد ذلك غيظ عليّ منه، وكتب إلى الخبيث بالإيقاع بمحمد، ويجعل ذلك الطريق إلى مطالبته بالخراج فأذن له. فكتب إلى محمد يطلب منه حمل الخراج فمطله ودافعه. فسار إليه عليّ وهو برامهرمز. فهرب محمد عنها ودخلها عليّ والزنج فاستباحها، ولحق محمد بأقصى معاقله، وانصرف عليّ غانماً. وخاف محمد، فكتب إليه يطلب المسالمة فأجابه إلى ذلك على ماله يؤديه إليه. فحمل إليه مائتي ألف درهم فأنفذها إلى صاحب الزنج، وأمسك عن محمد بن عبيد الله وأعماله.

وفيها كانت وقعة للزنج إنهزموا فيها. وكان سببها أن محمد بن عبيد الله كتب إلى عليّ بن أبان بعد الصّلى يسأله المعونة على الأكراد الدارنان^(١)، على أن يجعل له ولأصحابه غنائمهم. فكتب عليّ إلى صاحبه يستأذنه فكتب إليه أن وجه إليه جيشاً وأقم أنت ولا تنفذ أحداً حتى تستوثق منه بالرهائن، ولا يأمن غزوه والطلب بثأره. فكتب عليّ إلى محمد يطلب منه اليمين، والرهائن، فبذل له اليمين ومطله بالرهائن فلحرص عليّ على الغنائم أنفذ إليه جيشاً. فسير محمد معهم طائفة من أصحابه إلى الأكراد، فخرج إليهم الأكراد فقاتلوه. ونشبت الحرب فتخلى أصحاب محمد عن الزنج فانهزموا وقتلت الأكراد منهم خلقاً كثيراً. وكان محمد قد أعدّ لهم من يتعرضهم إذا إنهزموا فصادفهم وأوقعوا بهم وسلبوهم، وأخذوا دوابهم، ورجعوا بأسوأ حال. فكتب عليّ إلى الخبيث بذلك فعنفه وقال: « ضيعت أمري في ترك الرهائن ». وكتب إلى محمد يتهدهه فخاف محمد، وكتب يخضع ويذل^(٢). ورد بعض الدواب وقال: « إنني كبست من كانت عندهم، وخلّصت هذه منهم ». فظهر الخبيث الغضب عليه. فأرسل محمد إلى بهبود، ومحمد بن يحيى الكرمانى، وكانا أقرب الناس إلى عليّ فضمن لهما مالاً، أن أصلحا له عليّاً وصاحبه ففعلاً ذلك. فأجابهما الخبيث إلى الرضا عن محمد عليّ أن

(١) في الطبري: « جماعة من الأكراد كانوا بموضع يقال له الداربان » بالباء الموحدة.

(٢) في الطبري: « فأعاد محمد الكتاب بالتضرع والاستكانة ».

يخطب له على منابر بلاده . وأعلما محمداً ذلك فاجابهما إلى كل ما طلبا وجعل يراوغ في الدّعاء له على المنابر .

ثم أن علياً استعدّ لمتوث وسار إليها فلم يظفر بها لحصانيتها وكثرة من يدافع عنها من أهلها . فرجع خائباً ، وعمل السلايم ، والآلات التي يصعد بها إلى السور . واستعد لقصدها فعرف ذلك مسرور البلخي - وهو يومئذ بكور الأهواز - فلما سار عليّ إليها سار إليه مسرور ، فوافاه قبل المغرب وهو نازل عليها .

فلما عاين الزّنج أوائل خيل مسرور انهزموا أقبح هزيمة وتركوا جميع ما كانوا أعدوه ، وقتل منهم خلق كثير ، وانصرف عليّ مهزوماً فلم يلبث إلا يسيراً حتى أتته الأخبار باقبال الموفق . ولم يكن لعليّ بعد متوث وقعة ، حتى فتحت سوق الخميس ، وطهثا^(١) على الموفق . فكتب إليه صاحبه يأمره بالعودة إليه ويستحثه حثاً شديداً .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ولي عمرو بن الليث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر خلافته على الشرطة ببغداد ، وسرّ من رأى في صفر . وخلع عليه الموفق ، وعمرو بن الليث . وفيها في صفر غلب اساتكين على الشرطة - وهي الآن من أعمال سجستان - وعلى الري ، وأخرج منها حَظْلَخَجُور^(٢) العامل عليها . ثم مضى^(٣) إلى قزوین وعليها أخو كيغلغ^(٤) ، فصالحه ودخل اساتكين قزوین ثم رجع إلى الري . وفيها وردت سرية من سرايا الروم إلى تلّ يَسْهَى^(٥) من ديار ربيعة ، فاسرت نحواً من مائتين وخمسين إنساناً ، ومثلت بالمسلمين فنقر إليهم أهل الموصل ، ونصيبين ، فرجعت الروم . وفيها مات أبو السّاج بجنديسابور منصرفاً من عسكر عمرو بن الليث إلى بغداد ، ومات قبله سليمان بن عبد الله بن طاهر . وولى عمرو بن الليث فيها أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف

(١) قد تقدم وروده في الطبري : « طهثا » .

(٢) في الطبري : « وأخرج عنها ظلمجور » .

(٣) في الطبري : « ثم مضى هو وابنه أذكوتكين » .

(٤) في الطبري : « وعليها أبرون أخو كيغلغ » .

(٥) في الطبري : « تلّ يَسْهَى » وفي المعجم : « تل بسمه » .

أصبهان. وولى محمد بن أبي الساج طريق مكة، والحرمين. وفيها فارق إسحاق بن كنداج^(١) أحمد بن موسى بن بغا.

وكان سبب ذلك أن أحمد لما سار إلى الجزيرة وولى موسى بن أتمامش ديار ربيعة، فأنكر ذلك إسحاق بن كنداج، وفارق عسكره وسار إلى بلد، فأوقع بالأكراد اليعقوبية فهزمهم وأخذ أموالهم. ثم لقي ابن مساور الخارجي فقتله. وسار إلى الموصل فقاطع أهلها على مال قد أعدوه. وكان قائد كبير بمعلثايا^(٢) اسمه علي بن داود - وهو المخاطب له عن أهل الموصل والمدافع - فسار ابن كنداج إليه، فلما بلغه الخبر فارق معلثايا وعبر دجلة ومعه حمدان بن حمدون إلى إسحاق بن أيوب بن أحمد التغلبي العدوي. فاجتمعوا كلهم فبلغت عدتهم نحو خمسة عشر ألفاً. وسمع ابن كنداج باجتماعهم فعبر إلى بلد وعبر دجلة إليه - وهو في ثلاث آلاف - وسار إلى نهر أيوب فالتقوا بكرائثا - وهي التي تعرف اليوم بتل موسى - وتضافوا للحرب. فارسل مقدم ميسرة بن أيوب إلى ابن كنداج يقول له: «إنني في الميسرة، فاحمل عليّ لأنهم». ففعل ذلك. فانهزمت ميسرة ابن أيوب وتبعها الباقون. فسار حمدان بن حمدون، وعلي بن داود إلى نيسابور، وأخذ ابن أيوب نحو نصيبين فاتبعه ابن كنداج. فسار ابن أيوب عن نصيبين إلى آمد واستولى ابن كنداج على نصيبين، وديار ربيعة. واستجار ابن أيوب بعيسى بن الشيخ الشيباني، وهو بآمد فأنجده. وطلب النجدة من أبي المعز بن موسى بن زرارة - وهو بارزن - فأنجده أيضاً. وعاد ابن كنداج إلى الموصل، ووصل إليه من الخليفة المعتمد عهد بولاية الموصل فعاد إليها. فارسل إليه ابن الشيخ، وابن زرارة، وغيرهم. بذلوا له مائتي ألف دينار ليقرّهم على أعمالهم فلم يجبههم فاجتمعوا على حربه. فلما رأى ذلك أجابهم إلى ما طلبوا وعاد عنهم وقصدوا بلادهم.

وفيها أمر محمد بن عبد الرحمن بانشاء مراكز بنهر قرطبة، وحملها إلى البحر المحيط. وكان سبب عملها أنه قيل له: أن جليقية ليس لها مانع من جهة البحر المحيط، وإن ملكها من هناك سهل. فامر بعمل المراكب فلما فرغت، وكملت

(١) في الطبري: إسحاق بن كنداجيق.

(٢) معلثايا: بالفتح ثم السكون وبالثاء المثناة وياء: بليد له قرب جزيرة ابن عمر من نواحي الموصل.

برجالها، وعدتها سيرها إلى البحر المحيط. فلما دخلته المراكب تقطعت ولم يجتمع منها مركبان ولم يرجع منها إلا اليسير.

وفيها التقى اسطول المسلمين واسطول الروم عند صقلية. فجرى بينهم قتال شديد فظفر الروم بالمسلمين، وأخذوا مراكبهم وانهزم من سلم منهم إلى مدينة بلرم بصقلية. وفيها كان بأفريقية غلاء شديد وقحط عظيم كادت الاقوات تعدم. وفيها قتل أهل حمص عاملهم عيسى الكرخي. وفيها أسرى لؤلؤ غلام أحمد بن طولون من راية بني تميم إلى موسى بن أتامش - وهو برأس عين - فأخذه أسيراً وسيّره إلى الرقة. ثم لقي لؤلؤ أحمد بن موسى بن أتامش ومن معه من الاعراب. فانهزم لؤلؤ ورجع الأعراب إلى عسكر أحمد لينهبوه، فعطف عليه لؤلؤ وأصحابه فانهزموا. فبلغت هزيمتهم قرقيسيا، ثم ساروا إلى بغداد، وسامرا.

وقد ذكرت فيما تقدم أن الذي أسر موسى غير لؤلؤ، على ما ذكره مؤرخو مصر. وفيها كانت بين أحمد بن عبد العزيز، وبكتمر وقعة فانهزم بكتمر وسار إلى بغداد. وفيها أوقع الخجستاني بالحسن بن زيد بجرجان - وهو غار - فلحق بآمل، وغلب الخجستاني على جرجان وأطراف طبرستان. فكان الحسن لما سار عن طبرستان إلى جرجان، استخلف بسارية الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن حسين الأصغر العقيقي. فلما انهزم الحسن بن زيد أظهر العقيقي بسارية أنه قتل ودعا إلى البيعة لنفسه فبايعه قوم، ووافاه الحسن بن زيد، فحاربه ثم ظفر به فقتله. وفيها كانت وقعة بين الخجستاني، وعمرو بن الليث، انهزم فيها عمرو ودخل الخجستاني نيسابور، وأخرج منها عامل عمرو ومن كان يميل إليه. وفيها كانت فتنة بالمدينة ونواحيها بين العلويين والجعفرية. وفيها وثب الأعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها، وصار بعضها إلى صاحب الزنج وأصاب الحجاج فيها شدة شديدة.

وفيها خرجت الروم على ديار ربيعة فاستنفر الناس فنفروا في برد شديد لا يمكن فيه دخول الدرب. وفيها غزا سيما خليفة أحمد بن طولون على الثغور الشامية في ثلاثمائة رجل من أهل طرسوس، فخرج عليهم نحو من أربعة آلاف من بلاد هرقل. فباقتلوا قتلاً شديداً وقتل المسلمون خلقاً كثيراً من العدو وأصيب من المسلمين جماعة. وفيها كانت بمدينة النبي ﷺ حرب بين العلويين والجعفريين، وغلا السعربها

حتى تعذرت الأقوات وعم الغلاء سائر البلاد من الحجاز، والعراق، والموصل،
والجزيرة، والشام، وغير ذلك إلا أنه لم يبلغ الشدة التي بالمدينة^(١). وفيها كان الناس
في البلاد التي تحت حكم الخليفة جميعها في شدة عظيمة بتغلب القواد وأمراء الأجناد
على الأمر وقلة المراقبة، والامن من انكار ما يأتونه، ويفعلونه لاشتغال الموفق بقتال
صاحب الزنج ولعجز الخليفة المعتمد واشتغاله بغير ذلك. وفيها اشتد الحر في تشرين
الثاني ثم اشتد فيه البرد حتى جمد الماء. وفيها قدم محمد بن أبي الساج مكة فحاربه
المخزومي^(٢) فهزمه محمد واستباح ماله وذلك يوم التروية.

وفيها سار كيغلغ إلى الجبل وبكتمر راجعاً إلى الدينور. وحج بالناس في هذه
السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي. وفيها توفي
محمد بن شجاع ابوبكر الثلجي، وكان من أصحاب الحسن بن زياد اللؤلؤي، صاحب
أبي حنيفة الثلجي بالثناء المعجمة بثلاث والجم: وفيها توفي صالح بن أحمد بن
حنبل، وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين ومائتين.

(١) أوضح ابن جرير الطبري سبب الفتنة التي حصلت بالمدينة فقال: «وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن القيم
بأمر المدينة ووادي القرى ونواحيها كان في هذه السنة إسحاق بن محمد بن يوسف الجعفري، فولى
وادي القرى عاملاً من قبله، فوثب أهل وادي القرى على عامل إسحاق بن محمد فقتلوه، وقتلوا أخوين
لإسحاق فخرج إسحاق إلى وادي القرى، فمرض به ومات فقام بأمر المدينة أخوه موسى بن محمد،
فخرج عليه الحسن بن موسى بن جعفر، فأرضاه بثمانمائة دينار، ثم خرج عليه أبو القاسم أحمد بن
اسماعيل بن الحسن بن زيد، ابن عم الحسن بن زيد صاحب طبرستان فقتل موسى وغلب على المدينة
وقدمها أحمد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد فضبط المدينة وقد كان غلبا بها السعر، فوجه إلى
الجار وضمن للتجار أموالهم ورفع الجباية فرخص السعر وسكنت المدينة فولى السلطان الحسن بن أحمد بن
إلى أن قدمها ابن أبي الساج.

(٢) في الطبري «ابن المخزومي».

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين ذكر أخبار الزنج

وفيها غلب أبو العباس بن الموفق على عامة ما كان بيد سليمان بن جامع والزنج من أعمال دجلة. وهذا أبو العباس هو الذي صار خليفة بعد المعتمد فلقب المعتمد بالله. وكان سبب مسيره أن الزنج لما دخلوا واسط وعملوا بأهلها، ما ذكرنا، فبلغ ذلك الموفق، فامر ابنه بتعجيل المسير بين يديه إليهم. فسار في ربيع الآخر سنة ست وستين ومائتين، وشيعة أبوه وسير معه عشرة آلاف من الرجال والخيلة في العدة الكاملة. وأخذ معه الشذاوات والسمريات والمعابر للرجالة، فسار حتى وافى دير العاقول. وكان على مقدمته في الشذاوات نصير المعروف، بأبي حمزة. فكتب إليه نصير يخبره، أن سليمان بن جامع، قد وافى في خيله ورجله، وشذاوات وسمريات، والحياتي^(١) على مقدمته حتى نزل الجزيرة بحضرة بردويا^(٢)، وأن سليمان بن موسى الشعراني قد وافى نهر أبا^(٣) بخيله ورجله في سمريات. فركب أبو العباس حتى وافى الصلح ووجه طلائعه ليعرف أخبارهم، فعادوا وأعلموه بموافة الزنج وجيشهم وأن أولهم بالصلح، وآخرهم ببستان موسى بن بغا، أسفل واسط.

وكان سبب جمع الزنج وحشدهم أنهم قالوا: «ان أبا العباس فتي حدث غر بالحرب. والرأي لنا أن نرميه بحدنا كله ونجبهه في أول مرة نلقاه في إزالته، فلعل ذلك يروعه، فينصرف عنا». فجمعوا وحشدوا. فلما علم أبو العباس قربهم عدل عن سنن الطريق واعترض في مسيره ولقى أصحابه أوائل الزنج فتطاردوا لهم حتى طمعوا فيهم

(١) في الطبري «والجباتي» بالجمع والباء الموحدة وقد تقدم ذكره.

(٢) في الطبري «بردودا» وفي المعجم «بردرايا» بفتح الدال والراء وبين الألفين ياء.

(٣) نهر أبا: من نواحي بغداد.

واغتروا، واتبعوهوم وجعلوا يقولون: اطلبوا أمير للحرب فإن أميركم قد اشتغل بالصيد. فلما قربوا منه خرج عليهم فيمن معه من الخيل والرجل، وصاح بنصير إلى أين تتأخر عن هذه الأكلب؟ فرجع نصير، وركب أبو العباس سميرية، وحف به أصحابه من جميع الجهات. فانهزمت الزنج وكثر القتل فيهم واتبعوهوم إلى أن وصلوا قرية عبد الله - وهي على ستة فراسخ من الموضع الذي لقوهوم به - وأخذوا منهم خمس شذاوات وعدة سميريات، وأسر جماعة واستأمن جماعة، فكان هذا أول الفتح.

فسار سليمان بن جامع إلى نهر الأمير، وسار سليمان بن موسى الشعراني إلى سوق الخميس، وانحدر أبو العباس فأقام بالعمر - وهو على فرسخ من واسط - وأصلح شذاواته وجعل يراوح القوم القتال ويغاديهم، ثم ان سليمان استعد وحشد وجعل أصحابه في ثلاثة أوجه وقالوا: إنه حدث غريغر بنفسه، وكمنا له كمناء. فبلغ الخبر أبا العباس فحذروا، وأقبلوا وقد كمنا الكمناء، ليغتر بأتباعهم، فيخرج الكمين عليه. فمنع أبو العباس أصحابه أن يتبعوهوم. فلما علموا أن كيدهم لم يتم خرج سليمان في الشذاوات والسميريات فأمر أبو العباس نصيراً أن يبرز إليهم وركب هو شذاة من شذاواته، سماها الغزال ومعه جماعة من خاصته، وأمر الخيالة بالمسير بإزائه على شاطئ النهر إلى أن ينقطع. فعبر دوابهم ونشبت الحرب بين الفريقين، فوقعت الهزيمة على الزنج وغنم أبو العباس منهم أربع عشرة شذاة، وأفلت سليمان، والحياتي، بعد أن أشفيا على الهلاك وبلغوا طهثا وأسلموا ما كان معهم.

ورجع أبو العباس إلى معسكره وأمر بإصلاح ما أخذ منهم من الشذاوات والسميريات. وأقام الزنج عشرين يوماً لا يظهر منهم أحد وجعلوا على طريق الخيل آباراً، وجعلوا فيها سفايد حديد، وجعلوا على رؤوسها البواري، والتراب ليسقط فيها المجتازون. فاتفق أنه سقط فيها رجل من الفراغة ففطنوا لها وتركوا ذلك الطريق. واستمد سليمان صاحب الزنج فأمد به أربعين سميرية بآلاتها ومقاتلتها، فعداوا للتعرض للحرب فلم يكونوا يثبتون لأبي العباس. ثم سیر إليهم عدة سميريات فاخذها الزنج فبلغه الخبر وهو يتغدى، فركب في سميرية، ولم ينتظر أصحابه وتبعه منهم من خف. فأدرك الزنج فانهزموا وألقوا أنفسهم في الماء فاستنقذ سميرياته ومن كان فيها. وأخذ منهم إحدى ثلاثين سميرية، ورمى أبو العباس يومئذ عن قوس حتى دميت أبهامه.

فلما رجع أمر لمن معه بالخلع، وأمر باصلاح السميريات المأخوذة من الزنج. ثم أن أبا العباس رأى أن يتوغل مازروان حتى يقصير إلى الحجاجية ونهر الأمير ويعرف ما هناك، فقدم نصيراً في أول السميريات وركب أبو العباس في سميرية ومعه محمد بن شعيب، ودخل مازروان وهو يظن أن نصيراً أمامه فلم يقف له على خبر. وكان قد سار على غير طريق أبي العباس، وخرج من مع أبي العباس من الملاحين إلى غنم رأوها ليأخذوها، فبقي هو ومحمد بن شعيب فأتاهما جمع من الزنج من جانبي النهر فقاتلهم أبو العباس بالنشاب، ووافاه زيرك في باقي الشداوات فسلم أبو العباس وعاد إلى عسكره ورجع نصير، وجمع سليمان بن جامع أصحابه وتحصن بطهشا، وتحصن الشعرائي وأصحابه بسوق الخميس، وجعلوا يحملون الغلات إليها. وكذلك اجتمع بالصينية جمع كثير، فوجه أبو العباس جماعة من قواده على الخيل إلى ناحية الصينية وأمرهم بالمسير في البر وإذا عرض لهم نهر عبروه وركب هو في الشداوات والسميريات. فلما ابصرت الزنج الخيل خافوا ولجأوا إلى الماء والسفن فلم يلبثوا أن واقتهم الشداوات مع أبي العباس فلم يجدوا ملجأ فاستسلموا، فقتل منهم فريق واسر فريق والقي نفسه في الماء فريق، وأخذ أصحاب أبي العباس سفنهم وهي مملوءة أرزاً وأخذ الصينية وأزاح الزنج عنها فانحازوا إلى طهشا، وسوق الخميس.

كان قد رأى أبو العباس كركياً^(١) فرماه بسهم فسقط في عسكر الزنج فعرف الزنج السهم، فزاد ذلك في خوفهم. ورجع أبو العباس إلى عسكره وقد فتح الصينية، وبلغه أن جيشاً عظيماً للزنج مع ثابت بن أبي دلف، ولؤلؤ الزنجيين. فسار إليهم وأوقع بهم وقعة عظيمة وقت السحر فقتل منهم خلقاً كثيراً منهم لؤلؤ، وأسر ثابته فمّن عليه وجعله مع بعض قواده واستنقذ من النساء خلقاً كثيراً فأمر باطلاقهن وردهن إلى أهلهن، وأخذ كل ما كان الزنج جمعه، وأمر أصحابه أن يستريحوا للمسير إلى سوق الخميس. وأمر نصيراً بتعبية أصحابه للمسير فقال له: إن نهر سوق الخميس ضيق، فأقم أنت ونسير نحن، فأبى عليه، فقال له محمد بن شعيب: إن كنت لا بد فاعلاً فلا تكثر من الشداوات ولا من الرجال، فإن النهر ضيق. فسار إليه ونصير بين يديه إلى فم نهر مساور فوقف أبو العباس وتقدمه نصير في خمسة عشر شداة في نهر براطق - وهو الذي يؤدي إلى مدينة

(١) فسر الطبري الكركي بالطائر.

الشعراني التي سماها المنيعه في سوق الخميس . فلما غاب عنه نصير خرج جماعة كثيرة في البر على أبي العباس فمنعوه من الوصول إلى المدينة وقتلوه قتلاً شديداً من أول النهار إلى الظهر، وخفي عليه خبر نصير وجعل الزنج يقولون : قد قتلنا نصيراً، واغثم أبو العباس لذلك، وأمر محمد بن شعيب بتعرف خبره فسار فرآه عند عسكر الزنج، وقد أحرقه وأضرم النار في مدينتهم، وهو يقاتلهم قتلاً شديداً فعاد إلى أبي العباس فأخبره فسر بذلك، وأسر نصير من الزنج جماعة كثيرة ورجع حتى وافى أبا العباس فأخبره .

ووقف أبو العباس يقاتلهم، فرجعوا عنه وكمن بعض شذاوته وأمر أن يظهر واحدة منها فطمعوا فيها وتبعوها حتى أدركوها فعلقوا بسكانها فخرجت عليهم السفن المكمنة وفيها أبو العباس فانهزم الزنج وغنم أبو العباس منهم ست سمريات وانهزموا لا يلوون على شيء من الخوف ورجع إلى عسكره سالماً وخلع على الملاحين وأحسن إليهم .

ذكر وصول الموفق إلى قتال الزنج وفتح المنيعه

وفيها في صفر سار الموفق عن بغداد إلى واسط لحرب الزنج . وكان سبب ذلك تأخره عن ابنه أبي العباس هذه المدة يجمع ويحشد الفرسان والرجالة، ويستكثر من العدة التي يقوى بها على حرب الزنج . ويسد الجهات التي يخاف فيها لثلا يبقى له ما يشغل قلبه ؛ إلا أن الخبيث رئيس الزنج قد أرسل إلى علي بن أبان المهلبى يأمره بالاجتماع مع سليمان بن جامع على حرب أبي العباس فخاف . وهنا يتطرق إلى ابنه أبي العباس فسار عن بغداد في صفر فوصل إلى واسط في ربيع الأول، فلقه ابنه وأخبره بحال جنده وقواده فخلع عليه وعليهم ورجع أبو العباس إلى معسكره بالعمر ، ثم نزل الموفق على نهر شداد^(١) بإزاء قرية عبد الله وأمر ابنه فتزل شرقي دجلة بازاء فوهة بردودا وولاه مقدمته، وأعطى الجيش أرزاقهم وأمر ابنه أن يسير بما معه من آلات الحرب إلى فوهة نهر مساور فرحل في نخبة أصحابه . ورحل الموفق بعده فتزل فوهة ابن مساور فأقام يومين ثم رحل إلى المدينة التي سماها صاحب الزنج المنيعه من سوق الخميس، يوم الثلاثاء لثمان خلون من ربيع الآخر من هذه السنة . وسلك بالسفن في نهر مساور

(١) في الطبري والمعجم « نهر سندان » فيما بين الحيرة إلى الأبله .

وسارت الخيل بإزائه شرقي ابن مساور حتى جاوزوا براطق الذي يوصل إلى المنبعة، وأمر بتعبير الخيل وتصييرها من الجانبين، وأمر ابنه أبا العباس بالتقدم بالشداوات بعامة الجيش ففعل، فلقية الزنج فحاربوه حروباً شديدة.

ووافاهم أبو أحمد الموفق والخيل من جانبي النهر فلما رأوا ذلك انهزموا وتفرقوا وعلا أصحاب أبي العباس السور ووضعوا السيوف فيمن لقيهم ودخلوا المدينة فقتلوا فيها خلقاً كثيراً وأسروا عالماً عظيماً، وغنموا ما كان فيها. وهرب الشعراني ومن معه وتبعه أصحاب الموفق إلى البطائح ففرق منهم خلق كثير، ولجأ الباقيون إلى الآجام. ورجع أبو أحمد إلى معسكره من يومه وقد استنقذ من المسلمين زهاء خمسة آلاف امرأة سوى من ظفر به من الزنجيات، وأمر أبو أحمد بحفظ النساء وحملهن إلى واسط ليدفعن إلى أهلن، ثم بكر إلى المدينة فأمر الناس بأخذ ما فيها. فأخذ جميعه وأمر بهدم سورها وطم خندقها وإحراق ما بقي فيها من السفن، وأخذوا من الطعام، والشعير، والارز، وغير ذلك ما لا حد عليه، فأمر ببيع ذلك وصرفه إلى الجند.

ولما انهزم سليمان لحق بالمراز وكتب إلى الخائن صاحب الزنج بذلك، فورد الكتاب عليه، وهو يتحدث فأنحل بطنه فقام إلى الخلاء دفعات. وكتب إلى سليمان بن جامع يحذره مثل الذي نزل بالشعراني ويأمره بالتيقظ. وأقام الموفق بنهر مساور يومين يتعرف أخبار الشعراني، وسليمان بن جامع فأتاه من أخبره ان سليمان بن جامع بالجوانيت، فسار حتى وافى الصينية وأمر ابنه أبا العباس بالتقدم بالشداوات، والسميريات إلى الجوانيت^(١) متخفياً، فسار أبو العباس إليها فلم ير سليمان بها. ورأى هناك جمعاً من الزنج مع قائدین لهم، خلفهم سليمان بن جامع هناك لحفظ غلات كثيرة لهم فيها فحاربهم أبو العباس، ودامت الحرب إلى أن حجز بينهم الليل. واستأمن إلى أبي العباس رجل فسأله عن سليمان بن جامع فأخبره أنه مقيم بطهثا. بمدينته التي سماها المنصورة، فعاد أبو العباس إلى أبيه بالخبر فأمره بالمسير إليه فسار حتى نزل بردودا فأقام بالإصلاح ما يحتاج إليه، واستكثر من الآلات التي يسد بها الأنهار، ويصلح بها الطرق للخيل وخلف ببردودا بفراج^(٢) التركي.

(١) في الطبري « بالجوانيت » بالحاء المهملة.

(٢) في الطبري « بفراج التركي » بالغين المعجمة.

ذكر استيلاء الموفق على طهثا

لما فرغ الموفق من الذي يحتاج إليه، سار عن بردودا إلى طهثا لعشر بقين من ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائتين. وكان مسيره على الظهر في خيله، وانحدرت السفن والآلات فنزل بقرية الجوزية، وعقد جسراً، ثم غدا فعبر خيله عليه، ثم عبر بعد ذلك، فسار حتى نزل معسكراً على ميلين من طهثا فأقام هنالك يومين، ومطرت السماء مطراً شديداً فشغل عن القتال، ثم ركب لينظر موضعاً للحرب فأنتهى إلى قريب من سور مدينة سليمان بطهثا - وهي التي سماها المنصورة - فتلقاه خلق كثير وخرج عليهم كماء من مواضع شتى.

واشتدت الحرب وترجل جماعة من الفرسان وقاتلوا حتى خرجوا عن المضيق الذي كانوا فيه، وأسروا من غلمان الموفق جماعة، ورمى أبو العباس بن الموفق أحمد بن هندي الحيامي^(١) بسهم خالط دماغه فسقط وحمل إلى العلوي صاحب الزنج، فلم يلبث أن مات. فحضره الخبيث وصلى عليه، وعظمت لديه المصيبة بموته، إذ كان أعظم أصحابه عناء عنه.

وانصرف الموفق إلى عسكره وقت المغرب وأمر أصحابه بالتحارس ليلتهم، والتأهب للحرب. فلما أصبحوا، وذلك يوم السبت لثلاث بقين من ربيع الآخر، عى الموفق أصحابه، وجعلهم كتائب يتلو بعضهم بعضاً فرساناً ورجالة. وأمر بالشذاوات والسميريات أن يسار بها إلى النهر الذي يشق مدينة سليمان - وهو النهر المعروف بنهر المنذر - ورتب أصحابه في المواضع التي يخاف منها، ثم نزل فصلّى أربع ركعات، وابتهل إلى الله تعالى في النصر. ثم لبس سلاحه وأمر ابنه أبا العباس أن يتقدم إلى السور، فتقدم إليه فرأى خندقاً فأحجم الناس عنه. فحرضهم قوادهم وترجلوا معهم فاقتحموه وعبروه، وانتهوا إلى الزنج، وهم على سورهم.

فلما رأى الزنج تسرعهم إليهم ولّوا منهزمين واتبعهم أصحاب أبي العباس فدخلوا المدينة. وكان الزنج قد حصنها بخمسة خنادق وجعل أمام كل خندق سوراً. فجعلوا يقفون عند كل سور وخندق. فكشفهم أصحاب أبي العباس، ودخلت الشذاوات

(١) في الطبري « أحمد بن مهدي الجبائي ».

والسميريات المدينة من النهر فجعلت تغرق كل ما مرت لهم به من سميرية وشذاة. وقتلوا من بجانيبي النهر وأسروا، حتى أجلوهم عن المدينة وعما اتصل بها. وكان مقدار العمارة فيها فرسخاً. وحوى الموفق ذلك كله. وافلت سليمان بن جامع، ونفر من أصحابه، وكثر القتل فيهم والأسر.

واستنقذ أبو أحمد من نساء أهل واسط، والكوفة، والقرى، وغيرها، وصبيانهم أكثر من عشرين ألفاً^(١) فأمر أبو أحمد بحملهم إلى واسط ودفعهم إلى أهلهم. وأخذ ما كان فيها من الذخائر والاموال وأمر بصرفه إلى الأجناد. وأسر من نساء سليمان وأولاده عدة، وتخلص من كان أخذ من أصحاب الموفق. ونجا جمع كثير إلى الآجام. فأمر أصحابه بطلبهم فأقام سبعة عشر يوماً، وهدم سور المدينة، وطم خنادقها. وجعل لكل من أتاه برجل منهم جعلاً، فكان إذا أتى بالواحد منهم عفا عنه وضمه إلى قواده وغلمانهم^(٢) لما كان دبره من استمالتهم. وأرسل في طلب سليمان بن جامع حتى بلغوا دجلة العوراء فلم يظفروا به وأمر زيرك بالمقام بطهثا ليتراجع إلى تلك الناحية أهلها ويأمنوا.

ذكر مسير الموفق إلى الأهواز وإجلاء الزنج عنها

فلما فرغ أبو أحمد الموفق من المنصورة، رحل نحو الأهواز لإصلاحها، وإجلاء الزنج عنها. فأمر ابنه أبا العباس أن يتقدمه، فأمر بإصلاح الطريق للجيش. واستخلف على من ترك من عسكريه بواسط ابنه هارون، ولحقه زيرك فأخبره بعود أهلها طهثا إليها، وأمن الناس، فأمره الموفق بالانحدار في الشذاوات، والسميريات مع نصير. وتتبع المنهزمين والإيقاع بهم وبمن ظفروا به من الزنج، حتى ينتهي إلى مدينة الخبيث بنهر أبي الخصيب. وسار وارتحل الموفق مستهل جمادى الآخرة، من واسط حتى أتى السوس، وأمر مسروراً بالقدوم عليه وهو عامله هناك فأتاه. وكان الخبيث لما بلغه ما عمل الموفق بسليمان بن جامع والزنج خاف أن يأتيه وهو على حال تفرق أصحابه عنه، وكتب إلى علي بن أبان بالقدوم عليه. وكان بالأهواز في ثلاثين ألفاً - فترك جميع ما كان

(١) في الطبري « زهاء عشرة آلاف ».

(٢) في الطبري « قواد غلمانهم ».

عنده من طعام، ودواب، وأغنام، وغير ذلك. واستخلف عليه محمد بن يحيى الكرنبائي فلم يقم واتبع علياً، وكتب صاحب الزنج أيضاً إلى بهبود^(١) بن عبد الوهاب وهو بالفَيْدَم،^(٢) والباسيَّان وما اتَّصل بهما يأمره بالقدوم عليه، فترك ما كان عنده من الذخائر، وسار نحوه، فحوى ذلك جميعه الموفق وقوي به على حرب الخبيث.

ولما سار علي بن أبان عن الأهواز تخلف بها جمع من أصحابه زهاء ألف رجل فارسلوا إلى الموفق يطلبون الأمان فامتهم فقدموا عليه فاجرى عليهم الارزاق، ثم رحل عن السوس إلى جنديسابور، وتستر وجبى الأموال. ووجه إلى محمد بن عبيد الله الكردي، وكان خائفاً منه، فأمنه وعفا عنه فطلب منه الأموال والعساكر فحضر عنده فاحسن إليه. ثم رحل إلى عسكر مكرم ووافى الأهواز ثم رحل عنها إلى نهر المبارك من فرات البصرة. وكتب إلى ابنه هارون ليوافيه بجميع الجيش إلى نهر المبارك فلقيه الجيش بالمبارك منتصف رجب، وكان زيرك، ونصير لما خلفهما الموفق ليتبعا الزنج انحدرتا حتى وافيا الأبله فاستأمن إليهما رجل أخبرهما: أن الخبيث قد أنفذ إليهما عدداً كثيراً في الشداوات والسميريات إلى دجلة ليمنع عنها من يريدوها. فإنهم يريدون عسكر نصير، وكان عسكره بنهر المرأة فرجع نصير إلى عسكره من الأبله لما بلغه ذلك، وسار زيرك من طريق آخر لأنه قدر أن الزنج يأتي عسكر نصير من ذلك الوجه فكان كذلك، فلقيهم في طريقهم فظفر بهم وانهزموا منه، وكانوا قد جعلوا كميناً فدل زيرك عليه فتوغل حتى أتاه فقتل من الكمء جماعة وأسر جماعة.

وكان ممن ظفر به مقدّم الزنج، وهو أبو عيسى محمد بن إبراهيم البصري، وهو من أكابر قوادهم؛ وأخذ منهم ما يزيد على ثلاثين سميرية، فجزع لذلك جميع الزنج، فاستأمن إلى نصير منهم زهاء ألفي رجل، فكتب بذلك إلى الموفق فأمره بقبولهم والإقبال إليه بالنهر المبارك، فوافاه هناك. وأمر الموفق ابنه أبا العباس بالمسير إلى محاربة العلوي بنهر أبي الخصب فسار إليه فحاربه من بكرة إلى الظهر فاستأمن إليه قائد من قواد العلوي، ومعه جماعة فكسر ذلك الخبيث وعاد أبو العباس بالظفر.

(١) في الطبري « بهبود » بالذال المعجمة.

(٢) في الطبري « بالفندم » بالنون.

وكتب الموفق إلى العلوي كتاباً يدعو إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى، مما ركب من سفك الدماء، وانتهاك المحارم، وخراب البلدان، واستحلال الفروج والأموال، وادعاء النبوة والرسالة، ويبدل له الأمان. فوصل الكتاب إليه فقرأه ولم يكتب جوابه.

ذكر محاصرة مدينة صاحب الزنج

لما أنفذ الموفق الكتاب إلى العلوي ولم يرد جوابه عرض عسكره وأصلح آلاته، ورتب قواده، ثم سار هو وابنه أبو العباس في العشرين من رجب إلى مدينة الخبيث التي سماها المختارة، وأشرف عليها وتأملها ورأى حصانتها بالأسوار والخنادق وغور الطريق إليها وما أعد من المجانيق، والعرادات، والقسي، وسائر الآلات على سورها مما لم ير مثله لمن تقدم من منازعي السلطان، ورأى من كثرة عدد المقابلة ما استعظمه. فلما عاين الزنج أصحاب الموفق ارتفعت أصواتهم حتى ارتجت الأرض، فأمر الموفق ابنه بالتقدم إلى سور المدينة والرمي لمن عليه بالسهم فتقدم حتى الصق شذاوته بمسناة قصر الخبيث. فكثر الزنج وأصحابهم على أبي العباس ومن معه وتتابع سهامهم وحجارة مجانيقهم ومقاليعهم، ورمى عوامهم بالحجارة عن أيديهم حتى ما يقع الطرف إلا على سهم أو حجر. وثبت أبو العباس، فرأى العلوي من صبره وثبات أصحابه ما لا رأى مثله من أحد حاربهم، ثم أمرهم الموفق بالرجوع ففعلوا. واستأمن إلى الموفق مقاتلة في سميريتين فأمنهم على من فيهما من المقاتلة والملاحين على أقدارهم، ووصلهم وأمر بإدنائهم إلى موضع يراهم فيه نظراؤهم، وكان ذلك من أنجع المكاييد، فلما رأهم الباقون رغبوا في الأمان وتنافسوا فيه وابتدروا إليه فصار إلى الموفق عدد كثير ذلك اليوم من أصحاب السميريات فعمهم بالخلع والصلات.

فلما رأى صاحب الزنج ذلك أمر ببرد أصحاب السميريات إلى نهر أبي الخصيب، ووكل بفوهة النهر من يمنعهم من الخروج، وأمر بهبود - وهو من أشرس قواده - أن يخرج في الشذاوات، فخرج وبرز إليه أبو العباس في شذاوته وقاتله واشتدت الحرب فانهزم بهبود^(١) إلى فناء قصر الخبيث، واصابته طعنتان وجرح بالسهم، وأوهنت أعضاؤه بالحجارة فأولجوه نهر أبي الخصيب وقد أشفى على الموت، فقتل

(١) في الطبري « بهبود » بالذال المعجمة وقد تقدم.

ممن كان معه، قائد ذوبأس يقال له، عميرة، وظفر أبو العباس بشذاة فقتل أهلها ورجع هو ومن معه سالمين. فاستأمن إلى أبي العباس أهل شذاة منهم فأمنهم وأحسن إليهم وخلع عليهم. ورجع الموفق ومن معه إلى عسكره بالنهر المبارك، واستأمن إليه عند متصرفه خلق كثير فأمنهم وخلع عليهم ووصلهم وأثبت أسماءهم مع أبي العباس، وأقام في عسكره يومين ثم نقل عسكره لست بقين من رجب إلى نهر جطى فتزله وأقام به إلى منتصف شعبان، لم يقاتل.

ثم ركب منتصف شعبان في الخيل والرجال وأعد الشذاوات والسميريات، وكان من معه من الجند والمتطوعة زهاء خمسين ألفاً، وكان من مع الخبيث أكثر من ثلاثمائة ألف إنسان كلهم من يقاتل بتيق، أورمح، أوقوس، أومقلاع، أومنجنق، وأضعفهم رماة الحجارة من أيديهم وهم النظارة، والنساء تشركنهم في ذلك. فأقام أبو أحمد ذلك اليوم ونودي بالأمان للناس كافة إلا الخبيث. وكتب الأمان في رقاع ورماها في السهام ووعد فيها الإحسان فمالت قلوب أصحاب الخبيث، واستأمن ذلك اليوم خلق كثير فخلع عليهم ووصلهم، ولم يكن ذلك اليوم حرب. ثم رحل من نهر جطى^(١) من الغد فعسكر قرب مدينة الخبيث ورتب قواده وأجناده وعين لكل طائفة موضعاً يحافظون عليه ويضبطونه.

وكتب الموفق إلى البلاد في عمل السميريات، والشذاوات، والزواريق والإكثار منها ليضبط بها الأنهار ليقطع الميرة عن الخبيث، وأسس في منزله مدينة سماها الموفقية، وكتب إلى عماله في النواحي بحمل الأموال والميرة في البر والبحر إلى مدينته، وأمرهم بإنفاذ من يصلح للإثبات في الديوان وأقام ينتظر ذلك شهراً. فوردت عليه الميرة متتابعة وجهاز التجار صنوف التجارات إلى الموفقية واتخذت فيها الأسواق، ووردتها مراكب البحر. وبنى الموفق بها المسجد الجامع وأمر الناس بالصلاة فيه. فجمعت هذه المدينة من المرافق وسيق إليها من صنوف الأشياء ما لم يكن في مصر من الأمصار القديمة وحملت الأموال وأدرت الأرزاق، وعبرت طائفة من الزنج فذهبوا أطراف عسكر نصير وأوقعوا به فأمر الموفق نصيراً بجمع عسكره وضبطهم. وأمر الموفق ابنه أبا العباس بالمسير إلى طائفة من الزنج كانوا خارج المدينة فقاتلهم، فقتل منهم

(١) بفتح الجيم وتشديد الطاء والقصر نهر بالبصرة.

خلقاً كثيراً، وغنم ما كان معهم. فصار إليه طائفة منهم في الأمان فأمنهم وخلع عليهم ووصلهم.

وأقام أبو أحمد يكايد الخبيث ببذل الأموال لمن صار إليه ومحاصرة الباقيين والتضييق عليهم. وكانت قافلة قد أتت من الأهواز وأسرى إليها بهبود في سميريات فأخذها وعظم ذلك على الموفق وغرم لأهلها ما أخذ منهم، وأمر بترتيب الشذاوات على مخارج الأنهار. وقلد ابنه أبا العباس الشذاوات وحفظ الأنهار بها من البحر إلى المكان الذي هم به.

وفي رمضان عبر طائفة من أصحاب الخبيث يريدون الإيقاع بنصير فنذر بهم الناس فخرجوا إليهم فردوهم خائبين. وظفروا بصندل الزنجي، وكان يكشف رؤوس المسلمين ويقلبهن تقليب الإماء. فلما أتى به أمر الموفق أن يرمى بالسهم ثم قتله. واستأمن إلى الموفق من الزنج خلق كثير فبلغت عدة من استأمن إليه في آخر رمضان خمسين ألفاً^(١). وفي شوال انتخب صاحب الزنج من عسكره خمسة آلاف من شجعانهم، وقوادهم. وأمر علي بن أبا المهيلى بالعبور لكبس عسكر الموفق، فكان فيهم أكثر من مائتي قائد، فعبروا ليلاً واختفوا في آخر النخل، وأمرهم إذا ظهر أصحابهم وقاتلوا الموفق من بين يديه ظهوراً وحملوا على عسكره وهم غارون مشاغيل بحرب من أمامهم. فاستأمن منهم انسان من الملاحين فأخبر الموفق فسير ابنه أبا العباس لقتالهم وضبط الطرق التي يسلكونها فقاتلوا قتلاً شديداً وأسر أكثرهم وغرق منهم خلق كثير، وقتل بعضهم ونجا بعضهم. فأمر أبو العباس أن يحمل الأسرى والرؤوس والسميريات ويعبر بهم على مدينة الخبيث ففعلوا ذلك. وبلغ الموفق أن الخبيث قال لأصحابه: «إن الأسرى من المستأمنة، وأن الرؤوس تمويه عليكم». فأمر بإلقاء الرؤوس في منجنيق إليهم. فلما رأوها عرفوها فأظهروا الجزع والبكاء وظهر لهم كذب الخبيث.

وفيها أمر الخبيث باتخاذ شذاوات فعملت له، فكانت له خمسون شداة فقسّمها بين ثلاثة من قواده، وأمرهم بالتعرض لعسكر الموفق، وكانت شذاوات الموفق، يومئذ

(١) في الطبري «خمس ألف رجل من بين أبيض وأسود».

قليلة، لأنه لم يصل إليه ما أمر بعمله. والتي كانت عنده منها فرقها على أفواه الأنهار لقطع الميرة عن الخبيث. فخافهم أصحاب الموفق فورد عليهم شذاوات. كان الموفق أمر بعملها فسير ابنه أبا العباس ليوردها خوفاً عليها من الزنج.

فلما أقبل بها رآها الزنج فعارضوها بشذاواتهم فقصدتهم غلام لأبي العباس ليمنعهم، وقاتلهم فانكشفوا بين يديه. وتبعهم حتى أدخلهم نهر أبي الخصيب، وانقطع عن أصحابه فعطفوا عليه، فأخذوه ومن معه بعد حرب شديدة فقتلوا. وسُلِّمَت الشذاوات مع أبي العباس وأصلحها ورتب فيها من يقاتل. ثم أقبلت شذاوات العلوي على عاداتها فخرج إليهم أبو العباس في أصحابه فقاتلهم، فهزمهم وظفر منهم بعدة شذاوات. فقتل منهم من ظفر به فيها. فمنع الخبيث أصحابه من الخروج عن فناء قصره.

وقطع أبو العباس الميرة عنهم، فاشتد جزع الزنج. وطلب جماعة من وجوه أصحابه الأمان فأمنوا. وكان منهم محمد بن الحرث القمي^(١) وكان إليه ضبط السور مما يلي عسكر الموفق. فخرج ليلاً فأمنه الموفق ووصله بصلات كثيرة له ولمن خرج معه، وحمله على عدة دواب بالآنها وحليتها. وأراد إخراج زوجته فلم يقدر فأخذها الخبيث فباعها. ومنهم أحمد اليربوعي^(٢)، وكان من أشجع رجال العلوي وغيرهما. فخلع عليهم ووصلهم بصلات كثيرة. ولما انقطعت الميرة والمواد عن العلوي أمر شبلاً، وأبا البذي^(٣) - وهما من رؤساء قواده يثق بهم - بالخروج إلى البطيحة في عشرة آلاف، من ثلاث وجوه للغارة على المسلمين. وقطع الميرة عن الموفق فسير الموفق إليهم زيرك في جمع من أصحابه، فلقاهم بنهر ابن عمر. فرأى كثرتهم فراعه ذلك ثم استخار الله تعالى في قتالهم. فحمل عليهم وقاتلهم فقتل الله تعالى الرعب في قلوبهم، فانهزموا ووضع فيهم السيف، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وغرق منهم مثل ذلك وأسروا خلقاً كثيراً. وأخذ من سفنهم ما أمكنه وغرق ما أمكنه تغريقه. وكان ما أخذه من سفنهم نحو أربعمائة سفينة، وأقبل بالأسارى والرؤوس إلى مدينة الموفق.

(١) في الطبري « العمي » بالعين المهملة.

(٢) في الطبري « البرذعي ».

(٣) في الطبري « وأبا النداء ».

ذكر عبور الموفق إلى مدينة صاحب الزنج

وفيها عبر الموفق إلى مدينة الخبيث، لست بقين من ذي الحجة. وكان سبب ذلك أن جماعة من قواد الخبيث، لما رأوا ما حلّ بهم من البلاء من قبل من يظهر منهم وشدة الحصار على من لزم المدينة. وحال من خرج بالأمان جعلوا يهربون من كل وجه، ويخرجون إلى الموفق بالأمان. فلما رأى الخبيث ذلك جعل على الطرق التي يمكنهم الهرب منها من يحفظها. فأرسل جماعة من القواد إلى الموفق يطلبون الأمان وأن يوجه لمحاربة الخبيث جيشاً ليجدوا طريقاً إلى المسير إليه. فأمر ابنه أبا العباس بالمسير إلى النهر الغربي، وبه علي بن أبان يحميه. فنهض أبو العباس ومعه الشداوات والسميريات والمعابر فقصده وتحارب هو وعلي بن أبان، واشتدت الحرب واستظهر أبو العباس على الزنج. وأمد الخبيث أصحابه بسليمان بن جامع في جمع كثيف. فاتصلت الحرب من بكرة إلى العصر. وكان الظفر لأبي العباس. وصار إليه القوم الذين كانوا طلبوا الأمان. واجتاز أبو العباس بمدينة الخبيث عند نهر الأتراك فرأى قلة الزنج هناك، فطمع فيهم فقصدهم أصحابه وقد انصرف أكثرهم إلى الموقية. فدخلوا ذلك المسلك وصعد جماعة منهم السور وعليه فريق من الزنج فقتلوه. وسمع العلوي فجهاز أصحابه لحربهم. فلما رأى أبو العباس اجتماعهم، وحشدهم لحربه مع قلة أصحابه رحل فأرسل إلى الموفق يستمده فأتاه من خف من الغلمان، فظهروا على الزنج فهزمهم.

وكان سليمان بن جامع لما رأى ظهور أبي العباس سار في النهر مصعداً في جمع كبير، ثم أتى أصحاب أبي العباس من خلفهم، وهم يحاربون من بإزائهم. وخفقت طبوله فأنكشف أصحاب أبي العباس، ورجع عليهم من كان انهزم عنهم من الزنج فأصيب جماعة من غلمان الموفق وغيرهم. فأخذ الزنج عدة اعلام وحامى أبو العباس عن أصحابه فسلم أكثرهم ثم انصرف.

وطمع الزنج بهذه الواقعة وشدت قلوبهم فأجمع الموفق على العبور إلى مدينتهم بجيوشه أجمع. وأمر الناس بالتأهب وجمع المعابر والسفن وفرقها عليهم. وعبر يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة، وفرق أصحابه على المدينة ليضطر الخبيث إلى تفرقة أصحابه.

وقصد الموفق إلى ركن من أركان المدينة وهو أحصن ما فيها وقد أنزله الخبيث

ابنه - وهو انكلاي - وسليمان بن جامع ، وعليّ بن أبان ، وغيرهما ، وعليه من المجانيق والآلات للقتال ما لا حد له ، فلما التقى الجمعان أمر الموفق غلمانہ بالدنو من ذلك الركن وبينهم وبين ذلك السور نهر الأتراك - وهو نهر عريض كثير الماء - فلما انتهوا إليه أحجموا عنه . فصاح بهم الموفق وحرّضهم على العبور ، فعبروا سباحة ، والزنج ترميهم بالمجانيق ، والمقاليع ، والحجارة والسهام . فصبروا حتى جاوزوا النهر وانتهوا إلى السور . ولم يكن عبر معهم من الفعلة من كان أعدّ لهدم السور فتولّى الغلمان تشييت السور ، بما كان معهم من السلاح ، وسهّل الله تعالى ذلك . وكان معهم بعض السلاليم فصعدوا على ذلك الركن ونصبوا علماً من أعلام الموفق . فانهزم الزنج عنه وأسلموه بعد قتال شديد . وقتل من القريقين خلق كثير .

ولما علا أصحاب الموفق السور ، أخرجوا ما كان عليه من منجنيق ، وقوس وغير ذلك . وكان أبو العباس قصد ناحية أخرى فمضى عليّ بن أبان إلى مقاتلته ، فهزمه أبو العباس وقتل جمعاً كثيراً من أصحابه ، ونجا عليّ . ووصل أصحاب أبي العباس إلى السور فثلّموا فيه ثلثة ودخلوه ، فلقيهم سليمان بن جامع فقاتلهم حتى ردهم إلى مواضعهم . ثم أن الفعلة وافوا السور ، فهدموه في عدة مواضع ، فعملوا على الخندق جسراً ، فعبر عليه الناس من ناحية الموفق ، فانهزم الزنج عن سور باب . كانوا قد اعتصموا به وانهزم الناس معهم وأصحاب الموفق يقتلونهم ، حتى انتهوا إلى نهر ابن سمعان . وقد صارت دار ابن سمعان في أيدي أصحاب الموفق فأحرقوها وقاتلهم الزنج هناك ، ثم انهزموا حتى بلغوا ميدان الخبيث . فركب في جمع من أصحابه فانهزم أصحابه عنه ، وقرب منه بعض رجاله الموفق . فضرب وجه فرسه بترسه ، وكان ذلك مع مغيب الشمس . فأمر الموفق الناس بالرجوع فرجعوا ، ومعهم من رؤوس أصحاب الخبيث شيء كثير .

وكان قد استأمن إلى أبي العباس أول النهار نفر من قواد الخبيث فتوقف عليهم حتى حملهم في السفن وأظلم الليل وهبت الريح ريح عاصف ، وقوي الجزر فلصق أكثر السفن بالطين . فخرج جماعة من الزنج فنالوا منها وقتلوا فيها نفراً ، وكان بهبود بازاء مسرور البلخي . فأوقع بأصحاب مسرور وقتل منهم جماعة وأسر جماعة ، فكسر ذلك من نشاط أصحاب الموفق . وكان بعض أصحاب الخبيث قد انهزم على وجهه نحو نهر

الأمير، والقنديل، وعبادان. وهرب جماعة من الأعراب إلى البصرة، وأرسلوا يطلبون الأمان فأمّتهم الموفق، وخلع عليهم، وأجرى الأرزاق عليهم. وكان ممن رغب في الأمان من قواد الفاجر ربحان بن صالح المغربي. وكان من رؤساء أصحابه أرسل يطلب الأمان، وأن يرسل جماعة إلى مكان ذكره، ليخرج اليهم. ففعل الموفق فصار إليه فخلع عليه وأحسن إليه ووصله وضمه إلى أبي العباس. واستأمن من بعده جماعة من أصحابه، وكان خروج ربحان لليلة بقيت من ذي الحجة من السنة.

ذكر الحرب بين الخوارج ببلد الموصل

في هذه السنة كان بين هارون الخارجي وبين محمد بن خرزاد - وهو من الخوارج أيضاً - وقعة يبعدرا من أعمال الموصل، وسبب ذلك، إنّا قد ذكرنا سنة ثلاث وستين ومائتين، الحرب الحادثة بين هارون ومحمد بعد موت مساور. فلما كان الآن جمع محمد بن خرزاد أصحابه وسار إلى هارون محارباً له. فتزل واسط، - وهي محلة بالقرب من الموصل - وكان يركب البقر لثلا يفر من القتال، ويلبس الصوف الغليظ، ويرقع ثيابه. وكان كثير العبادة والنسك، ويجلس على الأرض ليس بينها وبينه حائل. فلما نزل واسط خرج إليه وجوه أهل الموصل. وكان هارون بمعلثايا يجمع لحرب محمد. فلما سمع بتزول محمد عند الموصل سار إليه ورحل ابن خرزاد نحوه فالتقوا بالقرب من قرية شمراخ، واقتتلوا قتالاً شديداً، كان فيه مبارزة وحملات كثيرة. فانهمز هارون، وقتل من أصحابه نحو مائتي رجل منهم جماعة من الفرسان المشهورين. ومضى هارون منهزماً، فعبر دجلة إلى العرب قاصداً بني تغلب فنصروه، واجتمعوا إليه. ورجع ابن خرزاد من حيث أقبل. وعاد هارون إلى الحديث، فاجتمع عليه خلق كثير. وكاتب أصحاب ابن خرزاد واستمالهم فأتاه منهم الكثير ولم يبق مع ابن خرزاد إلاّ عشيرته من الشمرلية، وهم من أهل شهرزور. وإنما فارقه أصحابه لأنه كان خشن العيش، وهو ببلد شهرزور، وهو بلد كثير الأعداء من الأكراد وغيرهم.

وكان هارون ببلد الموصل قد صلّح حاله وحال أصحابه. فلما رأى أصحاب ابن خرزاد ذلك مالوا إليه وقصدوه، وواقع ابن خرزاد بنواحي شهرزور الأكراد الجلالية وغيرهم. فقتل وتفرد هارون بالرياسة على الخوارج وقوي وكثر أتباعه وغلبوا على القرى والرساتيق. وجعلوا على دجلة من يأخذ الزكاة من الأموال المنحدرة والمصعدة، وبثوا

نوابهم في الرساتيق يأخذون الأعشار من الغلات.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ابتدر ابن حفصون، بالاندلس بالخلاف على محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس، بناحية رية. فخرج إليه جيش من تلك الناحية مع عاملها فقاتله فانهزم الجيش، وقوي أمر عمر بن حفصون وشاع ذكره، وأتاه من يريد الشر والفساد فسيّر محمد صاحب الاندلس عاملاً آخر في جيش، فصالحه عمر، فطلب العامل كل من كان له أثر في مساعدة عمر فاهلكه. وفيهم من أبعد فاستقامت تلك الناحية. وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام، ومصر، وبلاد الجزيرة، وافريقية، والاندلس. وكان قبلها هدة عظيمة قوية. وفيها ولي جزيرة صقلية الحسن بن العباس فبث السرايا إلى كل ناحية وخرج إلى قطنية فأفسد زرعها وزرع طبرمين، وقطع أشجارها وسار إلى بقارة فأفسد زرعها، وانصرف إلى بلرم. وأخرجت الروم سرايا فأصابوا من المسلمين كثيراً، وذلك أيام الحسن بن العباس.

وفيها حبس السلطان محمد بن عبد الله بن طاهر^(١) وعدة من أهل بيته، بعد ظفر الخجستاني بعمر بن الليث. وكان عمرو اتهم بمكاتبة الخجستاني، والحسين بن طاهر، حيث كان يذكر أنه على منابر خراسان. وفيها كانت بين كيغلف التركي وبين أصحاب أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، حرب انهزم فيها أصحاب أحمد. وسار كيغلف إلى همدان فوافاه أحمد بن عبد العزيز فيمن اجتمع إليه من أصحابه، فانهزم كيغلف وانحاز إلى الصيمرة.

وفيها في ربيع الآخر، ماتت أم حبيب بنت الرشيد. وفيها كانت وقعة بين اسحاق بن كنداجيق، واسحاق بن أيوب، وعيسى بن الشيخ، وأبي المغراء، وحمدان بن حمدان، ومن اجتمع اليهم من ربيعة، وتغلب، وبكر، واليمن. فهزهم ابن كنداجيق إلى نصيبين وتبعهم إلى آمد، وخلف على آمد من حصر عيسى. فكانت بينهم وقعت عند آمد، وفيها دخل الخجستاني نيسابور وانهزم عمرو بن الليث

(١) في الطبري «حبس السلطان محمد بن طاهر بن عبد الله».

وأصحابه، فأساء السيرة في أهلها وهدم دور معاذ بن مسلم، وضرب من قدر عليه منهم وترك ذكر محمد بن طاهر ودعا للمعتمد ولنفسه.

وفيها في شوال كانت لأصحاب أبي الساج وقعة بالهيصم العجلي قتلوا فيها مقدمته وغنموا عسكره. وفيها أقبل أحمد بن عبد الله الخجستاني يريد العراق فبلغ سمنان وتحصن منه أهل الري فرجع إلى خراسان، وفيها رجع خلق كثير من الحجاج من طريق مكة لشدة الحر، ومضى خلق كثير، فمات منهم عالم عظيم من الحرّ والعطش. وذاك كله في البيداء. وأوقعت فزارة فيها بالتجار فأخذ، فيما، قيل سبعمائة حمل بز. وفيها نُفي الطباع من ساءراء. وفيها ضرب الخجستاني لنفسه دنانير ودراهم^(١)، وحج بالناس هارون بن محمد بن اسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي. وفيها توفي محمد بن حماد بن بكر بن حماد أبو بكر المقرئ، صاحب خلف بن هشام في ربيع الآخر ببغداد.

(١) قال ابن جرير: « ووزن الدينار منها عشرة دنانير ووزن الدرهم ثمانية دنانير عليه : الملك والقدرة لله الحول والقوة بالله لا إله إلا الله محمد رسول الله . وعلى جانب منه المعتمد على الله باليمن والسعادة وعلى الجانب الآخر . الوافي أحمد بن عبد الله » .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين ذكر أخبار الزنج

في هذه السنة، في المحرم، خرج إلى الموفق من قواد الخبيث، جعفر بن ابراهيم المعروف بالسحان^(١)، وكان من ثقات الخبيث فارتاع لذلك. وخلع عليه الموفق وأحسن إليه، وحمله في سميرية إلى ازاء قصر الخبيث. فكلّم الناس من أصحابه وأخبرهم أنهم في غرور من الخبيث. وأعلمهم بما وقف عليه من كذب الخبيث، وفجوره. فاستأمن في ذلك اليوم خلق كثير من قواد الزنج وغيرهم. فأحسن إليهم الموفق وتتابع الناس في طلب الأمان. ثم أقام الموفق لا يحارب ليريح أصحابه إلى شهر ربيع الآخر، فلما انتصف ربيع الآخر قصد الموفق إلى مدينة الخبيث، وفرّق قواده على جهاتها، وجعل مع كل طائفة منهم من النقابين جماعة لهدم السور. وتقدم إلى جميعهم أن لا يزيدوا على هدم السور ولا يدخلوا المدينة. وتقدم إلى الرماة أن يحموا بالسهم من يهدم السور وينقبه فتقدموا إلى المدينة من جهاتها، وقابلوها فوصلوا إلى السور، وثلموه^(٢) في مواضع كثيرة. ودخل أصحاب الموفق من جميع تلك الثلم، وجاء أصحاب الخبيث يحاربهم بعضهم فهزمهم أصحاب الموفق وتبعوهم حتى أوغلوا في طلبهم. فاختلفت بهم طرق المدينة، فبلغوا أبعد من الموضع الذي وصلوا إليه في المرة الأولى. وأحرقوا وأسروا. وتراجع الزنج عليهم وخرج الكمء من مواضع يعرفونها ويجهلها الآخرون فتحيروا، ودافعوا عن أنفسهم وتراجعوا نحو دجلة، بعد أن قتل منهم جماعة وأخذ الزنج أسلابهم، ورجع الموفق إلى مدينته وأمر بجمعهم فلامهم على مخالفة أمره والإفساد عليه من رأيه وتدييره. وأمر بإحصاء من فقد وأقر ما كان لهم

(١) في الطبري « بالسحان » بالجيم .

(٢) ثلم : أحدث فيه شقاً .

من رزق على أولادهم وأهليهم . فحسّن ذلك عندهم وزاد في صحة نياتهم .

ذكر الوقعة بين المعتضد والاعراب

في هذه السنة أوقع أبو العباس أحمد بن الموفق - وهو المعتضد بالله - بقوم من الأعراب، كانوا يحملون المنيرة إلى عسكر الخبيث، فقتل منهم جماعة وأسّر الباقين . وغنم ما كان معهم وأرسل إلى البصرة من أقام بها لأجل قطع المنيرة . وسير الموفق رشيقاً مولى أبي العباس فأوقع بقوم من بني تميم كانوا يجلبون المنيرة إلى الخبيث فقتل أكثرهم وأسّر جماعة منهم . فحمل الأسرى والرؤوس إلى الموفقية، فأمر بهم الموفق فوقفوا بإزاء عسكر الزنج . وكان فيهم رجل يسفر بين صاحب الزنج والاعراب بجلب المنيرة، فقطعت يده ورجله، وألقي في عسكر الخبيث، وأمر بضرب أعناق الأسارى . وانقطعت المنيرة بذلك عن الخبيث بالكلية فأضرّ بهم الحصار وأضعف أبدانهم .

فكان يسأل الأسير والمستأمن عن عهده بالخيز فيقول : عهدي به منذ زمان طويل . فلما وصلوا إلى هذا الحال، رأى الموفق أن يتابع عليهم الحرب ليزيدهم ضرراً وجهداً . فكثر المستأمنون في هذا الوقت وخرج كثير من أصحاب الخبيث ففرّقوا في القرى، والأنهار البعيدة في طلب القوات . فبلغ ذلك الموفق فأمر جماعة من قواد غلمانه السودان، بقصد تلك المواضع، ويدعون من بها إليه فمن أبى قتلوه . فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأتاه أكثر منهم . فلما كثر المستأمنون عند الموفق عرضهم فمن كان ذا قوة وجلد أحسن إليه، وخلطهم بغلمانه، ومن كان منهم ضعيفاً أو شيخاً أو جريحاً قد أزمته الجراحة كساه، وأعطاه دراهم وأمر به أن يحمل إلى عسكر الخبيث فيلقى هناك ويأمره بذكر ما رأى من احسان الموفق إلى من صار إليه وأن ذلك رأيه فيهم . فتهياً له بذلك ما أراد من استمالة أصحاب الخبيث . وجعل الموفق وابنه أبو العباس يلازمان قتال الخبيث تارة هذا وتارة هذا وجرح أبو العباس ثم برأ .

وكان من جملة من قتل من أعيان قواد الخبيث بهبود بن عبد الوهاب وكان كثير الخروج في السميريات . وكان ينصب عليها أعلاماً تشبه أعلام الموفق فإذا رأى من يستضعفه أخذه، وأخذ من ذلك مالاً جزيلاً، فواقعه في بعض خرجاته أبو العباس فأقلت بعد أن أشفى على الهلاك . ثم أنه خرج مرة أخرى فرأى سميرية فيها بعض أصحاب أبي العباس فقصدتها طامعاً في أخذها، فحاربه أهلها فطعنه غلام من غلمان أبي

العباس في بطنه فسقط في الماء فأخذه أصحابه فحملوه إلى عسكر الخبيث، فمات قبل وصوله فأراح الله المسلمين من شره، وكان قتله من أعظم الفتوح، وعظمت الفجيعة على الخبيث وأصحابه واشتد جزعهم عليه. وبلغ الخبر الموفق بقتله فأحضر ذلك الغلام فوصله وكساه وطوقه وزاد في أرزاقه، وفعل بكل من كان معه في تلك السميرية بنحو ذلك. ثم ظفر الموفق بالدوابني^(١) وكان ممائلاً لصاحب الزنج.

ذكر أخبار رافع بن هرثمة

لما قتل أحمد بن عبد الله الخجستاني على ما ذكرناه وكان قتله هذه السنة اتفق أصحابه على رافع بن هرثمة فولّوه أمرهم. وكان رافع هذا من أصحاب محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر. فلما استولى يعقوب بن الليث على نيسابور وأزال الطاهرية صار رافع في جملته. فلما عاد يعقوب إلى سجستان صاحبه رافع وكان طويل اللحية كربه الوجه قليل الطلاقة. فدخل يوماً على يعقوب فلما خرج من عنده قال: «أنا لا أميل إلى هذا الرجل فليلحق بما شاء من البلاد». فقليل له ذلك ففارقه وعاد إلى منزله بتأمين. وهي من بادغيس - وأقام به إلى أن استقدمه الخجستاني على ما ذكرناه وجعله صاحب جيشه. فلما قتل الخجستاني اجتمع الجيش عليه - وهو بهراة - فأمروه كما ذكرنا، وسار رافع من هراة إلى نيسابور وكان أبو طلحة بن شركب قد وردّها من جرجان فحصره فيها رافع وقطع الميرة عنه وعن نيسابور، فاشتدّ الغلاء بها ففارقها أبو طلحة ودخلها رافع فأقام بها وذلك سنة تسع وستين ومائتين.

فسار أبو طلحة إلى مرو وولّى محمد بن مهتدي هراة وخطب لمحمد بن طاهر بمرو، وهراة فقصد عمرو بن الليث فحاربه فهزمه واستخلف عمرو بمرو، محمد بن سهل بن هاشم وعاد عنها. وخرج شركب إلى بيكند واستعان باسماعيل بن أحمد الساماني، فأمدّه بعسكره، فعاد إلى مرو، فأخرج عنها محمد بن سهل وأغار على أهل البلد وخطب لعمرو بن الليث، وذلك في شعبان سنة احدى وسبعين. وقدّ الموفق تلك السنة أعمال خراسان محمد بن طاهر وكان ببغداد فاستخلف محمد على أعماله رافع بن هرثمة ما خلا ما وراء النهر فإنه أقر عليه نصر بن أحمد. ووردت كتب الموفق

(١) في الطبري «أبو أحمد الذواتي».

إلى خراسان بذلك وبغزل عمرو بن الليث ولعنه. فسار رافع إلى هراة وبها محمد بن مهدي خليفة أبي طلحة شركب، فقتله يوسف بن معبد وأقام بهراة. فلما وافاه رافع استأمن إليه يوسف فأمنه وعفا عنه. فاستعمل على هراة مهدي بن محسن، فاستمَدَّ رافع اسماعيل بن أحمد فسار إليه بنفسه في أربعة آلاف فارس. واستقدم رافع أيضاً علي بن الحسين المروروذي، فقدم عليه فساروا بأجمعهم إلى شركب وهو بمر و فحاربوه، فهزموه وعاد اسماعيل إلى محازل، وذلك سنة اثنتين وسبعين ومائتين. فسار شركب إلى هراة فطابقه مهدي وخالف رافعاً، فقصدتهما رافع فهزماه، وأما شركب فإنه لحق بعمر و بن الليث، وأما مهدي فإنه اختفى في سرب فدلَّ عليه رافع فأخذه وقال له: تبا لك يا قليل الوفاء ثم عفا عنه وخلَّى سبيله. وسار رافع إلى خوارزم سنة اثنتين وسبعين فجبى أموالها ورجع إلى نيسابور.

ذكر الحوادث بالأندلس وبأفريقية

في هذه السنة سَير محمد بن عبد الرحمن صاحب الأندلس جيشاً مع ابنه المنذر إلى المخالفين عليه. فقصد مدينة سرقسطة فأهلك زرعها وخرَّب بلدها. وافتتح حصن روطه، فأخذ منه عبد الواحد الروطي - وهو من أشجع أهل زمانه - وتقدَّم إلى دير تروجة، وبلد محمد بن مركب بن موسى فهتكا بالغارة. وقصد مدينة لاردة. وقرطاجنة، فكان فيها إسماعيل بن موسى، فحاربه فاذعن إسماعيل بالطاعة وترك الخلاف وأعطى رهائه على ذلك، وقصد مدينة أنقرة - وهي للمشركين - فافتتح هنالك حصوناً وعاد.

وفيها أوقع إبراهيم بن أحمد بن الأغلب بأهل بلد الزاب، وكان قد حضر وجوهمهم عنده فأحسن إليهم ووصلهم وكساهم، وحملهم، ثم قتل أكثرهم حتى الأطفال وحملهم على العجل إلى حفرة فألقاهم فيها. وفيها سارت سرية بصقلية مقدمها رجل يعرف بأبي الثور فلقبهم جيش الروم فأصيب المسلمون كلهم غير سبعة نفر، وغزل الحسن بن العباس عن صقلية ووليها محمد بن الفضل. فبث السرايا في كل ناحية من صقلية، وخرج هو في حشد وجمع عظيم. فسار إلى مدينة قطانية فأهلك زرعها، ثم رحل إلى أصحاب الشلندية فقاتلهم، فأصاب فيهم فاكثر القتل. ثم رحل إلى طبرمين فأفسد زرعها ثم رحل فلقى عساكر الروم فاقتتلوا فانهزم الروم وقتل

أكثرهم . فكانت عدة القتلى ثلاثة آلاف قتيل ووصلت رؤوسهم إلى بلرم ، ثم سار المسلمون إلى قلعة ، كان الروم بنوها عن قريب وسموها مدينة الملك فملكها المسلمون عنوة وقتلوا مقاتلتها وسبوا من فيها .

ذكر عدة حوادث

فيها سار عمرو بن الليث إلى فارس لحرب عاملها محمد بن الليث عليها فهزمه عمرو واستباح عسكره ، ونجا محمد ، ودخل عمرو اصطخر ، فنهبها وأصحابه ووجه في طلب محمد فظفر به وأخذه أسيراً . ثم سار إلى شيراز فأقام بها . وفيها زلزلت بغداد في ربيع الأول^(١) ووقع بها أربع صواعق . وفيها زحف العباس بن أحمد بن طولون لحرب أبيه فخرج إليه أبوه إلى الاسكندرية فظفر به وردّه إلى مصر فرجع معه إليها وقد تقدم خبره سابقاً . وفيها أوقع أخو شركب بالخجستاني وأخذ أمه . وفيها وثب ابن شيب بن الحسين^(٢) فأسر عمر بن سيما ، عامل حلوان . وفيها انصرف أحمد بن أبي الأصبع من عند عمرو بن الليث ، وكان عمرو قد أنفذه إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف ، فقدم معه بمال فأرسل عمرو إلى الموفق من المال ثلاثمائة ألف دينار وخمسين مئاً مسكاً ، وخمسين مئاً عنبراً ، ومائتي من عوداً ، وثلاثمائة ثوب وشي ، وآنية ذهب وفضة ، ودواب ، وغلمان ، بقيمة مائتي ألف دينار .

وفيها ولي كيغلف الخليل بن رمال^(٣) حلوان فنالهم بالمكارة بسبب عمر بن سيما ، وأخذهم بجريرة ابن شيب وضمنوا له خلاص عمر واصلاح ابن شيب . وفيها كانت وقعة بين اذكوتكين^(٤) بن أساتكين ، وبين أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف ، فهزمه اذكوتكين وغلبه على قم . وفيها وجّه عمرو بن الليث قائداً بأمر أبي أحمد إلى محمد بن عبيد الله الكردي ، فأسره القائد وحمله إليه .

وفيها في ذي القعدة خرج بالشام رجل من ولد عبد الملك بن صالح الهاشمي

(١) في الطبري « وكان بعد ذلك ثلاثة أيام مطر شديد » .

(٢) في الطبري « ابن الحسن » .

(٣) في الطبري « بن ريمال » .

(٤) في الطبري « يدكوتكين » وكذا ما بعده .

يقال له: بكاربين سلمية، وحلب، وحمص، فدعا لأبي أحمد فحاربه ابن عباس الكلابي. فانهزم الكلابي فوجه إليه لؤلؤاً صاحب ابن طولون قائداً يقال له: بوذر^(١) في عسكر فرجع وليس معه كبير أمر. وفيها أظهر لؤلؤ الخلاف على مولاه أحمد بن طولون. وفيها قتل أحمد بن عبد الله الخجستاني في ذي الحجة قتله غلام له. وفيها قتل أصحاب أبي الساج محمد بن علي بن حبيب اليشكري، بالقرية بناحية واسط، ونصب رأسه ببغداد. وفيها حارب محمد بن كيجور^(٢) علي بن الحسين كغتمر^(٣) فأسر كغتمر ثم أطلقه وذلك في ذي الحجة. وفيها سار أبو المغيرة المخزومي إلى مكة، وعاملها هارون بن محمد الهاشمي. فجمع هارون جمعاً نحواً من ألفين احتفى بهم فسار المخزومي إلى عين مشباش فغور ماءها. وإلى جدة فنهب الطعام وأحرق بيوت أهلها فصار الخبز بمكة أوقيتان بدرهم. وفيها خرج ملك الروم المعروف بابن الصقلية فنازل مَلَطِيَّة، فأعانهم أهل مَرْعَش، والحدث فانهزم ملك الروم. وغزا الصائفة من ناحية الثغور الشامية الفرغاني^(٤)، عامل ابن طولون، فقتل من الروم بضعة عشر ألفاً، وغنم الناس فبلغ السهم أربعين ديناراً. وحج بالناس فيها هارون بن محمد بن اسحاق الهاشمي، وابن أبي الساج على الأحداث والطريق. وفيها مات محمد بن عبد الله بن عبد الحكم البصري الفقيه المالكي. وكان قد صحب الشافعي وأخذ عنه العلم.

(١) في الطبري «بودن».

(٢) في الطبري «محمد بن كُمشجور».

(٣) في الطبري: «كغتمر».

(٤) في الطبري: «خلق الفرغاني».

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين ذكر أخبار الزنج

وفي هذه السنة رمى الموفق بسهم في صدره^(١). وكان سبب ذلك أن بهبود لما هلك طمع العلوي فيما له من الأموال، وكان قد صح عنه أن ملكه قد حوى مائتي ألف دينار وجوهرًا وفضة. فطلب ذلك وأخذ أهله وأصحابه فضربهم وهدم أبنيته طمعاً في المال. فلم يجد شيئاً فكان فعله مما أفسد قلوب أصحابه عليه ودعاهم إلى الهرب منه. فأمر الموفق بالنداء بالأمان في أصحاب بهبود فسارعوا إليه فألحقهم في العطاء بمن تقدم.

ورأى الموفق ما كان يتعذر عليه من العبور إلى الزنج في الأوقات التي تهب فيها الرياح لتحرك الأمواج. فعزم على أن يوسع لنفسه ولأصحابه، موضعاً في الجانب الغربي، فأمر بقطع النخل وإصلاح المكان وأن يعمل له الخنادق والسور ليأمن البيات. وجعل حماية العمالين فيه نوباً على قواده. فعلم صاحب الزنج وأصحابه أن الموفق إذا جاورهم قرب على من يريد اللحاق به المسافة مع ما يدخل قلوب أصحابه من الخوف وانتقاض تدبيره عليه فاهتموا بمنع الموفق من ذلك، وبذلوا الجهد فيه وقاتلوا أشد قتال. فاتفق أن الريح عصفت في بعض تلك الأيام وقائد من القواد هناك. فانتهاز الخبيث الفرصة في إنفاذ هذا القائد وانقطاع المدد عنه. فسير إليه جميع أصحابه فقاتلوه فهزموه. وقتلوا كثيراً من أصحابه. ولم يجد الشذاوات التي لأصحاب الموفق سبيلاً إلى القرب منهم خوفاً من الزنج أن تلقيها على الحجارة، فتنكسر. فغلب الزنج عليهم وأكثروا القتل والأسر. ومن سلم منهم ألقى نفسه في الشذاوات وعبروا إلى الموفقية فعظم ذلك على

(١) في الطبري : « رماه غلام رومي ، يقال له قرطاس ».

الناس. ونظر الموفق فرأى أن نزوله بالجانب الغربي لا يأمن عليه حيلة الزنج، وصاحبهم وانتهاز فرصة لكثرة الأدغال وصعوبة المسالك، وإن الزنج أعرف بتلك المضايق. وأجراً عليها من أصحابه فترك ذلك، وجعل قصده إلى هدم سور الفاسق وتوسعة الطريق والمسالك. فأمر بهدم السور من ناحية النهر المعروف بمكنى، وبأشر الحرب بنفسه واشتد القتال وكثر القتل والجراح من الجانبين، ودام ذلك أياماً عدة.

وكان أصحاب الموفق لا يستطيعون الولوج لقنطرتين كانتا في نهر منكنى، كان الزنج يعبرون عليهما وقت القتال فيأتون أصحاب الموفق من وراء ظهورهم فينالون منهم فعمل الحيلة في ازالتهما. فأمر أصحابه بقصدهما عند اشتغال الزنج وغفلتهم عن حراستهما، وأمرهم أن يعدوا الفؤوس، والمناشير وما يحتاجون إليه من الآلات، فقصدوا القنطرة الأولى نصف النهار فأتاهم الزنج لمنعهم فاقتلوا، فانهزم الزنج، وكان مقدمهم أبو الندى فأصابه سهم في صدره فقتله، وقطع أصحاب الموفق القنطرتين ورجعوا.

وألح الموفق على الخبيث بالحرب وهدم أصحابه من السور ما أمكنهم. ودخلوا المدينة وقاتلوا فيها وانهوا إلى دار ابن سمعان، وسليمان بن جامع، فهدموها ونهبوا ما فيها. وانهوا إلى سويقة للخبيث سماها الميمونة، فهُدمت وأُخربَت. وهدموا دار الحياتي^(١)، وانهبوا ما كان فيها من خزائن الفاسق. وتقدموا إلى الجامع ليهدموه فاشتد محاماة الزنج عنه. فلم يصل إليه أصحاب الموفق، لأنه كان قد خلص مع الخبيث نخبة أصحابه وأرباب البصائر. فكان أحدهم يُقتل أو يجرح فيجذبه الذي إلى جنبه ويقف مكانه.

فلما رأى الموفق ذلك أمر أبا العباس بقصد الجامع من أحد أركانه بشجعان أصحابه، وأضاف إليهم الفعول للهِدْم ونصب السلايم. ففعل ذلك وقاتل عليه أشد قتال، فوصلوا إليه فهدموه فأخذ منبره فأتى به الموفق. ثم عاد الموفق لهدم السور فأكثر منه. وأخذ أصحابه دواوين الخبيث وبعض خزائنه فظهر للموفق أمارات الفتح. فإنهم لعل ذلك إذ وصل سهم إلى الموفق فأصابه في صدره رماه به رومي، كان مع صاحب الزنج، اسمه قرطاس. وذلك لخمس بقين من جمادى الأولى فستر الموفق ذلك، وعاد

(١) في الطبري « الجبائي » وقد تقدم .

إلى مدينته ويات ثم عاد إلى الحرب على ما به من ألم الجراح ليشند بذلك قلوب أصحابه. فزاد في علته وعظم أمرها، حتى خيف عليه واضطرب العسكر والرعية وخافوا. فخرج من مدينته جماعة، وأتاه الخبر وهو في هذه الحال بحادث في سلطانه. فأشار عليه أصحابه وثقاته بالعود إلى بغداد ويخلف من يقوم مقامه، فأبى ذلك وخاف أن يستقيم من حال الخبيث ما فسد. واحتجب عن الناس مدة ثم برأ من علته وظهر لهم ونهض لحرب الخبيث وكان ظهوره في شعبان من هذه السنة.

ذكر إحراق قصر صاحب الزنج

لما صحَّ الموفق من جراحه عاد إلى ما كان عليه من محاربة العلوي. وكان قد أعاد بناء بعض الثلم في السور. فأمر الموفق بهدم ذلك وهدم ما يتصل به. وركب في بعض العشايا، وكان القتال ذلك اليوم متصلاً مما يلي نهر منكى، والزنج مجتمعون فيه قد شغلوا أنفسهم بتلك الجهة، وظنوا أنهم لا يأتون إلّا منها فأتى الموفق، ومعه الفعلة وقرب من نهر منكى وقاتلهم.

فلما اشتدت الحرب أمر الذين بالشذوات بالمسير إلى أسفل نهر أبي الخصيب، وهو فارغ من المقاتلة والرجالة. فقدم أصحاب الموفق وأخرجوا الفعلة، فهدموا السور من تلك الناحية. وصعد المقاتلة فقتلوا في النهر مقتلة عظيمة، وانتهوا إلى قصور من قصور الزنج فأحرقوها وانتهبوا ما فيها، واستنقذوا عدداً كثيراً من النساء اللواتي كنَّ فيها وغنموا منها. وانصرف الموفق عند غروب الشمس بالظفر والسلامة. وبكر إلى حربهم وهدم السور فأسرع الهدم حتى اتصل بدار الكلابي^(١)، وهي متصلة بدار الخبيث فلما أعيت الخبيث الحيل أشار عليه علي بن أبان بإجراء الماء على السباخ التي يسلكها أصحاب الموفق لئلا يجدوا إلى سلوكها سبيلاً، وأن يحفر خنادق في مواضع عدة يمنعهم عن دخول المدينة ففعل ذلك. فرأى الموفق أن يجعل قصده لطم الخنادق والأنهار والمواضع المغورة^(٢) فدام ذلك فحامى عنه الخبثاء. ودامت الحرب ووصل إلى الفريقين من القتل، والجراح أمر عظيم وذلك لتقارب ما بين الفريقين. فلما رأى

(١) في الطبري « بدار المعروف بأنكليبي » .

(٢) في الطبري « المعورة » بالعين المهملة .

شدة الأمر من هذه الناحية قصد لاحتراق دار الخبيث والهجوم عليها من دجلة . فكان يعوق عن ذلك كثرة ما أعد الخبيث لها من المقاتلة والحماة عن داره .

فكانت الشذا إذا قربت من قصره رميت من فوق القصر بالسهم ، والحجارة من المنجنيق ، والمقلاع ، وأذيب الرصاص وأفرغ عليهم فتعذر احراقها لذلك . فأمر الموفق أن تسقف الشذا بالأخشاب ويعمل عليها الجبس ويطلق بالأدوية التي تمنع النار من احراقها . ففرغ منها ورتب فيها أنجاد أصحابه ومن النفاطين جمعاً كثيراً . واستأمن إلى الموفق محمد بن سمعان كاتب الخبيث وكان أوثق أصحابه في نفسه .

وكان سبب استئمانه أن الخبيث أطلعه على أنه عازم على الخلاص وحده بغير أهل ولا مال . فلما رأى ذلك من عزمه أرسل يطلب الأمان فأمنه الموفق وأحسن إليه ، وقيل : كان سبب خروجه أنه كان كارهاً لصحبة الخبيث ، مطلعاً على كفره وسوء باطنه ، ولم يمكنه التخلص منه إلا الآن . ففارقه وكان خروجه عاشر شعبان .

فلما كان الغد بكر الموفق إلى محاربة الخبيث فأمر أبا العباس بقصد دار محمد الكرناي^(١) وهي بإزاء دار الخبيث وإحراقها وما يليها من منازل قواد الزنج ، ليشغلهم بذلك عن حماية دار الخبيث . وأمر المرتبين في الشذا المطلية^(٢) بقصد دار الخبيث وإحراقها ففعلوا ذلك . وألصقوا شذاواتهم بسور قصره وحاربهم الفجرة أشد حرب ونضحوهم بالنيران فلم تعمل شيئاً . وأحرق من القصر الرواشين والأبنية الخارجة وعملت النار فيها ، وسلم الذين كانوا في الشذا مما كان الخبيث يرسلونه عليهم بالظلال التي كانت في الشذا . وكان ذلك سبباً لتمكينهم من قصره . وأمر الموفق الذين في الشذا بالرجوع ، فرجعوا . فأخرج من كان فيها من الغلمان ورتب غيرهم ، وانتظر إقبال المد وعلوه ، فلما أقبل عادت الشذا إلى قصره وأحرقوا بيوتاً منه كانت تشرع على دجلة ، وأضرمت النار فيها واتصلت وقويت ، فاعجلت الخبيث ومن كان معه عن التوقف على شيء مما كان له من الأموال ، والذخائر وغير ذلك . فخرج هارباً وتركه كله ، وعلا غلمان الموفق قصره مع أصحابهم فانتهبوا ما لم تأت النار عليه من الذهب ، والفضة ، والحلى ، وغير ذلك .

(١) في الطبري « الكرناي » .

(٢) في الطبري « المظلة » .

واستنقذوا جماعة من النساء اللواتي كان الخبيث، يأنس بهنَّ ممن كان استرقهنَّ. ودخلوا دُورَه ودُورَ ابنه انكلياي، فاحرقوها جميعاً. وفرح الناس بذلك وتحاربوا هم وأصحاب الخبيث على باب قصره، فكثر القتل في أصحابه والجراح والأسر. وفعل أبو العباس في دار الكَرْنَابِي^(١) من النهب، والهدم، والاحراق مثل ذلك. وقطع أبو العباس يومئذ سلسلة عظيمة كان الخبيث قطع بها نهر أبي الخصيب ليمنع الشذا من دخوله فحازها أبو العباس وأخذها معه. وعاد الموفق بالناس مع المغرب مظفرًا؛ وأصيب الفاسق في ماله، ونفسه، وولده ومن كان عنده من نساء المسلمين، مثل الذي أصاب المسلمين منه من الذعر، والجلء، وتشتت الشمل، والمصيبة. وجرح ابنه انكلياي في بطنه جراحة أشفى منها على الهلاك.

ذكر غرق نصير

وفي يوم الأحد لعشر بقين من شعبان غرق أبو حمزة نصير، وهو صاحب الشداوات. وكان سبب غرقه أن الموفق بَكَرَ إلى القتال وأمر نصيراً بقصد قنطرة، كان الخبيث عملها في نهر أبي الخصيب دون الجسرين اللذين كان اتخذهما على النهر، وفرق أصحابه من الجهات. فعجّل نصير، فدخل نهر أبي الخصيب في أول المد في عدة من شداواته، فحملها الماء فألصقها بالقنطرة. ودخلت عدة من شداوات الموفق مع غلمانهم ممن لم يأمرهم بالدخول. فصكت شداوات نصير وصك بعضها بعضاً ولم يبق للملاحين فيها عمل.

ورأى الزنج ذلك فاجتمعوا على جانبي النهر والقي الملاحون أنفسهم في الماء خوفاً من الزنج. ودخل الزنج الشداوات فقتلوا بعض المقاتلة وغرق أكثرهم، وصابروهم نصير، حتى خاف الأسر فقاذف نفسه في الماء فغرق. وأقام الموفق يومه يحاربهم، وينهبهم، ويحرق منازلهم، ولم يزل يومه مستعلياً عليهم.

وكان سليمان بن جامع ذلك اليوم من أشد الناس قتالاً لأصحاب الموفق وثبت مكانه، حتى خرج عليه كمين للموفق، فانهزم أصحابه وجرح سليمان جراحة في ساقه، وسقط لوجهه في موضع كان فيه حريق، وفيه بعض الجمر، فاحترق بعض جسده

(١) في الطبري : « الكَرْنَابِي ».

وحمله أصحابه بعد أن كاد يؤسر. وانصرف الموفق سالماً ظافراً، وأصاب الموفق مرض المفاصل فبقي به شهر شعبان، وشهر رمضان، وأياماً من شوال. وأمسك عن حرب الزنج ثم برأ وتماثل، فأمر بإعداد آلة الحرب.

ذكر احراق قنطرة العلوي صاحب الزنج

ولما اشتغل الموفق بعلته، أعاد الخبيث القنطرة التي غرق عندها نصير، وزاد فيها وأحكمها، ونصب دونها أذقال ساج، وألبسها الحديد، وسكر أمام ذلك سكرًا من حجارة، ليضيق المدخل على الشذا، وتحتد جرية الماء في النهر، فندب الموفق أصحابه وسير طائفة من شرقي نهر أبي الخصيب وطائفة من غربيه وأرسل معهما النجارين، والفعلة لقطع القنطرة، وما جعل أمامها. وأمر بسفن مملوءة من القصب أن يصب عليها النفط وتدخل النهر ويُلقى فيها النار ليحترق الجسر. وفرق جنده على الخبثاء ليمنعوهم عن معاونة من عند القنطرة. فسار الناس إلى ما أمرهم به عاشر شوال، وتقدمت الطائفتان إلى الجسر فلقيهما انكلاي بن الخبيث، وعلي بن أبان، وسليمان بن جامع. واشتبكت الحرب ودامت، وحامى أولئك عن القنطرة لعلمهم بما عليهم في قطعها من المضرة وإن الوصول إلى الجسرين العظيمين اللذين يأتي ذكرهما يسهل ودامت الحرب على القنطرة إلى العصر.

ثم أن غلمان الموفق أزالوا الخبثاء عنها، وقطعها النجارون، ونقضوها، وما كان عمل من الادقال الساج. وكان قطعها قد تعذر عليهم، فأدخلوا تلك السفن التي فيها القصب والنفط وأضرموها ناراً فوافت القنطرة فأحرقوها. فوصل النجارون بذلك إلى ما أرادوا، وأمكن أصحاب الشذاوات دخول النهر فدخلوه، وقتلوا الزنج حتى أجلوهم عن مواقعهم إلى الجسر الأول، الذي يتلو هذه القنطرة، وقتل من الزنج خلق كثير واستأمن بشر كثير. ووصل أصحاب الموفق إلى الجسر المغرب فكَرِهَ أن يدركهم الليل فأمرهم بالرجوع فرجعوا. وكتب إلى البلدان أن يقرأ على المنابر أن يؤتى المُحْسِن على قدر إحسانه، ليزدادوا جداً في حرب عدوّه. وأخرب من الغد برجين من حجارة، كانوا عملوهما ليمنعوا بهما الشذاوات من الخروج من النهر إذا دخلته، فلما أخربهما سهل له ما أراد من دخول النهر والخروج منه.

ذكر انتقال صاحب الزنج إلى الجانب الشرقي وإحراق سوقه

لما أحرقت دُورُه ومساكن أصحابه ونُهبت أموالهم، انتقلوا إلى الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب، وجمع عياله حوله ونقل أسواقه إليه، فضعف أمره بذلك ضعفاً شديداً ظهر للناس. فامتنعوا من جلب الميرة إليه فانقطعت عنه كل مادة. وبلغ الرطل من خبز البر عشرة دراهم. فأكلوا الشعير وأصناف الحبوب. ثم لم يزل الأمر بهم إلى أن كان أحدهم يأكل صاحبه، إذا انفرد به، والقوي يأكل الضعيف. ثم أكلوا أولادهم. ورأى الموفق أن يخرب الجانب الشرقي، كما أخرب الغربي. فأمر أصحابه بقصد دار الهمذاني ومعهم الفعلة، وكان هذا الموضع محصناً بجمع كثير وعليه عرادات، ومنجنيقات، وقسي. فاشتبكت الحرب وكثرت القتلى فانتصر أصحاب الموفق عليهم. وقتلوه، وهزموهم، وانتهوا إلى الدار، فتعذر عليهم الصعود إليها لعلو سورها. فلم تبلغه السلايل الطوال. فرمى بعض غلمان الموفق بكلايب كانت معهم فعلقوها في أعلام الخبيث، وجذبوها فتساقطت الأعلام منكوسة. فلم يشك المقاتلة عن الدار في أن أصحاب الموفق قد ملكوها. فانهزموا، لا يلوي أحد منهم على صاحبه. فأخذها أصحاب الموفق، وصعد النفاطون وأحرقوها، وما كان عليها من المجانيق والعرادات. ونهبوا ما كان فيها من المتاع والأثاث وأحرقوا ما كان حولها من الدُور، واستنقذوا ما كان فيها من النساء. وكن عالماً كثيراً من المسلمات، فحملن إلى الموفقية وأمر الموفق بالاحسان إليهن، واستأنن يومئذ من أصحاب الخبيث وخاصته الذين يلون خدمته جماعة كثيرة فأمّنهم الموفق وأحسن إليهم.

ودلت جماعة من المستأمنة الموفق على سوق عظيمة كانت للخبيث متصلة بالجسر الأول، تسمى المباركة، وأعلموه إن أحرقها لم يبق لهم سوق غيرها. وخرج عنهم تجارهم الذين كان بهم قوامهم. فعزم الموفق على إحراقها، وأمر أصحابه بقصد السوق من جانبيها، فقصدوها. وأقبلت الزنج إليهم فتحاربوا أشدَّ حرب تكون. واتصلت أصحاب الموفق إلى طرف من أطراف السوق وألقوا فيه النار فاحترق. واتصلت النار وكان الناس يقتتلون والنار محيطة بهم. واتصلت النار بظلال السوق، فاحترقت، وسقطت على المقاتلة، واحترق بعضهم. فكانت هذه حالهم إلى مغيب الشمس ثم تجاوزوا ورجع أصحاب الموفق إلى عسكرهم. وانتقل تجار السوق إلى أعلى المدينة وكانوا قد نقلوا معظم أمتعتهم وأموالهم من هذه السوق خوفاً من مثل هذه.

ثم إن الخبيث فعل بالجانب الشرقي من حفر الخنادق وتغوير الطرق^(١). مثل ما كان فعل بالجانب الغربي بعد هذه الوقعة واحتفر خندقاً عريضاً حصّنه به منازل أصحابه التي على النهر الغربي. فرأى الموفق أن يخرب باقي السور إلى النهر الغربي. ففعل ذلك بعد حرب طويلة في مدة بعيدة. وكان للخبيث في الجانب الغربي جمع من الزنج قد تحصّنوا بالسور وهو منيع - وهم أشجع أصحابه - فكانوا يحامون عنه، وكانوا يخرجون على أصحاب الموفق عند محاربتهم على حرى كور^(٢)، وما يليه. وأمر الموفق أن يقصد هذا الموضع ويخرب سوره ويُخْرِجَ من فيه. فأمر أبا العباس والقواد بالتأهب لذلك وتقدم اليهم. وأمر بالشذاوات أن تقرب من السور ونشبت الحرب ودامت إلى الظهر، وهدم مواضع وأحرق ما كان عليه من العرادات. وتجاوز الفريقان وهما على السواء سوى هدم السور وإحراق عرادات كانت عليه فنال الفريقين من الجراح أمر عظيم. وعاد الموفق فوصل أهل البلاء والمجروحين على قدر بلائهم. وهكذا كان عمله في محاربته.

وأقام الموفق بعد هذه الوقعة أياماً، ثم رأى معاودة هذا الموضع، لما رأى من حصانته وشجاعة من فيه، وأنه لا يقدر على ما بينه وبين حرى كور إلا بعد إزالة هؤلاء. فأعد الآلات ورتب أصحابه وقصده، وقاتل من فيه وأدخلت الشذاوات النهر واشتدّت الحرب ودامت.

وأمد الخبيث أصحابه بالمهليي، وسليمان بن جامع في جيشهما فحملوا على أصحاب الموفق حتى الحقوهم بسفنههم، وقتلوا منهم جماعة. فرجع الموفق ولم يبلغ منهم ما أراد. وتبين له أنه كان ينبغي أن يقاتلهم من عدة وجوه لتخف وطأتهم على من يقصد هذا الموضع. ففعل ذلك وفرّق أصحابه على جهات أصحاب الخبيث، وسار هو إلى جهة النهر الغربي، وقاتل من فيه، وطمع الزنج بما تقدم من تلك الوقعة فصدّقهم أصحاب الموفق القتال فهزموهم فولوا منهزمين، وتركوا حصنهم في أيدي أصحاب الموفق، فهدموه وغنموا ما فيه، وأسروا وقتلوا خلقاً لا تُحصى وخلصوا من هذا الحصن خلقاً كثيراً من النساء والصبيان. ورجع الموفق إلى عسكره بما أراد.

(١) في الطبري : « وتغوير الطرق » .

(٢) في الطبري « بجوى كور نهر يأخذ من دجلة أسفل من النهر المعروف بأبي الخصب » .

ذكر استيلاء الموفق على مدينة صاحب الزنج الغربية

لما هدم الموفق دُور الخبيث أمر بإصلاح المسالك لتتسع على المقاتلة الطريق للحرب. ثم رأى قلع الجسر الأول الذي على نهر أبي الخصيب لما في ذلك من منع معاونة بعضهم بعضاً. وأمر بسفينة كبيرة أن تملأ قصباً، ويجعل فيها النفط ويوضع في وسطها دقل طويل يمنعها من مجاورة الجسر إذا التصقت به. ثم أرسلها عند غفلة الزنج وقوة المد فوافت الجسر. وعلم بها الزنج فأتوها وطموها بالحجارة، والتراب. ونزل بعضهم في الماء فنقبها فغرقت وكان قد احترق من الجسر شيء يسير فأطفأه الزنج. فعند ذلك اهتم الموفق بالجسر فندب أصحابه وأعد النفاطين، والفعلة، والفؤوس وأمرهم بقصده من غربي النهر وشرقيه. وركب الموفق في أصحابه وقصد فوهة نهر أبي الخصيب، وذلك منتصف شوال سنة تسع وستين. فسبق الطائفة التي في غرب النهر فهزم الموكلين على الجسر وهم سليمان بن جامع، وانكلاي ولد الخبيث وأحرقوه. وأتى بعد ذلك الطائفة الأخرى ففعلوا بالجانب الشرقي مثل ذلك وأحرقوا الجسر وتجاوزوه إلى جانب حظيرة كانت تعمل فيها سميريات الخبيث وآلاته واحترق ذلك عن آخره إلا شيئاً يسيراً من الشذاوات والسميريات كانت في النهر. وقصدوا سجناً للخبيث فقاتلهم الزنج عليه ساعة من النهار، ثم غلبهم أصحاب الموفق عليه فأطلقوا من فيه، وأحرقوا كل ما مروا به إلى دار مصلح - وهو من قدماء أصحابه - فدخلوها فنهبوها وما فيها، وسبوا نساءه وولده واستنقذوا خلقاً كثيراً. وعاد الموفق وأصحابه سالمين. وانحاز الخبيث وأصحابه من هذا الجانب إلى الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب واستولى الموفق على الجانب الغربي غير طريق يسير على الجسر الثاني. فأصلحوا الطرق فزاد ذلك في رعب الخبيث وأصحابه.

فاجتمع كثير من أصحابه وقواده وأصحابه الذين كان يرى أنهم لا يفارقونه على طلب الأمان فبذل لهم فخرجوا إرسالا، فأحسن الموفق إليهم وألحقهم بأمثالهم. ثم أن الموفق أحب أن يتمرن أصحابه بسلوك النهر ليحرق الجسر الثاني، فكان يأمرهم بإدخال الشذاوات فيه واحراق ما على جانبه من المنزل. فهزب إليه بعض الأيام قائد للزنج ومعه قاض، كان لهم، ومنبر ففت ذلك في اعضاء الخبيثاء. ثم إن الخبيث وكل بالجسر الثاني من يحفظه، وشحنه بالرجال. فأمر الموفق بعض أصحابه بإحراق ما عند

الجسر، من سفن ففعلوا، حتى أحرقوها. فزاد ذلك في احتياط الخبيث، وفي حراسته للجسر لئلا يحرق، ويستولي الموفق على الجانب الغربي فيهلك.

وكان قد تخلف من أصحابه جمع في منازلهم المقاربة للجسر الثاني وكان أصحاب الموفق يأتونهم ويقفون على الطريق الخفية. فلما عرفوا ذلك عزموا على احراق الجسر الثاني. فأمر الموفق ابنه أبا العباس والقواد بالتجهز لذلك. وأمرهم أن يأتوا من عدة جهات، ليوافوا الجسر وأعدّ معهم الفؤوس، والنفط، والآلات. ودخل هو في النهر بالشذاوات ومعه إنجاد غلمان، ومعهم الآلات أيضاً. واشتبكت الحرب في الجانبين جميعاً بين الفريقين واشتد القتال. وكان في الجانب الغربي بإزاء أبي العباس ومن معه انكلياي بن الخبيث، وسليمان بن جامع. وفي الجانب الشرقي بإزاء راشد مولى الموفق ومن معه الخبيث، والمهليبي في باقي الجيش.

فدامت الحرب مقدار ثلاث ساعات ثم انهزم الخبيثاء لا يلوون على شيء. وأخذت السيوف منهم مأخذها ودخل أصحاب الشذاوات النهر ودنوا من الجسر، فقاتلوا من يحميه بالسهم وأضرمو ناراً وكان من المنهزمين سليمان، وإنكلياي، وكانا قد أثنخا بالجراح، فوافيا الجسر والنار فيه فحالت بينهما وبين العبور، وألقيا أنفسهما في النهر ومن معهما. ففرق منهم خلق كثير. وافلت انكلياي، وسليمان بعد أن أشفيا على الهلاك، وقطع الجسر وأحرق. وتفرق الجيش في مدينة الخبيث في الجانبين فأحرقوا من دورهم، وقصورهم، واسواقهم شيئاً كثيراً. واستنقذوا من النساء والصبيان ما لا يحصى. ودخلوا الدار التي كان الخبيث سكنها بعد احراق قصره، واحرقوها ونهبوا ما كان فيها مما كان سلم معه.

وهرب الخبيث ولم يقف ذلك اليوم على مواضع أمواله. واستنقذ في هذا اليوم نسوة من العلويات كن محبسات^(١) في موضع قريب من داره، التي كان يسكنها. فأحسن الموفق اليهنّ وحملهنّ. وفتح سجناً كان له وأخرج منه خلقاً كثيراً ممن كان يحارب الخبيث. ففكّ الموفق عنهم الحديد. وأخرج ذلك اليوم كل ما كان في نهر أبي الخصيب من شذاوات ومراكب بحرية، وسفن صغار، وكبار، وحراقات، وغير ذلك من

(١) في الطبري « كن محبسات ».

أصناف السفن، إلى دجلة فأباحها الموفق أصحابه مع ما فيها من السلب وكانت له قيمة عظيمة.

وأرسل انكلاي بن الخبيث يطلب الأمان. وسأل أشياء فأجابه الموفق إليها فعلم أبوه بذلك فعذله وردّه عما عزم عليه فعاد إلى الحرب ومباشرة القتال. ووجه سليمان بن موسى الشعراني - وهو أحد رؤساء الخبيث - يطلب الأمان فلم يجبه الموفق إلى ذلك لما كان قد تقدم منه من سفك الدماء الفساد، فاتصل به أن جماعة من رؤساء أصحاب الخبيث قد استوحشوا المنعة، فأجابه إلى الأمان، فأرسل الشذائات إلى موضع ذكره فخرج هو، وأخوه، وأهله، وجماعة من قواده. فأرسل الخبيث من يمنعهم عن ذلك فقاتلهم، ووصل إلى الموفق فزاد في الإحسان إليه وخلع عليه، وعلى من معه وأمر بإظهاره لأصحاب الخبيث، ليزدادوا ثقة. فلم يرح من مكانه حتى استأمن جماعة من قواد الزنج، منهم شبل بن سالم. فأجابه الموفق وأرسل إليه شذائات فركب فيها هو، وعياله، وولده، وجماعة من قواده. فلقبهم قوم من الزنج فقاتلهم، ونجا، ووصل إلى الموفق فأحسن إليه، ووصله بصلة جليّة، وهو من قدماء أصحاب الخبيث، فعظم ذلك عليه وعلى أوليائه لما رأوا من رغبة رؤسائهم في الأمان. ولما رأى الموفق مناصحة شبل، وجودة فهمه، أمره أن يكفيه بعض الأمور. فسار ليلاً في جمع من الزنج لم يخالطهم غيرهم إلى عسكر الخبيث يعرف مكانهم، وأوقع بهم، وأسر منهم، وقتل وعاد. فأحسن إليه الموفق وإلى أصحابه. وصار الزنج بعد هذه الوقعة لا ينامون الليل، ولا يزالون يتحارسون للرعب الذي دخلهم. وأقام الموفق ينفذ السرايا إلى الخبيث ويكيده ويحول بينه وبين القوت، وأصحاب الموفق يتدربون في سلوك تلك المضايق التي في أرضه ويوسعونها.

ذكر استيلاء الموفق على مدينة الخبيث الشرقية

لما علم الموفق أن أصحابه قد تمرنوا على سلوك تلك الأرض وعرفوها، صمم العزم على العبور إلى محاربة الخبيث، من الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب، فجلس مجلساً عاماً وأحضر قواد المستأمنة وفرسانهم فوقفوا بحيث يسمعون كلامه. ثم كلمهم فعرفهم ما كانوا عليه من الضلالة، والجهل، وانتهاك المحارم، ومعصية الله عز وجل. وإن ذلك قد أحل له دماءهم وأنه غفر لهم زلتهم، ووصلهم وإن ذلك يوجب

عليهم حقّه وطاعته وانهم لن يرضوا ربهم وسلطانهم بأكثر من الجد في مجاهدة الخبيث. وانهم يعرفون مسالك العسكر ومضايق مدينته، ومعاقبها التي أعدّها فهم أولى أن يجتهدوا في الولوج على الخبيث، والوغول إلى حصونه، حتى يمكنهم الله منه، فإذا فعلوا ذلك فلهم الاحسان والمزيد ومن قصر منهم فقد أسقط منزلته وحاله، فارتفعت أصواتهم بالدعاء له والاعتراف بإحسانه وبما هم عليه من المناصحة والطاعة وإنهم يبذلون دماءهم في كل ما يقربهم منه. وسألوه أن يفردهم بناحية ليظهر من نكايتهم في العدو، ما يعرف به اخلاصهم وطاعتهم. فأجابهم إلى ذلك وأثنى عليهم ووعدهم. وكتب في جمع السفن والمعابر من دجلة والبطيحة ونواحيها ليضيفها إلى ما في عسكره إذ كان ما عنده يقصر عن الجيش لكثرتّه. وأحصى من في الشذاوات والسميريات وأنواع السفن. فكانوا زهاء عشرة آلاف ملاح ممن يجري عليه الرزق من بيت المال مشاهرة، سوى سفن أهل العسكر التي يحمل فيها الميرة، ويركبها الناس في حوائجهم، وسوى ما كان لكل قائد من السميريات والحريات والزواريق.

فلما تكاملت السفن تقدم إلى ابنه أبي العباس وقواده بقصد مدينة الخبيث الشرقية من جهاتها، فسير ابنه أبا العباس إلى ناحية دار المهلي أسفل العسكر. وكان قد شحنها بالرجال والمقاتلين. وأمر جميع أصحابه بقصد دار الخبيث وإحراقها فإن عجزوا عنها، اجتمعوا على دار المهلي، وسار هو في الشذاوات وهي مائة وخمسون قطعة فيها إنجاد غلمان، وانتخب من الفرسان والرجالة عشرة آلاف، وأمرهم أن يسيروا على جانبي النهر معه إذا سار وأن يقفوا معه. إذا وقف ليتصرفوا بأمره. وبكر الموفق لقتال الفاسقين يوم الثلاثاء لثمان خلون من ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين. وكانوا قد تقدّموا إليهم يوم الاثنين وواقعهم وتقدّم كل طائفة إلى الجهة التي أمرهم بها فلقبهم الزنج، واشتدّ الحرب، وكثر القتل، والجراح في الفريقين. وحامى الفسقة عن الذي اقتصروا عليه من مدينتهم واستماتوا وصبروا فنصر الله أصحاب الموفق. فانهزم الزنج وقتل منهم خلق كثير وأسر من انجادهم وشجعانهم جمع كثير. فأمر الموفق بضرب أعناق الأسرى في المعركة. وقصد بجمعه الدار التي يسكنها الخبيث وكان قد لجأ إليها، وجمع أبطال أصحابه للمدافعة عنها فلم يغنوا عنها شيئاً وانهزموا وأسلموها. ودخلها أصحاب الموفق وفيها بقايا ما كان سلم للخبيث من ماله، وولده، وأثاثه. فنهب ذلك أجمع وأخذوا حرمة، وأولاده وكانوا عشرين ما بين صبية، وصبي. وسار الخبيث

هارباً نحو دار المهلي لا يلوي على أهل، ولا مال، وأحرقت داره. وأتى الموفق بأهل الخبيث وأولاده فسيرهم إلى بغداد.

وكان أصحاب أبي العباس قد قصدوا دار المهلي وقد لجأ إليها خلق كثير من المنهزمين فغلبوهم عليها، واشتغلوا بنهبها وأخذوا ما فيها من حرم المسلمين، وأولادهم. وجعل من ظفر منهم بشيء حمله إلى سفينته فعلموا في الدار ونواحيها. فلما رأهم الزنج كذلك، رجعوا إليهم فقتلوا فيهم مقتلة يسيرة.

وكان جماعة من غلمان الموفق الذين قصدوا دار الخبيث تشاغلو بحمل الغنائم إلى السفن أيضاً فأطمع ذلك الزنج فيهم فأكبوا عليهم فكشفوهم واتبعوا آثارهم. وثبت جماعة من أبطال الموفق فردوا الزنج حتى تراجع الناس إلى مواقعهم ودامت الحرب إلى العصر.

فأمر الموفق غلمانه بصدق الحملة عليهم ففعلوا، فانهزم الخبيث وأصحابه وأخذتهم السيوف، حتى انتهوا إلى داره أيضاً. فرأى الموفق عند ذلك أن يصرف أصحابه إلى إحسانهم فردهم وقد غنموا واستنقذوا جمعاً من النساء المأسورات كن يخرجن ذلك اليوم إرسالاً فيحملن إلى الموقية. وكان أبو العباس قد أرسل في ذلك اليوم قائداً. فاحرق، ثم بيادر كانت ذخيرة للخبيث. وكان ذلك مما أضعف به الخبيث وأصحابه. ثم وصل إلى الموفق كتاب لؤلؤ غلام ابن طولون في القدوم عليه فأمره بذلك وأخر القتال إلى أن يحضر.

ذكر خلاف لؤلؤ على مولاه أحمد بن طولون

وفيهما خالف لؤلؤ غلام أحمد بن طولون صاحب مصر على مولاه أحمد بن طولون، وفي يده حمص، وقنسرين، وحلب، وديار مضر من الجزيرة. وسار إلى بالس فنهبها. وكاتب الموفق في المسير إليه واشترط شروطاً فأجابه أبو أحمد إليها، وكان بالركة فسار إلى الموفق فنزل قرقيسيا، وبها ابن صفوان العقيلي، فحاربه وأخذها منه وسلمها إلى أحمد بن مالك بن طوق. وسار إلى الموفق فوصل إليه وهو يقاتل الخبيث العلوي.

ذكر مسير المعتمد إلى الشام وعوده من الطريق

وفيها سار المعتمد نحو مصر. وكان سبب ذلك أنه لم يكن له من الخلافة غير اسمها ولا ينفذ له توقيع لا في قليل ولا كثير وكان الحكم كله للموفق، والأموال تُجبي إليه. فضجر المعتمد من ذلك وأنف منه. فكتب إلى أحمد بن طولون يشكو إليه حاله سرّاً من أخيه الموفق، فأشار عليه أحمد باللحاق به بمصر ووَعَدَه النصرة. وسير عسكرياً إلى الرقة ينتظر وصول المعتمد إليهم. فاغتمت المعتمد غيبة الموفق عنه، فسار في جمادى الأولى ومعه جماعة من القواد. فأقام بالكحيل يتصيد. فلما سار إلى عمل اسحاق بن كنداجيق، وكان عامل الموصل، وعامة الجزيرة وثب ابن كنداجيق^(١) بمن مع المعتمد من القواد فقبضهم، وهم نيزك، وأحمد بن خاقان. وخطارمش فقيدهم وأخذ أموالهم ودوابهم. وكان قد كتب إليه صاعد بن مخلد وزير الموفق عن الموفق.

وكان سبب وصوله إلى قبضهم أنه أظهر أنه معهم في طاعة المعتمد إذ هو الخليفة، ولقيهم لما صاروا إلى عمله، وسار معهم عدة مراحل. فلما قارب عمل ابن طولون ارتحل الاتباع، والغلمان الذين مع المعتمد وقواده. ولم يترك ابن كنداجيق أصحابه يرحلون. ثم خلا بالقواد عند المعتمد وقال لهم: إنكم قاربتم عمل ابن طولون والامر أمره وتصيرون من جنده وتحت يده. أترضون بذلك وقد علمتم أنه كواحد منكم؟ وجرت بينهم في ذلك مناظرة حتى تعالى النهار، ولم يرحل المعتمد ومن معه. فقال ابن كنداجيق: قوموا بنا نتناظر في غير حضرة أمير المؤمنين. فأخذ بأيديهم إلى خيمته لأن مضاربهم كانت قد سارت. فلما دخلوا خيمته قبض عليهم وقيدهم وأخذ سائر من مع المعتمد من القواد فقيدهم. فلما فرغ من أمورهم مضى إلى المعتمد فعذله في مسيره من دار مُلكه ومُلْك آبائه وفراق أخيه الموفق على الحال التي هوبها من حرب من يريد قتله وقتل أهل بيته وزوال مُلكهم، ثم حملة والذين كانوا معه حتى أدخلهم سامراء.

ذكر الحرب بين عسكر ابن طولون وعسكر الموفق بمكة

وفيها كانت وقعة بمكة بين جيش لأحمد بن طولون وبين عسكر الموفق في ذي

(١) في الطبري «ابن كنداج».

القعدة. وكان سببها أن أحمد بن طولون سَير جيشاً مع قائدين إلى مكة فوصلوا إليها وجمعوا الحنّاطين، والجزارين، وفرّقوا فيهم مالاً، وكان عامل مكة هارون بن محمد، إذ ذاك ببستان ابن عامر، قد فارقها خوفاً منهم. فوافى مكة جعفر الناعمودي^(١) في ذي الحجة في عسكر وتلقاه هارون بن محمد في جماعة فقوي بهم جعفر والتقوا هم وأصحاب ابن طولون فاقتتلوا وأعان أهل خراسان جعفرًا فقتل من أصحاب ابن طولون مائتي رجل وانهزم الباقيون في الجبال وسلبوا وأخذ أموالهم. وأخذ جعفر من القائدين نحو مائتي ألف دينار وأمن المصريين، والجزارين، والحنّاطين، وقرأ كتاب في المسجد الجامع بلعن ابن طولون وسلم الناس وأموال التجار.

ذكر عدة حوادث

في المحرم من هذه السنة قطع الأعراب الطريق على قافلة من الحاج بين ثور وسميراء^(٢)، فسلبوهم وساقوا نحواً من خمسة آلاف بعير بأحمالها وأناساً كثيراً. وفيها انخسف القمر وغاب منخسفاً وانكسفت الشمس فيه أيضاً آخر النهار، وغابت منكسفة فاجتمع في المحرم كسوفان. وفيها في صفر وثبت العامة ببغداد بإبراهيم الخليجي فانتهبوا داره. وكان سبب ذلك أن غلاماً له رمى امرأة بسهم فقتلها فاستعدى السلطان عليه فامتنع، ورمى غلمانته الناس، فقتلوا جماعة وجرحوا جماعة. فثارت بهم العامة فقتلوا فيهم رجلين من أصحاب السلطان، ونهبوا منزله ودوابه وخرج هارباً. فجمع محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر - وكان نائب أبيه - دواب إبراهيم، وما أخذ له فردّه عليه. وفيها وجه إلى أبي السّاج جيش بعد ما انصرف من مكة فسيّره إلى جدة فأخذ للمخزومي مركبين فيهما مال وسلاح. وفيها وثب خلف صاحب أحمد بن طولون بالثغور الشّامية وعامله عليها بازمار^(٣) الخادم مولى الفتح بن خاقان، فحبسه فوثب به جماعة من أهل الثغر فاستنقذوا بازمار وهرب خلف، وتركوا الدّعاء لابن طولون. فسار إليهم ابن طولون وتزلّ أذنة، فاعتصم أهل طرسوس بها ومعهم بازمار، فرجع عنهم ابن طولون إلى حمص، ثم إلى دمشق فاقام بها. وفيها قام رافع بن هرثمة

(١) في الطبري « جعفر بن الباعمردي » .

(٢) في الطبري « بين توز وسميراء » .

(٣) في الطبري « يازمان » .

بما كان الخجستاني غلب عليه من مدن خراسان فاجتبي عدة من كور خراسان خراجها لبضع عشرة سنة فأفقر أهلها وأخربها.

وفيها كانت وقعة بين الحسينين، والحسينيين بالحجاز، والجعفرين فقتل من الجعفرين ثمانية نفر، وخلصوا الفضل بن العباس العباسي، عامل المدينة. وفيها في جمادى الآخرة عقد هارون بن الموفق لابن أبي الساج على الأنبار، وطريق الفرات، والرحبة، وولى محمد بن أحمد الكوفة وسوادها فلقى محمد الهيصم العجلي فانهزم الهيصم. وفيها توفي عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني، ويده أرمينية، وديار بكر. وفيها لعن المعتمد أحمد بن طولون في دار العامة، وأمر بلغنه على المنابر وولى اسحاق بن كنداجيق على أعمال ابن طولون وفوض إليه من باب الشماسية إلى أفريقية، وولى شرطة الخاصة، وكان سبب هذا اللعن أن ابن طولون قطع خطبة الموفق وأسقط اسمه من الطرز، فتقدم الموفق إلى المعتمد بلغنه ففعل مكرهاً لأن هوى المعتمد كان مع ابن طولون. وفيها كانت وقعة بين ابن أبي الساج والأعراب فهزموه ثم بيّتهم فقتل منهم وأسروا. ووجه بالرؤوس والاسرى إلى بغداد. وفيها في شوال دخل ابن أبي الساج رحبة مالك بن طوق، بعد أن قاتله أهلها فغلبهم وقتلهم وهرب أحمد بن مالك بن طوق إلى الشام. ثم سار ابن أبي الساج إلى قرقيسيا فدخلها، وحج بالناس هارون بن محمد بن اسحاق الهاشمي. وفيها خرج محمد بن الفضل أمير صقلية في عسكر إلى ناحية رمطة وبلغ العسكر إلى قطانية فقتل كثيراً من الروم وسبى، وغنم، ثم انصرف إلى بلرم في ذي الحجة. وفيها توفي أحمد بن مخالد مولى المعتصم - وهو من دعاة المعتزلة - وأخذ الكلام عن جعفر بن مبشر. وفيها توفي سليمان بن حفص بن أبي عصفور الأفريقي، وكان معتزلاً يقول بخلق القرآن، وأراد أهل القيروان فسلم لذلك وصحب بشر المريسي، وأبا الهذيل، وغيرهما من المعتزلة.

ثم دخلت سنة سبعين ومائتين ذكر قتل الخبيث صاحب الزنج

قد ذكرنا من حرب الزنج وعود الموفق عنهم مؤيداً بالظفر. فلما عاد عن قتالهم إلى مدينة الموفقية عزم على مناجزة الخبيثاء، فأتاه كتاب لؤلؤ غلام ابن طولون يستأذنه في المسير إليه، فأذن له وترك القتال ينتظره، ليحضر القتال فوصل إليه ثالث المحرم من هذه السنة في جيش عظيم، فآكرمه الموفق وأنزله وخلع عليه وعلى أصحابه، ووصلهم وأحسن إليهم، وأمر لهم بالأرزاق على قدر مراتبهم وأضعف ما كان لهم. ثم تقدم إلى لؤلؤ بالتأهب لحرب الخبيثاء.

وكان الخبيث لما غلب على نهر أبي الخصيب وقصفت القناطر والجسور التي عليه أحدث سكرًا في النهر من جانبيه وجعل في وسط النهر باباً ضيقاً لتحثد جرية الماء فيه فتمتنع الشذاوات من دخوله في الجزر، ويتعذر خروجها منه في المد. فرأى الموفق أن جريه لا يتهدأ إلا بقطع هذا السكر، فحاول ذلك فاشتد محاماة الخبيثاء عليه، وجعلوا يزيدون كل يوم فيه وهو متوسط دورهم والمروية تسهل عليهم وتعظم على من أراد قلعه. فشرع في محاربتهم بفريق بعد فريق من أصحاب لؤلؤ ليتمرنوا على قتالهم ويقفوا على المسالك والطرق في مدينتهم. فأمر لؤلؤ أن يحضر في جماعة من أصحابه للحرب على هذا السكر ففعل فرأى الموفق من شجاعة لؤلؤ واقدامه، وشجاعة أصحابه ما سره. فأمر لؤلؤاً بصرفهم اشفاقاً عليهم ووصلهم الموفق وأحسن إليهم. وألح الموفق على هذا السكر وكان يحارب المحامين عليه بأصحابه وأصحاب لؤلؤ وغيرهم والفعلة يعملون في قلعه، ويحارب الخبيث وأصحابه في عدة وجوه، فيحرق مساكنهم، ويقتل مقاتليهم، واستأمن إليه الجماعة.

وكان قد بقي للخبيث وأصحابه بقية من أرضين بناحية النهر الغربي لهم فيها

مزارع وحصون وقنطرتان وبه جماعة يحفظونه، فسار إليهم أبو العباس، وفرّق أصحابه من جهاتهم وجعل كميناً ثم أوقع بهم فانهزموا، فكلما قصدوا جهة خرج عليهم من يقاتلهم فيها فقتلوا عن آخرهم لم يسلم منهم إلا الشريد. فاخذوا من أسلحتهم ما أثقلهم حملة وقطع القنطرتين. ولم يزل الموفق يقاتلهم على سكرهم حتى تهيأ له فيه ما أحبه في خرقه. فلما فرغ منه عزم على لقاء الخبيث فأمر بإصلاح السفن والآلات للماء والظهر.

وتقدّم إلى أبي العباس ابنه أن يأتي الخبيث من ناحية دار المهلبى وفرّق العساكر من جميع جهاته، وأضاف المستأمنة إلى شبل وأمره بالجدّ في قتال الخبيث. وأمر الناس أن لا يزحف أحد حتى يحرك علماً أسود كان نصبه على دار الكرمانى، وحتى ينفخ في بوق بعيد الصوت. وكان عبوره يوم الاثنين لثلاث بقين من المحرم، فعجّل بعض الناس وزحف نحوهم فلقية الزنج فقتلوا منهم، وردوهم إلى مواقفهم، ولم يعلم سائر العسكر بذلك لكثرتهم. وبعد المسافة فيما بين بعضهم وبعض. وأمر الموفق بتحريك العلم الأسود والنفخ في البوق، فزحف الناس في البر والماء يتلو بعضهم بعضاً. فلقية الزنج وقد حشدوا واجتروا بما تهيأ لهم على من كان يسرع إليهم، فلقية الجيش بنيات صادقة وبصائر نافذة. واشتدّ القتال وقتل من الفريقين جمع كثير، فانهزم أصحاب الخبيث وتبعهم أصحاب الموفق يقتلون ويأسرون. واختلط بهم ذلك اليوم أصحاب الموفق فقتل منهم ما لا يحصى عدداً وغرق منهم مثل ذلك. وحوى الموفق المدينة بأسرها فغنمها أصحابه واستنقذوا من كان بقي من الأسرى من الرجال، والنساء، والصبيان. وظفروا بجميع عيال عليّ بن أبان المهلبى، وبأخويه الخليل، ومحمد وأولادهما، وعبر بهما إلى المدينة الموقية، ومضى الخبيث في أصحابه ومعه ابنه انكلاي، وسليمان بن جامع، وقواد من الزنج، وغيرهم هرباً عامدين إلى موضع كان الخبيث قد أعدّه ملجأ إذا غلب على مدينته، وذلك المكان على النهر المعروف بالسفياني.

وكان أصحاب الموفق قد اشتغلوا بالنهب والإحراق. وتقدّم الموفق في الشداوات نحو نهر السفياني، ومعه لؤلؤ أصحابه، فظن أصحاب الموفق أنه رجع إلى مدينتهم الموقية، فانصرفوا إلى سفنهم بما قد حووا. وانتهى الموفق ومن معه إلى

عسكر الخبيث - وهم منهزمون - وأتبعَهُمْ لؤلؤ في أصحابه حتى عبر السفيناني فاقتحم لؤلؤ بِفَرَسِهِ واتبعه أصحابه حتى انتهى إلى النهر المعروف بالفريري . فوصل إليه لؤلؤ وأصحابه فأوقعوا به ومن معه . فهزّمهم ، حتى عبر نهر السفيناني ولؤلؤ في أثرهم فاعتصموا بجبل وراءه وانفردَ لؤلؤ وأصحابه باتباعهم إلى هذا المكان في آخر النهار . فأمر الموفق بالانصراف ، فعاد مشكوراً محموداً لفعله . فحملة الموفق معه وجدّد له من البر ، والكرامة ، ورفعة المنزلة ما كان مستحقاً له . ورجعَ الموفق فلم يرَ أحداً من أصحابه بمدينة الزنج ، فرجعَ إلى مدينته واستبشر الناس بالفتح وهزيمة الزنج وصاحبهم .

وكان الموفق قد غضب على أصحابه بمخالفتهم أمره وتركهم الوقوف حيث أمرهم فجمعهم جميعاً ووبّخهم على ذلك ، وأغلظ لهم فاعتذروا بما ظنّوه من انصرافه ، وإنهم لم يعلموا بمسيره ولو علموا ذلك لأسرعوا نحوه . ثم تعاقدوا وتحالفوا بمكانهم على أن لا ينصرف منهم أحد إذا توجهوا نحو الخبيث حتى يظفروا به ، فإن أعيانهم أقاموا بمكانه حتى يحكم الله بينهم وبينه .

وسألوا الموفق أن يرد السفن التي يعبرون فيها إلى الخبيث لينقطع الناس عن الرجوع فشكرهم ، وأثنى عليهم وأمرهم بالتأهب . وأقام الموفق بعد ذلك إلى الجمعة يُصلح ما يحتاج الناس إليه . وأمر الناس عشية الجمعة بالمسير إلى حرب الخبثاء بكرة السبت ، وطاف عليهم هو بنفسه يعرف كل قائد مركزه والمكان الذي يقصده ، وغدا الموفق يوم السبت لثلاثين خلت من صفر . فعبر بالناس وأمر برد السفن ، فردّت ، وسار يقدمهم إلى المكان الذي قدر أن يلقاهم فيه .

وكان الخبيث وأصحابه قد رجعوا إلى مدينتهم بعد انصراف الجيش عنهم وأملوا أن تتناول بهم الأيام وتندفع عنهم المناجزة . فوجد الموفق المتسرعين من فرسان غلمانة والرجالة قد سبقوا الجيش فأوقعوا بالخبيث وأصحابه ، وقعة هزمهم بها . وتفرقوا لا يلوي بعضهم على بعض ، وتبعهم أصحاب الموفق يقتلون ويأسرون من لحقوا منهم . وانقطع الخبيث في جماعة من حماة أصحابه وفيهم المهلي وفارقه ابنه انكلاي ، وسليمان بن جامع ، فقصّد كل فريق منهم جمعاً كثيفاً من الجيش .

وكان أبو العباس قد تقدّم فلقي المنهزمين في الموضع المعروف ، بعسكر ريحان

فوضع أصحابه فيهم السلاح . ولقيهم طائفة أخرى فأوقعوا بهم أيضاً وقتلوا منهم جماعة وأسروا سليمان بن جامع فاتوا به الموفق من غير عهد ولا عقد . فاستبشر الناس بأسره وكثر التكبير ، وأيقنوا بالفتح إذ كان أكثر أصحاب الخبيث عتاً عنه . وأسر من بعده إبراهيم بن جعفر الهمداني ، وكان أحد أمراء جيوشه . فأمر الموفق بالاستيثاق منهم وجعلهم في شدة لأبي العباس . ثم أن الزنج الذين انفردوا مع الخبيث حملوا على الناس حملة أزالوهم عن مواقفهم ففتروا ، فأحس الموفق بفتورهم فجذب في طلب الخبيث وأمعن ، فتبعه أصحابه .

وانتهى الموفق إلى آخر نهر أبي الخصيب ، فلقية البشير بقتل الخبيث ، وأتاه بشير آخر ومعه كف . ذكر أنها كفه فقوي الخبر عنده . ثم أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركض ومعه رأس الخبيث فأذناه منه ، وعرضه على جماعة من المستأمنة فعرفوه فخرّ لله ساجداً ، وسجد معه الناس . وأمر الموفق برفع رأسه على قناة فتأمله الناس فعرفوه ، وكثر الضجيج بالتحميد .

وكان مع الخبيث لما أُحيط به المهلي وحده فولّى عنه هارباً وقصد نهر الأمير فألقى نفسه فيه يريد النجاة . وكان إنكلياي قد فارق أباه قبل ذلك وسار نحو الديناري ، ورجع الموفق ورأس الخبيث بين يديه وسليمان معه وأصحابه إلى مدينته ، وأتاه من الزنج عالم كبير يطلبون الأمان فأمّنهم وانتهى إليه خبر إنكلياي ، والمهلي ومكانهما ومن معهما من مقدمي الزنج ، فبث الموفق أصحابه في طلبهم وأمرهم بالتضييق عليهم . فلما أيقنوا أن لا ملجأ أعطوا بأيديهم ، فظفر بهم وبمن معهم وكانوا زهاء خمسة آلاف . فأمر بالاستيثاق من المهلي . وإنكلياي ، وكان ممن هرب قرطاس الرومي الذي رمى الموفق بالسهم في صدره ، فانتهى إلى رامهرمز ، فعرفه رجل فدلّ عليه عامل البلد فأخذه وسيّره إلى الموفق فقتله أبو العباس . وفيها استأمن درموية الزنجي إلى أبي أحمد ، وكان درموية من أنجاد الزنج وأبطالهم . وكان الخبيث قد وجهه قبل هلاكه بمدة إلى موضع كثير الشجر والأدغال والأجام متصل بالبطيحة . فكان هو ومن معه يقطعون الطريق هنالك على السابلة في زواريق خفاف ، فاذا طلبوا دخلوا الأنهار الصغار الضيقة واعتصموا بالأدغال وإذا تعذّر عليهم مسلك لضيقه حملوا سفنهم ولجأوا إلى الأمكنة الوسيعة ويعبرون على قري البطيحة ويقطعون الطريق فظفر بجماعة من عسكر الموفق

معهم نساء قد عادوا إلى منازلهم، فقتل الرجال وأخذ النساء. فسألهن عن الخبر فأخبرته بقتل الخبيث، وأسر أصحابه وقواده، ومصير كثير منهم إلى الموفق بالأمان وإحسانه إليهم فسقط في يده ولم ير لنفسه ملجأ إلا طلب الأمان والصفح عن جرمه، فأرسل يطلب الأمان فأجابته الموفق إليه فخرج وجميع من معه حتى وافى بعسكره الموفق فأحسن إليهم وأمتهم. فلما اطمأن درمويه أظهر ما كان في يده من الأموال والأمتعة وردّها إلى أربابها ردّاً ظاهراً فعلم بذلك حُسن نيته، فازداد إحسان الموفق إليه، وأمر أن يكتب إلى أمصار المسلمين بالنداء في أهل النواحي التي دخلها الزنج بالرجوع إلى أوطانهم، فسار الناس إلى ذلك. وأقام الموفق بالمدينة الموفقيّة ليأمن الناس بمقامه، وولى البصرة، والابلة، وكور دجلة رجلاً من قواده قد حمد مذهبه وعلم حسن سيرته يقال له: العباس بن تركس، وأمره بالمقام بالبصرة، وولى قضاء البصرة، والابلة، وكور دجلة، محمد بن حمّاد، وقَدِمَ ابنه أبا العباس إلى بغداد ومعه رأس الخبيث ليراه الناس فبلغها لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى من هذه السّنة.

وكان خروج صاحب الزنج يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين. وقتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين. وكانت أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام. وقيل في أمر الموفق وأصحاب الزنج أشعار كثيرة. فمن ذلك قول يحيى بن محمّد الأسلمي:

أقول وقد جاء البشيرُ بسوقةٍ	أعزّت من الإسلام ما كان وإهيا
جزى الله خير الناس للناس بعدما	أبيح جمّاهم خير ما كان جازيا
تقرّد إذ لم ينصر الله ناصرٌ	بتجديد دين كان أصبح باليا
وتجديد ^(١) ملك قد وهى بعد عزّه	وأخذ بشارات تبين الاعاديا ^(٢)
وردّ عماراتٍ أزيلت وأخربت	ليرجع فيء قد تخزّم وافيّا ^(٣)
وترجع ^(٤) أمصارٌ أبيضت وأحرقت	مراراً فقد أمست قواء عوافيا

(١) في الطبري: «وتشديد» وكذلك في البداية والنهاية ٤٨/١١ ط. دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) في الطبري: «وإدراك ثارات تبير الاعاديا».

(٣) في الطبري: «تخرّم» وكذلك في البداية والنهاية، انظر المرجع السابق.

(٤) في الطبري: «ويرجع».

وَيُشْفِي صُدُورَ الْمُسْلِمِينَ^(١) بِوَقْعَةٍ
وَيُتْلَى كِتَابُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ
وَيُلْقَى دَعَاءُ الطَّالِبِينَ خَاسِيَا
وَعَنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَأَصْبَحَ عَارِيَا^(٢)

وهي قصيدة طويلة .

وقال غيره في هذا المعنى أيضاً شعراً كثيراً^(٣) وقد انقضى أمر الزنج .

ذكر الظفر بالروم

وفي هذه السَّنة خَرَجَتْ الرُّومُ فِي مِائَةِ أَلْفٍ ، فَزَلُّوا عَلَى قَلَمِيَّةٍ^(٥) - وَهِيَ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ طَرَسُوسَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بَازْمَارٌ^(٦) لَيْلاً ، فَبَيْتَهُمْ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ . فَقَتَلَ مِنْهُمْ فِيمَا يُقَالُ سَبْعِينَ أَلْفًا . وَقَتَلَ مَقْدَمَهُمْ وَهُوَ بِطَرِيقِ الْبَطَارِقَةِ وَقَتَلَ أَيْضًا بِطَرِيقِ الْفَنَادِينَ ، وَبَطَرِيقِ الْبَاطَلِيقِ^(٧) . وَأَفْلَتَ بِطَرِيقِ قَرَّةٍ وَبِهِ عَدَّةٌ جَرَاحَاتٍ . وَأَخَذَ لَهُمْ سَبْعَ صُلْبَانٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفُضَّةٍ ، وَصَلِيهِمُ الْأَعْظَمُ مِنْ ذَهَبٍ مَكْلَلٍ بِالْجَوْهَرِ . وَأَخَذَ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دَابَّةٍ وَبَغْلٍ . وَمِنَ السُّرُوجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَسِوْفًا مُحَلَّلَةً ، وَأَرْبَعَ كِرَاسِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمِائَتِي كِرْسِيٍّ مِنْ فُضَّةٍ ، وَأَنِيَّةٌ كَثِيرَةٌ ، وَنَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ أَلْفِ عِلْمٍ دِيبَاجٍ وَدِيبَاجًا كَثِيرًا ، وَبَزِيُونَ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

ذكر وفاة الحسن بن زيد وولاية أخيه محمد

وفيهما تَوَفَّى الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ الْعُلُوِيَّ صَاحِبَ طَبْرِسْتَانَ فِي رَجَبٍ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ تِسْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، وَسِتَّةَ أَيَّامٍ . وَوَلَّى مَكَانَهُ أَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَكَانَ الْحَسَنُ جَوَادًا أَمْتَدَحَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ عَشْرَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَكَانَ مُتَوَاضِعًا لِلَّهِ تَعَالَى ، حُكْمِي عَنْهُ

(١) فِي الطَّبْرِيِّ : « الْمُؤْمِنِينَ » .

(٢) فِي الطَّبْرِيِّ : « أَحِبَّابِهِ » .

(٣) فِي الطَّبْرِيِّ : « وَأَقْبَلَ غَازِيَا » .

(٤) أَوْرَدَهُ الطَّبْرِيُّ .

(٥) قَلَمِيَّةٌ : بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَثَانِيهِ وَسُكُونِ الْمِيمِ وَالْيَاءِ خَفِيفَةً ، كَوْرَةٍ وَاسِعَةٍ بِرَأْسِهَا مِنْ بِلَادِ الرُّومِ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ طَرَسُوسَ .

(٦) فِي الطَّبْرِيِّ : « يَازْمَانَ » .

(٧) فِي الطَّبْرِيِّ : « بِطَرِيقِ الْبَطَارِقَةِ » .

أنه مدحه شاعر فقال: الله فَرَدُّ وابن زيد فرد. فقال: بفيك الحجر يا كَذَاب، هَلَا قلت :
الله فَرَدُّ وابن زيد عبد. ثم نزل عن مكانه وخرَّ ساجداً لله تعالى، وألصق خدَّه بالتراب
وحرم الشعر وكان عالماً بالفقه والعربية. مدحه شاعر فقال:

لا تقل بشرى ولكنْ بشرِيان غرة الداعي ويوم المهرجان

فقال له: كان الواجب أن تفتتح الأبيات بغير - لا - فإن الشاعر المجيد يتخير لأول
القصيدة ما يعجب السامع ويتبرك به، ولو ابتدأت بالمصرع الثاني لكان أحسن. فقال
له الشاعر: ليس في الدنيا كلمة، أجل، من قول لا إله إلا الله وأولها - لا - فقال:
أصبت وأجازه، وحكى عنه أنه غنى عنده مغنٍ بأبيات الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي
لهب التي أولها.

وأنا الأخضر مَنْ يعرفني أخضرُ الجلدة من بيتِ العربِ

فلما وصل إلى قوله:

برسولِ الله وابنِ عمِّه وعباس بن عبد المطلبِ

غير البيت فقال:

لا بعباس بن عبد المطلب

فغضب الحسن وقال: يا ابن اللخناء تهجو بني عمنا بين يدي وتحرف ما مدحوا
به، لئن فعلتها مرة ثانية لأجعلنها آخر غنائك.

ذكر وفاة أحمد بن طولون وولاية ابنه خمارويه

في هذه السنة توفي أحمد بن طولون صاحب مصر، والشام، والثغور الشامية.
وكان سبب موته، أن نائبه بطرسوس، وثب عليه بازمار الخادم، وقبض عليه وعصي
على أحمد، وأظهر الخلاف. فجمع أحمد العساكر وسار إليه. فلما وصل اذنه كاتبه،
وراسله يستميله فلم يلتفت إلى رسالته، فسار إليه أحمد ونازله، وحصره فخرق بازمار
نهر البلد، على منزلة العسكر فكاد الناس يهلكون. فرحل أحمد مغيضاً حنقاً. وكان
الزمان شتاء. وأرسل إلى بازمار إنني لم أرحل إلا خوفاً أن تخترق حرمة هذا الثغر فيطمع
فيه العدو.

فلما عاد إلى انطاكية أكل لبن الجواميس فأكثر منه، فأصابه منه هَيْضَة واتصلت حتى صار منها ذرب، وكان الأطباء يعالجونَه وهو يأكل سراً فلم ينجع الدواء فتوفي رحمه الله. وكانت امارته نحو ست وعشرين سنة. وكان عاقلاً حازماً، كثير المعروف والصدقة، متديناً، يحب العلماء وأهل الدين. وعمل كثيراً من أعمال البرِّ ومصالح المسلمين، وهو الذي بنى قلعة يافا وكانت المدينة بغير قلعة. وكان يميل إلى مذهب الشافعي ويكرم أصحابه، وولّى بعده ابنه خمارويه وأطاعه القواد وعصي عليه نائب أبيه بدمشق فسير إليه العساكر، فأجلّوه وساروا من دمشق إلى شيزر.

ذكر مسير اسحاق بن كنداجيق إلى الشام

لما توفي أحمد بن طولون، كان اسحاق بن كنداجيق^(١) على الموصل، والجزيرة، فطمع هو وابن أبي السّاج في الشام، واستصغرا أولاد أحمد، وكاتبا الموفق بالله في ذلك، واستمداه. فأمرهما بقصد البلاد ووعدهما إنفاذ الجيوش. فجمعوا وقصدا ما يجاورهما من البلاد فاستوليا عليه وأعانهما النائب بدمشق لأحمد بن طولون ووعدهما الانحياز إليهما. فتراجع من بالشام من نواب أحمد بانطاكية، وحلب، وحمص، وعصى متولي دمشق واستولى إسحاق على ذلك. وبلغ الخبر إلى أبي الجيش خمارويه بن أحمد، فسير الجيوش إلى الشام فملكوا دمشق وهرب النائب الذي كان بها.

وسار عسكر خمارويه من دمشق إلى شيزر لقتال إسحاق بن اسحاق كنداجيق، وابن أبي السّاج، فطاولهم إسحاق ينتظر المدد من العراق. وهجم الشتاء على الطائفتين وأضرّ بأصحاب ابن طولون، فتفرقوا في المنازل بشيزر. ووصل العسكر العراقي إلى كنداجيق وعليهم أبو العباس أحمد بن الموفق - وهو المعتضد بالله - فلما وصل سار مجدداً إلى عسكر خمارويه بشيزر، فلم يشعروا حتى كبسهم في المساكن، ووضع السيف فيهم فقتل منهم مقتلة عظيمة. وسار من سَلِم إلى دمشق على أقبح صورة. فسار المعتضد إليهم فجّلوا عن دمشق إلى الرملة وملك هو دمشق، ودخلها في شعبان سنة إحدى وسبعين ومائتين. وأقام عسكر ابن طولون بالرملة فأرسلوا إلى خمارويه يعرفونه الحال فخرج من مصر في عساكره قاصداً الشام.

(١) في الطبري « اسحاق بن كنداج » وقد تقدم ..

ذكر عدة حوادث

وفيهما في جمادى الاولى توفي هارون بن الموفق ببغداد يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الاولى وفيها كان فداء أهل سندية على يد بازمار^(١). وفيها في شعبان شغب أصحاب أبي العباس بن الموفق على صاعد بن مخلد - وهو وزير الموفق - وطلبوا الأرزاق وقاتلهم أصحاب صاعد، وكان بينهم حرب شديدة قتل فيها جماعة وأسروا أصحاب أبي العباس جماعة. ولم يكن أبو العباس حاضراً كان قد خرج متصيداً ودامت الحرب إلى بعد المغرب ثم كفت بعضهم عن بعض، ثم وضع العطاء من الغد واصطلحوا.

وفيهما كانت وقعة بين اسحاق بن كنداجيق وبين ابن دعباش، وكان ابن دعباش بالرقة عاملاً عليها وعلى الثغور، والعواصم لابن طولون وابن كنداجيق. على الموصل للخليفة. وفيها ابتداء اسماعيل بن موسى بناء مدينة لاردة من الأندلس، وكان مخالفاً لمحمد صاحب الأندلس ثم صالحه في العام الماضي. فلما سمع صاحب برشلونه الفرنجي جمع، وحشد وسار يريد منعه من ذلك. فسمع به إسماعيل فقصدته وقاتله فانهزم المشركون وقتل أكثرهم وبقي أكثر القتلى في تلك الأرض دهنراً طويلاً.

وفيهما توفي محمد بن اسحاق بن جعفر الصاغاني الحافظ، ومحمد بن مسلم بن عثمان المعروف بابن وارة الرازي وكان إماماً في الحديث وله فيه مصنفات^(٢). وفيها توفي داود بن عليّ الأصبهاني الفقيه إمام أصحاب الظاهر، وكان مولده سنة اثنتين ومائتين^(٣). وفيها توفي مصعب بن أحمد بن مصعب أبو أحمد الصوفي الزاهد وهو من اقران الجنيد. وفيها مات ملك الروم^(٤) وهو ابن الصقليّة. وحجّ بالناس هارون بن محمد بن محمد بن اسحاق بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن

(١) في الطبري : « أهل ساتيدما على يدي يازمان » .

(٢) كان رحمه الله أحد الحفاظ الرحالين والعلماء المتقنين مع الورع والدين والزهد.

(٣) داود بن عليّ الإمام أبو سليمان الأصبهاني ثم البغدادي الفقيه الظاهري صاحب التصانيف، روى عن أبي ثور وإبراهيم بن خالد وإسحاق بن راهويه وجماعة . وكان ناسكاً زاهداً انظر شذرات الذهب

١٥٨/٢ ، البداية والنهاية ٥١/١١ ط . دار الكتب العلمية بيروت .

(٤) في الطبري : « في هذه السنة قتل ملك الروم المعروف بابن الصقلي » .

العباس . وفيها توفي خالد بن أحمد بن خالد السدوسي الذهلي الذي كان أمير خراسان ببغداد، وكان قد قصد الحج فقبض عليه الخليفة المعتمد وحبسه فمات بالحبس . وهو الذي أخرج البخاري صاحب الصحيح من بخارى وخبره معه مشهور، فدعا عليه البخاري فأدرسته الدعوة.

ثم دخلت سنة احدى وسبعين ومائتين

ذكر خلاف محمد، وعليّ العلويين

في هذه السنة دخل محمد، وعليّ ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب المدينة، وقتلا جماعة من أهلها وأخذوا من قوم مالا. ولم يصل أهل المدينة في مسجد رسول الله ﷺ أربع جُمُعَ لا جُمُعَةً ولا جماعة فقال الفضل بن العباس العلوي في ذلك :

أُخْرِيتْ دَارُ هَجْرَةِ الْمُصْطَفَى الْبَـ رَّ فَا بَكِي خَرَابَهَا ^(١) الْمُسْلِمِينَ
عَيْنُ فَا بَكِي مَقَامَ جَبْرِيلَ وَالْقَبـ رَ فَبَكِي وَالْمَنْبَرِ الْمَيْمُونَا
وَعَلَى الْمَسْجِدِ الَّذِي أَسُهُ التَّقـ سَوَى خَلَاءَ أَمْسَى ^(٢) مِنَ الْعَابِدِينَ
وَعَلَى طَيِّبَةِ الَّتِي بَارَكَ الدُّهُ عَلَيْهَا بِخَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ ^(٣)

ذكر عزل عمرو بن الليث عن خراسان

وفيهما أدخل المعتمد إليه حاج خراسان، وأعلمهم أنه قد عزل عمرو بن الليث عما كان قلده ولعنه بحضرتهم، وأخبرهم أنه قلد خراسان محمد بن طاهر، وأمر أيضاً بلعن عمرو على المنابر فلعن. فسار صاعد بن مخلد إلى فارس لحرب عمرو، فاستخلف محمد بن طاهر رافع بن هرثمة على خراسان فلم يغير السامانية عما وراء النهر.

(١) في الطبري : « إخرأبها » .

(٢) في الطبري : « أضحي » .

(٣) وقد أورد الطبري هذا البيت أيضاً في آخرها .

تَبَحَّ اللَّهُ مَعْشِرًا أَخْرَبُوهَا وَاطَاعُوا مُتَّبِرًا مَلْعُونًا

ذكر وقعة الطواحين

وفي هذه السنة كانت وقعة الطواحين بين أبي العباس المعتضد وبين خمارويه بن أحمد بن طولون . وسبب ذلك أن المعتضد سار من دمشق بعد أن ملكها نحو الرملة إلى عساكر خمارويه فأتاه الخبر بوصول خمارويه إلى عساكره ، وكثرة من معه من الجموع . فهم بالعود فلم يمكنه من معه من أصحاب خمارويه الذين صاروا معه . وكان المعتضد قد أوحش ابن كنداجيق ، وابن أبي الساج ونسبهما إلى الجبن حيث انتظراه ليصل إليهما ففسدت نيتهما معه . ولما وصل خمارويه إلى الرملة نزل على الماء الذي عليه الطواحين فلملكه فنسبت الوقعة إليه . ووصل المعتضد وقد عبي أصحابه ، وكذلك أيضاً فعل خمارويه ، وجعل له كميناً عليهم سعيداً الأيسر .

وحملت ميسرة المعتضد على ميمنة خمارويه فانهزمت . فلما رأى ذلك خمارويه ولم يكن رأى مصافاً قبله ولّى منهزماً في نفر من الاحداث الذي لا علم لهم بالحرب ولم يقف دون مصر . ونزل المعتضد إلى خيام خمارويه - وهو لا يشك في تمام النصر - فخرج الذين عليهم سعيد الأيسر وانضاف إليه من بقي من جيش خمارويه ونادوا بشعارهم ، وحملوا على عسكر المعتضد ، وهم مشغولون بنهب السواد ، ووضع المصريون السيف فيهم . وظن المعتضد أن خمارويه قد عاد فركب ، فانهزم ولم يلو على شيء فوصل إلى دمشق ولم يفتح له أهلها بابها فمضى ، منهزماً حتى بلغ طرسوس . وبقي العسكران يضطربان بالسيف ، وليس لواحد منهما أمير . وطلب سعيد الأيسر خمارويه فلم يجده فأقام أخاه أبا العشائر ، وتمت الهزيمة على العراقيين وقُتل منهم خلق كثير وأسر كثير . وقال سعيد للعساكر : إن هذا أخو صاحبكم وهذه الأموال تنفق فيكم . ووضع العطاء فاشتغل الجند عن الشغب بالأموال . وسيّرت البشارة إلى مصر ففرح خمارويه بالظفر وخجل للهزيمة غير أنه أكثر الصدقة وفعل مع الأسرى فعلة لم يسبق إلى مثلها قبله ، فقال لأصحابه : إن هؤلاء أضيافكم فاكرموهم ثم أحضرهم بعد ذلك وقال لهم : من اختار المقام عندنا فله الإكرام والمواساة ، ومن أراد الرجوع جهّزناه وسيّرناه فمنهم من أقام ومنهم من سار مكرماً وعادت عساكر خمارويه إلى الشام ففتحتة أجمع فاستقرّ ملك خمارويه له .

ذكر الحرب بين عسكر الخليفة وعمرو الصفار

في هذه السنة عاشر ربيع الأول كانت وقعة بين عساكر الخليفة، وفيها أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وبين عمرو بن الليث الصفار. ودامت الحرب من أول النهار إلى الظهر فانهزم عمرو وعساكره، وكانوا خمسة عشر ألفاً بين فارس وراجل. وجرح الدرهمي مقدم جيش عمرو بن الليث وقتل مائة رجل من حُماتهم، وأسر ثلاثة آلاف أسير، واستأمن منهم ألف رجل. وغنموا من معسكر عمرو من الدواب، والبقر، والحمير ثلاثين ألف رأس، وما سوى ذلك فخارج عن الحد.

ذكر حروب الأندلس وأفريقية

في هذه السنة سَيَّر محمد صاحب الأندلس جيشاً مع إبنه المنذر إلى مدينة بطليوس، فزال عنها ابن مروان الجليقي، وكان مخالفاً - كما ذكرنا - وقصد حصن أشير غرة فتحصن، فأحرق المنذر بطليوس. وسَيَّر محمد أيضاً جيشاً مع هاشم بن عبد العزيز إلى مدينة سرقسطة، وبها محمد بن لب بن موسى، فملكها هاشم وأخرج منها محمداً وكان معه عمر بن خفصون، الذي ذكرنا خروجه على صاحب الأندلس، فصالحه، فلما عادوا إلى قرطبة هرب عمر بن خفصون وقصد بربشتر مخالفاً. فاهتم صاحب الأندلس به على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها سارت سرية للمسلمين عظيمة بصقلية إلى رمطة فخرَّبَتْ وغَنِمَتْ وسَبَتْ وأسرت كثيراً وعادت، وتوفي أمير صقلية - وهو الحسين بن أحمد - فولَّى بعده سواده بن محمد بن خفاجة التميمي وقدم إليها فسار عسكر كبير إلى مدينة قطنانية فأهلك ما فيها وسار إلى طبرمين فقاتل أهلها وأفسد زرعها. وتقدم فيها فاتاه رسول بطريق الروم يطلب الهدنة والمفاداة فهادنه ثلاثة أشهر وفاداه ثلاثمائة أسير من المسلمين فرجع سواده إلى بلرم.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عقد لأحمد بن محمد الطائي على المدينة، وطريق مكة. فوثب يوسف بن أبي السَّاج - وهو والي مكة - على بَذْرِ غلام الطائي - وكان أميراً على الحاج -

فحاربه وأسره فثار الجند والحاج بيوسف فقاتلوه، واستنقذوا بدرأ، وأسروا يوسف وحملوه إلى بغداد، وكانت الحرب بينهم على أبواب المسجد الحرام..

وفيها خرّبت العامة الدير العتيق الذي وراء نهر عيسى، وانتهبوا ما فيه وقلعوا أبوابه فسار إليهم الحسين بن إسماعيل صاحب شرطة بغداد من قبل محمد بن طاهر فمنعهم من هدم ما بقي منه وكان يتردد هو والعامة إليه أياماً حتى كاد أن يكون بينهم حرب. ثم بنى ما هدم بعد أيام وكانت إعادة بنائه بقوة عبدون أخي صاعد بن مخلد. وحج بالناس هارون بن محمد بن اسحاق. وفيها توفي عبد الرحمن بن محمد بن منصور البصري.

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائتين

ذكر الحرب بين اذكوتكين، ومحمد بن زيد العلوي

في هذه السنة منتصف جمادى الاولى، كانت حرب شديدة بين اذكوتكين، وبين محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان. ثم سار اذكوتكين من قزوین إلى الري ومعه أربعة آلاف فارس. وكان مع محمد بن زيد من الديلم، والطبرية، والخراسانية عالم كبير فاقتتلوا، فانهزم عسكر محمد بن زيد وتفرقوا وقتل منهم ستة آلاف وأسير ألفان. وغنم اذكوتكين وعسكره من ائقاليهم وأموالهم ودوابهم شيئاً لم يروا مثله. ودخل اذكوتكين الري فأقام بها وأخذ من أهلها مائة ألف ألف دينار وفرق عماله في أعمال الري.

ذكر عدة حوادث

فيها وقع بين أبي العباس بن الموفق وبين بازمار^(١) بطرسوس، فثار أهل طرسوس بأبي العباس فأخرجوه، فسار إلى بغداد في النصف من المحرم. وفيها توفي سليمان بن وهب في جيش الموفق^(٢) في صفر. وفيها خرج خارجي بطريق خراسان وسار إلى دسكرة الملك فقتل. وفيها دخل حمدان بن حمدون، وهارون الشاري مدينة الموصل وصلى بهم الشاري في جامعها. وفيها نقب المطبق من داخله وأخرج منه الدوباني العلوي^(٣). وفتيان معه فركبوا دواب أعدت لهم، وهربوا فأغلقت أبواب بغداد فأخذ الدوباني ومن معه. فأمر الموفق - وهو بواسط - أن تقطع يده ورجله من خلاف

(١) في الطبري « يازمان » وقد تقدم غير مرة .

(٢) في الطبري « في حبس الموفق يوم الثلاثاء » .

(٣) في الطبري « النوائي » وقد تقدم كذلك .

فقطع . وفيها قَدِمَ صاعد بن مخلد من فارس إلى واسط فأمر الموفق جميع القواد أن يستقبلوه فاستقبلوه ، وترجلوا له وقبلوا يده وهو لا يكلمهم كبراً وتيهاً . ثم قبض الموفق عليه ، وعلى جميع أهله ، وأصحابه ، ونهب منازلهم بعد أيام . وكان قبضه في رجب . وقبض ابنه أبو عيسى ، وصالح ، وأخوه عبدون ببغداد . واستكتب مكانه أبا الصقر إسماعيل بن بلبل ، واقتصر به على الكتابة دون غيرها .

وفيها نزل بنو شيان ومن معهم بين الزانين من أعمال الموصل ، وعاثوا في البلد وأفسدوا . وجمع هارون الخارجي على قصبهم ، وكتب إلى حمدان بن حمدون التغلبي في المجيء إليه إلى الموصل . فسار هارون نحو الموصل وسار حمدان ومن معه إليه فعبروا إليه بالجانب الشرقي ، من دجلة ، وساروا جميعاً إلى نهر الخازر وقاربوا حلل بني شيان ، فوافقه طليعة لبني شيان على طليعة هارون ، فانهزمت طليعة هارون وانهزم هارون وجلا أهل نينوى عنها إلا من تحصن بالقصور . وفيها زُلِزَت مِصْرَ في جمادى الآخرة زلزلة شديدة أخرجت الدور والمسجد الجامع ، وأحصي بها في يوم واحد ألف جنازة . وفيها غلا السعري ببغداد ، وكان سببه أن أهل سامراء منعوا من انحدار السفن بالطعام ، ومنع الطائي أرباب الضياع من الدياس لتغلو الاسعار . ومنع أهل بغداد عن سامراء الزيت ، والصابون ، وغير ذلك . واجتمعت العامة ووثبوا بالطائي فجمع أصحابه وقاتلهم فخرج بينهم جماعة وركب محمد بن طاهر وسكن الناس وصرقهم عنه . وفيها توفي إسماعيل بن بركة الهاشمي في سؤال ، وعبيد الله بن عبد الله الهاشمي . وفيها تحركت الزنج بواسط وصاحوا انكلاي يا منصور وكان هو ، والمهلي ، وسليمان بن جامع ، وجماعة من قوادهم في حبس الموفق ببغداد . وكتب الموفق بقتلهم ، فقتلوا . وأرسلت رؤوسهم إليه وصُلبت أبدانهم ببغداد . وفيها صلح أمر مدينة رسول الله ﷺ وتراجع الناس إليها .

وفيها غزا الصائفة بازمار ، وحج بالناس هارون بن محمد بن اسحاق . وفيها سير صاحب الأندلس إلى ابن مروان الجليقي - وهو بحصن أشيرغرة - فحصره وضيّقوا عليه . وسير جيشاً آخر إلى محاربة عمر بن حفصون بحصن بربشتر^(١) وفيها انقضت الهدنة بين سودة أمير صقلية ، والروم ، فأخرج سودة السرايا إلى بلد الروم بصقلية

(١) بَرْبَشْتَر : مدينة عظيمة في شرقي الأندلس من أعمال بریطانية .

فغَنِمَتْ وعادت . وفيها قَدِمَ من القسطنطينية بطريق يقال له : أنجفور في عسكر كبير فنزل على مدينة سبرينة فحصرها وضيق على من بها من المسلمين فسلموها على أمان ولحقوا بأرض صقلية . ثم وجَّه أنجفور عسكراً إلى مدينة متية ، فحصرها حتى سلَّمها أهلها بأمان إلى بلرم من صقلية . وفيها مات أبو بكر محمد بن صالح بن عبد الرحمن الأنماطي المعروف بكنجلة - وهو أصحاب يحيى بن معين - وهو لقبه . وفيها توفي أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عطاردي العطاردي التميمي ، وهو يروي مغازي ابن اسحاق عن يونس عن ابن اسحاق ومن طريقه سمعناه . وفيها توفي إبراهيم بن الوليد بن الخشخاش . وفيها توفي شُعَيْب بن بَكَّار الكاتب ، وله حديث عن أبي عاصم النبيل :

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين

ذكر الاختلاف بين ابن أبي السَّاج وابن كنداج، والخطبة بالجزيرة لابن طولون

في هذه السَّنة فسُدَّ الحال بين محمد بن أبي السَّاج واسحاق بن كنداج، وكانا متفقين في الجزيرة. وسبب ذلك أن ابن أبي السَّاج نافر اسحاق في الأعمال وأراد التقدم وامتنع عليه اسحاق. فأرسل ابن أبي السَّاج إلى خمارويه بن أحمد بن طولون، صاحب مصر وأطاعه، وصار معه وخطب له بأعماله - وهي قنسرين - وسير ولده ديوداد إلى خمارويه رهينة. فأرسل إليه خمارويه مالاً جزيلاً ولقَّوْاده. وسار خمارويه إلى الشام فاجتمع هو وابن أبي السَّاج ببالس. وعبر ابن أبي السَّاج الفُرات إلى الرِّقة، فلقيه ابن كنداج وجرى بينهما حرب انهزم فيها ابن كنداج واستولى ابن أبي السَّاج على ما كان لابن كنداج. وعبر خمارويه الفُرات ونزل الرافقة، ومضى اسحاق منهزماً إلى قلعة ماردين، فحصره ابن أبي السَّاج، وسار عنها إلى سِنْجَار فأوقع بها بقوم من الأعراب. وسار ابن كنداج من ماردين نحو الموصل فلقيه ابن أبي السَّاج بيرقعيد فكَمَنَ كميناً فخرجوا على ابن كنداج. وقت القتال، فانهزم عنها وعاد إلى ماردين فكان فيها. وقوي ابن أبي السَّاج وظهر أمره واستولى على الجزيرة، والموصل، وخطب لخمارويه فيها ثم لنفسه بعده.

ذكر وقعة بين عسكر ابن أبي السَّاج والشرارة

لما استولى ابن أبي السَّاج على الموصل، أرسل طائفة من عسكره مع غلامه قَتَحَ - وكان شجاعاً مقداماً عنده - إلى المرج من أعمال الموصل، فساروا إليها، وجبوا الخراج منها. وكان اليعقوبية الشرارة بالقرب منه، فأرسل إليهم فهادنهم، وقال: إنما مقامي بالمرج مدة يسيرة، ثم ارحل عنه فسكنوا إلى قوله وتفرقوا فنزل بعضهم بالقرب من سوق الأحد. فأسرى إليهم فتح في السَّحر فكَبَسَهُمْ وأخذ أموالهم وانهزم الرِّجال

عنه. وكان باقي اليعقوبية قد خرجوا إلى أصحابهم الذين أوقعَ بهم فتحٌ من غير أن يعلموا بالوقعة فلقِيَهُم المنهزمونُ مِنْ أصحابهم، فاجتمعوا وعادوا إلى فتح فقاتلوه، وحملوا حملة رجل واحد، فهزموه وقتلوا من أصحابه ثمانمائة رجل. وكان أصحابه ألف رجل فأفلتَ في نحو مائة رجل وتفرَّق مائة في القرى واختفوا، وعادوا إلى المُوَصِّل متفرقين، وأقاموا بها.

ذكر وفاة محمد بن عبد الرحمن وولاية ابنه المنذر

في هذه السَّنة تُوفي محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي صاحب الأندلس سلخ صفر. وكان عمره نحواً من خمس وستين سنة. وكانت ولايته أربعاً وثلاثين سنة، وأحد عشر شهراً. وكان أبيض مشرباً بحمرة ربعة، أوقص يخضب بالحناء، والكتم، وخَلَفَ ثلاثة وثلاثين ولداً ذكوراً. وكان ذكياً فطناً بالأمور المشتبهة متعانياً منها: ولما مات ولَّى بعده ابنه المنذر بن محمد بُويعَ له بعد موت أبيه بثلاث ليالٍ وأطاعه الناس وأحسنَ إليهم.

ذكر عدَّة حوادث

وفيها أيضاً كانت وقعة بالرقَّة في جمادى الاولى بين اسحاق بن كنداجيق وبين محمد بن أبي السَّاج انهزم اسحاق، ثم كانت بينهما وقعة أخرى في ذي الحجة فانهزم اسحاق أيضاً. وفي هذه السَّنة وثَّب أولاد ملك الروم على أبيهم فقتلوه وملك أحدهم بعده. وفيها قبض الموفق على لؤلؤ غلام ابن طولون الذي كان قَدِمَ عليه بالأمان حين كان يقاتل الزنج بالبصرة. ولما قبضه قيده وضيق عليه وأخذ منه أربعمائة ألف دينار فكان لؤلؤ يقول: ليس لي ذنب إلا كثرة مالي، ولم تزل أموره في أدبار إلى أن افتقر، ولم يبقَ له شيء، ثم عاد إلى مصر في آخر أيام هارون بن خمارويه فريداً وحيداً بغلام واحد. فكان هذا ثمرة العقل السخيف وكفر الإحسان وحج بالناس فيها هارون بن محمد بن اسحاق.

وفيها ثار السودان بمصر وحصروا صاحب الشرطة فسمع خمارويه بن أحمد بن طولون الخبر فركب وفي يده سيف مسلول وقصد دار صاحب الشرطة وقتل كل من لقيه من السودان فانهزموا منه، وأكثر القتل فيهم وسكنت مصر وأمن الناس. وفيها مات أبو

داود سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب كتاب السنن، ومحمد بن زيد بن ماجة القزويني، وله أيضاً كتاب السنن، وكان عاقلاً إماماً عالماً. وتوفي الفتح بن شحرف أبو داود الكشي الصوفي، وكان موته ببغداد، وهو من أصحاب الأحوال الشريفة، وتوفي حنبل بن اسحاق.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائتين

ذكر الحرب بين عسكر عمرو بن الليث وبين عسكر الموفق

في هذه السنة سار الموفق إلى فارس لحرب عمرو بن الليث الصفار، فبلغ الخبر إلى عمرو فسير العباس بن إسحاق في جمع كبير من العسكر إلى سيراف. وأنفذ ابنه محمد بن عمرو إلى أرجان. وسير أبا طلحة شريك صاحب جيشه على مقدمته، فاستأمن أبو طلحة إلى الموفق وسمع عمرو ذلك، فتوقف عن قصد الموفق، ثم أن أبا طلحة عزم على العود إلى عمرو، فبلغ الموفق خبره، فقبض عليه بقرب شيراز، وجعل ماله لابنه المعتضد أبي العباس. وسار يطلب عمراً، فعاد عمرو إلى كرمان، ومنها إلى سجستان على المفازة فتوفي ابنه محمد بالمفازة. ولم يقدر الموفق على أخذ كرمان، وسجستان من عمرو، فعاد عنه.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا بازمار^(١) فأوغل في أرض الروم، فأوقع فيها بكثير من أهلها، وقتل، وغنم وسبى وأسرى، وعاد سالماً إلى طرسوس. وفيها دخل صديق الفرغاني دوز سامرا. فنهبها وأخذ أموال التجار منها، وأفسد وكان صديق هذا يخفر الطريق، ويحميه ثم صار يقطعها، وحج بالناس هارون بن محمد. وفيها توفي أبو العباس بن الكبش بن المتوكل، وكان قد حبسه أخوه المعتمد ثم أطلقه. وفيها توفي الحسن بن مكرم، وعلي بن عبد الحميد الواسطي. وفيها جمع اسحاق بن كنداج جمعاً كثيراً، وسار نحو الشام فبلغ الخبر خمارويه، فسار إليه وقد عبر الفرات، فالتقيا، وجرى بين الطائفتين قتال شديد، انهزم فيه إسحاق هزيمة عظيمة، لم يرد شيء حتى عبر الفرات وتحصن

(١) في الطبري : « يازمان » .

بها. وسار خمارويه إلى الفرات فعمل جسراً. فلما عَلِمَ اسحاق بذلك سار من هناك إلى قلاع له قد أعدها وحصّنها. وأرسل إلى خمارويه يخضع له ويبدل له الطاعة في جميع ولايته، وهي الجزيرة وما والاها فأجابه إلى ذلك، وصالحه ابن أبي السّاج، وجمع جمعاً كثيراً، وسار نحو الشام قاصداً منازعة خمارويه حيث كان أبعد إلى مصر فبلغ الخبر خمارويه، فخرج عن مصر في عساكره فالتقى في البثنية من أعمال دمشق. فاقتلا قتالاً عظيماً انهزم ابن أبي السّاج، وعاد منهزماً حتى عبر الفرات فأحضر خمارويه ولد ابن أبي السّاج، وكان رهينة عنده فخلع عليه وأطلقه وسيّره إلى أبيه وعاد إلى مصر.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائتين ذكر الاختلاف بين خمارويه وابن أبي السَّاج

قد ذكرنا اتفاق ابن أبي السَّاج، وخمارويه بن طولون، وطاعة ابن أبي السَّاج له، فلما كان الآن خالف ابن أبي السَّاج على خمارويه. فسمع خمارويه الخبر، فسار عن مصر في عساكره نحو الشام فقدم إليه آخر سنة أربع وسبعين، فسار ابن أبي السَّاج إليه، فالتقوا عند ثنية العقاب بقرب دمشق. واقتتلوا في المحرم من هذه السنة، وكان القتال بينهما. فانهزمت ميمنة خمارويه وأحاط باقي عسكره بابن أبي السَّاج ومن معه. فمضى منهزماً واستبيح معسكره، وأخذت الأثقال والدواب وجميع ما فيه. وكان قد خلف بجمص شيئاً كثيراً، فسير إليه خمارويه قائداً في طائفة من العسكر جريدة، فسبقوا ابن أبي السَّاج إليها، ومنعوه من دخولها والاعتصام بها، واستولوا على ماله فيها. فمضى ابن أبي السَّاج منهزماً إلى حلب، ثم منها إلى الرقة فتبعه خمارويه ففارق الرقة، فعبّر خمارويه الفرات، وسار في أثر ابن أبي السَّاج، فوصل خمارويه إلى مدينة بلد، وكان قد سبقه ابن أبي السَّاج إلى الموصل. فلما سمع ابن أبي السَّاج بوصوله إلى بلد، سار عن الموصل إلى الحديثة. وأقام خمارويه ببلد وعمل له سريراً طويلاً الأرجل، فكان يجلس عليه في دجلة، هكذا ذكر أبو زكريا يزيد بن أياس الأزدي الموصلي، صاحب تاريخ الموصل، أن خمارويه وصل إلى بلد، وكان إماماً فاضلاً عالماً بما يقول، وهو يشاهد الحال.

ذكر الحرب بين ابن كنداج وابن أبي السَّاج

لما انهزم ابن كنداج من ابن أبي السَّاج، كما ذكرناه، أقام إلى أن انهزم ابن أبي السَّاج من خمارويه. فلما وافى خمارويه بلداً أقام بها وسير مع اسحاق بن كنداج جيشاً كثيراً، وجماعة من القواد، ورحل يطلب ابن أبي السَّاج، فمضى بين يديه وابن كنداج

يتبعه إلى تكريت. فَعَبَّرَ ابن أبي السَّاج دَجَلَةَ، وأقام ابن كنداج وجمع السفن ليعمل جسراً يعبر عليه. وكان يجري بين الطائفتين مَرَامَةً. وكان ابن أبي السَّاج في نحو ألفي فارس، وابن كُنداج في عشرين ألفاً. فلما رأى ابن أبي السَّاج اجتماع السفن سار عن تكريت إلى الموصل ليلاً، فوصل إليها في اليوم الرابع، فنزل بظاهرها عند الدَّير الأعلى. وسار ابن كنداج يتبعه فَوَصَلَ إلى العَرِيق^(١). فلما سَمِعَ ابن أبي السَّاج خَبْرَهُ، سار إليه فالتقوا واقتتلوا عند قَصْرِ حرب، فاشتدَّ القتال بينهم وصَبَرَ مُحَمَّد بن أبي السَّاج صبراً عظيماً، لأنه كان في قَلَةٍ، فنصره الله، وانهزم ابن كُنداج، وجميع عسكره، ومضى منهزماً. وكان أعظم الأسباب في هزيمته بغيه فإنه لما قيل له: ان ابن أبي السَّاج قد أقبل نحوك من الموصل ليقاتلك، قال: استقبل الكلب. فعَدَّ الناس هذا بغياً وخافوا منه، فلما انهزم، وسار إلى الرِّقَّة، وتبعه مُحَمَّد إليها، وكتب إلى أبي أحمد الموفق يعرفه ما كان منه ويستأذنه في عبور الفُرات إلى الشام بلاد خمارويه. فكتب إليه الموفق يشكره ويأمره بالتوقف إلى أن يصله الإمداد من عنده.

وأما ابن كنداج، فإنه سار إلى خمارويه، فسير معه جيشاً فوصلوا إلى الفرات. فكان اسحاق بن كنداج على الشام، وابن أبي السَّاج بالرِّقَّة ووَكَّل بالفرات من يمنع من عبورها، فبقوا كذلك مدة. ثم إن ابن كنداج سير طائفة من عسكره، فعبروا الفرات في غير ذلك الموضع، وساروا فلم تشعر طائفة من عسكر ابن أبي السَّاج. كانوا طليعة إلا وقد أوقعوا بهم، فانهزموا من عسكر اسحاق إلى الرِّقَّة، فلما رأى ابن أبي السَّاج ذلك سار عن الرِّقَّة إلى الموصل. فلما وصل إليها طلب من أهلها المساعدة بالمال، وقال لهم: ليس بالمضطّر مروءة. فأقام بها نحو شهر وانحدر إلى بغداد فاتصل بأبي أحمد الموفق، في ربيع الأول من سنة ست وسبعين ومائتين، فاستصحبه معه إلى الجبل وخلع عليه، ووصله بمال. وأقام ابن كُنداج بديار ربيعة، وديار مَضَر من أرض الجزيرة.

ذكر الحرب بين الطائي وفارس العبدي

وفيهما ظهر فارس العبدي في جمع، فأخاف السبيل، وسار إلى دُور سامراء، ونهب فسار إليه الطائي مقاتلاً، فهزمه الطائي وأخذ سواده، ثم سار الطائي إلى دجلة

(١) في معجم البلدان « العَرِيق » بالفاء، وهو اسم رمل بعينه لبني سعد.

ليعبرها، فدخل طيارة له فادركه بعض أصحاب فارس فتعلقوا بكوثل الطيارة فرمى الطائي نفسه في الماء وسبح. فلما خرج منه نَفَضَ لحيته وقال: « ايش ظن العبدى أليس أنا أسبح من سمكة. » ثم نزل الطائي السن والعبدى بإزائه وقال علي بن بسام في الطائي:

قد أقبل الطائي ما أقبلا بفتح في الأفعال ما أجملًا^(١)
كأنه من لين ألفاظه صبيّة تمضغ جهد البلا

وجهد البلا ضرب من النافط يتعلك. وفيها قبض الموفق على الطائي وقيدته وختم على كل شيء له. وكان يلي الكوفة، وسوادها، وطريق خراسان، وسامرا، والشرطة ببغداد، وخراج بادوريا، وقطربل، ومسكن.

ذكر قبض الموفق على ابنه المعتضد بالله

في هذه السنة في شوال، قبض الموفق على ابنه المعتضد بالله أبي العباس أحمد. وسبب ذلك أن الموفق دخل إلى واسط، ونزل بها ثم عاد إلى بغداد وتخلّف المعتمد على الله بالمدائن. وأمر الموفق ابنه أن يسير إلى بعض الوجوه، فقال: « لا أخرج إلا إلى الشام، لأنها الولاية التي ولائها أمير المؤمنين ». فلما امتنع عليه أمر بإحضاره، فلما حضر أمر بعض خدّمه أن يجسه في حجرة في داره. فلما قام المعتضد تقدّم إليه الخادم وأمره بدخول تلك الدار، فدخل، ووكّل به فيها. وثار القواد من أصحابه، ومن تبعهم، وركبوا وأضطربت بغداد لما رأوا السلاح والقواد. فركب الموفق إلى الميدان وقال لهم: « ما شأنكم أترؤن أنكم أشفق على ولدي مني؟ » وقد احتجّت إلى تقويمه، فانصرفوا.

وفي هذه السنة سار الطائي إلى سامرا بسبب صديق، فراسله وأمنه، ودخل سامرا في جماعة من أصحابه فأخذهم الطائي وقطع أيديهم، وأرجلهم، من خلاف وحملهم إلى بغداد. وفيها غزا بازمار^(٢) في البحر فغنم من الروم أربع مراكب.

(١) في الطبري:

قد أقبل الطائي لا أقبلا قبح في الأفعال ما أجملًا

(٢) في الطبري « يازمان » وقد تقدم.

ذكر استيلاء رافع بن هرثمة على جرجان

في هذه السنة سار رافع بن هرثمة، إلى جرجان فأزال عنها محمد بن زيد. وسار محمد إلى إسترأباد، فحصره فيها رافع، وأقام عليه تحوشتين فغلت الأسعار بحيث لم يوجد ما يؤكل، وبيع وزن درهم ملح بدرهمين فضة. وفارقها محمد بن زيد ليلاً في نفر يسير إلى سارية. فسير إليه رافع عسكرياً فتحاربوا، وسار محمد عن سارية وعن طبرستان، وذلك في ربيع الأول سنة سبع وسبعين ومائتين.

واستأمن رستم بن قارن إلى رافع بطبرستان، فصاهره ابن قولة. وقدم على رافع - وهو بطبرستان - علي بن الليث، وكان قد حبسه أخوه عمرو بكرمان فاحتال، حتى تخلص هو وابناه المعدل، والليث. وأنفذ رافع إلى شالوس محمد بن هارون نائباً عنه فأتاه بها علي بن كالي مستأماً، فأتاهما محمد بن زيد وحصرهما بشالوس، وأخذ الطريق عليهما، فلم يصل منهما إلى رافع خبر. فلما تأخر خيرهما عنه أرسل جاسوساً يأتيه بأخبارهما، فعاد إليه فاخبره بحصر محمد بن زيد أيهما بشالوس، فعظم عليه، وسار إليهما، فرحل عنهما محمد بن زيد إلى أرض الديلم. فدخل رافع خلفه أرض الديلم فخرقها، حتى اتصل بحدود قزوین، وعاد إلى الري، وأقام بها إلى أن توفي الموفق في رجب سنة ست وسبعين ومائتين.

ذكر وفاة المنذر بن محمد الأموي

وفيهما في المحرم توفي المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي صاحب الأندلس. وقيل: في صفر، وكانت ولايته سنة واحدة وأحد عشر شهراً وعشرة أيام. وكان عمره نحواً من ستة وأربعين سنة، وكان أسمر، طويلاً بوجهه أثر جدري، جعداً، كث اللحية، وخلف ستة ذكور. وكان جواداً يصل الشعراء ويحب الشعر. ولما توفي بوبع أخوه عبد الله بن محمد بوبع له يوم موت أخيه. وكُنِيَتْهُ أبو محمد، أمه أم ولد اسمها عشار، توفيت قبل ابنها بسنة. وفي أيامه امتلأت الأندلس بالفتن وصار في كل جهة متغلب ولم تزل كذلك طول ولايته.

ذكر عدة حوادث

وفيهما توفي أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي وهو صاحب

أحمد بن حنبل، وعبد الله بن يعقوب بن اسحاق العطار الموصلي التميمي، وكان كثير الحديث والرواية، وكان معدلاً عند الحكام. وفيها توفي أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله البكري النحوي اللغوي المشهور صاحب التصانيف، وقيل: توفي سنة سبعين والأول أصح.

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين

في هذه السنة جعلت شرطة بغداد إلى عمرو بن الليث، وكتب اسمه على الأعلام، والترسة وغيرها. وكان ذلك في سؤال^(١)، ثم ترتب في الشرطة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر من قبل عمرو، ثم أمره بطرح اسم عمرو عن الأعلام وغيرها في سؤال من هذه السنة. وفيها في منتصف ربيع الأول، سار الموفق إلى بلاد الجبل. وسبب مسيره أن الماذرائي كاتب إذكوثكين، أخبره أن له هناك مالاً عظيماً، وأنه إن سار معه أخذه جميعه، فسار إليه فلم يجد المال. فلما لم يجد شيئاً سار إلى الكرج، ثم إلى أصبهان، يريد أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف. فتنحى أحمد عن البلد بجيشه وعياله وترك داره بفرشها لينزلها الموفق إذا قدم. وفيها استعمل الموفق بالله على اذربيجان ابن أبي الساج فسار إليها فخرج إليه عبد الله بن الحسن الهمداني، صاحب مراغة ليصده عنها، فحاربه، فانهزم عبد الله وحصر وأخذت منه سنة ثمانين ومائتين، كما نذكره. واستقر ابن أبي الساج لعمله.

وفيها قتل عامل الموصل لابن كنداج إنساناً من الخوارج اسمه نعيم. فسمع هارون مقدم الخوارج بذلك وهو بحديثة الموصل، فجمع أصحابه، وسار إلى الموصل يريد حرب أهلها، فنزل شرقي دجلة. فأرسل إليه أعيانهم، ومقدموهم يسألونه ما الذي أقدمه؟ فذكر قتل نعيم فقالوا: إنما قتله عامل السلطان من غير اختيار منا وطلبوا منه الأمان ليحضروا عنده يعتذرون ويتبرأون من قتله فأمنهم. فخرج إليه جماعة من أهل الموصل وأعيانهم وتبرأوا من قتله فرحل عنهم. وفيها عاد حجاج اليمن عن مكة فترلوا وادياً فأتاهم السيل فحملهم جميعهم وألقاهم في البحر. وفيها توفي أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي البصري، وكان يسكن بغداد.

(١) في الطبري «وذلك في المحرم».

وفيه ورد الخبر بإنفراج تل من نهر البصرة يعرف بتل شقيق^(١) عن سبعة أقبر فيها سبعة أبدان صحيحة، والقبور في شبه الحوض عن حجر في لون المسن عليه كتاب لا يدري ما هو، وعليهم أكفان جدد ويفوح منها ريح المسك، أحدهم شاب له جمعة، وعلى شفثيه بلل كأنه قد شرب ماء، وكأنه قد كحل وبه ضربة في خاصرته.

وحج بالناس هارون بن محمد الهاشمي . وفيها توفي أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، صاحب كتاب أدب الكاتب، وكتاب المعارف، وهو كوفي، وإنما قيل له: الدينوري لأنه كان قاضيها، وقيل: مات سنة سبعين، وأبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله الشكري النحوي الراوية، وكان مولده سنة اثنتي عشرة ومائتين . وفيها توفي محمد بن عليّ أبو جعفر القصاب الصوفي، وهو من أقران السري، وصحبه الجنيد كثيراً.

(١) في الطبري : وفيها ورد الخبر بانفراج تل بنهر الصلة - ويعرف بتل بني شقيق .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائتين

في هذه السنة دعا بازمار بطرسوس لخماریه بن أحمد بن طولون. وسبب ذلك أن خماریه أنفذ إليه ثلاثين ألف دينار، وخمسمائة ثوب، وخمسمائة مطرف، وسلاحاً كثيراً. فلما وصل إليه دعا له ثم وجه إليه بخمسين ألف دينار. وفيها في ربيع الآخر، كان بين وصيف خادم ابن أبي السَّاج، والبرابرة أصحاب أبي الصُّقر فتنة فاقتتلوا، فقتل بينهم جماعة، كان ذلك بباب الشام، فركب ابو الصقر ففرقهم^(١). وفيها ولَّى يوسف بن يعقوب المظالم، وأمر من ينادي من كانت له مظلمة قبل الأمير الناصر لدين الله الموفق أو أحد من الناس فليحضر. وفيها في شعبان قَدِمَ بغداد قائدٌ عظيم من قواد خماریه بن أحمد بن طولون في جيش عظيم. وحج بالناس هارون بن محمد بن عيسى الهاشمي. وفيها توفي أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي المثنى الموصلی، وكان كثير الحديث وهو من أهل الصدق والأمانة. وفيها توفي أبو حاتم الرازي، واسمه محمد بن ادريس بن المنذر، وهو من أقران البخاري، ومسلم، ومات فيها يعقوب بن سفيان بن حوَّان السري، وكان يتشيع ويعقوب بن يوسف بن معقل الأموي، والد أبي العباس الأصم. وفيها توفيت عُرْب المَغْنِيَة المأمونية، وقيل: إنها ابنة جَعْفَر بن يحيى بن خالد بن برمك وكان مولدها سنة إحدى وثمانين ومائة. وفيها توفي أبو سعيد الخراز واسمه أحمد بن عيسى وقيل: سنة ست وثمانين والأول أشبه بالصواب، (الخراز) بالخاء المعجمة والراء والزاي.

(١) في الطبري: «فسكنهم».

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين

ذكر الفتنة ببغداد

فيها كانت الحرب ببغداد بين أصحاب، وصيف الخادم، والبربر، وأصحاب موسى ابن أخت مفلح، أربعة أيام من المحرم، ثم اصطلحوا، وقد قتل بينهم جماعة . ثم وقع بالجانب الشرقي وقعة بين النصريين وأصحاب يونس، قتل فيها رجل ثم انصرفوا .

ذكر وفاة الموفق

وفيها توفي أبو أحمد الموفق بالله بن المتوكل . وكان قد مَرَضَ في بلاد الجبل، فانصرف ، وقد اشتدَّ به وجع النقرس ، فلم يقدر على الركوب ، فعمل له سرير عليه قبة، فكان يقعد عليه، وخادم له يبرد رجله بالأشياء الباردة حتى أنه يضع عليها الثلج . ثم صارت علة برجله داء الفيل - وهو ورم عظيم يكون في السَّاق يسيل منه ماء - وكان يحمل سريره أربعون رجلاً بالنوبة، فقال لهم يوماً: قد ضَجَرْتُ من حملي بوَدِّي أن أكون كواحد منكم أحمل على رأسي وأكِل^(١) وأنا في عافية . وقال في مرضه: أطبق ديواني على مائة ألف مرتزق، ما أصبح فيهم أسوأ حالاً مني، فوصل إلى داره لليلتين خلتا من صَفَرٍ وشاعَ موته بعد انصراف أبي الصَّقَر من داره، وكان تقدم بحفظ أبي العباس فأغْلِقَتْ عليه أبواب دون أبواب وقوي الإرجاف بموته، وكان قد اعترته غشية .

فوجَّه أبو الصَّقَر إلى المدائن، فحمل منها المعتمد وأولاده فجيء بهم إلى داره، ولم يسر أبو الصَّقَر إلى دار الموفق، فلما رأى غلمان الموفق المائلون إلى أبي العباس، والرؤساء من غلمان أبي العباس ما نزل بالموفق كسروا الاقفال، والأبواب المغلقة على

(١) أكِل : أتعب .

أبي العباس . فلما سمع أبو العباس ذلك ظن أنهم يريدون قتله وأخذ سيفه بيده ، وقال لغلام عنده : « والله لا يصلون إليّ وفيّ شيء من الروح » . فلما وصلوا إليه رأى ، في أولهم غلامه وصيفاً مُوشِكِر ، فلما رآه ألقى السيف من يده ، وعلم أنهم ما يريدون إلا الخير : فأخرجوه ، وأعدوه عند أبيه فلما فتح عينه رآه فقربه وأدناه إليه . وجمع أبو الصقر عنده القوّاد والجُنْد ، وقطع الجسرين ، وحاربه قوم من الجانب الشرقي فقتل بينهم قتلى .

فلما بلغ الناس أنّ الموفق حيّ ، حضر عنده محمد بن أبي السّاج ، وفارق أبا الصّقر ، وتسلسل القوّاد والناس عن أبي الصّقر . فلما رأى أبو الصّقر ذلك حضر هو ، وابنه دار الموفق فما قال له الموفق شيئاً مما جرى ، فأقام في دار الموفق . فلما رأى المعتمد أنه بقي في الدّار نزل هو ، وبنوه ، ويكتمّر ، فركبوا زورقاً فلقيهم طيّار لأبي ليلى بن عبد العزيز بن أبي دلف ، فحمّله فيه إلى دار عليّ بن جهشيار . وذكر أعداء أبي الصّقر أنه أراد أن يتقرّب إلى المعتمد بمال الموفق وأسبابه ، وأشاعوا ذلك عنه عند أصحاب الموفق ، فنهّب دار أبي الصّقر حتى أُخرجت نساؤه منها حفاة بغير أزر ، ونهب ما يجاوره من الدّور ، وكُسِرت أبواب السجون ، وخرج من كان فيها .

وخلع الموفق على ابنه أبي العباس وعلى أبي الصّقر وركبا جميعاً . فمضى أبو العباس إلى منزله وأبو الصّقر إلى منزله ، وقد نهب . فطلب حصيرةً يقعد عليها عارية . فولّى أبو العباس غلامه بدرأ الشرطة ، واستخلف محمد بن غانم بن الشاه على الجانب الشرقي .

ومات الموفق يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر من هذه السنة ، ودفن ليلة الخميس بالرّصافة ، وجلس أبو العباس للتّعزية . وكان الموفق عادلاً حسن السيرة يجلس للمظالم ، وعنده القضاة وغيرهم ، فيتصف الناس بعضهم من بعض وكان عالماً بالأدب ، والنسب ، والفقه ، وسياسة الملك ، وغير ذلك . قال يوماً : إن جدّي عبد الله بن العباس قال : « إن الذباب ليقع على جليسي فيؤذيني ذلك - وهذا نهاية الكرم - وأنا والله أرى جلسائي بالعين التي أرى بها اخواني . والله لو تهيا لي أن أغير أسماءهم لنقلتها من الجلساء إلى الأصدقاء والاخوان » .

وقال يحيى بن عليّ : دعا الموفق يوماً جلساءه فسبقتهم وحدي فلما رأني وحدي

أنشد يقول :

وأستصحب الأصحابَ حتى إذا دنوا وملّوا من الإدلاج جثتكم وحدي
فدعوت له ، واستحسنّت إنشاده في موضعه . وله محاسن كثيرة ليس هذا موضع
ذكرها .

ذكر البيعة للمعتضد بولاية العهد

لما مات الموفق اجتمع القوّاد وبايعوا ابنه أبا العبّاس ، بولاية العهد بعد المفوض
ابن المعتمد ولقّب المعتضد بالله ، وخطب له يوم الجمعة بعد المفوض ، وذلك لسبع
ليالٍ بقين من صفر . واجتمع عليه أصحاب أبيه وتولّى ما كان أبوه يتولاه . وفيها قبض
المعتمد على أبي الصّقر وأصحابه ، وانتهب منازلهم . وطلب بني الفرات فاخطفوا .
وخلع على عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وولّاه الوزارة . وسير محمد بن أبي السّاج إلى
واسط ليرد غلامه وصيفاً إلى بغداد ، فمضى وصيف إلى السوس ، فعاث بها ونهب
الطيب وأبى الرجوع إلى بغداد . وفيها قتل عليّ بن الليث أخو الصّفار قتله رافع بن
هرثمة ، وكان قد يحقّ به ، وترك أخاه . وفيها غار ماء النيل فغلت الأسعار بمصر .

ذكر ابتداء أمر القرامطة

وفيها تحرّك بسواد الكوفة قومٌ يعرفون بالقرامطة . وكان ابتداء أمرهم ، فيما ذكر ،
أن رجلاً منهم قديمٌ من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة ، فكان بموضع يُقال له :
النهرين ، يُظهرُ الزُّهد ، والتّقشف ، ويسف الخوص^(١) ويأكل من كسب يده ، ويكثرُ
الصلاة ، فأقام على ذلك مدة . فكان إذا قعد إليه رجلٌ ذاكره أمر الدين وزُهدِه في الدنيا ،
وأعلمه أنّ الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كلّ يوم وليلة ، حتى فشا
ذلك عنه بموضعه . ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمامٍ من آل بيت الرسول ، فلم يزل على
ذلك حتى استجاب له جمع كثير . وكان يقعد إلى بقالٍ هناك ، فجاء قوم إلى البقال
يطلبون منه رجلاً يحفظ عليهم ما صرموا من نخلهم فدلّهم عليه ، وقال لهم : « ان
أجابكم إلى حفظ تمركم فإنه بحيث تحبون ، فكلّموه في ذلك » . فأجابهم على أجرة
معلومة فكان يحفظ لهم ويصلّي أكثر نهاره ويصوم ، ويأخذ عند افطاره من البقال رطل

(١) يسف الخوص : ينسجه .

تمر، فيفطر عليه، ويجمع نوى ذلك التمر ويعطيه البقال. فلما حمل التجار تمرهم حاسبوا أجيرهم عند البقال، ودفعوا إليه أجرته. وحاسب الأجير البقال على ما أخذ منه من التمر وحط ثمن النوى. فسمع أصحاب التمر محاسبته للبقال بثمر النوى، فضربوه وقالوا له: لم ترضَ بأكلِ تمرنا حتى بعتَ النوى. فقال لهم البقال: لا تفعلوا. وقصَّ عليهم القصة، فندموا على ضربه، واستحلوا منه، ففعل، وازداد بذلك عند أهل القرية ^(١) لما وقفوا عليه من زهده.

ثم مرض فمكث على الطريق مطروحاً، وكان في القرية رجل أحمر العينين يحمل على أثوار له يسمونه كرمية لحمرة عينيه - وهو بالنبطية أحمر العين - فكلم البقال الكرمية في حمل المريض إلى منزله والعناية به، ففعل وأقام عنده حتى برأ. ودعا أهل تلك الناحية إلى مذهبه فأجابوه. وكان يأخذ من الرجل إذا أجابه ديناراً ويزعم أنه للإمام، واتخذ منهم اثني عشر نقيماً أمرهم أن يدعوا الناس إلى مذهبهم، وقال: أنتم كحواري عيسى ابن مريم. فاشتغل أهل كور تلك الناحية ^(٢) عن أعمالهم بما رسم لهم من الصلوات.

وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع فرأى تقصير الأكرة في عمارتها، فسأل عن ذلك، فأخبر بخبر الرجل فأخذه، وجبسه وحلف أن يقتله لما اطلع على مذهبه، وأغلق باب البيت عليه، وجعل مفتاح البيت تحت وسادته واشتغل بالشرب. فسمع بعض من في الدار من الجواري بجمسه فرقت للرجل، فلما نام الهيصم أخذت المفتاح، وفتحت الباب، وأخرجته، ثم أعادت المفتاح إلى مكانه. فلما أصبح الهيصم فتح الباب ليقتله، فلم يجده وشاع ذلك في الناس فافتتن أهل تلك الناحية وقالوا: رفع.

ثم ظهر في ناحية أخرى، ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم، وسأله عن قصته فقال: لا يمكن أحداً أن ينالني بسوء فعظم في أعينهم. ثم خاف على نفسه فخرج إلى ناحية الشام، فلم يوقف له على خير. وسَمِيَ باسم الرجل الذي كان في داره كرمية، صاحب الأثوار، ثم خففَ ففيل: قرمط، هكذا ذكره بعض أصحاب زكرويه عنه.

(١) في الطبري: « وازداد بذلك نبلاً عند أهل القرية ».

(٢) في الطبري: « واشتغل أكرة تلك الناحية ».

وقيل : إن قرمط لَقَّبَ رجلٌ كان بسواد الكوفة يحمل غلة السواد على أثوار له واسمه حمدان . ثم فشا مذهب القرامطة بسواد الكوفة . ووقف الطائي أحمد بن محمد على أمرهم ، فجعل على الرجل منهم في السنة ديناراً وكان يجبي من ذلك مالاً جليلاً فقدم قومٌ من الكوفة ، فرفعوا أمر القرامطة ، والطائي إلى السلطان ، وأخبروه أنهم قد أحدثوا ديناً غير دين الإسلام ، وأنهم يرون السيف على أمة محمد ﷺ إلا من بايعهم فلم يلتفت إليهم ، ولم يسمع قولهم .

وكان فيما حكى عن القرامطة من مذهبهم أنهم جاؤوا بكتاب فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » يقول الفرج بن عثمان - وهو من قرية يقال لها نصرانة - داعية المسيح وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد ابن الحنفية ، وهو جبريل .

وذكر أن المسيح تصوّر له في جسم انسان ، وقال له : إنك الداعية ، وإنك الحجة وإنك الناقة ، وإنك الدابة ، وإنك يحيى بن زكريا ، وإنك روح القدس . وعرفه أن الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان بعد غروبها^(١) . وأن الأذان في كل صلاة ، أن يقول المؤذن : « الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله مرتين أشهد أن آدم رسول الله أشهد أن نوحاً رسول الله أشهد أن إبراهيم رسول الله أشهد أن موسى رسول الله أشهد أن عيسى رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله » . وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح وهي من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية . والقبلة إلى بيت المقدس ، الحج إلى بيت المقدس . وأن الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء والسورة الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه المتخذ لأوليائه بأوليائه . قل إن الأهله مواقيت للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين ، والحساب والشهور والأيام ، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي اتقوني يا أولي الألباب وأنا الذي لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي ، وامتنحن خلقي فمن صبر على بلائي ومحتي واختباري ، ألقيته في جنتي وأخلدته في نعمتي ، ومن زال عن أمري ، وكذب رسلي أخذته مهاناً في عذابي ، وأتممت أجلي ، وأظهرت أمري على السنة رسلي ، وأنا الذي

(١) في الطبري « قبل غروبها »

لم يعلّ عليّ جبارٌ إلّا وضعته، ولا عزيزٌ إلّا أدلّته، وليس الذي أصر على أمري ودام (١) على جهالته، وقالوا لن نبرحَ عليه عاكفينَ وبه موقنين (٢)، أولئك هم الكافرون، ثم يركع ويقول في ركوعه: سبحان ربّي ربّ العزّة، وتعالى عما يصف الظالمون، يقولها مرتين. فاذا سجد قال: الله أعلى الله أعلى الله أعظم الله أعظم. ومن شريعته أن يصوم يومين في السنّة وهما المهرجان، والنيروز. وأن النيّذ حرام والخمر حلال. ولا غسل من جنابة إلّا الوضوء كوضوء الصلاة. وإن من حاربه وجب قتله، ومن لم يحاربه ممن يخالفه أخذ منه الجزية. ولا يأكل كل ذي نابٍ ولا كلّ ذي مخلب.

وكان مصير قرمط إلى سواد الكوفة قبل قتل صاحب الزنج فسار قرمط إليه، وقال له: إني على مذهب ورأي، ومعني مائة ألف ضارب سيف فتناظرني فإن اتفقنا على المذهب، ملت إليك بمن معي، وإن تكن الأخرى انصرفت عنك، فتناظرا، فاختلفت آراؤهما فانصرف قرمط عنه.

ذكر غزو الروم و وفاة بازمار

فيها في جمادى الآخرة دخل أحمد العجيفي طرسوس، وغزا مع بازمار (٣) الصائفة فبلغوا شكند (٤) فأصاب بازمار شظية من حجر منجنيق في أضلاعِهِ، فارتحل عنها بعد أن أشرف على أخذها. فتوفّي في الطريق منتصف رَجَب، وحُمِلَ إلى طرسوس فدفنَ بها.

وكان قد أطاع خمارويه بن أحمد بن طولون، فلما توفّي خَلَفَهُ ابن عجيف وكتب إلى خمارويه يخبره بموته، فاقرّهُ على ولاية طرسوس وأمبَدَهُ بالخيّل، والسلاح والذخائر، وغيرها، ثم عزله واستعمل عليها ابن عمه محمّد بن موسى بن طولون.

ذكر الفتنة بطرسوس

وفيها ثار الناس بطرسوس بالأمير محمّد بن موسى، فقبضوا عليه. وسبب ذلك أن

(١) في الطبري: «على أمره ودوام على جهالته».

(٢) في الطبري «وبه مؤمنين».

(٣) في الطبري «يازمان».

(٤) في الطبري: «سلندو».

الموفق لما توفي، كان له خادم من خواصه، يُقال له: راغب، فاختر الجهاد، فسار إلى طرسوس على عزم المقام بها. فلما وصل إلى الشام سیر ما معه من دواب وآلات، وخيام، وغير ذلك إلى طرسوس، وسار هو جريدة إلى خمارويه ليزوره ويعرفه عزمه. فلما لقيته بدمشق اكرمه خمارويه، وأحبه وأنس به، واستحيا راغب أن يطلب منه المسير إلى طرسوس، فطال مقامه عنده، فظن أصحابه أن خمارويه قبض عليه فأذاعوا ذلك فاستعظمه الناس وقالوا: يعمد إلى رجل قصد الجهاد في سبيل الله فيقبض عليه، ثم شغبوا على أميرهم محمد ابن عمّ خمارويه، وقبضوا عليه، وقالوا: «لا يزال في الحبس إلى أن يطلق ابن عمك راغباً». ونهبوا داره وهتكوا حرمة. وبلغ الخبر إلى خمارويه فأطلع راغباً عليه، واذن له في المسير إلى طرسوس. فلما بلغ إليها أطلق أهلها أميرهم، فلما أطلقوه قال لهم: «فتح الله جواركم». وسار عنهم إلى البيت المقدس فأقام به. ولما سار عن طرسوس عاد العجيفي إلى ولايتها.

ذكر عدة حوادث

وفيها ظهر كوكب ذو جمة، وصارت الجمة ذؤابة، وحج بالناس هذه السنة هارون بن محمد بن اسحاق الهاشمي. وتوفي فيها عبد الكريم الدير عاقولي. وفيها توفي اسحاق بن كنداج، وولّى ما كان إليه من أعمال الموصل، وديار ربيعة ابنه محمد، وتوفي ادريس بن سليم الفقعسي الموصلّي، وكان كثير الحديث والصلاح.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين ذكر خلع جعفر بن المعتمد وولاية المعتضد

في هذه السنة في المحرم، خرج المعتمد على الله، وجلس للقواد والقضاة ووجوه الناس، وأعلمهم أنه خلع ابنه المفوض إلى الله جعفر من ولاية العهد، وجعل ولاية العهد للمعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق: وشهدوا على المفوض أنه قد تبرأ من العهد وأسقط اسمه من السكة، والخطبة، والطرز، وغير ذلك. وخطب للمعتضد وكان يوماً مشهوداً، فقال يحيى بن علي يهنيء المعتضد:

لِيَهْنِكَ عَقْدُ أَنْتَ فِيهِ الْمَقْدَمُ	حَبَاكَ بِهِ رَبُّ بِفَضْلِكَ أَعْلَمُ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَصْبَحْتَ وَالِي عَهْدِنَا	فَأَنْتَ غَدًا فِينَا الْإِمَامُ الْمَعْظَمُ
وَلَا زَالَهُنَّ وَلَاكَ فِينَا مُبْلَغًا	مُنَاكَ وَمِنْ عَادَاكَ يَشْجَى وَيَرْغَمُ
وَكَانَ عَمُودُ الدِّينِ فِيهِ تَأَوَّدُ	فَعَادَ بِهَذَا الْعَهْدِ وَهُوَ مَقُومٌ
وَأَصْبَحَ وَجْهُ الْمَلِكِ جَذَلَانْ ضَاكِحًا	يُضِيءُ لَنَا مِنْهُ الَّذِي كَانَ يَظْلُمُ
فَدُونُكَ فَلْتَشِدْ عَقْدَ مَا قَدْ حَوَيْتُهُ	فَإِنَّكَ دُونَ النَّاسِ فِيهِ الْمُحْكَمُ

وفيها نودي بمدينة السلام أن لا يقعد على الطريق، ولا في المسجد الجامع قاض، ولا منجم، ولا زاجر. وحلف الوراقون أن لا يبيعوا كتب الكلام، والجدل، والفلسفة. وفيها قبض على جرادة^(١) كاتب أبي الصقر اسماعيل بن بلبل. وفيها انصرف أبو طلحة منصور بن مسلم من شَهْرَزُور، وكانت له^(٢). فقبض عليه وعلى كاتبه عقامة وأودعا في السجن.

(١) في الطبري «جرادة» بالهاء.

(٢) في الطبري «وكانت ضمت له».

ذكر الحرب بين الخوارج، وأهل الموصل، والأعراب

في هذه السنة اجتمعت الخوارج، ومقدمهم هارون، ومعهم متطوعة أهل الموصل، وغيرهم، وحمدان بن حمدون التغلبي على قتال بني شيان. وسبب ذلك أن جمعاً كثيراً من بني شيان عبروا الزاب، وقصدوا نينوى من أعمال الموصل للاغارة عليها، وعلى البلد. فاجتمع هارون الشاري، وحمدان بن حمدون، وكثير من المتطوعة المواصل، وأعيان أهلها على قتالهم ودفعهم. وكان بنو شيان نزلوا على باعشيقاً^(١) ومعهم هارون بن سليمان، مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيباني، صاحب ديار بكر. وكان قد أنفذه محمد بن إسحاق بن كنداج والياً على الموصل، فلم يملكه أهلها من المقام عندهم، وطرده فقصده بني شيان معاوناً على الخوارج. وأهل الموصل، فالتقوا، وتصافوا، واقتتلوا، فانهزمت بنو شيان وتبعهم حمدان، والخوارج، وملكوا بيوتهم واشتغلوا بالنهب.

وكان الزاب لما عبر بنو شيان زائداً، فلما انهزموا علموا أن لا ملجأ، ولا منجى غير الصبر فعادوا إلى القتال، والناس مشغولون بالزاب، فأوقعوا بهم، وقتل كثير من أهل الموصل، ومن معهم، وعاد الظفر للأعراب.

وكتب هارون بن سيما إلى محمد بن إسحاق بن كنداج، يعرفه أن البلد خارج عن يده ان لم يحضر هو بنفسه. فسار في جيش كثيف يريد الموصل فخافه أهلها، فانهدر بعضهم إلى بغداد يطلبون إرسال والٍ إليهم وإزالة ابن كنداج عنهم، فاجتازوا في طريقهم بالحديثة، وبها محمد بن يحيى المجروح يحفظ الطريق قد ولّاه المعتضد، ذلك، وقد وصل إليه عهد بولايته الموصل، فحثوه على تعجيل السير، وأن يسبق محمد بن كنداج إليها وخوفوه من ابن كنداج ان دخل الموصل قبله، فسار فسبق محمد إليها. ووصل محمد بن كنداج إلى بلد فبلغه دخول المجروح الموصل، فندم على التباطؤ، وكتب إلى خمارويه بن طولون يخبره الخبر فأرسل أبا عبد الله بن الجصاص بهدايا كثيرة^(٢) إلى المعتضد، ويطلب أموراً منها إمرة الموصل. كما كانت له قبل، فلم

(١) من قرى الموصل، وهي مدينة من نواحي نينوى في شرقي دجلة.

(٢) قال العلامة ابن جرير الطبري: ومعه هدايا من العين عشرون حملاً على بغال وعشرة من الخدم وصندوقان فيهما طراز وعشرون رجلاً على عشرين نجياً بسروج محلاة بحلية فضة كثيرة ومعهم حراب فضة،

يجب إلى ذلك وأخبره كراهة أهل الموصل من عماله فأعرض عن ذكرها، وبقي
المجروح بالموصل يسيراً وعزله المعتضد واستعمل بعده علي بن داود بن رهمزاد
الكردي . فقال شاعر يقال له العجيني :

ما رأى الناس لهذا الدهر مذ كانوا شبها
ذلت الموصل حتى أمر الأكراد فيها
(العجيني) بالنون .

ذكر وفاة المعتمد

وفيها توفي المعتمد على الله ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب
ببغداد . وكان قد شرب على الشط في الحسني ببغداد يوم الأحد شرباً كثيراً، وتعشى،
فاكثر فمات ليلاً^(١) . وأحضر المعتضد القضاة وأعيان الناس، فنظروا إليه وحمل إلى
سامرا، فدفن بها . وكان عمره خمسين سنة وستة أشهر، وكان أسن من الموفق بستة
أشهر . وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وستة أشهر . وكان في خلافته محكوماً عليه قد
تحكم عليه أخوه أبو أحمد الموفق، وضيق عليه حتى أنه احتاج في بعض الأوقات إلى
ثلاثمائة دينار فلم يجدها ذلك الوقت فقال :

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه
إليه تحمل الأموال طراً ويمنع بعض ما يجبي إليه

وكان أول الخلفاء إنتقل من سر من رأى مذ بُيئت، ثم لم يعد إليها أحد منهم .

ذكر خلافة أبي العباس المعتضد

وفي صبيحة الليلة التي مات فيها المعتمد بُويع لأبي العباس المعتضد بالله،

= وعليهم أقبية الديباج والمناطق المحلاة ، وسبع عشرة دابة بسروج ولجم ، منها : خمسة بذهب والباقي
بفضة ، وسبع وثلاثون دابة بجلال مشهورة . وخمسة أبغل بسروج ولجم وزرافة يوم الاثنين لثلاث خلون
من شوال .

(١) وفي موته أقوال كثيرة، منهم من قال : إنه اغتيل بالسّم ، ومنهم من قال : إنه خنق .

أحمد بن الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل بالخلافة فولّى بدراناً الشرطة، وعبيد الله بن سليمان الوزارة، ومحمد بن الشاه بن مالك^(١) الحرس. ووصله في سؤال رسول عمرو بن الليث، ومعه هدايا كثيرة، وسأله أن يوليّه خراسان، فعقد له عليها وسير إليه الخلع، واللواء، والعهد، فنصب اللواء في داره ثلاثة أيام.

ذكر وفاة نصر الساماني

وفيها مات نصر بن أحمد الساماني، وقام بما كان إليه من العمل بما وراء النهر أخوه إسماعيل بن أحمد. وكان نصر ديناً عاقلاً له شعر حسن، منه ما قاله في رافع بن هرثمة:

أخوك فيك على خبر ومعرفة إن الذليل ذليل حيثما كانا
لولا زمان خون في تصرفه ودولة ظلمت ما كنت انسانا

ذكر عزل رافع بن هرثمة عن خراسان وقتله

وفيها عزل المعتضد رافع بن هرثمة عن خراسان. وسبب ذلك أن المعتضد كتب إلى رافع بتخليفة قري السلطان بالرّي فلم يقبل، فأشار على رافع أصحابه برّد القري لئلا يفسد حاله بكتاب، فلم يقبل أيضاً.

وكتب المعتضد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف يأمره بمحاربة رافع، وإخراجه عن الرّي. وكتب إلى عمرو بن الليث بتولية خراسان. ثم أن أحمد بن عبد العزيز لقي رافعاً فقاتله فانهزم عن الرّي، وسار إلى جرجان. ومات أحمد بن عبد العزيز سنة ثمانين ومائتين. فعاد رافع إلى الرّي فلاقاه عمرو، وبكر ابنا عبد العزيز فاقتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عمرو، وبكر، وقتل من أصحابهما مقتلة عظيمة، ووصلوا إلى اصبهان، وذلك في جمادى الاولى سنة ثمانين. وأقام رافع بالرّي باقي سنته. ومات علي بن الليث معه في الرّي. ثم ان عمرو بن الليث وافى نيسابور في جمادى الاولى سنة ثمانين، واستولى عليها وعلى خراسان، فبلغ الخبر إلى رافع فجمع أصحابه، واستشارهم فيما يفعل، وقال لهم: «إن الاعداء قد أحذقوا بنا ولا آمن أن يتفقوا علينا».

(١) في الطبري «ابن ميكال».

هذا محمد بن زيد بالديلم ينتظر فرصة ليتهازها، وهذا عمرو بن عبد العزيز قد فعلت به ما فعلت فهو يتربص الدوائر، وهذا عمرو بن الليث قد وافى خراسان بجموعه. وقد رأيت أن أصالح محمد بن زيد وأعيد إليه طبرستان، وأصالح ابن عبد العزيز ثم أسيرُ إلى عمرو، فأخرجه عن خراسان». فوافقوه على ذلك، وأرسل إلى ابن عبد العزيز فصالحه، واستقر الأمر بينهما، في شعبان سنة ثمانين.

ثم سار إلى طبرستان فوردها في شعبان سنة إحدى وثمانين، وكان قد أقام بجرجان فاحكم أمورها. ولما استقر بطبرستان راسل محمد بن زيد وصالحه. ووعده محمد بن زيد أن ينجده بأربعة آلاف رجل من شجعان الديلم. وخطب لمحمد بطبرستان، وجرجان في ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائتين. وبلغ خبر مصالحة محمد بن زيد، ورافع إلى عمرو بن الليث، فأرسل إلى محمد يذكر ما فعل به، ويحذره منه، وغدره، إن استقام أمره فعاد عن انجاده بعسكر. فلما قوي عمرو وعرف لمحمد بن زيد ذلك، وخلق عليه طبرستان. ولما أحكم رافع أمر محمد بن زيد سار إلى خراسان، فورد نيسابور في ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين. وجرى بينه وبين عمرو حربٌ شديدة، فانهزم فيها رافع إلى أبيورد، وأخذ عمرو منه المعدل، والليث ولدي أخيه علي بن الليث. وكانا عنده بعد موت أخيه علي.

ولما ورد رافع أبيورد أراد المسير إلى هراة أو مرو، فعلم عمر بذلك فأخذ عليه الطريق بسرخس، فلما علم رافع بمسير عمرو عن نيسابور سار على مضايق، وطرق غامضة غير طريق الجيش إلى نيسابور، فدخلها. وعاد إليه عمرو من سرخس، فحصره فيها وتلاقيا. واستأمن بعض قواد رافع إلى عمرو، فانهزم رافع وأصحابه وسير أخاه محمد بن هرثمة إلى محمد بن زيد يستمده، ويطلب ما وعده من الرجال، فلم يفعل ولم يمدّه برجل واحد. وتفرق عن رافع أصحابه، وغلماناه، وكان له أربعة آلاف غلام، ولم يملك أحد من ولاية خراسان قبله مثله. وفارقه محمد بن هارون إلى اسماعيل بن أحمد الساماني ببخارى، وخرج رافع منهزماً إلى خوارزم على الجمازات، وحمل ما بقي معه من مال وآلة، وهو في شردمة قليلة، وذلك في رمضان سنة ثلاثة وثمانين ومائتين. فلما بلغ رباط جبوه وجه إليه خوارزمشاه أبا سعيد الدرغاني ليقم له الأنزال، ويخدمه إلى خوارزم، فرماه أبو سعيد في قلة من رجاله وغدّره، وقتله لسبع

خلون من شوال سنة ثلاث وثمانين ومائتين . وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث وهو بنيسابور . وأنفذ عمرو الرأس إلى المعتضد بالله ، فوصل إليه سنة أربع وثمانين . فنصب ببغداد وصفت خراسان إلى شاطيء جيحون لعمرو .

ذكر عدة حوادث

وفيهما قَدِمَ الحُسَيْنُ بن عبد الله المعروف بابن الجصاص من مصر بهدايا عظيمة من خمارويه ، فتزوج المعتضد ابنة خمارويه . وفيها ملك أحمد بن عيسى بن الشيخ قلعة ماردین ، وكانت بيد محمد بن اسحاق بن كنداجيق . وحج بالناس هذه السنة هارون بن محمد وهي آخر حجة حجها . وأول حجة حجها بالناس سنة أربعة وستين ومائتين إلى هذه السنة . وفيها توفي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي السلمي بترمذ في رجب ، وكان إماماً حافظاً له تصانيف حسنة ، منها الجامع الكبير في الحديث ، وهو أحسن الكتب ، وكان ضريراً ، وتوفي ابراهيم بن محمد المدبر في شوال وكان يلي ديوان الضياع .

ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين ذكر حبس عبد الله بن المهدي

في هذه السنة أخذ المعتضد عبد الله بن المهدي، ومحمد بن الحسين المعروف بشميلة وكان شميلة هذا مع صاحب الزنج إلى آخر أيامه، ثم لحق بالموفق في الأمان فأمنه. وكان سبب أخذه إياهما أن بعض المستأمنة سعى به إلى المعتضد وأعلمه، أنه يدعو لرجل لا يعرف اسمه وأنه قد أفسد جماعة من الجند وغيرهم. فأخذه المعتضد فقررره، فلم يقر بشيء وقال: «لو كان الرجل تحت قدمي ما رفعتهما عنه». فأمر به فشد على خشبة من خشب الخيم، ثم أوقدت نار عظيمة، وأدير على النار حتى تقطع جلده، ثم ضربت عنقه، وصلب عند الجسر، وحبس عبد الله بن المهدي إلى أن علم براءته وأطلقه. وكان المعتضد قال لشميلة: بلغني أنك تدعو إلى ابن المهدي فقال: المشهور عني أنني أتولى آل أبي طالب^(١)

ذكر قصد المعتضد بني شيان وصلحه معهم

وفيهما في أول صفر، سار المعتضد من بغداد يريد بني شيان، بالموضع الذي يجتمعون به من أرض الجزيرة. فلما بلغهم قصده جمعوا إليهم أموالهم وعيالاتهم، وأغار المعتضد على اعواب عند السن، فنهب أموالهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وغرق منهم في الزاب مثل ذلك. وعجز الناس عن حمل ما غنموه فبيعت الشاة بدرهم، والبعير بخمسة دراهم. وسار إلى الموصل، وبلد، فلقية بنو شيان يسألونه العفو، وبذلوا له رهائن، فأجابهم إلى ما طلبوا، وعاد إلى بغداد. وأرسل إلى أحمد بن عيسى بن الشيخ يطلب منه ما أخذه من أموال ابن كنداجيق^(٢) بآمد فبعثه إليه، ومعه هدايا كثيرة.

(١) في الطبري: «المأثور عني غير هذا، وأني أتولى آل ابن أبي طالب».

(٢) في الطبري «ابن كنداج».

ذكر خروج محمد بن عبادة علي هارون وكلاهما خارجيان

في هذه السنة خَرَجَ محمد بن عبادة ويُعرفُ بأبي حوزة^(١) - وهو من بني زُهَيْر من أهل قَبْرَاثَا من البَقْعَاء - علي هارون وكلاهما من الخوارج. وكان أول أمره فقيراً، وكان هو، وابنان له يلتقطان الكمأة، ويبيعانها إلى غير ذلك من الأعمال. ثم إنه جمع جماعة وحكم فاجتمع إليه أهل تلك النواحي من الأعراب، وقوى أمره وأخذ عُشْر الغلات، وقبض الزكاة.

وسار إلى معلثايا فقاطعه أهلها على خمسمائة دينار، وجبى تلك الأعمال وعاد. وبنى عند سنجار حصناً وحمل إليه الأمتعة، والميرة، وجعل فيه ابنه أبا هلال، ومعه مائة وخمسون رجلاً من وجوه بني زُهَيْر وغيرهم. ووصل خبرهم إلى هارون الشاري فاجتمع رأيُه ورأي وجوه أصحابه على قصد الحصن أولاً، فإذا فرغوا منه ساروا إلى محمد بن عبادة، فجمع أصحابه، فبلغوا مائة راجل وألف ومائتي فارس، وسار إليه مبادراً وأحلق به وحصره، ومحمد بن عبادة في قَبْرَاثَا لا يعلم بذلك. وجد هارون في قتال الحصن، وكان معه سلاليم قد أخذها، وزحف إليه. وكان أصحابه قد منعوا أحداً يُخْرِجُ رأسه من أعلى السور. فلما رأى من معه من بني تغلب تغلبه على الحصن، أعطوا من فيه من بني زُهَيْر الأمان بغير أمر هارون. فشقَّ عليه ولم يقدر على تغيير ذلك، إلا أنه قتل أبا هلال بن محمد بن عبادة ونفراً معه قبل الأمان، وفتحوا الحصن وملكوا ما فيه.

وساروا إلى محمد - وهو بقبراثا - فلقوه وهو في أربعة آلاف رجل، فاقتتلوا، فانهزم هارون ومن معه. فوقف بعض أصحابه ونادى رجالاً باسمائهم، فاجتمعوا نحو أربعين رجلاً، وحملوا على ميمنة محمد بن عبادة فانهزمت الميمنة وعادت الحرب، فانهزم محمد ومن معه، ووضعوا السيف فيهم، فقتل منهم ألف وأربعمائة رجل، وحجز بينهم الليل. وجمع هارون مالهم فقسمه بين أصحابه، وانهزم محمد إلى آمد فأخذه صاحبها أحمد بن عيسى بن الشيخ، بعد حرب، فظفر به فأخذه أسيراً وسيَّره إلى المعتضد فسَلَخَ جلده كما يسَلَخُ الشاة.

(١) في نسخة «حوزة» بالجمع.

ذكر عدة حوادث

لما افتتح محمد بن أبي السَّاج مراغة بعد حرب شديدة، وحصار عظيم أخذ عبدُ الله بن الحسين بعد أن أئمنه وأصحابه، وقِيَّده وَحَبَسَهُ وقرَّره بجميع أمواله ثم قتله. وفيها مات أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، وقام بعده أخوه عمر بن عبد العزيز. وفيها افتتح محمد بن ثور عمان وبعث برؤوس جماعة من أهلها. وفيها توفي جعفر بن المعتمد في ربيع الآخر، وكان ينادم المعتضد. وفيها دخل عمرو بن الليث نيسابور في جمادى الأولى. وفيها وجَّه محمد بن أبي السَّاج ثلاثين^(١) نفساً من الخوارج من طريق الموصل، فضربت أعناق أكثرهم وحُبِسَ الباقيون. وفيها دخل أحمد بن أبا طرسوس للغزاة من قبل خمارويه بن أحمد بن طولون، ودخل بعده بدر الحماصي فغزوا جميعاً مع العجيني^(٢) أمير طرسوس حتى بلغوا البلقسون^(٣). وفيها غزا إسماعيل بن أحمد الساماني بلاد الترك، وافتتح مدينة ملكهم، واسر أباه، وامرأته خاتون^(٤) ونحواً من عشرة آلاف، وقتل منهم خلقاً كثيراً. وغنم من الدواب ما لا يعلم عدداً وأصاب الفارس من الغنيمة ألف درهم.

وفيها توفي راشد مولى الموفق بالدينور، وحُمِلَ في تابوت إلى بغداد، في رمضان، وفي شوال مات مسرور البلخي. وفيها غارت المياه بالري، وطبرستان، حتى بلغ الماء ثلاثة أرتال بدرهم وغلَّت الأسعار. وفي شوال انكسَفَ القمرُ وأصبح أهل دُيُّل والدنيا مظلمة، ودامت الظلمة عليهم. فلما كان عند العصر هبَّت ريحٌ سوداء، فدامت إلى ثلث الليل، فلما كان ثلث الليل زلزلوا، فخربت المدينة ولم يبقَ من منازلهم إلا قدر مائة دار، وزلزلوا بعد ذلك خمس مرار. وكان جملة من أُخْرِجَ من تحت الردم مائة ألف وخمسون ألفاً كلُّهم موتى، وحج بالناس هذه السنة أبو بكر محمد بن هارون بن اسحاق المعروف بابن ترنجة. وفيها توفي محمد بن إسماعيل بن يوسف أبو إسماعيل الترمذي، في رمضان وله تصانيف حسنة، وأحمد بن سيَّار بن أيوب الفقيه المروزي، وكان زاهداً عالماً، وأبو جعفر أحمد بن أبي عمران الفقيه الحنفي بمصر.

(١) في الطبري « يوسف بن أبي الساج اثنين وثلاثين ».

(٢) في الطبري « العجيني » وتقدم ضبطه بالنون.

(٣) في الطبري « حتى بلغوا البلقسور ».

(٤) في نسخة « خاتون » بالحاء.

ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائتين

ذكر مسير المعتضد إلى ماردين وملكه إياها

وفيها خرج المعتضد الخرجة الثانية إلى الموصل قاصداً لحمدان بن حمدون، لأنه بلغه أن حمدان مال إلى هارون الشاري ودعا له. فلما بلغ الأعراب الأكراد مَسِيرَ المعتضد تحالفوا أنهم يقتلون على دم واحد، واجتمعوا وعبوا عسكرهم. وسار المعتضد إليهم في خيله جريدة فأوقع بهم، وقتل منهم، وغرق منهم في الزاب خلق كثير. وسار المعتضد إلى الموصل يريد قلعة ماردين وكانت لحمدان بن حمدون فهرب حمدان منها وخلف ابنه بها فنازلها المعتضد، وقاتل من فيها يومه ذلك. فلما كان من الغد ركب المعتضد فصعد إلى باب القلعة وصاح بابن حمدان فاجابه فقال: افتح الباب ففتحته فقعد المعتضد في الباب وأمر بنقل ما في القلعة وهدمها، ثم وجه خلف حمدان بن حمدون وطلب أشد الطلب، وأخذت أموال له، ثم ظفر به المعتضد بعد عوده إلى بغداد، وفي عوده قصد الحسنية وبها رجل كردي يقال له: شداد في جيش كثير، قيل: كانوا عشرة آلاف رجل وكان له قلعة في المدينة فظفر به المعتضد وهدم قلعته.

ذكر عدة حوادث

وفيها ورد تَرْكُ بن العباس عامل المعتضد على ديار مضر من الجزيرة إلى بغداد ومعه نَيْفٌ وأربعون من أصحاب ابن الأغر صاحب سُمَيْسَاط على جمال عليهم برانس، ودراريع حرير. فمضى بهم إلى الحبس، وعاد إلى داره. وفيها كانت وقعة لوصيف خادم ابن أبي السَّاج لعمر بن عبد العزيز فهزمه، ثم سار وصيف إلى مولاه محمد بن أبي السَّاج. وفيها دخل طنج^(١) بن جُف طرسوس لغزو الصائفة من قبل

(١) في الطبري: «طنج بن جف».

خمارويه بن أحمد بن طولون فبلغ طرابزون وفتح بلودية^(١) في جمادى الآخرة.

وفيها مات أحمد بن محمد الطائي بالكوفة في جمادى . وفيها غارت المياه بالري ، وطبرستان . وفيها سار المعتضد إلى ناحية الجبل وقصد الدينور وولى ابنه علياً - وهو المكتفي - الري ، وقزوين وزنجان ، وأبهر ، وقم ، وهمدان ، والدينور ، وجعل على كتابته أحمد بن الأصبح ، وقتل عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف أصبهان ، ونهاوند ، والكرج ، وعاد إلى بغداد لأجل غلاء السعر ، وفيها استأمن الحسن بن علي كوره عامل رافع على الري إلى علي بن المعتضد في زهاء ألف رجل فوجهه ومن معه إلى أبيه . وفيها دخل الأعراب سامرا ، فقتلوا ابن سيما^(٢) في ذي القعدة . وفيها غزا المسلمون الروم ، فدامت الحرب بينهم اثني عشر يوماً فظفر السلمون ، وغنموا غنيمة كثيرة وعادوا . وفيها توفي عبيد الله بن^(٣) محمد بن عبيد بن أبي الدنيا صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة .

(١) في الطبري : « فبلغ طرايون وفتح ملورية » .

(٢) في الطبري : « فأسروا ابن سيما أنف » .

(٣) في البداية والنهاية ٧٦/١١ ط . دار الكتب العلمية بيروت : « عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس أبو بكر بن أبي الدنيا .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائتين

ذكر النيروز المعتضدي

فيها أمر المعتضد بالكتابة إلى الأعمال كلها والبلاد جميعها بترك افتتاح الخراج في النيروز العجمي، وتأخير ذلك إلى الحادي عشر من الحزيران، سماه النيروز المعتضدي، وأنشئت الكتب بذلك من الموصل، والمعتضد بها، وأراد بذلك الترفيه على الناس والرفق بهم.

ذكر قصد حمدان وانهزامه وعوده إلى الطاعة

في هذه السنة كتب المعتضد إلى إسحاق بن أيوب، وحمدان بن حمدون بالمسير إليه، وهو في الموصل فبادر اسحاق، وتحصن حمدان بقلاعه، وأودع أمواله وحرمه. فسير المعتضد الجيوش نحوه مع وصيف موشكير، ونصر القشوري، وغيرهما فصادفوا الحسن بن علي كوره، وأصحابه متحصنين بموضع يعرف بدير الزعفران من أرض الموصل.

وفيها وصل الحسين بن حمدان بن حمدون. فلما رأى الحسين أوائل العسكر طلب الأمان، فأمن وسيّر إلى المعتضد، وسلم القلعة، فأمر المعتضد بهدمها. وسار وصيف في طلب حمدان، وكان بباسورين فواقعه وصيف، وقتل من أصحابه جماعة، وانهزم حمدان في زورق كان له في دجلة، وحمل معه مالا كان له، وعبر إلى الجانب الغربي من دجلة، فصار في ديار ريبة، وعبر نفر من الجند، فأقتصوا أثره حتى أشرفوا على دير، قد نزله فلما راهم هرب، وترك ماله فأخذ وأتى به المعتضد، وسار أولئك في طلب حمدان، فضاقت عليه الأرض، فقصد خيمة اسحاق بن أيوب - وهو مع المعتضد - واستجار به فأحضره اسحاق عند المعتضد، فأمر بالاحتفاظ به، وتتابع رؤساء الأكراد في طلب الأمان وكان ذلك في المحرم.

ذكر انهزام هارون الخارجي من عسكر الموصل

كان المعتضد بالله قد خلف بالموصل نصر القشوري يجبي الأموال، ويعين العمال على جبايتها. فخرج عامل معلثايا إليها ومعه جماعة من أصحاب نصر، فوقع عليهم طائفة من الخوارج، فاقتلوا إلى أن أدركهم الليل، وفرق بينهم. وقتل من الخوارج إنسان، اسمه جعفر، وهو من أعيان أصحاب هارون فعظم عليه قتله وأمر أصحابه بالإفساد في البلاد. فكتب نصر القشوري إلى هارون الخارجي كتاباً يتهدهه بقرب الخليفة، وأنه إن هم به أهلكه، وأهلك أصحابه، وأنه لا يغتر بمن سار إلى حربه فعاد عنه بمكر، وخديعة. فكتب إليه هارون كتاباً منه أما ما ذكرت ممن أراد قصدي، ورجع عني فإنهم لما رأوا جدنا واجتهادنا كانوا يأذن الله فراشاً متتابعاً وقصباً أجوف، ومن صبر لنا منهم ما زاد على الاستتار بالحيطان، ونحن على فرسخ منهم وما عرك إلا ما أصبت به صاحبنا فظننت أن دمه مطلوب أو أن وتره متروك لك، كلا إن الله تعالى من ورائك وآخذ بناصيتك ومعين على إدراك الحق منك، ولم تعيرنا بغيرك وتدع أن يكون مكان ذلك إبداء صفحتك، وإظهار عداوتك، وأنا وإياك كما قيل:

فلا تواعدونا باللقاء وأبرزوا إلينا سواداً نلقيه بسواد

ولعمر الله ما ندعو إلى البراز ثقة بأنفسنا، ولا عن ظن أن الحول والقوة لنا لكن ثقة بربنا، واعتماداً على جميل عوائده عندنا. وأما ما ذكرت من أمر سلطانك، فإن سلطانك، لا يزال منا قريباً وبحالنا عالماً فلا قدم أجلاً ولا أخره، ولا بسط رزقاً، ولا قبضه قد بعثنا على مقابلتك، وستعلم عن قريب إن شاء الله تعالى. فعرض نصر كتاب هارون على المعتضد، فجد في قصده وولى الحسن بن علي كوره الموصل، وأمره بقصد الخوارج، وأمر كافة مقدمي الولايات، والأعمال بطاعته. فجمعهم وسار إلى أعمال الموصل، وخندق على نفسه، وأقام إلى أن رفع الناس غلاتهم، ثم سار إلى الخوارج، وعبر الزاب إليهم فلقبهم قريباً من المغلة، وتصافوا للحرب، فاقتتلوا قتالاً شديداً. وانكشف الخوارج عنه ليفرقوا جمعيته، ثم يعطفوا عليه. فأمر الحسن أصحابه بلزوم مواقفهم، ففعلوا فرجع الخوارج، وحملوا عليهم سبع عشرة حملة. فانكشفت ميمنة الحسن، وقتل من أصحابه، وثبت هو، فحمل الخوارج عليه حملة رجل واحد، فثبت لهم، وضرب على رأسه عدة ضربات فلم يؤثر فيه. فلما رأى أصحابه ثباته

تراجعوا إليه، وصبر، فانهزم الخوارج أقبَحَ هزيمة، وقتل منهم خلق كثير، وفارقوا موضع المعركة، ودخلوا اذربيجان. وأما هارون فإنه تحرَّي في أمره وقصد البرية. ونزل عند بني تغلب، ثم عاد إلى معلثايا، ثم عاد إلى البرية، ثم رجع وعبر دجلة إلى حرّة، وعاد إلى البرية. وأما وجوه أصحابه فإنهم لما رأوا إقبال دولة المعتضد وقوّته، وما لحقهم في هذه الوقعة راسلوا المعتضد يطلبون الأمان، فأمنهم فأتاه كثير منهم يبلغون ثلاثمائة وستين رجلاً. وبقي معه بعضهم يجول بهم في البلاد إلى أن قُتِلَ سنة ثلاث وثمانين، على ما نذكره.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في ربيع الأول قبض على بكتمر بن طاشتمر وقيد، وأخذ ماله، وضياعه ودوره، وكان أميراً على الموصل، واستعمل بعده عليها الحسن بن علي الخراساني، ويعرف بكوره. وفيها قدم ابن الجصاص بابتنة خمارويه زوجة المعتضد، ومعها أحد عمومتها، وكان المعتضد بالموصل. وفيها عاد المعتضد إلى بغداد وزُفَّت إليه ابنة خمارويه في ربيع الآخر^(١). وفيها سار المعتضد إلى الجبل فبلغ الكرج وأخذ أموالاً لابن أبي دلف، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز يطلب جوهرًا كان عنده، فوجّه به إليه وتنحى من بين يديه. وفيها أطلق لؤلؤ غلام ابن طولون وحمل على دواب وبغال. وفيها وجّه يوسف بن أبي السّاج إلى الصيمرة مدداً لفتح الفلانسى غلام الموقّ، فهرب

(١) قد تقدم أن خمارويه بعث إلى المعتضد بهدايا فسأله أن يزوج ابنته قطر الندى لولده المكتفي بالله، فقال المعتضد بل أنا أتزوجها فتزوجها سنة إحدى وثمانين ومائتين، ودخل بها هذه السنة وأصدقها ألف ألف درهم؛ قال في النجوم الزاهرة: يقال: إن المعتضد أراد بزواجها أن يفرق أباه خمارويه في جهازها وكذا وقع فإنه جهزها بجهاز عظيم يتجاوز الوصف، حتى قيل: إنه دخل معها في جملة جهازها ألف هاون من الذهب، وغرض خمارويه أن يجهز ابنته جهازاً يضاهي به نعمة الخلافة فكان من جملة جهازها دكة أربع قطع من ذهب، عليها قبة من ذهب مشبك في كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة من جوهر، لا يعرف لها قيمة، إلى غير ذلك مما لم ير مثله ولا يسمع به، ولما دخل بها الخليفة المعتضد أحياها حياً شديداً لجمال صورتها وكثرة آدابها، قيل: إنه خلا بها في بعض الأيام فوضع رأسه على ركبته ونام وكان المعتضد كثير التحرز على نفسه فلما نام تلطفت به وأزالت رأسه عن ركبته ووضعها على وسادة ثم تنحت عن مكانها وجلست بالقرب منه في مكان آخر فانتبه المعتضد فرعاً ولم يجدها فصاح بها فكلمته بالحال، فتبها على ما فعلت من إزالة رأسه عن ركبته وقال لها: أسلمت نفسي لك فتركيني وحيداً وأنا في النوم لا أدري ما يفعل بي فقالت: يا أمير المؤمنين ما جهلت قدر ما أنعمت به علي ولكن فيما أدبني به والذي خمارويه إنني لا أجلس مع النيام ولا أنام مع الجلوس فأعجبته ذلك منها إلى الغاية.

يوسف فيمن أطاعه إلى أخيه محمد بمراغة ولقي مالا للمعتضد، فأخذه فقال في ذلك عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

إمام الهدى إقصاؤكم^(١) آل طاهر بلا سبب يُجنون والدهرُ يذهب
وقد خلطوا شكراً بصبر ورابطوا وغيرهم يُعطى ويحى ويهرُب

وفيها وجه المعتضد وزيره عبيد الله بن سليمان إلى ابنه بالرّي، وعاد منها. وفيها وجه محمد بن زيد العلوي من طبرستان إلى محمد بن ورد العطار باثنين وثلاثين ألف دينار ليفرقها على أهل بيته ببغداد، والكوفة، والمدينة. فسعى به إلى المعتضد فأحضر محمد عند بدر وسُئِلَ عن ذلك، فأقر أنه يوجه إليه كل سنة مثل ذلك ففرقه، وأنهى بدر إلى المعتضد ذلك فقال له المعتضد: أما تذكر الرؤيا التي أخبرتك بها؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال: رأيتُ في النوم كأنني أريد ناحية النهر وانأ في جيشي إذ مررت برجل واقف على تل يصلي، ولا يلتفت إليّ، فعجبت منه، فلما فرغ من صلاته قال لي: اقبل، فأقبلتُ إليه فقال لي: أتعرفني؟ قلت: لا قال: انا علي بن أبي طالب خذ هذه فاضرب بها الأرض بمسحاة بين يديه فأخذتها فضربتُ بها ضربات فقال لي: انه سيلي من ولدك هذا الأمر بعدد الضربات، فأوصهم بولدي خيراً. وأمر بدرًا بإطلاق المال والرجل، وأمره أن يكتب إلى صاحبه بطبرستان أن يوجه ما يريد ظاهراً، وأن يفرق ما يأتيه ظاهراً، وتقدم بمعونته على ذلك. وفيها توفي أبو طلحة منصور بن مسلم في حبس المعتضد.

وفيها وُلِدَتْ جارية اسمها شَغَبٌ، للمعتضد ولداً سماه جعفرًا - وهو المقتدر. وفيها قُتِلَ خمارويه بن أحمد بن طولون، ذبحه بعض خدَمِهِ على فراشه في ذي الحجة بدمشق، وقتل من خدمه الذين اتهموا نيف وعشرون نفساً. وكان سبب قتله أنه سعى إليه بعض الناس، وقال له: إن جواري داره قد اتخذت كل واحدة منهن خصياً من خصيان داره لها كالزوج، وقال: إن شئت ان تعلم صحة ذلك فأحضر بعض الجواري فأضربها وقررها حتى تعلم صحة ذلك. فبعث من وقته إلى نائبه

(١) في الطبري :

امام الهدى أنصاركم آل طاهر بلا سبب يُجنون والدهر يذهب
وقد خلطوا صبراً بشكر ورابطوا وغيرهم يُعطى ويحى ويهرب

بمصر، يأمره بإحضار عدّة من الجوّاري ليعلّم الحال منهم. فاجتمع جماعة من الخدم وقرروا بينهم الاتفاق على قتله خوفاً من ظهور ما قيل له، وكانوا خاصّة، فذبحوه ليلاً وهربوا، فلما قتل، اجتمع القواد وأجلسوا ابنه جيش بن خمارويه في الامارة، وكان معه بدمشق وهو أكبر ولده، فبايعوه ففرقت فيهم الأموال وكان صبياً غراً. وفيها توفي عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد الداري الفقيه الشافعي أخذ الفقه عن البويطي صاحب الشافعي، والأدب عن ابن الاعرابي. وفيها توفي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري اللغوي صاحب كتاب النبات وغيره. وفيها توفي الحرث بن أبي أسامة وله مسند يروى غالباً في زماننا هذا، وأبو العيناء محمد بن القاسم، وكان يروي عن الأصمعي.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين ذكر الظفر بهارون الخارجي

في هذه السنة، سار المعتضد إلى الموصل، بسبب هارون الشاري وظفر به. وسبب الظفر أنه وصل إلى تكريت، وأقام بها، وأحضر الحسين بن حمدان التغلبي، وسيره في طلب هارون بن عبد الله الخارجي في جماعة من الفرسان، والرجالة. فقال له الحسين: ان أنا جئت به فلي ثلاث حوائج عند أمير المؤمنين. قال: اذكرها. قال: إحداهن إطلاق أبي، وحاجتان اذكرهما بعد مجيئي به. فقال له المعتضد: لك ذلك. فانتخب ثلاثمائة فارس، وسار بهم ومعهم وصيف بن موشكير. فقال له الحسين: تأمره بطاعتي يا أمير المؤمنين. فأمره بذلك وسار بهم الحسين، حتى انتهى إلى مخاضة في دجلة فقال الحسين لوصيف، ولمن معه: « لتقفوا هناك فإنه ليس له طريق إن هرب غير هذا فلا تبرح من هذا الموضع، حتى يمر بكم، فتمنعوه عن العبور وأجيء أنا أو يبلغكم اني قتلت ». ومضى حسين في طلب هارون فلقيه، وواقعه، وقتل بينهما قتلى وانهزم هارون. وأقام وصيف على المخاضة ثلاثة أيام فقال له أصحابه: « قد طال مقامنا ولسنا نأمن أن يأخذ حسين الشاري، فيكون له الفتح دوننا: والصواب أن نمضي في آثارهم ». فأطاعهم، ومضى. وجاء هارون منهزماً إلى موضع المخاضة فعب، وجاء حسين في أثره، فلم ير وصيفاً وأصحابه في الموضع الذي تركهم فيه، ولا عرف لهم خبراً. فعب في أثر هارون وجاء إلى حي من أحياء العرب، فسأل عنه، فكتموه، فتهددهم، فاعلموه أنه اجتاز بهم، فتبعه حتى لحقه بعد أيام وهارون في نحو مائة رجل. فناشده الشاري ووعدته وأبى حسين إلا محاربته، فحاربه، فالقى الحسين نفسه عليه فأخذه أسيراً وجاء به إلى المعتضد، فانصرف المعتضد إلى بغداد، فوصلها لثمان بقين من ربيع الأول. وخلع المعتضد إلى بغداد على الحسين بن حمدان وطوقه بطوق من ذهب،

وخلع على إخوته وأدخل هارون على الفيل. وأمر المعتضد بحل قيود حمدان بن حمدون والتوسعة عليه، والإحسان إليه ووعد بإطلاقه. ولما أركبوا هارون على الفيل أرادوا أن يلبسوه ديباجاً مشهوراً، فامتنع، وقال: هذا لا يحل، فألبسوه كارهاً. ولما صُلب نادى بأعلى صوته « لا حكم إلا لله ولو كره المشركون ». وكان هارون صفريراً.

ذكر عصيان دمشق على جيش خمارويه وخلاف جنده عليه وقته

في هذه السنة خرج جماعة من قواد جيش بن خمارويه عليه، وجأهروا بالمخالفة، وقالوا « لا نرضى بك أميراً فاعتزلنا حتى نولي عمك الإمارة. وكان سبب ذلك أنه لما وُلِّي، وكان صبيّاً فقرب الأحداث والسفل وأخلد إلى استماع أقوالهم، فغيروا نيته على قواده، وأصحابه، وصار يقع فيهم ويذمهم ويظهر العزم على الاستبدال بهم، وأخذ نعمهم وأموالهم. فاتفقوا عليه ليقتلوه ويقيموا عمه. فبلغه ذلك فلم يكتمه بل أطلق لسانه فيهم. ففارقه بعضهم وخلعه طغج بن جف أمير دمشق. وسار القواد الذين فارقوه إلى بغداد وهم محمد بن اسحاق بن كنداجيق، وخاقان المفلحي، وبدر بن جف أخو طغج، وغيرهم من قواد مصر. فسلكوا البرية وتركوا أهاليهم وأموالهم فتأهوا أياماً، ومات من أصحابهم جماعة من العطش، وخرجوا فوق الكوفة بمرحلتين وقدموا على المعتضد، فخلع عليهم وأحسن إليهم. وبقي سائر الجنود بمصر على خلافهم ابن خمارويه، فسألهم كاتبه علي بن أحمد المارداني أن ينصرفوا يومهم ذلك، فرجعوا. فقتل جيش عمين له وبكر الجند إليه فرمى بالرأسين إليهم فهجم الجند عليه فقتلوه، ونهبوا داره، ونهبوا مصر، وأحرقوها، وأقعدوا أخاه هارون في الإمرة بعده فكانت ولايته تسعة أشهر.

ذكر حصر الصقالبة القسطنطينية

وفي هذه السنة سارت الصقالبة إلى الروم، فحاصروا القسطنطينية وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وخرّبوا البلاد. فلما لم يجد ملك الروم منهم خلاصاً جمع من عنده من أسارى المسلمين وأعطاهم السلاح، وسألهم معونته على الصقالبة، ففعلوا، وكشفوا الصقالبة، وأزاحوهم عن القسطنطينية. ولما رأى ملك الروم ذلك خاف المسلمين على نفسه فردّهم وأخذ السلاح منهم، وفرّقهم في البلاد حذراً من جنائتهم عليه.

ذكر الفداء بين المسلمين والروم

في هذه السنة كان الفداء بين المسلمين، والروم. فكان جملة من فُدي به من المسلمين الرجال والنساء والصبيان الفين وخمسمائة وأربعة أنفس.

ذكر الحرب بين عسكر المعتضد وأولاد أبي دلف

وفيهما سار عبيدُ الله بنُ سُليمان إلى عُمر بن عبد العزيز بن أبي دلف بالجبل، فسار عمر إليه بالأمان في شعبان، فأذعن بالطاعة، فخلع عليه وعلى أهل بيته. وكان قبل ذلك قد دخل بكر بن عبد العزيز بالأمان إلى عبيد الله بن سُليمان، وبدر فولياه عمل أخيه على أن يسير إليه فيحاربه. فلما دخل عمر في الأمان قال لبكر: «إن أخاك قد دخل في الطاعة وإنما وليناك عمله على أنه عاص، والمعتضد يفعل في أمركما ما يراه، فامضيا إلى بابه». وولى النوشري أصبهان، وأظهر أنه من قبل عمر بن عبد العزيز، فهرب بكر بن عبد العزيز في أصحابه فكتب عبيدُ الله إلى المعتضد بذلك. فكتب إلى بدر ليقم بمكانه إلى أن يعرف حال بكر: وسار الوزير إلى علي بن المعتضد بالرقي ولحق بكر بن عبد العزيز بالأهواز. فسير المعتضد إليه وصيف بن موشكير فسار إليه، فلحقه بحدود فارس وباتا متقابلين.

وارتحل بكر إلى أصبهان ليلاً فلم يتبعه وصيف بل رجع إلى بغداد، وسار بكر إلى أصبهان. فكتب المعتضد إلى بدر يأمره بطلب بكر وحره^(١) فأمر بدر عيسى النوشري بذلك فقال بكر:

عني مَلامُكَ ليس حين مَلامٍ هيهات أجِدُ^(٢) زائدِ الأيامِ
طارَتْ عَنايَاتُ الصُّبَا عن مَفرقي ومضى أوانُ شرَاسِتي وُعْرامي^(٣)
ألقي الأُحِبَّةُ بالعِراقِ عَصِيَهُمْ وبقِيَتْ نَصَبُ حِوَادِثِ الأَيَّامِ

(١) في الطبري: «بكر وعربه».

(٢) في الطبري: «أخِث».

(٣) في الطبري: «شراسِتي وُعْرامي».

وَتَقَادَمَتْ^(١) بَاخِي النَّوَى وَرَمَتْ بِهِ
فَلَا قَرَعَنَّ صِفَاةَ دَهْرٍ نَابَهُمْ
وَلَا ضَرَبَنَّ الْهَامُ دُونَ حَرِيمِهِمْ
وَلَا تَرَكَنَّ الْوَارِدِينَ حِيَاضَهُمْ
يَا بَدْرُ إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ مَوَاقِفِي
لَذَمَّمْتُ رَأْيَكَ فِي إِضَاعَةِ حُرْمَتِي
حَرَكْتَنِي بَعْدَ السَّكُونِ وَإِنَّمَا
وَعَجَمْتَنِي فَعَجَمْتُ مِنِّي مِنْ جَمِيٍّ^(٧)
قُلْ لِلْأَمِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الَّذِي
أَسْكَنْتَنِي ظِلَّ الْعُلَا فَسَكَّتُهُ
حَتَّى إِذَا خُلِيتُ عَنِّي نَابَنِي
فَلَا شُكْرَنَ جَمِيلٌ مَا أَوْلَيْتَنِي
هَذَا أَبُو حَفْصٍ يَدِي وَذَخِيرَتِي
نَادَيْتُهُ فَاجَابَنِي وَهَزَزْتُهُ
مَنْ رَامَ أَنْ يُغْضِيَ الْجُفُونَ عَلَى الْقَدَى
وَيَخِيمَ حِينَ يَرَى الْأَسِنَّةَ شُرْعًا

رَمَى^(٢) الْبَعِيدَ قَطِيعَةَ الْأَرْحَامِ^(٣)
قَرَعًا يَهْزُ^(٤) رَوَاسِيَ الْأَعْلَامِ
ضَرَبَ الْقُدَارَ نَقِيعَةَ الْقُدَامِ
بِقَرَارَةٍ لِمَوَاطِيءِ الْأَقْدَامِ
وَالْمَوْتُ يَلْحَظُ وَالسَّيْفُ^(٥) دَوَامِي
وَلِضَاقِ ذَرْعِكَ فِي أَطْرَاحِ دِمَامِي
حَرَكْتَ مِنْ حِصْنٍ^(٦) جِبَالِ تُهَامِ
حَشِينَ الْمَنَايِبِ كُلِّ يَوْمٍ زَحَامِ
يَجْلُو بِغَرَّتِهِ دُجَى الْأَظْلَامِ
فِي عَيْشَةٍ رَغْدٍ وَعِزٍّ نَامِي
نُوبٌ أَتَتْ^(٨) وَتَنَكَّرَتْ أَيَّامِي
مَا غَرَّدَتْ فِي الْأَيْكِ وَرُقُ حَمَامِ
لِلنَّائِبَاتِ وَعُدَّتِي، وَسَنَامِي
فَهَزَزْتُ حَدَّ الصَّارِمِ الصَّمَامِ
أَوْ يَسْتَكِينُ يَرُومٌ غَيْرَ مَرَامِي
وَالْبَيْضُ مُضَلَّتُهُ لَضَرْبِ الْهَامِ

ثم ان النوشري انهزم عن بكر، فقال بكر يذكر هربه، ويعبر وصيفاً بالاحجام عنه، ويتهدد بدراً في أبيات منها:

(١) في الطبري: «وتقادفت».

(٢) في الطبري: «رمى».

(٣) وقد ذكر الطبري بعد هذا البيت هذان البيتان:

وتشعب العرب الذين تصدعوا

فيه تماسيل ما وهى من أمرهم

(٤) في الطبري: «قرعاً يهز».

(٥) في الطبري: «الصفاح».

(٦) في الطبري: «حصني».

(٧) في الطبري: «فعمجت مني مرجماً».

(٨) في الطبري: «حتى إذا خلئت عنه نابني ما نابني».

فذبت عن احسابهم بحسامي

والسمر عند تصادم الاقوام.

قد رأى النوشري حين^(١) التقينا
جاء في قسطل لُهام فصلنا
وكوى النوشري آثار نار^(٢)
غُرْ بذراً حلّمي وفضل أناتي
سوف يأتيه من خيولي^(٣) قُبْ
يَتَنَادُونَ كالسعالى^(٤) عليها
لست بكرةً إن لم أَدْعُهُم حديثاً
من إذا أُشْرِعَ الرِّمَاحُ يَفِرُّ
صَوْلَةٌ دُونَهَا الكُماةُ تَهْرُ
رُؤيتُ عند ذاكَ بيضٌ وسُمرُ
واحتِمالي للغر^(٥) مما يَغُرُّ
لاحقاتُ البيطون جُونٌ وشَقَرُ
من بني وائل أسودٌ تَكَرُّ
ما سَرَى كوكبٌ وما كَرَّ دَهْرُ

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة أمر المعتضد بالكتابة إلى جميع البلدان أن يرد الفاضل من سهام المواريث إلى ذوي الأرحام ، وأبطل ديوان المواريث . وفيها في شوال مات عليّ بن محمد بن أبي الشوارب القاضي ، وكانت ولايته للقضاء بمدينة المنصور ستة أشهر . وفيها قدم عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف بغداد فأمر المعتضد الناس ، والقواد بإستقباله ، وقعد له المعتضد فدخل عليه ، وأكرمه ، وخلع عليه . وفيها في رمضان تحارب عمرو بن الليث الصفار ، ورافع بن هرثمة فانهمز رافع . وكان سبب ذلك أن عمراً فارق نيسابور ، فخالفه إليها رافع وملكها وخطب فيها لمحمد بن زيد العلوي ، فرجع عمرو من مرو إلى نيسابور ، فحصرها فانهمز رافع منها . ووجّه عمرو في طلبه عسكرياً فلحقوه بطوس ، فانهمز منهم إلى خوارزم فلحقوه بها ، فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى المعتضد ، فوصله سنة أربع وثمانين في المحرم . فأمر بنصبه ببغداد وخلع على القاصد به . وفيها مات البحترى الشاعر ، واسمه الوليد بن عبادة بمنبج أو حلب ، وكان مولده سنة ست ومائتين . وفيها توفي محمد بن سليمان أبو بكر المعروف بابن الباغندي ، وأبو الحسن عليّ بن العباس بن جريج الشاعر المعروف بابن الرومي ، وقيل ، توفي سنة

(١) في الطبري « لما » .

(٢) في الطبري « ولواء الموشجير افضى إلينا رُؤيت » .

(٣) في الطبري : « أناتي واحتمالي وذاك » .

(٤) في الطبري « سوف يأتيه شواذب » .

(٥) في الطبري « يتبارين كالسعالى » .

أربع وثمانين وديوانه معروف رحمه الله تعالى . وفيها توفي سهل بن عبد الله بن
يونس بن ربيع السري^(١) ومولده سنة مائتين ، وقيل : وثلاثين .

(١) هو أحد المشايخ وكان من أكابر القوم والمتكلم في علوم الاخلاص والرياضيات وكان كبير الشأن .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين

في هذه السنة كانت فتنة بطرسوس بين راغب مولى الموفق وبين دميانة . وكان سبب ذلك ان راغباً مولى الموفق ترك الدعاء لهارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون، ودعا لبدر مولى المعتضد، واختلف هو وأحمد بن طوغان . فلما انصرف أحمد بن طوغان من الفداء الذي كان سنة ثلاث وثمانين ركب البحر ومضى ولم يدخل طرسوس، وخلف دميانة بها للقيام بأمرها . وأمدّه ابن طوغان فقوي بذلك، وأنكر ما كان يفعله راغب فوقعت الفتنة فظفر بهم راغب، فحمل دميانة إلى بغداد . وفيها أوقع عيسى بن النوشري بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف، بنواحي اصبهان، فقتل رجاله واستباح عسكره . ونجا بكر في نفر يسير من أصحابه فمضى إلى محمد بن زيد العلوي بطبرستان، وأقام عنده إلى سنة خمس وثمانين ومات . ولما وصل خبر موته إلى المعتضد أعطى القاصد به ألف دينار . وفيها في ربيع الأول قلّد أبو عمر يوسف بن يعقوب القضاء بمدينة المنصور مكان عليّ بن محمد بن أبي الشوارب . وفيها أخذ خادم نصراني لغالب النصراني، وشهد عليه أنه شتم النبي ﷺ، فاجتمع أهل بغداد، وصاحوا بالقاسم بن عبيد الله، وطالبوه بإقامة الحدّ عليه، فلم يفعل، فاجتمعوا على ذلك إلى دار المعتضد فسئلوا عن حالهم، فذكروه للمعتضد، فأرسل معهم إلى القاضي أبي عمر فكادوا يقتلونه من كثرة ازدحامهم، فدخل باباً وأغلقه ولم يكن بعد ذلك للخادم ذكر ولا للعامة ذكر اجتماع في أمره .

وفيها قدّم قومٌ من أهل طرسوس على المعتضد يسألونه أن يوليّ عليهم والياً وكانوا قد أخرجوا عامل ابن طولون فسبّ إليهم المعتضد ابن الأخشيد أميراً . وفيها في ربيع الآخر ظهرت بمصر ظلمة وحمرة في السماء شديدة حتى كان الرجل ينظر إلى وجه الآخر فيراه

أحمر وكذلك الشيطان فمكثوا كذلك من العصر إلى العشاء الآخرة وخرج الناس من منازلهم يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه . وفيها عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس ، وهو كتاب طويل قد أحسن كتابته إلا أنه قد استدل فيه بأحاديث كثيرة على وجوب لعنه عن النبي ﷺ لا تصح ، وذكر في الكتاب يزيد وغيره من بني أمية ، وعملت به نسخ قرئت بجاني بغداد^(١) ومنع القضاة والعامّة من القعود بالجامعين ورحابهما . ونهى عن الاجتماع على قاض إلى مناظرة أو جدل في أمر الدين . ونهى الذين يسقون الماء في الجامعين أن يترحموا على معاوية ولا يذكرونه ، فقال له عبيد الله بن سليمان : « إِنَّا نخاف اضطراب العامة واثارة الفتنة ، فلم يسمع منه . فقال عبيد الله للقاضي يوسف بن يعقوب ، ليحتال في منعه عن ذلك ، فكلم يوسف المعتضد ، وحذره اضطراب العامة ، فلم يلتفت فقال يا أمير المؤمنين ، فما نصنع بالطالبيين الذين يخرجون من كل ناحية ويميل إليهم خلق كثير من الناس لقرابتهم من رسول الله ﷺ فاذا سمع الناس ما في هذا الكتاب من اطرائهم كانوا إليهم أميل ، وكانوا هم أبسط السنة وأظهر حجة فيهم اليوم فأمسك المعتضد ولم يأمر في الكتاب بعد ذلك بشيء ، وكان عبيد الله من المنحرفة عن علي عليه السلام .

وفيها سبّ المعتضد إلى عمرو بن الليث الخلع ، واللواء ، بولاية الرّي وهدايا . وفيها فتحت قرّة من بلد الروم على يد راغب مولى الموفق ، وابن كلوب في رجب . وفيها في شعبان ظهر بدار المعتضد انسان بيده سيف فمضى إليه بعض الخدم ، لينظر ما هو ، فضربه بالسيف فجرحه ، وهرب الخادم ودخل الشخص في زرع في البستان فتواري فيه ، فطلب باقي ليلته ، ومن الغد فلم يعرف له خبر ، فاستوحش المعتضد ، وكثر الناس في أمره بالظنون ، حتى قالوا له : إنه من الجن ، وظهر مراراً كثيرة حتى وكل المعتضد بسور داره ، وأحكمه ضبطاً . ثم أحضر المجانين والمعزمين ، بسبب ذلك الشخص ، فسألهم عنه فقال المعزمون : نحن نعزم على بعض المجانين . فاذا سقط سئل الجنّي عنه ، فأخبر خبره فعزموا على امرأة مجنونة ، فصرعت والمعتضد ينظر إليهم ، فلما صرعت ، أمرهم بالانصراف . وفيها وجّه كرامة بن مّر من الكوفة بقوم مقيدّين ذكر أنهم من القرامطة فقرروا بالضرب فأقروا على أبي هاشم بن صدقة الكاتب ، أنه منهم فقبض

(١) ورد نص الكتاب كاملاً في تاريخ الطبري ط . دار الكتب العلمية بيروت .

عليه وحبسه . وفيها وثب الحرث^(١) عبد العزيز بن أبي دلف المعروف بأبي ليلي بشفييع الخادم فقتله . وكان أخوه عمر بن عبد العزيز قد أخذه، وقيدّه، وحبسه في قلعة زر^(٢)، ووكل به شفييعا الخادم، ومعه جماعة من غلمان عمر .

فلما استأمن عمر إلى المعتضد، وهرب بكر بقت القلعة بما فيها من الأموال بيد شفييع . فكلّمه أبو ليلي في إطلاقه فلم يفعل، وطلب من غلام كان يخدمه مبرداً، فأدخله في الطعام فبرد مسمار قيده . وكان شفييع في كل ليلة يأتي إلى أبي ليلي يفتقده، ويمضي ينام، وتحت رأسه سيف مسلول . فجاء شفييع في ليلة إليه فحادثه، فطلب منه أن يشرب معه أقداحاً ففعل، وقام الخادم لحاجته . فجعل أبو ليلي في فراشه ثياباً تشبه انساناً نائماً، وغطّاها باللحاف، وقال لجارية كانت تخدمه : « اذا عاد شفييع قولي له : هو نائم » . ومضى أبو ليلي، فاخفى ظاهر الدار، وقد أخرج قيده من رجله . فلما عاد شفييع قالت له الجارية : هو نائم، فاغلق الباب، ومشى إلى داره، ونام فيها . فخرج أبو ليلي، وأخذ السيف من عند شفييع وقتله فوثب الغلمان فقال لهم أبو ليلي : قد قتلت شفييعاً ومن تقدم إليّ قتلته، فأنتم آمنون، فخرجوا من الدار . واجتمع الناس إليه، فكلّمهم ووعدهم الإحسان، وأخذ عليهم الأيمان، وجمع الأكراد وغيرهم، وخرج مخالفاً على المعتضد وكان قتل شفييع في ذي القعدة . ولما خرج أبو ليلي على السلطان قصده عيسى النوشري فاقتتلوا فأصاب أبا ليلي في حلقه سهم فنحره فسقط عن دابته، وانهزم أصحابه وحمل رأسه إلى أصبهان ثم إلى بغداد .

وفيها كان المنجمون يوعدون بغرق أكثر الأقاليم إلا اقليم بابل، فإنه يسلم منه اليسير، وأن ذلك يكون بكثرة الأمطار، وزيادة الأنهار والعيون . فقحط الناس، وقلت الأمطار، وغارت المياه حتى احتاج الناس إلى الاستسقاء، فاستسقوا ببغداد مرات . وفيها ظهر اختلال حال هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون بمصر واختلفت القواد، وطمعوا فانحلّ النظام، وتفرقت الكلمة . ثم اتفقوا على أن جعلوا مدبر دولته أبا جعفر بن أبان، وكان عند والده وجده مقدماً كبير القدر، فأصلح من الأحوال ما استطاع، وكم جهد الصنّاع إذا اتسع الخرق . وكان من بدمشق من الجند قد خالفوا

(١) في الطبري الحارث .

(٢) في الطبري « قلعة للآل أبي دلف بالذر » .

على أخيه جيش، كما ذكرنا فلما تولّى أبو جعفر الأمور سيّر جيشاً إلى دمشق عليهم بدر الجمالي، والحسين بن أحمد المارداني، فأصلحها حالها، وقرّروا أمور الشام. واستعملا على دمشق طنج بن جف واستعملا على سائر الأعمال، ورجعا إلى مصر، والأمور فيها اختلال، والقواد قد استولوا كل واحد منهم على طائفة من الجند وأخذهم إليه.

وهكذا يكون انتقاض الدول وإذا أراد الله أمراً فلا مردّ لحكمه، وهو سريع الحساب، وحجّ بالناس هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي المعروف بآترجة. وفيها توفي اسحاق بن موسى بن عمران أبو يعقوب الاسفرايني الفقيه الشافعي، والعتابي واسمه عبد العزيز بن معاوية، من ولد عتاب بن أسيد - بفتح الهمزة وكسر السين. وفيها أيضاً توفي أبو عبد الله محمد بن الوضاح بن ربيع الأندلسي، وكان من العلماء المشهورين.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائتين

فيها قطع صالح بن مدرك الطائي الطريق على الحاج بالأجفر^(١) في المحرم فحاربه حي الكبير، وهو أمير القافلة، فلم يقوّبه، وبمن معه من الأعراب، وظفر بالحجّ ومن معه بالقافلة، فأخذوا ما كان فيها، من الأموال والتجارات، وأخذوا جماعة من النساء والجواري^(٢)، والمماليك. فكان قيمة ما أخذوه ألفي ألف دينار. وفيها ولي عمرو بن الليث ما وراء النهر، وعزل إسماعيل بن أحمد. وفيها كان بالكوفة ريح صفراء، فبقيت إلى المغرب ثم اسودّت فتضرّع الناس، ثم مطروا مطراً شديداً برعود هائلة، وبروق متصلة، ثم سقط بعد ساعة بقرية تعرف بأحمداباذ، ونواحيها أحجار بيض وسود مختلفة الألوان، في أوساطها طبق، وحمل منها إلى بغداد فرآه الناس.

وفيها سار فاتك مولى المعتضد إلى الموصل لينظر في أعمالها، وأعمال الجزيرة والثغور الشامية، والجزرية وإصلاحها مضافاً إلى ما كان يتقلده من البريد بها. وفيها كان بالبصرة ريح صفراء، ثم عادت خضراء ثم سوداء، ثم تتابعت الأمطار بما لم يروا مثله، ثم وقع برد كبار وزن البردة مائة وخمسون درهماً فيما قيل^(٣). وفيها مات الخليل بن رمال بحلوان. وفيها ولي المعتضد محمد بن أبي السّاج أعمال أذربيجان، وأرمينية، وكان قد تغلب عليها، وخالف وبعث إليه بخلع. وفيها غزا راغب مولى الموفق في البحر فغنم

(١) الأجفر : بضم الفاء ، موضع بني فيد والخزيمية .

(٢) في الطبري : « وأخذوا جماعة من النساء الحرائر والممالك » .

(٣) في الطبري بعدما جاء في ابن الأثير « وأن الريح أقلعت من نهر الحسين خمسمائة نخلة وأكثر ومن نهر معقل مائة نخلة عدداً » .

مراكب كثيرة، فضرب أعناق ثلاثة آلاف من الروم كانوا فيها وأحرق المراكب، وفتح حصوناً كثيرة، وعاد سالماً ومن معه.

وفيهما توفي أحمد بن عيسى بن الشيخ^(١) وقام بعده ابنه محمد بآمد وما يليها على سبيل التغلب. فسار المعتضد إلى آمد بالعساكر، ومعه ابنه أبو محمد عليّ المكتفي في ذي الحجة، وجعل طريقه على الموصل، فوصل آمد وحصرها إلى ربيع الآخر من سنة ست وثمانين ومائتين، ونصب عليها المجانيق. فأرسل محمد بن أحمد بن عيسى يطلب الأمان لنفسه ولمن معه ولأهل البلد فأمنهم المعتضد، فخرج إليه وسلم البلد فخلع عليه المعتضد، وأكرمه وهدم سورها. ثم بلغه أن محمد بن الشيخ يريد الهرب فقبض عليه وعلى ماله.

وفيهما وجه هارون بن خمارويه إلى المعتضد ليسأله أن يقطعه على ما في يده ويدنو به من مصر، والشام، ويسلم أعمال قنسرين إلى المعتضد ويحمل كل سنة أربعمائة ألف وخمسين ألف دينار، فأجابه إلى ذلك. وسار من آمد واستخلف فيها ابنه المكتفي ووصل إلى قنسرين، والعواصم، فتسلمها من أصحاب هارون وكان ذلك سنة ست وثمانين ومائتين وفيها غزا ابن الأخشيد^(٢) بأهل طرسوس ففتح الله على يديه وبلغ اسكندرون. وحج بالناس محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي. وفيها توفي ابراهيم بن اسحاق الحربي ببغداد وهو من أعيان المحدثين^(٣). واسحاق بن ابراهيم الدبري، صاحب عبد الرزاق بصنعاء، وهو آخر من روى عن عبد الرزاق (الدبري) بفتح الدال المهملة والباء الموحدة وبعدها راء وفيها توفي أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي اليماني الخوي المعروف بالمبرد، وكان قد أخذ النحو عن أبي عثمان المازني.

(١) هو والي آمد وديار بكر ولاه إياهما المعتز.

(٢) في الطبري: «ابن الإخشاد».

(٣) ابراهيم بن اسحاق الحربي: كان عالماً زاهداً مصنفاً.

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين

وفي هذه السنة وجّه محمد بن أبي السّاج المعروف بأبي المسافر إلى بغداد برهينة بما ضمن للسلطان من الطّاعة ، والمناصحة ، ومعه هدايا جليّة .
وفيها أرسل عمرو بن الليث هدية^(١) إلى المعتضد من نيسابور فكانت قيمتها أربعة آلاف درهم .

ذكر ابتداء أمر القرامطة بالبحرين

وفيها ظهر رجل من القرامطة يُعرف بأبي سعيد الجنابي ، بالبحرين ، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة ، وقوي أمره ، فقتل من حوله من أهل القرى . ثم سار إلى القطيف^(٢) فقتل من بها وأظهر أنه يريد البصرة . فكتب أحمد بن محمد بن يحيى الواقفي ، وكان متولي البصرة إلى المعتضد بذلك ، فأمره بعمل سور على البصرة ، وكان مبلغ الخراج عليه أربعة عشر ألف دينار .

وكان ابتداء القرامطة بناحية البحرين ، أن رجلاً يعرف بيحيى بن المهدي ، قصد قطيف ، فنزل على رجل يعرف بعليّ بن المعلى بن حمدان ، مولى الزيّاديين . وكان يغالي في التشيع ، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي ، وكان ذلك سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وذكر أنه خرج إلى شيعته في البلاد يدعوهم إلى أمره ، وان ظهوره قد قرب ، فوجّه عليّ بن المعلى إلى الشيعة من أهل القطيف ، فجمعهم وأقرأهم الكتاب

(١) لقد أورد الطبري تفاصيل هذه الهدية .

(٢) القُطَيْفُ : بفتح أول وكسر ثانيه ، مدينة بالبحرين هي اليوم قصبتها وأعظم مدنها .

الذي مع يحيى بن المهدي إليهم من المهدي فأجابوه ، وإنهم خارجون معه إذا ظهر أمره . ووجه إلى سائر قرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه . وكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي وكان يبيع للناس الطعام ، ويحسب لهم بيعهم . ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مدة ، ثم رجع ، ومعه كتاب يزعم أنه من المهدي إلى شيعته فيه قد عرفني رسول يحيى بن المهدي مسارعتكم إلى أمري ، فليدفع إليه كل رجل منكم ستة دنانير وثلاثين ، ففعلوا ذلك .

ثم غاب عنهم وعاد ، ومعه كتاب فيه أن ادفعوا إلى يحيى خمس أموالكم ، فدفعوا إليه الخمس . وكان يحيى يتردد في قبائل قيس ، ويورد إليهم كتباً يزعم أنها من المهدي ، وأنه ظاهر فكونوا على أهبة . وحكى إنسان منهم يُقال له : إبراهيم الصائغ ، أنه كان عند أبي سعيد الجنابي ، وأتاه يحيى فأكلوا طعاماً فلما فرغوا خرج أبو سعيد من بيته ، وأمر امرأته أن تدخل إلى يحيى ، وأن لا تمنعه إن أراد فانتهى هذا الخبر إلى الوالي فأخذ يحيى ، فضربه وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَلَحِيتَهُ ، وهرب أبو سعيد الجنابي إلى جنابا ، وسار يحيى بن المهدي إلى بني كلاب ، وعقيل ، والخريس ، فاجتمعوا معه ومع أبي سعيد ، فعظم أمر أبي سعيد ، وكان منه ما يأتي ذكره .

ذكر عدة حوادث

وفيهما سار المعتضد من آمد بعد أن ملكها ، كما ذكرناه ، إلى الرقة فولّى ابنه علياً المكتفي قنسرين ، والعواصم ، والجزيرة ، وكاتبه النصراني واسمه الحسين بن عمرو ، فكان ينظر في الأموال فقال الخليفة في ذلك :

حسين بن عمرو عدوّ القراء ن يصنع في العرب ما يصنع
يقوم لهيبته المسلمو ن صفوفاً لفرد إذا يطلع
فإن قيل قد أقبل الجائلي ق تحفى له ومشى يطلع

وفيهما توفي ابن الأخشيد أمير طرسوس ، واستخلف أبا ثابت على طرسوس . وفيها سار إلى الأنبار جماعة أعراب من بني شيان ، وأغاروا على القرى ، وقتلوا من لحقوا من الناس ، وأخذوا المواشي . فخرج إليهم أحمد بن محمد بن كمشجور ، متوليها فلم يطقهم . فكتب إلى المعتضد بذلك فأمدّه بجيش فأدركوا الأعراب ، وقتلواهم

فهزمهم الأعراب، وقتلوا فيهم، وغرق أكثرهم، وتفرقوا. وعاث الأعراب في تلك الناحية وبلغ خبر الهزيمة إلى المعتضد فسير جيشاً آخر فرحل الأعراب إلى عين التمر فأفسدوا، وعاثوا، وذلك في شعبان ورمضان. فوجه إليهم عسكرياً آخر إلى عين التمر، فسلخوا البرية إلى نواحي الشام، فعاد العسكر إلى بغداد ولم يلقهم. وفيها استدعى المعتضد راغباً مولى الموفق من طرسوس فقدم عليه - وهو بالرقة - فحبسه، وأخذ جميع ما كان له، فمات بعد أيام من حبسه، وكان في ذلك في شعبان. وقبض على بكنون^(١) غلام راغب وأخذ ماله بطرسوس. وفيها قلد المعتضد ديوان المشرق محمد بن داود بن الجراح، وعزل عنه أحمد بن محمد بن الفرات. وقلد ديوان المغرب علي بن عيسى بن داود بن الجراح. وفيها توفي أبو جعفر محمد بن إبراهيم الأنماطي المعروف بالمربع صاحب يحيى بن معين، وكان حافظاً للحديث، ومحمد بن يوسف الكريمي البصري.

(١) في الطبري «مكنون».

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين

ذكر قتل أبي ثابت أمير طرسوس وولاية ابن الأعرابي

في هذه السنة اجتمعت الروم وحشدت في ربيع الآخر ، ووافت باب قلمية من طرسوس ، فنفر أبو ثابت أمير طرسوس بعد موت ابن الأخشيد ، وكان استخلفه عند موته . فبلغ أبو ثابت في نفيه إلى نهر الرجان^(١) في طلبهم ، فأسر أبو ثابت ، وأصيب الناس معه . وكان ابن كلوب غازياً في درب السلامة ، فلما عاد جمع مشايخ الثغر ليتراضوا بأمير ، فاجمعوا رأيهم على ابن الأعرابي فولّوه أمرهم ، وذلك في ربيع الآخر من هذه السنة .

ذكر ظفر المعتضد بوصيف ومن معه

في هذه السنة هرب وصيف خادم محمد بن أبي السّاج من بردعة^(٢) إلى ملطية من أعمال مولاة . وكتب إلى المعتضد يسأله أن يولّيه الثغور ، فأخذ رسله ، وقرّهم عن سبب مفارقة وصيف مولاة . فذكروا له أنه فارقه على مواطاة منهما أنه متى ولّى وصيف الثغور ، سار إليه مولاة ، وقصدا ديار مضر ، وتغلبا عليها . فسار المعتضد نحوه فنزل العين السوداء ، وأراد الرحيل في طريق المصيصة فاتته العيون ، فأخبروه أن وصيفاً يريد عين زربة ، فسأل أهل المعرفة بذلك الطريق وسألهم عن اقرب الطرق إلى لقاء وصيف ، فأخذوه وساروا به نحوه . وقدم جمعاً من عسكره بين يديه فلقوا وصيفاً فقاتلوه وأخذوه أسيراً فاحضروه عند المعتضد فحبسه ، فأمر ونودي في أصحاب وصيف

(١) وادٍ عظيم بنجد .

(٢) بردعة : بلد في أقصى أذربيجان .

بالأمان ، وأمر العسكر برّد ما نهبوه منهم ، ففعلوا ذلك وكانت الواقعة لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة .

فلما فرغ منه رحل إلى المصيصة ، وأحضر رؤساء طرسوس ، فقبض عليهم لأنهم كاتبوا وصيفاً ، وأمر باحراق مراكز طرسوس التي كانوا يغزون فيها وجميع آلاتها . وكان من جملة ما نحو من خمسين مركباً قديمة قد أنفق عليها من الأموال ما لا يحصى ولا يمكن عمل مثلها فأضّر ذلك بالمسلمين وقت في أعضادهم وأمر الروم أن يغزوا في البحر . وكان إحراقها بأشارة دميانة غلام بازمار^(١) لشيء كان في نفسه على أهل طرسوس . واستعمل على أهل الثغور الحسن بن عليّ كوره . وسار المعتضد إلى انطاكية ، وحلب وغيرهما ، وعاد إلى بغداد . وفيها توفيت ابنة خمارويه زوج المعتضد .

ذكر أمر القرامطة وانهزام العباس الغنوي منهم

في هذه السنة في ربيع الآخر عَظُمَ أمر القرامطة بالبحرين وأغاروا على نواحي هجر ، وقرب بعضهم من نواحي البصرة ، فكتب أحمد الواثقي يسأل المدد فسير إليه سميريات فيها ثلاثمائة رجل . وأمر المعتضد باختيار رجل ينفذه إلى البصرة . وعزل العباس بن عمرو الغنوي عن بلاد فارس ، وأقطعته اليمامة ، والبحرين وأمره بمحاربة القرامطة ، وضمّ إليه زهاء ألفي رجل . فسار إلى البصرة ، واجتمع إليه جمع كثير من المتطوعة والجند ، والخدم . ثم سار منها إلى أبي سعيد الجنابي فلقوه مساءً ، وتناوشوا القتال ، وحجز بينهم الليل . فلما كان الليل انصرف عن العباس من كان معه من اعراب بني ضبة وكانوا ثلاثمائة إلى البصرة وتبعهم متطوعة البصرة . فلما أصبح العباس باكر الحرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم حمل نجاح غلام أحمد بن عيسى بن الشيخ ، من ميسرة العباس في مائة رجل على ميمنة ابي سعيد فوغلوا فيهم فقتلوا عن آخرهم ، وحمل الجنابي ومن معه على أصحاب العباس ، فانهزموا ، وأسر العباس ، واحتوى الجنابي على ما كان في عسكره . فلما كان من الغد أحضر الجنابي الأسرى ، فقتلهم جميعاً وحرقهم ، وكانت الواقعة آخر شعبان . ثم سار الجنابي إلى هجر بعد الواقعة

(١) في الطبري « يازمان » وقد تقدم .

فدخلها ، وأمن أهلها . وانصرف من سلم من المنهزمين - وهم قليل - والبصرة بغير زاد فخرج إليهم من البصرة نحو أربعمائة رجل على الرواحل ، ومعهم الطعام ، والكسوة ، والماء ، فلقوا بها المنهزمين ، فخرج عليهم بنو أسد ، وأخذوا الرواحل ، وما عليها ، وقتلوا من سلم من المعركة . فأضربت البصرة لذلك ، وعزم أهلها على الانتقال منها ، فمنعهم الوثاقي . وبقي العباس عند الجنابي أياماً ، ثم أطلقه وقال له : « امض إلى صاحبك وعرفه ما رأيت » . وحمله على رواحل ، فوصل إلى بعض السواحل ، وركب البحر فوافى الابله ، ثم سار منها إلى بغداد ، فوصلها في رمضان . فدخل على المعتضد فخلع عليه .

بلغني أن عبيد الله بن عبدالله بن طاهر قال : « عجائب الدنيا ثلاث ، جيش العباس بن عمرو ، يؤسر وحده وينجو وحده ، ويقتل جميع جيشه ، وجيش عمرو بن الصفار ، يؤسر وحده ، ويسلم جميع جيشه ، وأنا أنزل في بيتي وتولى ابني أبو العباس الجسرين ببغداد » . ولما أطلق أبو سعيد العباس اعطاه درجاً ملصقاً ، وقال له : « أوصله الى المعتضد فإن لي فيه أسراراً » . فلما دخل العباس على المعتضد عاتبه المعتضد ، فأوصل إليه العباس الكتاب فقال : « والله ليس فيه شيء وإنما أراد أن يعلمني أنني أنفذتكم إليه في العدد الكثير ، فردك فرداً وفتح الكتاب وإذا ليس فيه شيء » . وفيها في ذي القعدة ، أوقع بدر غلام الطائي بالقرامطة على غرة منهم بنواحي ميسان^(١) و غيرها ، وقتل منهم مقتلة ، ثم تركهم خوفاً أن تخرب السواد وكانوا فلاحيه وطلب رؤساءهم ، فقتل من ظفر به منهم .

ذكر أسر عمرو الصفار وملك إسماعيل خراسان

في هذه السنة في ربيع الأول أسر عمرو بن الليث الصفار . وكان سبب ذلك أن عمراً أرسل الى المعتضد برأس رافع بن هرثمة ، وطلب منه أن يوليّه ما وراء النهر ، فوجه إليه الخلع ، واللواء بذلك ، وهو بنيسابور . فوجه لمحاربة إسماعيل بن أحمد الساماني ، صاحب ما وراء النهر ، محمد بن بشير ، وكان خليفته ، وحاجبه ، وأخص أصحابه بخدمته وأكبرهم عنده وغيره من قواده إلى أمل ، فعبر إليهم إسماعيل جيحون

(١) اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان .

فحاربهم فهزمهم ، وقتل محمد بن بشير ، في نحو ستة الاف رجل ، وبلغ المنهزمون إلى عمرو - وهو بنيسابور - وعاد إسماعيل إلى بخارى ، فتجهز عمرو لقصد إسماعيل فأشار إليه أصحابه بانقاذ الجيوش ولا يخاطر بنفسه ، فلم يقبل منهم ، وسار عن نيسابور نحو بلخ ، فأرسل اليه إسماعيل : « إنك قد وليت دنيا عريضة ، وإنما في يدي ما وراء النهر ، وأنا في ثغر فأقنع ، بما في يدك واطركني مقيماً في هذا الثغر » . فأبى .

فذكر لعمرو وأصحابه شدة العبور بنهر بلخ فقال ؛ لو شئت ان أسكره ببدر الأموال ، وأعبره لفعلت . فسار إسماعيل نحوه وعبر النهر إلى الجانب الغربي . وجاء عمرو فنزل بلخ وأخذ إسماعيل عليه النواحي لكثرة جمعه وصار عمرو كالمحاصر وندم على ما فعل ، وطلب المحاجة ، فأبى إسماعيل عليه ، فاقتلوا ، فلم يكن بينهم كثير قتال ، حتى انهزم عمرو فولى هارباً . ومرّ بأجمة في طريقه فقبل له : إنها أقرب الطرق ، فقال لعامة من معه : امضوا في الطريق الواضح . وسار هو في نفر يسير ، فدخل الأجمة ، فوحلت به دابته ، فلم يكن له في نفسه حيلة ، ومضى من معه ، ولم يعرجوا عليه . وجاء أصحاب إسماعيل فأخذوه أسيراً . فسيره إسماعيل إلى سمرقند . ولما وصل الخبر إلى المعتضد ذمّ عمراً ومدح إسماعيل . ثم إن إسماعيل خير عمرو بين مقامه عنده ، أو إنفاذه إلى المعتضد ، فاختر المقام عند المعتضد فسيره إليه ، فوصل إلى بغداد ، سنة ثمان وثمانين ومائتين .

فلما وصل ركب على جمل وأدخل بغداد ثم حبس ، فبقي محبوساً حتى قتل سنة تسع وثمانين على ما ذكره . وارسل المعتضد إلى اسماعيل بالخلع وولاه ما كان بيد عمرو ، وخلع على نائبه بالحضرة المعروف بالمرزوباني ، واستولى اسماعيل على خراسان ، وصارت بيده . وكان عمرو أعور شديد السمرة ، عظيم السياسة قد منع أصحابه ، وقواده أن يضرب أحد منهم غلاماً إلا بأمر ، أو يتولى عقوبة الغلام نائبه ، أو أحد حجابه . وكان يشتري المماليك الصغار ، ويرميهم ، ويهجم لقواده ، ويجري عليهم الجرايات الحسنة سراً ، ليطالعوه بأحوال قواده ، ولا ينكتم عنه من أخبارهم شيء ، ولم يكونوا يعلمون من ينقل إليه عنهم . فكان أحدهم يحذره وهو وحده .

حكى عنه أنه كان له عامل بفارس يقال له : أبو حصين ، فسخط عليه عمرو ، وألزمه أن يبيع أملاكه ، ويوصل ثمنها إليه ففعل ذلك . ثم طلب منه مائة ألف درهم فإن

أداها في ثلاثة أيام ، وإلا قتله ، فلم يقدر على شيء منها . فأرسل إلى أبي سعيد الكاتب ، يطلب منه أن يجتمع به ، فأذن له ، فاجتمع به وعرفه ضيق يده ، وسأله أن يضمه ، فيخرج من محبسه ويسعى في تحصيل المبلغ المطلوب منه ، ففعل ، وأخرجه فلم يفتح عليه بشيء . فعاد إلى أبي سعيد الكاتب ، فبلغ خبره عمراً فقال : «والله ما أدري من أيهما أعجب من أبي سعيد فيما فعل من بذل مائة ألف درهم أم في أبي حصين ، كيف عاد وقد علم أنه القتل ؟» ثم أمر بإطلاق ما عليه وردّه إلى منزلته .

وحكي عنه أنه كان يحمل أحمالاً كثيرة من الجرب ، ولم يعلم أحد ما مراده فاتفق في بعض السنين أنه قصد طائفة من العصابة عليه للايقاع بهم ، فسلك طريقاً لا تظن العصابة عليه انهم يؤتون منه ، وكان في طريقه وادٍ فأمر بتلك الجرب فملئت تراباً وأحجاراً ونضد بعضها إلى بعض ، وجعلها طريقاً في الوادي ، فعبأ أصحابه عليها ، وأتاهم وهم آمنون فأتخن فيهم ، وبلغ منهم ما أراد .

وحكي أيضاً أن أكبر حجابيه كان اسمه محمد بن بشير ، وكان يخلفه في كثير من أموره العظام . فدخل عليه يوماً وأخذ يعدد عليه ذنوبه فحلف محمد بالله والطلاق ، والعنق أنه لا يملك إلا خمسين بدرة وهو يحملها إلى الخزانة ، ولا يجعل له ذنباً لم يعلمه فقال عمرو : ما أعقلك من رجل ، احملها إلى الخزانة ، فحملها فرضي عنه . وما أقبح هذا من فعل ، وشره إلى أموال من أذهب عمره في خدمته .

ذكر قتل محمد بن زيد العلوي

في هذه السنة قُتل محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان ، والدليل . وكان سبب قتله أنه لما اتصل به أسر عمرو بن الليث الصفار خرج من طبرستان نحو خراسان ظناً منه أن اسماعيل الساماني لا يتجاوز عمله ولا يقصد خراسان وانه لا دافع له عنها . فلما سار إلى جرجان أرسل إليه اسماعيل وقد استولى على خراسان يقول له : الزم عملك ولا تتجاوز عمله ولا تقصد خراسان . وترك جرجان له فأبى ذلك محمد . فندب إليه اسماعيل بن أحمد محمد بن هارون - وهذا محمد كان يخلف رافع بن هرثمة أيام ولايته خراسان - فجمع محمد جمعاً كثيراً من فارس وراجل وسار نحو محمد بن زيد ، فالتقوا على باب جرجان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم محمد بن هارون أولاً ، ثم رجع ، وقد تفرق أصحاب محمد بن زيد في الطلب ، فلما رأوه قد رجع إليهم ولّوا

هاريين . وقتل منهم بشر كثير ، وأصاب ابن زيد ضربات وأسِرَ ابنه زيد وعَنِمَ ابن هارون عسكره وما فيه .

ثم مات محمد بن زيد بعد أيام من جراحاته التي أصابته فدُفِنَ على باب جرجان ، وجُمِلَ ابنه زيد بن محمد إلى إسماعيل بن أحمد فأكرمه ، ووسَّع في الإنزال عليه ، وأنزله بُخارى ، وسار محمد بن هارون إلى طبرستان ، وكان محمد بن زيد ، فاضلاً أديباً شاعراً عارفاً حَسَنَ السَّيَرَةِ . قال ابو عُمَرُ الأُسْتَرَابَاذِي : « كنت أوردُ على محمد بن زيد أخبار العباسيين » . فقلت له : « انهم قد لقبوا أنفسهم ، فإذا ذكرتهم عندك أسميتهم أو ألقبهم » فقال : « الأمر موسع عليك ، سمهم ولقبهم بأحسن ألقابهم ، وأسمائهم ، وأحبها إليهم » وقيل ؛ حضر عنده خصمان أحدهما اسمه معاوية ، والآخر اسمه عليّ فقال : الحكمُ بينكما ظاهرٌ ، فقال معاوية : إن تحت هذين الأسمين خيراً ، قال محمد : وما هو ؟ قال ؛ ان أبي كان من صادقي الشيعة فسماني معاوية ليكفني شر النواصب ، وإن أبا هذا كان ناصبياً ، فسماه علياً خوفاً من العلوية والشيعة ، فتبسّم إليه محمد ، وأحسنَ إليه وقربهُ ، وقيل : استأذن عليه جماعة من أضرء الشيعة وقُرَّائهم ، فقال ؛ أدخلوا فإنه لا يحبنا إلّا كلُّ كسيرٍ وأعور .

ذكر ولاية أبي العباس صقلية

كان إبراهيم بن الأمير أحمد أمير أفريقية ، قد استعمل على صقلية ، أبا مالك أحمد بن عمر بن عبد الله ، فاستضعفه فولّى بعده ابنه أبا العباس بن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ، فوصل إليها غرة شعبان من هذه السنة في مائة وعشرين مركباً وأربعين حربي ، وحَصَرَ طرابلسَ واتَّصل خبره بعسكر المسلمين بمدينة بَلَرَمَ وهم يقاتلون أهل جرجنت فعادوا إلى بلرم . وأرسلوا جماعة من شيوخهم إليه بطاعتهم ، واعتذروا من قصدهم جرجنت .

ووصل إليه جماعة من أهل جرجنت ، وشكوا منهم ، وأخبروه أنهم مخالفون عليه ، وأنهم إنما سِيرَ مشايخهم خديعة ومكرأ ، وانهم لا إيمان لهم ولا عهدَ وان شئت ان تعلم مصداق هذا ، فاطلبُ إليك منهم فلاناً وفلاناً ، فأرسل إليهم يطلبهم فامتنعوا من الحضور عنده ، وخالفوا عليه ، وأظهروا ذلك فاعتقل الشيوخ الواصلين اليه منهم .

واجتمع أهل بلرم وساروا إليه منتصف شعبان، ومقدمهم مسعود الباجي، وأمير السفهاء منهم ركمويه وصحبهم، ثم أسطول في البحر نحو ثلاثين قطعة، فهاج البحر على الأسطول، فعطب أكثره، وعاد الباقي إلى بلرم، وأما العسكر الذين في البر فإنهم وصلوا إليه - وهو على طرابلس -، فاقتتلوا أشد القتال فقتل من الفريقين جماعة، وافترقوا. ثم أعادوا القتال في الثاني والعشرين، فانهزم أهل بلرم وقت العصر، وتبعهم أبو العباس إلى بلرم برأً وبحراً. فأعادوا قتاله عاشر رمضان من بكرة إلى العصر، فانهزم أهل البلد، ووقع القتل فيهم، إلى المغرب. واستعمل أبو العباس على أرباضها، ونهبت الأموال، وهرب كثير من الرجال والنساء إلى طبرمين. وهرب ركمويه وأمثاله من رجال الحرب إلى بلاد النصرانية، كالقسطنطينية وغيرها. وملك أبو العباس المدينة، ودخلها وأمن أهلها، وأخذ جماعة من وجوه أهلها فوجههم إلى أبيه بأفريقية، ثم رحل إلى طبرمين، فقطع كرومها، وقتلهم، ثم رحل إلى قطنية، فحصرها فلم ينل منها غرضاً، فرجع إلى المدينة، وأقام إلى أن دخلت سنة ثمان وثمانين فتجهز للغزو، وطاب الزمان وعمر الأسطول وسيّره أول ربيع الآخر. ونزل على دمشق ونصب عليها المجانيق، وأقام أياماً ثم انصرف إلى مسيني. وجاز في الحربية إلى ريو^(١)، وقد اجتمع بها كثير من الروم، فقاتلهم على باب المدينة، وهزمهم، وملك المدينة بالسيف، في رجب، وغنم من الذهب والفضة ما لا يحصى، وشحن المراكب بالدقيق والأمتعة - ورجع إلى مسيني^(٢) وهدم سورها ووجد بها مراكب قد وصلت من القسطنطينية، وأخذ منها ثلاثين مركباً ورجع إلى المدينة. وأقام إلى سنة تسع وثمانين. فأتاه كتاب أبيه إبراهيم يأمره بالعود إلى أفريقية، فرجع إليها جريدة في خمس قطع شواحي. وترك العسكر مع ولديه أبي مضر، وأبي معد. فلما وصل إلى أفريقية استخلفه أبوه بها، وسار هو إلى صقلية مجاهداً عازماً على الحج بعد الجهاد، فوصلها في رجب سنة سبع وثمانين ومائتين، وقد ذكرنا خبره سنة إحدى وستين ومائتين.

(١) ريو: بفتح أوله وضّم ثانيه وواء ساكنة: مدينة للروم مقابل جزيرة صقلية من ناحية الشرق على بر القسطنطينية.

(٢) مسيني: بالفتح ثم السين المشددة مكسورة وياء ساكنة ونون مكسورة، بليدة على ساحل جزيرة صقلية مما يلي الروم مقابل ريو.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة جمعت طيء من قدرت عليه من الأعراب ، وخرجوا على قفل الحاج ، فواقعوهم بالمعدن ، وقاتلوهم يومين بين الخميس والجمعة لثلاث بقيت من ذي الحجة ، فانهزم العرب وقتل كثير وسلم الحاج .

وفيها مات اسحاق بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوي ، عدي ربيعة أمير ديار ربيعة من بلاد الجزيرة فولّى مكانه عبدالله بن الهيثم بن عبدالله بن المعتمر . وفيها توفيت قطر الندي ابنة خمارويه بن أحمد بن طولون ، صاحب مصر وهي امرأة المعتضد ، وحجّ بالناس هذه السنة محمد بن عبدالله بن داود . وفيها استعمل المعتضد عيسى النوشري - وهو أمير اصبهان - على بلاد فارس ، وأمره بالمشير إليه . وفيها توفي فهد بن أحمد بن فهد الأزدي الموصلّي وكان من الأعيان ، وعليّ بن عبد العزيز البغوي توفي بمكة ، وهو صاحب أبي عبيد ، القاسم بن سلام بالتشديد .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين

في هذه السنة وقع الوباء بأذربيجان ، فمات منه خلق كثير إلى أن فقد الناس ما يكفون به الموتى ، وكانوا يتركونهم على الطرق غير مكفنين ، ولا مدفونين .

وفيهما توفي محمد بن أبي السَّاج الملقب بأنشين بأذربيجان في الوباء الكثير المذكور فاجتمع أصحابه فولّوا ابنه ديوداد ، واعتزلهم عمّه يوسف بن أبي السَّاج مخالفاً لهم ، فاجتمع إليه نفر يسير فأوقع بابن أخيه ديوداد ، وهو في عسكر أبيه فهزمه . وعرض عليه يوسف المقام معه فأبى وسلك طريق الموصل الى بغداد ، وكان ذلك في رمضان . وفيها في صفر دخل طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث بلاد فارس في عسكره وأخرجوا عنها عامل الخليفة . فكتب الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني إلى طاهر يذكر له أن الخليفة المعتضد قد ولّاه سجستان ، وانه سائر إليها ، فعاد طاهر لذلك .

وفيهما ولّى المعتضد مولاه بدرًا فارس ، وأمره بالشخوص إليها ، لما بلغه أن طاهراً تغلب عليها ، فسار إليها في جيش عظيم في جمادى الآخرة . فلما قرب من فارس تنحى عنها من كان بها من أصحاب طاهر ، فدخلها بدر وجبى خراجها . وعاد طاهر الى سجستان ، كما ذكرناه ، من مراسلة إسماعيل الساماني إليه بأنه يريد يقصد سجستان .

وفيهما تغلب بعض العلويين على صنعاء ، فقصدته بنو يعفر في جمع كثير ، فقاتلوه فهزموه ، ونجا هارباً في نحو خمسين فارساً ، وأسروا ابنه له . ودخلها بنو يعفر وخطبوا فيها للمعتضد .

وفيهما سير الحسين بن علي كوره ، صاحبه نزار محمد إلى صائفة الروم ، فغزا ،
 وفتح حصوناً كثيرة للروم ، وعاد ومعه الأسرى . ثم إن ساروا في البر والبحر
 إلى ناحية كيسوم ، فأخذوا من المسلمين أكثر من خمسة عشر ألفاً وعادوا . وفيها قرب
 أصحاب ابي سعيد الجنابي من البصرة . فخاف أهلها وهُمُّوا بالهرب منهم ، فمنعهم
 من ذلك واليهم . وفيها في ذي الحجة قُتِلَ وصيف خادم ابن ابي السَّاج ، وصلبت جثته
 ببغداد . وقيل : إنه مات ولم يقتل . وحجَّ بالناس هذه السنة هارون بن محمد المكنى
 أبا بكر . وفيها توفي في ربيع الآخر توفي عبيد الله بن سليمان الوزير ، فعظم موته على
 المعتضد ، وجعل ابنه ابا الحسين القاسم بن عبيد الله بعد أبيه في الوزارة . وفيها توفي
 إبراهيم الحربي ، وبشر بن موسى الأسدي ، وهو من الحفاظ للحديث . وفيها في
 صفر توفي ثابت بن قرة بن سنان الصابي الطبيب المشهور ومعاذ بن المشي
 العنبري .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين

ذكر أخبار القرامطة بالشام

في هذه السنة ظهر بالشام رجل من القرامطة، وجمع جموعاً من الأعراب، وأتى دمشق وأميرها طنج بن جُف من قبل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون، وكانت بينهما وقعتات.

وكان ابتداء حال هذا القرمطي أن ذكرويه^(١) بن مهرويه الذي ذكرنا أنه داعية قرمط لما رأى أن الجيوش من المعتضد متتابعة إلى من بسواد الكوفة من القرامطة وأن القتل قد أبادهم سعى في استغواء من قرب من الكوفة من الأعراب أسد، وطيء وغيرهم، فلم يجبه منهم أحد. فأرسل أولاده إلى كلب بن وبرة فاستغوهم، فلم يجبههم منهم إلا الفخذ المعروف ببني القليص^(٢) بن ضمضم بن عدي بن خباب^(٣)، ومواليهم خاصة فبايعوا في آخر سنة تسع وثمانين ومائتين، بناحية السماوة [ابن] ذكرويه المسمى بيحيى المكنى أبا القاسم فلقبوه الشيخ، وزعم أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقيل: لم يكن لمحمد بن اسماعيل ولد اسمه عبد الله. وزعم أن له بالبلاد مائة ألف تابع وإن ناقته التي يركبها مأمورة، فإذا تتبعوها في مسيرها نصرها، وأظهر عضداً له ناقصة، وذكر أنه ابنه^(٤) وأتاه جماعة من بني الأصبع^(٥) وسموا الفاطميين، ودانوا بدينه. فقصدهم شبل^(٦) غلام المعتضد من ناحية الرصافة فاغتروه، فقتلوه، وأحرقوا مسجد

(١) في الطبري: «ذكرويه».

(٢) في الطبري «بني القليص».

(٣) في الطبري «جناب» وأظنه الصواب.

(٤) في الطبري «وذكر أنها آية» ولعله الصواب.

(٥) في الطبري «من بني الأصبع».

(٦) في الطبري «فقصدهم شبل».

الرّصافة ، واعترضوا كل قرية اجتازوا بها حتى بلغوا ولاية هارون بن خمارويه التي قوِّطِعَ عليها طعج بن جف ، فأكثروا القتل بها ، والإغارة ، فقاتلهم طعج فهزموه غير مرة .

ذكر أخبار القرامطة بالعراق

وفيها انتشر القرامطة بسواد الكوفة فوجّه المعتضد إليهم شبلاً غلاماً أحمد بن محمد الطائي ، وظفر بهم ، وأخذ رئيساً لهم يعرف بأبي الفوارس^(١) فسيّره الى المعتضد فأحضره بين يديه وقال له : « أخبرني هل تزعمون ، أن روح الله تعالى ، وأرواح أنبيائه تحلّ في أجسادكم ، فتعصمكم من الزلزل ، وتوفقكم لصالح العمل ؟ » فقال له : « يا هذا أن حلت روحُ الله فينا فما يضرُّك ، وإن حلت روح ابليس فما ينفعك ، فلا تسأل عما لا يعينك وسل عما يخصك » فقال : « ما تقول فيما يخصني » ؟ قال : اقول إن رسول الله ﷺ ، مات وأبوكم العباس حي ، فهل طلب بالخلافة ، أم هل بايعه أحد من الصحابة على ذلك ؟ ثم مات ابو بكر فاستخلف عمر ، وهو يرى موضع العباس ، ولم يوص إليه ، ثم مات عمر وجعلها شورى في ستة أنفس ، ولم يوص إليه ، ولا ادخله فيهم . فيماذا تستحقون أنتم الخلافة ؟ وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها ، فأمر به المعتضد ، فعذب وخلعت عظامه ثم قُطِعَتْ يداه ، ورجلاه ثم قُتِلَ .

ذكر وفاة المعتضد

في هذه السنة في ربيع الآخر توفيّ المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق بن المتوكل ، ليلة الاثنين لثمانٍ بقين منه . وكان مولده في ذي الحجة من سنة اثنتين وأربعين ومائتين . ولما اشتدّ مرضه اجتمع القواد ، منهم يونس الخادم ، وموشكير ، وغيرهما . وقالوا للوزير القاسم بن عبيد الله : ليجدد البيعة للمكتفي . وقالوا : إنا لا نأمن فتنة فقال : ان هذا المال لأمر المؤمنين ولولده من بعده ، وأخاف أن اطلق المال ، فيبرأ من علته ، فينكر عليّ ذلك . فقال : أنا بريء من مرضه ، فنحن

(٢) في الطبري : « يعرف بابن أبي فوارس » .

المحتجون ، والمناظرون ، وان صار الأمر الى ولده ، فلا يلومنا ، ونحن نطلب الأمر له ، فأطلق المال وجدّد عليه البيعة ، وأحضر عبد الواحد بن الموفق ، وأخذ عليه البيعة فوكل به ، وأحضر ابن المعتز ، ومضى ابن المؤيد ، وعبد العزيز بن المعتمد ووكل بهم ، فلما توفي أحضر يوسف بن يعقوب ، وأبا حازم ، وأبا عمر بن يوسف بن يعقوب فتولّى غسله محمد بن يوسف ، وصلى عليه الوزير ، ودُفِنَ ليلاً في دار محمد بن طاهر وجلس الوزير في دار الخلافة للعزاء وجدّد البيعة للمكتفي . وكانت أم المعتضد - واسمها ضرار - قد توفيت قبل خلافته . وكانت خلافته سبع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً . وخلف من الولد الذكور علياً - وهو المكتفي - وجعفرأ - وهو المقتدر - وهارون ، ومن البنات إحدى عشرة بنتاً ، وقيل : سبع عشرة ، ولما حضرته الوفاة أنشد :

تمتّع من الدنيا فإنك لا تبقى	وحُذِّ صفوها ما إن صفت ودع الرنقا
ولا تأمنن الدهر إني أمنتُهُ	فلم يبق لي خلا ولا يرع لي حقاً
قتلت صناديد الرجال ولم أدع	عدواً ولم أمهل على طغيه خلقاً
وأخليت دار الملك من كل نازع	فشرذمتهم غرباً ومزقتهم شرقاً
فلما بلغت النجم عز ورفعة	وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقاً
رمانى الردى سهماً فأحمد جمرتي	فها أنا ذا في حفرتي عاجلاً ألقى
ولم يغن عني ما جمعت ولم أجذ	لذي الملك والأحياء في حسنها رفقاً
فيا ليت شعري بعد موتي ما ألقى	إلى نعم الرحمن أم نهاره ألقى

ذكر صفته وسيرته

كان المعتضد أسمر نحيف الجسم معتدل الخلق ، قد وخطه الشيب ، وكان شهماً شجاعاً مقداماً ، وكان ذا عزم وكان فيه شج . بلغه خبر وصيف خادم ابن أبي السّاج ، وعليه قباء أصفر ، فسار من ساعته ، وظفر بوصيف ، وعاد . فدخل أنطاكية ، وعليه القباء ، فقال بعض أهلها : الخليفة بغير سواد ، فقال بعض أصحابه : أنه سار فيه ، ولم ينزعه عنه إلى الآن ، وكان عفيفاً . حكى القاضي إسماعيل بن اسحاق قال : « دخلت على المعتضد وعلي رأسه أحداث روم صباح الوجوه فأطلت النظر إليهم ، فلما قمت أمرني بالقعود ، فجلست فلما تفرّق الناس قال : يا قاضي والله ما حللت سراويلي

على غير حلال قط . . وكان مهيباً عند أصحابه يتقون سطوته ويكفون عن الظلم خوفاً منه .

ذكر خلافة المكتفي بالله

ولما توفي المعتضد كتب الوزير إلى أبي محمد علي بن المعتضد - وهو المكتفي بالله - يعرفه بذلك ويأخذ البيعة له وكان بالرقّة . فلما وصله الخبر أخذ البيعة على من عنده من الأجناد، ووضع لهم العطاء، وسار إلى بغداد . ووجه إلى النواحي من ديار ربيعة . ومضر، ونواحي العرب من يحفظها، ودخل بغداد، لثمان خلون من جمادى الأول، فلما سار إلى منزله أمر بهدم المطامير، التي كان أبوه اتخذها لأهل الجرائم .

ذكر قتل عمرو بن الليث الصفار

وفي هذا اليوم الذي دخل فيه المكتفي بغداد قُتل عمرو بن الليث الصفار ودُفن من الغد . وكان المعتضد بعدما امتنع من الكلام أمر صافياً الخرمي بقتل عمرو بن الليث بالإيماء والاشارة، ووضع يده على رقبتة وعلى عينه، بأن اذبح الأعور . وكان عمرو أعور، فلم يفعل ذلك صافي لعلمه بقرب وفاة المعتضد وكره قتل عمرو . فلما وصل المكتفي بغداد سأل الوزير عنه فقال : هو حي فسرّ بذلك وأراد الإحسان إليه لأنه كان يكثر من الهدية إليه لما كان بالريّ فكره الوزير ذلك^(١)، فبعث إليه من قتله .

ذكر استيلاء محمد بن هارون على الريّ

وفي هذه السنة كاتب أهل الريّ محمد بن هارون، الذي كان حارب محمد بن زيد العلوي، وتولى طبرستان لإسماعيل بن أحمد . وكان محمد بن هارون قد خلع طاعة إسماعيل فسأله أهل الريّ المسير إليهم ليسلموها إليه . وكان سبب ذلك أنّ الوالي عليهم كان قد أساء السيرة فيهم . فسار محمد بن هارون إليهم فحاربه واليها - وهو الدتمش^(٢) التركي - فقتله محمد، وقتل ابنين له وأخا كيغلغ - وهو من قواد الخليفة - ودخل محمد بن هارون الريّ واستولى عليها في رجب .

(١) واسم الوزير القاسم بن عبيد الله .

(٢) في الطبري « اوكرتمش التركي » .

ذكر قتل بدر

وفيها قُتِلَ بدر غلام المعتضد. وكان سبب ذلك أن القاسم الوزير، كان قد همَّ بنقل الخلافة عن ولد المعتضد بعده فقال لبدر، في ذلك في حياة المعتضد بعد ان استحلفه واستكتمه، فقال بدر: ما كنت لأصرفها عن ولد مولاي وولي نعمتي، فلم يمكنه مخالفة بدر إذ كان صاحب الجيش والمستولي على أمره، والمطاع في خَدَمِهِ وغلماؤه وحقدِها على بدر. فلما مات المعتضد كان بدر بفارس، فعقد القاسم البيعة للمكتفي - وهو بالرقة - وكان المكتفي أيضاً مباعداً لبدر في حياة أبيه. وعمل القاسم في هلاك بدر خوفاً على نفسه أن يذكر ما كان منه للمكتفي. فوجّه المكتفي محمد بن كشتمر^(١) برسائل إلى القواد الذين مع بدر يأمرهم بالمسير إليه ومفارقة بدر، ففارقه جماعة، منهم العباس بن عمرو الغنوي، ومحمد بن اسحاق بن كنداج، وخاقان المفلحي، وغيرهم، فأحسن إليهم المكتفي.

وسار بدر إلى واسط فوكل المكتفي بداره، وقبض على أصحابه وقواده، وحبسهم وأمر بمحو اسم بدر من التراس والاعلام. وسير الحسين بن علي^(٢) كوره في جيش إلى واسط، وأرسل إلى بدر يعرض عليه أي النواحي شاء، فأبى ذلك وقال: « لا بد لي من المسير إلى باب مولاي ». فوجد القاسم مساعداً للقول وخوفاً المكتفي غائلته. وبلغ بدر ما فعل بأهله وأصحابه، وأرسل من يأتيه بولده هلال سراً، فعلم الوزير بذلك فاحتاط عليه ودعا أبا حازم قاضي الشرقية، وأمره بالمسير إلى بدر، وتطبيب نفسه عن المكتفي، وإعطائه الأمان عنه لنفسه وولده وماله. فقال له أبو حازم: أحتاج إلى سماع ذلك من أمير المؤمنين. فصرفه، ودعا أبا عمر القاضي وأمره بمثل ذلك فأجابه، وسار ومعه كتاب الأمان. فسار بدر عن واسط نحو بغداد، فأرسل إليه الوزير من قتله. فلما أيقن بالقتل سأل أن يمهل حتى يصلِّي ركعتين، فصلاهما ثم ضربت عنقه يوم الجمعة لسبت خلون من شهر رمضان. ثم أخذ رأسه وتُرِكَتْ جُثَّتُهُ هنالك. فوجه عياله من أخذها سراً وجعلوها في تابوت. فلما كان وقت الحج حملوها إلى مكة فدفنوها بها وكان أوصى بذلك واعتق قبل ان يقتل كل مملوك كان له. ورجع أبو

(١) في الطبري « محمد بن كمشجور ».

(٢) في الطبري « الحسن بن علي ».

عمر القاضي إلى داره كثيراً بما كان منه في ذلك وقال الناس فيه أشعاراً وتكلموا فيه، فيما قيل فيه.

قُلْ لقاضي مدينة المنصور
عند إعطائه الموائيق والعهد
أين أيمانك التي شهد الله
إن كفيك لا تفارق كفي
يا قليل الحياء يا أكذب الأم
ليس هذا فعل القضاة ولا يح
أي أمر ركبت في الجمعة الزه
قد مضى من قتل في رمضان
يا بني يوسف بن يعقوب أضحي
بدد الله شملكم وأراني
فأعدوا الجواب (٣) للحكم العد
انتم كلكم فداً لأبي حا

بم أحللت أخذ رأس الأمير
د وعقد الايمان في منشور
ة على أنها يمين فجور
ه إلى أن ترى عليل (١) السرير
ة يا شاهداً شهادة زور
سين أمثاله ولأه الجسور
راء منه في خير هذي الشهور (٢)
صائماً بعد سجدة التعفير
أهل بغداد منكم في غرور
ذلكم في حياة هذا الوزير
ل (٤) ومن بعد منكر ونكير
زم المستقيم كل الأمور (٥)

ذكر ولاية أبي العباس عبد الله بن إبراهيم افريقية

قد ذكرنا، سنة إحدى وستين ومائتين، أن إبراهيم بن أحمد أمير أفريقية عهد إلى ولده أبي العباس عبد الله سنة تسع وثمانين ومائتين، وتوفي فيها. فلما توفي والده قام بالملك بعده، وكان أديباً لبيباً شجاعاً أحد الفرسان المذكورين مع علمه بالحرب وتصرفها. وكان عاقلاً عالماً له نظر حسن في الجدل. وفي أيامه عظم أمر أبي عبد الله الشيعي، فأرسل أخاه الأحوال - ولم يكن أحوال وإنما لقب بذلك لأنه كان إذا نظر دائماً

(١) في الطبري « ترى مليك ».

(٢) في الطبري : « من شهر خير خير الشهور ».

(٣) في الطبري « للحكم العادل من ».

(٤) في الطبري : « فأعدوا الجواب ».

(٥) في الطبري .

ربما كسر جفنه فلَقَّبَ بالأحول - إلى قتال أبي عبد الله الشيعي . فلما بلغه حركته خرج إليهم في جموع كثيرة وألتقوا عند كموشة فقتل بينهم خلق عظيم ، وانهزم الأحول ، إلا أنه أقام في مقابلة أبي عبد الله .

وكان أبو العباس أيام أبيه على خوف شديد منه لسوء أخلاقه ، واستعمله أبوه على صقلية ففتح فيها مواضع متعددة وقد تقدم ذكر ذلك أيام والده . ولما ولي أبو العباس أفريقية ، كتب إلى العمال كتاباً يُقرأ على العامة يعهدهم فيه الإحسان والعدل والرفق والجهد ، ففعل ما وعد من نفسه ، وأحضر جماعة من العلماء ليعينوه على أمر الرعية . وله شعر ، فمن ذلك قوله بصقلية وقد شرب دواء :

شربتُ الدواءَ على غربةٍ بعيداً من الأهلِ والمنزلِ
وكنْتُ إذا ما شربتُ الدواءَ أطيبَ بالمسكِ والمنديلِ
وقد صار شُرْبِي بحار الدما ونقَعُ العجاجةِ والقسطلِ

واتَّصل بأبي العباس عن ولده أبي مضر زيادة الله والي صقلية له اعتكافه على اللهو ، وإدمانه شرب الخمر فعزله ، وولى محمد بن السرقوسي ، وحبس ولده . فلما كان ليلة الأربعاء آخر شعبان من سنة تسعين ومائتين قتل أبو العباس قتله ثلاثة نفر من خدمه الصقالبة بوضع من ولده ، وحملوا رأسه إلى ولده أبي مضر - وهو في الحبس - فقتل الخدم ، وصلبهم ، وكان هو الذي وضعهم . فكانت إمارته سنة واثنتين وخمسين يوماً . وكان سكناه وقتله رحمه الله بمدينة تونس . وكان كثير العدل أحضر جماعة كثيرة عنده ، ليعينوه على العدل ويعرفوه من أحوال الناس ما يفعل فيه على سبيل الانصاف . وأمر الحاكم في بلده أن يقضي عليه وعلى جميع أهله وخواص أصحابه ففعل ذلك . ولما قتل ولي ابنه أبو مضر . وكان من أمره ما نذكره سنة ست وتسعين ومائتين .

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة منتصف رمضان قتل عبد الواحد بن الموفق ، وكانت والدته إذا سألت عنه قيل لها : إنه في دار المكتفي . فلما مات المكتفي أيسَّت منه ، فأقامت عليه مأتماً . وفيها كانت وقعة بين أصحاب إسماعيل بن أحمد وبين جستان الديلمي بطبرستان ، فانهزم ابن جستان ، وفيها لحق إسحاق الفرغاني - وهو من أصحاب بدر - بالبادية وأظهر الخلاف على الخليفة المكتفي ، فحاربه أبو الأغر فهزمه إسحاق وقتل من

أصحابه جماعة، وفيها سير خاقان المفلحي إلى الريّ في جيش كثيف ليتولاها. وفيها صلى الناس العصر بحمص، وبغداد، في الصيف^(١) ثم هبّ هواء من ناحية الشمال، فبرد الوقت، واشتدّ البرد، حتى احتاج الناس إلى النار ولبس الجباب، وجعل البرد يزداد حتى جمد الماء. وفيها كانت وقعة بين إسماعيل بن أحمد وبين محمد بن هارون بالريّ فانهزم محمد، ولحق بالديلم مستجيراً بهم، ودخل إسماعيل الريّ. وفيها زادت دجلة قدر خمسة عشر ذراعاً. وفيها خلع المكتفي على هلال بن بدر، وغيره من أصحاب أبيه في جمادى الأولى. وفيها هبّ ريح عاصف بالبصرة، فقلعت كثيراً من نخلها، وخسف بموضع منها هلك فيه ستة آلاف نفس، وزلزلت بغداد في رجب عدة مرات، فتضرّع أهلها في الجامع فكشف عنهم. [وفيها حجّ بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله العباسي]. وفيها مات أبو حمزة بن محمد بن إبراهيم الصوفي وهو من أقران سري السقطي.

(١) عبارة الطبري « صلى الناس العصر في قمص الصيف ببغداد ».

ثم دخلت سنة تسعين ومائتين

ذكر أخبار القرامطة

في هذه السنة في ربيع الآخر ، سَير طغج بن جَف جيشاً من دمشق إلى القرمطي ، عليهم غلامٌ له اسمه بشير ، فهزمهم القرمطي ، وقتل بشيراً . وفيها حصر القرمطي دمشق ، وضيق على أهلها ، وقتل أصحاب طغج ، ولم يبقَ منهم إلا القليل ، وأشرف أهلها على الهلكة . فاجتمع جماعة من أهل بغداد وأنهبوا ذلك إلى الخليفة ، فوعدهم النجدة ، وأمدَّ المصريون أهل دمشق ، ببدر وغيره ، من القواد ، فقاتلوا الشيخ مقدّم القرامطة فقتل على باب دمشق رماء بعض المغاربة^(١) بمزراق وزرقه نفاط بالنار فاحترق وقتل منهم خلق كثير . وكان هذا القرمطي يزعم أنه إذا أشار بيده إلى جهة من التي فيها محاربوه انهزموا . ولما قُتل يحيى المعروف بالشيخ وقُتل أصحابه اجتمع من بقي منهم على أخيه الحسين ، وسمّى نفسه أحمد ، وكناه أبا العباس ، ودعا الناس فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم ، فاشتدَّت شوكته ، وأظهر شامة في وجهه ، وزعم أنها آيته . فسار إلى دمشق ، فصالحه أهلها على خراج دفعوه إليه وانصرف عنهم .

ثم سار إلى أطراف حمص ، فغلب عليها وخطب له على منابرها وتسمى المهدي أمير المؤمنين . وأتاه ابن عمه عيسى بن المهدي المسمى عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل ، فلقبه المدثر وعهد إليه ، وزعم أنه المدثر الذي في القرآن ، ولقب غلاماً من أهله المطوق ، وقلَّده قتل أسرى المسلمين . ولما أطاعه أهل حمص ، وفتحوا له بابها خوفاً منه على أنفسهم سار إلى حماة ، ومعرة النعمان ، وغيرهما ، فقتل أهلها ، وقتل النساء والصبيان . ثم سار إلى بعلبك فقتل عامة أهلها ، ولم يبقَ منهم إلا اليسير . ثم سار

(١) في الطبري « بعض البرابرة » .

إلى سلمية فمنعه أهلها، ثم صالحهم، وأعطاهم الأمان ففتحوا له بابها، فبدأ بمن فيها من بني هاشم - وكانوا جماعة - فقتلهم أجمعين، ثم قتل البهائم، والصبيان، بالمكاتب. ثم خرج منها وليس بها عين تطرف فيما قيل وسار فيما حولها من القرى يسبي ويقتل ويخيف السبيل. فذكر عن مططب بباب المحول يدعى أبا الحسين^(١) قال: جاءتني امرأة بعد ما ادخل القرمطي صاحب الشامة ببغداد وقالت: أريد أن تعالج جرحاً في كتفي فقلت: ههنا امرأة تعالج النساء فانتظرتها، فقعدت وهي باكية مكروبة، فسألته عن قصتها قالت: كان لي ولد طالت غيبته عني، فخرجت أطوف عليه البلاد، فلم أره، فخرجت من الرقة في طلبه فوقعت في عسكر القرمطي أطلبه، فرأيت، فشكوت إليه حالي وحال أخواته فقال: دعيني من هذا، أخبريني ما دينك. فقلت: أما تعرف ما ديني؟ فقال: ما كنا فيه باطل والدين ما نحن فيه اليوم، فعجبت من ذلك، وخرج وتركني ووجهه بخبز فلم أسمه، حتى عاد فأصلحه. وأناه رجل من أصحابه فسألني هل أحسن من أمر النساء شيئاً؟ فقلت: نعم فأدخلني داراً فإذا امرأة تطلق، فقعدت بين يديها، وجعلت أكلمها ولا تكلمني، حتى ولدت غلاماً، فأصلحت من شأنه، وتلطفت بها حتى كلمتني، فسألته عن حالها فقالت: أنا امرأة هاشمية أخذنا هؤلاء الأقوام، فذبحوا أبي وأهلي جميعاً، وأخذني صاحبهم، فأقمت عنده خمسة أيام، ثم أمر بقتلي، فطلبني منه أربعة أنفس من قواده، فوهبني لهم، وكنت معهم، فوالله ما أدري ممن هذا الولد منهم قالت: فجاء رجل، فقالت لي: هنيه، فهنيته فأعطاني سبيكة فضة وجاء آخر. وآخر أهنيء كل واحد منهم، ويعطيني سبيكة فضة، ثم جاء الرابع ومعه جماعة فهنيته، فأعطاني ألف درهم، وبتنا فلما أصبحنا قلت للمرأة: قد وجب حقي عليك فالله الله خلصيني قالت: ممن أخلصك؟ فأخبرتها خبر ابني فقالت: عليك بالرجل الذي جاء آخر القوم، فأقمت يومي. فلما أمسيت، وجاء الرجل قمت له وقبّلت يده ورجله ووعدته أنني أعود بعد أن أوصل ما معي إلى نياقي، فدعا قوماً من غلمان، وأمرهم بحملي إلى مكان ذكره وقال: اتركوها فيه وارجعوا، فساروا بي عشرة فراسخ، فلحقنا ابني، فضر بني بالسيف، فجرحني، ومنعه القوم، وساروا بي إلى المكان الذي سمّاه لهم صاحبهم، وتركوني، وجئت إلى ههنا، قالت: ولما قديم الأمير بالقرامطة

(١) في الطبري «يدعى أبا الحسن».

وبالأسارى، رأيت ابني فيهم على جمل عليه برنس، وهويكي فقلت: لأخفف الله عنك، ولأخلصك. ثم أن كتب أهل الشام، ومصر، وصلت إلى المكتفي يشكون ما يلقون من القرمطي من القتل والسبي، وتخريب البلاد. فأمر الجند بالتأهب وخرج من بغداد، في رمضان، وسار إلى الشام وجعل طريقه على الموصل. وقدم بين يديه أبا الأغر في عشرة آلاف رجل، فنزل قريباً من حلب، فكبسهم القرمطي صاحب الشامة فقتل منهم خلقاً كثيراً، وسلم أبو الأغر، فدخل حلب في ألف رجل، وكانت هذه الواقعة في رمضان. وسار القرمطي إلى باب حلب فحاربه أبو الأغر بمن بقي معه، وأهل البلد، فرجع عنهم. وسار المكتفي حتى نزل الرقة وسير الجيوش إليه وجعل أمرهم إلى محمد بن سليمان الكاتب.

وفيها في شوال تحارب القرمطي صاحب الشامة، وبدر مولى ابن طولون، فانهزم القرمطي وقُتل من أصحابه خلق كثير ومضى من سلم منهم نحو البادية. فوجه المكتفي في أثرهم الحسين بن حمدان، وغيره من القواد. وفيها كبس ابن بانو أمير البحرين حصناً للقرامطة، فظفر بمن فيه، وواقع قرابة أبي سعيد الجنابي، فهزمه ابن بانو. وكان مقام هذا القرمطي بالقطيف، وهو ولي عهد أبي سعيد، ثم أنه وجد بعدما انهزم أصحابه قتيلاً؛ فأخذ رأسه، وسار ابن بانو إلى القطيف، فافتتحها.

ذكر أسر محمد بن هارون

وفيها أخذ محمد بن هارون أسيراً. وكان سبب ذلك ان المكتفي، أنفذ عهداً إلى اسماعيل بن أحمد الساماني بولاية الري، فسار إليها وبها محمد بن هارون، فسار عنها محمد إلى قزوين، وزنجان، ثم عاد إلى طبرستان فاستعمل اسماعيل بن أحمد على جرجان بارس الكبير، وألزمه بإحضار محمد بن هارون قسراً أو صلحاً. وكتبه بارس وضمّن هارون له إصلاح حاله مع الامير اسماعيل فقيل محمد قوله وانصرف عن جستان الديلمي، وقصد بخارى. فلما بلغ مرو قيد بها وذلك في شعبان سنة تسعين ومائتين. ثم حُمِلَ إلى بخارى، فأدخلها على جمل وحبس بها، فمات بعد شهرين محبوساً، وكان ابتداء أمره أنه كان خياطاً، أم أنه جمع جمعاً من الرعاء، وأهل الفساد، فقطع الطريق بمفازة سرخس مدة. ثم استأمن إلى رافع بن هرثمة، وبقي معه إلى أن انهزم عمرو الصفار. فاستأمن إلى اسماعيل بن أحمد الساماني صاحب ما وراء

النهر بعد قتل رافع ، فسيره اسماعيل إلى قتال محمد بن زيد ، على ما تقدم ذكره ، وقد ذكره الخوافي في شعره فقال :

كان ابن هارون خياطاً له ابن وراية سامها عشر بقيراط
فانسَلَّ في الأرض يبغي المُلْك في عصب زط ونوب واكراد وأنباط
أننى ينال الثريا كف ملتزق بالترب عن ذروة العليا هباط
صبراً أميرك إسماعيل متقمم منه ومن كل غدار وخياط
رأيت غيراً سما جهلاً على أسد يا عين ويحك ما أشقاك من شاطيء

ذكر عدة حوادث

وفيهما في ربيع الآخر خلع على أبي العشائر أحمد بن نصر ، وولي طرسوس ، وعزل عنها مظفر بن حاج لشكوى أهل الثغور منه . وفيها قُوطِعَ طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث على مال يحمله عن بلاد فارس ، وعقد له المكتفي عليها . وفيها في جمادى الأولى ، هرب القائد أبو سعيد الخوارزمي الذي استأمن إلى الخليفة ، وأخذ نحو طريق الموصل . فكتب إلى عبد الله المعروف بغلام نون بتكريت - وهو يتولى تلك النواحي - فعارضه عبد الله واجتمع به ، فخدعه أبو سعيد وقتله ، وسار نحو شهرزور واجتمع هو وابن الربيع الكردي وصاهره واجتمعا على عصيان الخليفة . وفيها أراد المكتفي البناء بسامراء وخرج إليها ومعه الصُناع ، فقدروا له ما يحتاج إليه من المال ، وكان مالاً جليلاً ، وطولوا له مدة الفراغ ، فعظم الوزير ذلك عليه ، وصرفه إلى بغداد ، وحج بالناس هذه السنة الفضل ابن عبد الملك بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس . وفيها توفي محمد بن علي بن علوية بن عبد الله الفقيه الشافعي الجرجاني ، وكان قد تفقه على المزمي صاحب الشافعي ، وتوفي عبد الله بن أحمد بن حنبل في جمادى الآخرة ، وكان مولده سنة ثلاث عشرة ومائتين .

ثم دخلت سنة احدى وتسعين ومائتين ذكر اخبار القرامطة وقتل صاحب الشامة

قد ذكرنا مسير المكتفي إلى الرقة، وإرساله الجيوش إلى صاحب الشامة، وتولية حرب صاحب الشامة محمد بن سليمان الكاتب، فلما كانت هذه السنة أمر محمد بن سليمان بمناهضة صاحب الشامة فسار إليه في عساكر الخليفة، حتى لقوه وأصحابه بمكان بينهم وبين حماة اثنا عشر ميلاً لست خلون من المحرم. فقدم القرمطي أصحابه إليهم وبقي في جماعة من أصحابه معه مال كان جمعه وسواد عسكره، والتحمت الحرب بين أصحاب الخليفة والقرامطة، واشتدّت وانهزمت القرامطة وقتلوا كلّ قتلة، وأسّر من رجالهم بشر كثير، وتفرق الباقيون في البوادي، وتبعهم أصحاب الخليفة. فلما رأى صاحب الشامة ما نزل بأصحابه، حمل أخاً له يكنى أبا الفضل مالاً وأمره أن يلحق بالبوادي إلى أن يظهر بمكان فيسير إليه، وركب هو وابن عمه المسمى بالمدثر، والمطوق صاحب، وغلّام له رومي وأخذ دليلاً، وسار يريد الكوفة، عرضاً في البرية، فانتهى إلى الدالية من أعمال الفرات، وقد نفذ ما معهم من الزاد والعلف. فوجّه بعض أصحابه إلى الدالية المعروفة بابن طوق، ليشتري لهم ما يحتاجون إليه، فأنكروا رأيهِ^(١) فسألوه عن حاله فكتّمه، فرفعوه إلى متولّي تلك الناحية خليفة أحمد بن محمد بن كشمرد، فسأله عن خبره فأعلمه أن صاحب الشامة خلف رابية هناك مع ثلاث نفر، فمضى إليهم، وأخذهم وأحضرهم عند ابن كشمرد. فوجّه بهم إلى المكتفي بالرقة ورجعت الجيوش من الطلب بعد أن قتلوا وأسروا. وكان أكثر الناس أثراً في الحرب الحسين بن حمدان. وكتب محمد بن سليمان يُثني عليه وعلى بني شيبان فإنهم اصطَلوا الحرب، وهزموا القرامطة، وأكثروا القتل فيهم، والأسر، حتى لم ينجُ منهم إلّا

(١) في الطبري «فأنكروا زِيّه» ولعله الصواب.

قليل. وفي يوم الاثنين لأربع بقين من المحرم، أُدْخِلَ صاحب الشامة الرقة ظاهراً للناس على فالج - وهو الجمل ذو السنامين - وبين يديه المدثر، والمطوق على جميلين، وسار المكتفي إلى بغداد ومعه صاحب الشامة، وأصحابه، وخلف العساكر مع محمد بن سليمان، وأدخل القرمطي بغداد على قيل وأصحابه على الجمل، ثم أمر المكتفي بحبسهم إلى أن تقدم محمد بن سليمان، فقدم بغداد، وقد استقصى في طلب القرامطة، فظفر بجماعة من أعيانهم ورؤوسهم. فأمر المكتفي بقطع أيديهم وأرجلهم، وضرب أعناقهم، بعد ذلك، وأخرجوا من الحبس وفعل بهم ذلك. وضرب صاحب الشامة مائتي سوط، وقطعت يداه وكوي، فغشي عليه، وأخذوا خشباً وجعلوا فيه ناراً، ووضعوه على خواصره، فجعل يفتح عينه، ويغمضها. فلما خافوا موته ضربوا عنقه، ورفعوا رأسه على خشبة، فكبر الناس لذلك، ونصب على الجسر.

وفيها قدم رجل من بني العليص من وجوه القرامطة - يسمى إسماعيل بن النعمان - وكان نجا في جماعة لم ينبج من رؤسائهم غيره، فكاتبه المكتفي وبذل له الأمان فحضر في الأمان هو ونيّف مائة وستين نفساً فأمنوا وأحسن إليهم ووصلوا بمال. وصاروا إلى رحبة مالك بن طوق مع القاسم بن سيما، وهي من عمله فأقاموا معه مدة. ثم أرادوا الغدر بالقاسم وعزموا على أن يثبوا بالرحبة يوم الفطر عند اشتغال الناس بالصلاة، وكان قد صار معهم جماعة كثيرة، فعلم بذلك فقتلهم فارتدع من كان بقي من موالي بني العليص وذلوا. وألزموا السماوة حتى جاءهم كتاب من الخبيث زكرويه، يعلمهم أنه مما أوحى إليه، أن صاحب الشامة وأخاه المعروف بالشيخ يقتلان، وأن إمامه الذي هو حي يظهر بعدهما ويظفر.

ذكر عدة حوادث

وفيها جاءت أخبار أن حوى^(١) وما يليها جاءها سيل، ففرق نحو من ثلاثين فرسخاً وغرق في ذلك خلق كثير، وغرقت المواشي والغلات وخربت القرى وأخرج من الغرقى ألف ومائتا نفس سوى من لم يلحق منهم.

(١) في الطبري جبي وهو الصواب، وقد جاء في معجم البلدان: جبي: بالضم ثم التشديد، بلد أو كورة من عمل خوزستان.

وفيهما خلع المكتفي على محمد بن سليمان، كاتب الجيش وعلى جماعة من القواد، وأمرهم بالمسير إلى الشام، ومصر لأخذ الأعمال من هارون بن خمارويه لما ظهر من عجزه وذهاب رجاله بقتل من قتل منهم القرمطي، فسار عن بغداد في رجب وهو في عشرة آلاف رجل وجد في المسير. وفيها خرجت الترك في خلق كثير لا يحصون إلى ما وراء النهر، وكان في عسكرهم سبعمائة قبة تركية، ولا تكون إلا للرؤساء منهم؛ فوجه إليهم إسماعيل بن أحمد جيشاً كثيراً وتبعهم من المتطوعة خلق كثير، فساروا نحو الترك، فوصلوا إليهم وهم غارون، فكبسهم المسلمون مع الصبح، فقتلوا منهم خلقاً عظيماً لا يحصون، وانهزم الباقون واستبيح عسكرهم، وعاد المسلمون سالمين غانمين. وفيها خرج من الروم عشرة صُلبان مع كل صليب عشرة آلاف إلى الثغور فقصده جماعة منهم إلى الحدث، فأغاروا وسبوا، وأحرقوا. وفيها سار المعروف بغلام زرافة من طرسوس نحو بلاد الروم، ففتح مدينة انطاكية - وهي تعادل القسطنطينية - فتحها بالسيف عنوة، فقتل خمسة آلاف رجل، وأسر مثلهم، واستنقذ من الأسارى خمسة آلاف، وأخذ لهم ستين مركباً، فحمل فيها ما غنم لهم من الأموال، والمتاع، والرقيق. وقُدِّرَ نصيب كل رجل ألف دينار، وهذه المدينة على ساحل البحر. فاستبشر المسلمون بذلك. وحج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس.

وفيهما توفي القاسم بن عبد الله وزير الخليفة في ذي القعدة. وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً. ولما مات قال ابن سيار:

أَمَاتَ لِيحْيَا فَمَا أَنْ حَيٍّ وَأَفْنَى لِيَبْقَى فَمَا أَنْ بَقَى
وَمَا زَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَرَى إِمَارَةَ حَتَفٍ وَشَيْكَ وَحَى
وَمَا زَالَ يَسْلَحُ مِنْ دُبْرِهِ إِلَى أَنْ خَرَى النَّفْسَ فِيمَا خَرَى

وفيهما مات أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد بن عبد الرحمن الماستوي الفقيه بنيسابور، ومحمد بن محمد الجزوعي قاضي الموصل ببغداد. وفيها توفي أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني النحوي، وكان عالماً بنحو الكوفيين وكان موته ببغداد.

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائتين

ذكر استيلاء المكتفي على الشام، ومصر وانقراض ملك الطولونية

وفي المحرم منها سار محمد بن سليمان إلى حدود مصر لحرب هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ، وسبب ذلك أن محمد بن سليمان لما تخلف عن المكتفي ، وعاد عن محاربة القرامطة ، واستقصى محمد في طلبهم . فلما بلغ ما أراد عزم على العود إلى العراق فأتاه كتاب بدر الحمامي غلام ابن طولون ، وكتاب فائق ، وهما بدمشق يدعوانه إلى قصد البلاد بالعساكر ، ويساعدانه على أخذها . فلما عاد إلى بغداد أنهى ذلك إلى المكتفي فأمره بالعود وسير معه الجنود والاموال . ووجه المكتفي دميانة غلام بازمار . وأمر بركوب البحر إلى مصر ودخول النيل وقطع المواد عن مصر ، ففعل ذلك وضيق عليهم . وزحف إليهم محمد بن سليمان في الجيوش في البر حتى دنا من مصر ، وكاتب من بها من القواد . وكان أول من خرج إليه بدر الحمامي وكان رئيسهم ، فكسرهم ذلك ، وتتابع المستأمنة من قواد المصريين . فلما رأى ذلك هارون خرج فيمن معه لقتال محمد بن سليمان فكانت بينهم وقعات .

ثم وقع بين أصحاب هارون في بعض الأيام عصبية ، فاقتتلوا فخرج هارون يسكنهم فرماه بعض المغاربة بمزراق معه فقتله . فلما قُتل قام عمه شيان بالأمر من بعده ، وبذل المال للجند ، فأطاعوه وقاتلوا معه . فأتتهم كتب بدر يدعوهم إلى الأمان ، فأجابوه إلى ذلك . فلما علم محمد بن سليمان الخبر سار إلى مصر ، فارسل إليه شيان يطلب الأمان ، فأجابه ، فخرج إليه ليلاً ولم يعلم به أحد من الجند ، فلما أصبحوا قصدوا داره ، ولم يجدوه فبقوا حيارى ، ولما وصل محمد مصر دخلها واستولى على دور آل طولون وأموالهم ، وأخذهم جميعاً ، وهم بضعة عشر رجلاً فقيدهم ، وجبسهم ، واستقصى أموالهم ، وكان ذلك في صفر .

وكتب بالفتح إلى المكتفي فأمره بإشخاص آل طولون وأسبابهم من مصر، والشام إلى بغداد، ولا يترك منهم أحداً. ففعل ذلك وعاد إلى بغداد، وولى معونة مصر عيسى النوشري. ثم ظهر بمصر إنسان يعرف بالخلنجي، وهو من قوادهم وكان تخلف عن محمد بن سليمان فاستمال جماعة، وخالف على السلطان، وكثر جمعه، وعجز النوشري عنه، فسار إلى الإسكندرية، ودخل إبراهيم الخلنجي مصر. وكتب النوشري إلى المكتفي بالخبر، فسير إليه الجنود مع فاتك مولى المعتضد، وبدر الحمامي، فساروا في شوال نحو مصر.

ذكر عدة حوادث

وفيها أخذ بالبصرة رجل، ذكروا انه أراد الخروج، وأخذ معه ولده، وتسعة وثلاثون رجلاً وحملوا إلى بغداد، فكانوا ييكون، ويستغيثون، ويحلفون أنهم براء. فأمر بهم المكتفي فحبسوا. وفيها أغار اندرونقس الرومي على مرعش ونواحيها، ففقر أهل المصيصة. وأهل طرسوس. فأصيب أبو الرجال ابن أبي بكار في جماعة من المسلمين فعزل الخليفة أبا العشائر عن الثغور، واستعمل عليهم رستم بن بردو. وفيها كان الفداء على يد رستم، فكان جملة من فُودي به من المسلمين ألف نفس ومائتي نفس. وحج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن عباس بن محمد. وفيها زادت دجلة زيادة مفرطة، حتى تهدمت الدور التي على شاطئها بالعراق. وفيها في العشرين من أيار طلع كوكب له ذنب عظيم جداً في برج الجوزاء. وفيها وقع الحريق ببغداد بباب الطلق من الجانب الشرقي إلى طرق الصفارين، فاحترق ألف دكان مملوءة متاعاً للتجار. وفيها توفي أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكجي ويقال الكشي^(١). وفيها توفي القاضي عبد الحميد بن عبد العزيز أبو حازم قاضي المعتضد بالله ببغداد، وكان من أفاضل القضاة.

(١) الكجي - بفتح الكاف والجيم المشددة - نسبة إلى الكج وهي لفظة فارسية معناها الجص وسمي بذلك لأنه كان يبنى داراً بالبصرة فكان يقول : هاتوا الكج وأكثروا من ذلك فلقب بالكجي، والكشي بالشين المعجمة نسبة إلى جده كش، قدم بغداد وكان يملي برجة غسان وكان يملي على سبعة كل واحد منهم يبلغ الذي يليه وكتب الناس عنه قياماً بأيديهم المحابر ومسح المكان الذي كانوا قياماً فيه فحزروا نيفاً واربعين ألف محبرة.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين

ذكر أول إمارة بني حمدان بالموصل وما فعلوه بالأكراد

في هذه السنة ولّى المكتفي بالله الموصل وأعمالها أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوي . فسار إليها فقدمها أول المحرم ، فأقام بها يومه ، وخرج من الغد لعرض الرجال الذي قَدِمُوا معه والذين بالموصل . فاتاه الصريح من نينوى ، بأن الأكراد الهذبانية ، ومقدمهم محمد بن بلال ، قد أغاروا على البلد ، وغنموا كثيراً منه ، فسار من وقته وعبرَ الجسرَ إلى الجانب الشرقي ، فلحق الأكراد بالمعروبة على الخازر ، فقاتلوه ، فقتل رجل من أصحابه ، اسمه سيماء الحمداني فعاد عنهم . وكتب إلى الخليفة يستدعي النجدة ، فأتته النجدة بعد شهور كثيرة .

وقد انقضت سنة ثلاث وتسعين ، ودخلت سنة أربع وتسعين ، ففي ربيع الأول منها سار فيمن معه إلى الهذبانية ، وكانوا قد اجتمعوا في خمسة آلاف بيت ، فلما رأوا جدّه في طلبهم ، ساروا إلى البابة التي في جبل السلق وهو مضيق في جبل عال مشرف على شهر زور فامتنعوا . وغار مقدمهم محمد بن بلال وقرب من ابن حمدان وراسله في أن يطيعه ويحضره هو وأولاده ، ويجعلهم عنده يكونون رهنية ، ويتركون الفساد . فقبل ابن حمدان ذلك . فرجع محمد ليأتي بمن ذكر ، فحث أصحابه على المسير نحو آذريجان ، وإنما أراد في الذي فعله مع ابن حمدان أن يترك الجد في الطلب ، ليأخذ أصحابه أهبتهم ، ويسيروا آمنين . فلما تأخر عود محمد عن ابن حمدان علم مراده ، فجرد معه جماعة من جملتهم اخوته ، سليمان ، وداود ، وسعيد ، وغيرهم ممن يثق به وبشجاعته ، وأمر النجدة التي جاءت من الخليفة أن يسيروا معه ، فتشبّطوا ، فتركهم ، وسار يقفو أثرهم ، فلحقهم ، وقد تعلّقوا بالجبل المعروف بالقنديل ، فقتل منهم جماعة وصعدوا ذروة الجبل ، وانصرف ابن حمدان عنهم ولحق الأكراد بأذريجان . وأنهى ابن حمدان

ما كان من حالهم إلى الخليفة والوزير ، فأنجدوه بجماعةٍ صالحَةٍ . وعاد إلى الموصل ، فجمع رجاله وسار إلى جبل السُّلُق ، وفيه محمد بن بلال ومعه الأكراد فدخله ابن حمدان والجواسيس بين يديه خوفاً من كمين يكون فيه ، وتقدّم من بين يدي أصحابه ، وهم يتبعونه فلم يتخلّف منهم أحد ، وجاوزوا الجبل وقاربوا الأكراد ، وسقط عليهم الثلج ، واشتدّ البردُ وقلّت الميرةُ والعلفُ عندهم ، وأقام على ذلك عشرة أيام ، وبلغ الحمل التبن ثلاثين درهماً ، ثم عدم عندهم وهو صابر ، فلما رأى الأكراد صبرهم وأنهم لا حيلة لهم في دفعهم ، لجأ محمد بن بلال وأولاده ، ومن لحق به ، واستولى ابن حمدان على بيوتهم ، وسوادهم ، وأهلهم ، وأموالهم . وطلبوا الأمان فأمنهم وأبقى عليهم وردّهم إلى بلادٍ حرة . وردّ عليهم أموالهم ، وأهلهم ، ولم يقتل منهم غير رجل واحد ، وهو الذي قتل صاحبه سيما الحمداني . وأمنت البلاد معه وأحسن السيرة في أهلها ثم أن محمد بن بلال طلب الأمان من ابن حمدان ، فأمنه ، وحضر عنده وأقام بالموصل . وتتابع الأكراد الحميدية وأهل جبل داسن إليه بالأمان ، فأمنت البلاد واستقامت .

ذكر الظفر بالخلنجي

في هذه السّنة في صفر ، وصل عسكر المكتفي إلى نواحي مصر . وتقدّم أحمد ابن كيغلف في جماعة من القوّاد ، فلقبهم الخلنجي بالقرب من العريش ، فهزمهم أقبح هزيمة . فنذّب جماعة من القوّاد إليهم ببغداد ، وفيهم إبراهيم بن كيغلف ، فخرجوا في ربيع الأول ، وساروا نحو مصر ، واتصلت الأخبار بقوة الخلنجي^(١) ، فبرز المكتفي إلى باب الشماسية ليسير إلى مصر في رجب ، فوصل إليه كتابُ فاتك في شعبان ، يذكر أنه والقوّاد رجعوا إلى الخلنجي وكانت بينهم حروب كثيرة قُتل بينهم فيها خلق كثير . فإنّ آخر حرب كانت بينهم قُتل فيها معظم أصحاب الخلنجي ، وأنهم الباقون ، وظفروا بهم ، وغنموا عسكرهم . وهرب الخلنجي ، فدخل فسطاط مصر فأستتر بها عند رجل من أهل البلد فدخلنا المدينة فدّلّونا عليه ، فأخذناه ، ومن استتر عنده ، وهم في الحبس . فكتب المكتفي إلى فاتك في حمل الخلنجي ، ومن معه إلى بغداد . وعاد المكتفي ،

(١) في الطبري « الخليجي » . وفي البداية والنهاية « الخليجي » وفي ابن خلدون « الخليجي » .

فدخل بغداد وأمر برد خزائنه، وكانت قد بلغت تكريت . فوجّه فاتك الخلنجي إلى بغداد ، فدخلها هو ومن معه في شهر رمضان ، فأمر المكتفي بحبسهم .

ذكر أمر القرامطة

فيها أنفذ زكرويه بن مهرويه ، بعد قتل صاحب الشّامة رجلاً كان يعلم الصّبيان بالزّابوقة^(١) من الفلوجة يسمّى عبد الله بن سعيد ، ويكنّى أبا غانم فسّمى نصراً ، وقيل : كان المنفذ ابن زكرويه فدار على أحياء العرب من كلب وغيرهم ، يدعوهم إلى رأيه فلم يقبله منهم أحد الأرجل من بني زياد يسمى مقدام بن الكيال ، واستغوى طوائف من الاصبغيين المنتمين إلى الفواطم وغيرهم من العليصيين ، وصعاليك من سائر بطون كلب . وقصد ناحية الشام والعامل بدمشق ، والاردن أحمد بن كيغلق - وهو بمصر يحارب الخلنجي - فاغتنم ذلك عبد الله بن سعيد ، وسار إلى بصرى ، واذرعات ، والبشّية ، فحارب أهلها ثم أمّنهم ، فلما استسلموا إليه قتل مقاتلهم ، وسبى ذراريهم ، وأخذ أموالهم . ثم قصد دمشق ، فخرج إليهم نائب ابن كيغلق وهو صالح بن الفضل ، فهزمه القرامطة واثخنوا فيهم ، ثم أمّنوهم ، وغدروهم بالأمان ، وقتلوا صالحاً وفضوا عسكره . وساروا إلى دمشق فمنعهم أهلها فقصّدوا طبرية ، وانضاف إليه جماعة من جند دمشق افتتنوا به ، فواقعهم يوسف بن إبراهيم بن بغماردي - وهو خليفة أحمد بن كيغلق - بالأردن - فهزموه ، وبذلوا له الأمان ، وغدروا به ، وقتلوه ، ونهبوا طبرية وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها ، وسبوا النساء . فأنفذ الخليفة الحسين بن حمدان وجماعة من القواد في طلبهم ، فورد دمشق ، فلما علم بهم القرامطة رجعوا نحو السماوة وتبعهم الحسين في السماوة ، وهم ينتقلون في المياه ويغورونها حتى لجؤوا إلى ماءين يعرف أحدهما بالدمعانة والآخر بالحباله^(٢) وانقطع ابن حمدان عنهم لعدم الماء ، وعاد إلى الرّحبة ، واسرى القرامطة مع نصر إلى هيت وأهلها غافلون فنهبوا ربضها ، وامتنع أهل المدينة بسورهم ، ونهبوا السفن ، وقتلوا من أهل المدينة مائتي نفس ، ونهبوا الأموال ، والمتاع ، وأوقروا ثلاثة آلاف راحلة من الحنطة . وبلغ الخبر إلى المكتفي فسير محمد بن

(١) الزّابوقة : موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل أول النهار .

(٢) في الطبري : « بالدمعانة والحالة » . والدمعانة : ماء لبني بحر من بني زهير بن جناب الكلبيين بالشام . والحالة : موضع في ديار بلقين بين جسر عند حرة الرّجلاء بين المدينة والشام .

إسحاق بن كِنْدَاج^(١) فلم يقيموا لِحَمَدَ، ورجعوا إلى المَءِين . فنهض محمد خلفهم فوجدهم قد غوروا المياه، فأنفذ إليهم من بغداد الأزواد والدواب . وكتب إلى ابن حمدان بالمسير إليهم من جهة الرُّحبة ليجتمع هو ومحمد على الإيقاع بهم ففعل ذلك . فلما أحسَّ الكلبيون بإقبال الجيش إليهم وثبوا بنصر فقتلوه . قتله رجل منهم يقال له : الذئب بن القائم ، وسار برأسه إلى المكتفي متقرباً بذلك مستأمناً، فأجيبَ إلى ذلك، وأُجيزَ بجائزة سنينة، وأمر بالكفِّ عن قومه . واقتتل القرامطة بعد نصر، حتى صارت بينهم الدماء، وسارت فرقة كرهت أمورهم إلى بني أسد بنواحي عين التمر، واعتذروا إلى الخليفة فقبل عذرهم . وبقي على المَءِين بقيتهم ممن له بصيرة في دينه، فكتب الخليفة إلى ابن حمدان يأمره بمعاودتهم واجتثاث أصلهم . فارسل إليهم زكرويه بن مهرويه داعية له يسمى القاسم بن أحمد ويُعرفُ بأبي محمد، وأعلمهم إن فعل الذئب قد نفره منهم وأنهم قد ارتدّوا عن الدين، وأنَّ وقتَ ظهورهم قد حضر، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفاً وإن يوم موعدهم الذي ذكره الله في شأن موسى ﷺ وعدوّه فرعون إذ يقول . ﴿ إِن موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ﴾^(٢) ويأمرهم أن يخفوا أمرهم وإن يسيروا، حتى يصبحوا الكوفة يوم النحر سنة ثلاث وتسعين ومائتين، فأنهم لا يمنعون منها، وأنه يظهر لهم وينجز لهم وعده الذي يعدهم إياه، وأن يحملوا إليه القاسم بن أحمد . فامثلوا رأيه ووافوا باب الكوفة، وقد انصرف الناس عن مصلاهم، وعاملهم إسحاق بن عمران، ووصلوا في ثمانمائة فارس عليهم الدروع والجواشن، والآلات الحسنة وقد ضربوا على القاسم بن أحمد قبة وقالوا : هذا اثر رسول الله ودعوا بالثارات الحسين - يعنون الحسين بن زكرويه المصلوب ببغداد - وشعارهم يا أحمد يا محمد - يعنون ابني زكرويه المقتولين - فأظهروا الأعلام البيض، وأرادوا استمالة رعاي الناس بالكوفة بذلك ، فلم يمل إليهم أحد . فأوقع القرامطة بمن لحقوه من أهل الكوفة، وقتلوا نحواً من عشرين نفساً . وبادر الناس الكوفة، وأخذوا السَّلاح، ونهض بهم إسحاق . ودخل مدينة الكوفة من القرامطة مائة فارس، فقتل منهم عشرين نفساً وأخرجوا عنها . وظهر إسحاق وحاربهم إلى العصر، ثم انصرفوا نحو القادسية، وكان فيمن يقاتلهم مع إسحاق جماعة من الطالبية . وكتب إسحاق إلى الخليفة يستمده فأمده

(١) ابن كنداحيق « تقدم .

(٢) سورة طه ٥٩ .

بجماعة من قواده، منهم وصيف بن صوارتكين التركي ، والفضل بن موسى بن بغا، وبشر الخادم الأفشيني، ورائق الخزري مولى امير المؤمنين. وغيرهم من الغلمان الحجرية.

فساروا منتصف ذي الحجة، حتى قاربوا القادسية فنزلوا بالصَّوَّان، فلقبهم زكرويه. وأما القرامطة فإنهم أنفذوا واستخرجوا زكرويه من جبِّ في الأرض، كان منقطعاً فيه سنين كثيرة بقرية الدرية، وكان على الجبِّ بابٌ حديد محكم العمل. وكان زكرويه إذا خاف الطلب جعل تنوراً هنالك على باب الجبِّ، وقامت امرأة تسجره، فلا يظن إليه. وكان ربما أخفي في بيتٍ خلف باب الدار التي كان بها ساكناً، فإذا انفتح باب الدار انطبق على باب البيت، فيدخل الداخل الدار فلا يرى شيئاً. فلما استخرجوه حملوه على أيديهم وسموه وليّ الله. ولما رأوه سجدوا له، وحضر معه جماعة من دُعائه وخاصته.

وأعلمهم أنَّ القاسم بن أحمد من أعظم الناس عليهم ذمّة ومثّة، وأنه ردهم إلى الدين بعد خروجهم عنه. وإنهم ان امتثلوا أوامره أنجز موعدهم وبلغوا آمالهم. ورمز لهم رموزاً ذكر فيها آيات من القرآن نقلها عن الوجه الذي أنزلت فيه، فأعترف له من رسخ حبّ الكفر في قلبه، أنه رئيسهم وكهفهم، وأيقنوا بالنصر وبلوغ الأمل. وسار بهم وهو محجوب منهم يدعونه السيد، ولا يبرزونه والقاسم يتولى الأمور.

وأعلمهم أن أهل السواد قاطبة خارجون إليه، فأقام بسقي الفرات عدّة أيام، فلم يصل إليه منهم إلا خمسمائة رجل، ثم وافته الجنود المذكورة من عند الخليفة، فلقبهم زكرويه بالصَّوَّان وقاتلهم واشتدّت الحرب بينهم، وكانت الهزيمة أوّل النهار على القرامطة، وكان زكرويه قد كمن لهم كميناً من خلفهم، فلم يشعر أصحاب الخليفة إلاّ والسيف فيهم من ورائهم، فانهزموا أقبح هزيمة. ووضع القرامطة السيف فيهم فقتلوه كيف شاؤوا واغنموا سوادهم. ولم يسلم من أصحاب الخليفة إلاّ من دابته قوية أو من أئخّن بالجراح، فوضع نفسه بين القتلى، فتحاملوا بعد ذلك. وأخذ للخليفة في هذا العسكر أكثر من ثلاثمائة جمازة عليها المال والسلاح وخمسمائة بغل. وقتل من أصحاب الخليفة سوى الغلمان ألف وخمسمائة رجل، وقوّي القرامطة بما غنموا. ولما ورّد خبر هذه الواقعة إلى بغداد أعظمها الخليفة والناس. ونَدَبَ إلى القرامطة

محمد بن اسحاق بن كنداج ، وضم إليه من الأعراب بني شيبان وغيرهم أكثر من ألفي رجل ، وأعطاهم الأرزاق . ورحل زكرويه من مكانه إلى نهر المثنى لتتن القتلى .

ذكر عدة حوادث

وفيهما في ربيع الآخر قَدِمَ إلى بغدادَ قائد من أصحاب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث مستأمناً يُعرَفُ بأبي قابوس . وسبب ذلك أن طاهراً تشاغل باللهو والصَّيد . ومضى إلى سجستان للصيد والتنزه ، فغلب على الأمر بفارس الليث بن علي بن الليث وسبكري مولى عمرو بن الليث ، فوقع بينهما وبين هذا القائد تباعد ففارقهم ، ووصل إلى بغداد ، فخلع عليه الخليفة وأحسن إليه . فكتب طاهر بن محمد يسأل رد أبي قابوس ، ويذكر أنه جبي المال وأخذه ويقول له : إما أن تردَّ إليه أو تحتسب له بما ذهب معه من المال . من جملة القرار الذي عليه ، فلم يجبه الخليفة إلى ذلك . وفيها صارت الداعية التي للقرامطة باليمن إلى مدينة صنعاء ، فحاربه أهلها فظفر بهم وقتلهم ، فلم يفلت إلا اليسير ، وتغلب على سائر مدن اليمن ، ثم اجتمع أهل صنعاء وغيرها فحاربوا الداعية فهزموه . فانحاز إلى موضع من نواحي اليمن . وبلغ الخبر الخليفة ، فخلع على المظفر بن حاج في شَوالَ وسَّيره إلى عمله باليمن ، وأقام بها إلى أن مات . وفيها أغارت الروم على قورس من أعمال حلب فقاتلهم أهلها قتالاً شديداً ، ثم انهزموا وقتلوا أكثرهم ، وقتلوا رؤساء بني تميم . ودخل الروم قورس فأحرقوا جامعها وساقوا من بقي من أهلها . وفيها افتتح اسماعيل بن أحمد السَّاماني ملك ما وراء النهر مواضع من بلاد الترك ، ومن بلاد الديلم . وحجَّ بالناس محمد بن عبد الملك الهاشمي . وفيها توفي نصر بن أحمد النحافظ في رمضان وأبو العباس عبد الله بن محمد الشاشي الشاعر الكاتب الأنباري (١) .

(١) وكان فاضلاً بارعاً وله تصانيف رد فيها على الشعراء وأهل المنطق

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائتين ذكر أخبار القرامطة وأخذهم الحاج

في هذه السنة في المحرم، ارتحل زكرويه من نهر المثنى، يريد الحاج فبلغ السلمان، وأقام ينتظرهم. فبلغت القافلة الأولى، واقصة سابع المحرم. فأنذرهم أهلها وأخبروهم بقرب القرامطة، فارتحلوا لساعتهم. وسار القرامطة إلى واقصة فسألوا أهلها عن الحاج فاخبروهم أنهم ساروا فاتهمهم زكرويه فقتل العلافه وأحرق العلف، وتحصن أهل واقصة في حصنهم فحصرهم أياماً، ثم ارتحل عنهم نحو زباله وأغار في طريقه على جماعة من بني أسد. ووصلت العساكر المنفذة من بغداد إلى عيون الطّف، فبلغهم مسير زكرويه من السلمان، فانصرفوا. وسار علّان ابن كشمرد جريدة، فنزل واقصة بعد أن جازت القافلة الأولى. ولقي زكرويه القرمطي قافلة الخراسانية بعقبه الشيطان راجعين من مكة، فحاربهم حرباً شديداً. فلما رأى شدة حربهم سألهم: هل فيكم نائب للسلطان؟ فقالوا: ما معنا أحد. قال: فلست أريدكم، فاطمأنوا وساروا، فلما ساروا أوقع بهم وقتلهم عن آخرهم، ولم ينج إلا الشريد، وسبوا من النساء ما أرادوا، وقتلوا منهم. ولقي بعض المنهزمين علّان بن كشمرد فأخبروه خبرهم وقالوا له: ما بينك وبينهم إلا القليل، ولورأوك. لقويت نفوسهم، فالله الله فيهم، فقال: لا أعرض أصحاب السلطان للمقتل، ورجع هو وأصحابه.

وكتب من نجا من الحجاج من هذه القافلة الثانية إلى رؤساء القافلة الثالثة من الحجاج يعلمونهم ما جرى من القرامطة، ويأمرونهم بالتحذر والعدول عن الجادة نحو واسط والبصرة أو الرجوع إلى قيد^(١) والمدينة إلى أن تأتيهم جيوش السلطان، فلم

(١) قيد : بالفتح ثم السكون : منزل بطريق مكة .

يسمعوا ولم يقيموا . وسارت القرامطة من العقبة بعد أخذ الحاج ، وقد طموا الآبار والبرك بالجيف ، والتراب والحجارة بواقصة ، والشعلية والعقبة وغيرها من المناهل في جميع طريقهم . وأقام بالهبير^(١) ينتظر القافلة الثالثة ، فساروا ، فصادفوه ، هناك فقاتلهم زكرويه ثلاثة أيام - وهم على غير ماء - فاستسلموا لشدة العطش ، فوضع فيهم السيف ، وقتلهم عن آخرهم ، وجمع القتلى كالتل . وأرسل خلف المنهزمين من يذل لهم الأمان ، فلما رجعوا قتلهم . وكان في القتلى مبارك القمي وولده أبو العشائر بن حمدان . وكان نساء القرامطة يطفن بالماء بين القتلى يعرضن عليهم الماء فمن كلمهن قتلته ، فقيل : إن عدة القتلى بلغت عشرين ألفاً ، ولم ينبج إلا من كان بين القتلى ، فلم يطفن له ، فنجا بعد ذلك ومن هرب عند اشتغال القرامطة بالقتل والنهب ، فكان من مات من هؤلاء أكثر ممن سلم ومن استعبده . وكان مبلغ ما أخذوه من هذه القافلة ألفي ألف دينار ، وكان في جملة ما أخذوا فيها أموال الطولونية وأنسابهم . فانهم لما عزموا على الانتقال من مصر إلى بغداد ، خافوا أن يستصحبوها فتؤخذ منهم فعملوا الذهب والنقرة سبائك وجعلوها في حدائج وجميع ما لهم من الحلى والجوهر . وسيروا الجميع إلى مكة سرّاً ، وسار من مكة في هذه القافلة فأخذت . وبث زكرويه الطلائع خوفاً من عسكر الخليفة الذي كان بالقادسية ، وأقام ينتظر وصول من كان في الحج من عسكر الخليفة وأصحابه . فكانوا يفيد ينتظرون ، هل تعرض القرامطة للحاج أم لا ؟ فكان معهم جماعة من التجار أرباب الأموال ، فلما بلغهم ما صنع القرامطة أقاموا ينتظرون وصول عسكر من عند الخليفة ، فسار زكرويه إليهم وغور الآبار . والمصانع ، والمياه إلى قيد ، فاحتفى أهل فيد ومن بها من الحجاج بالحصنين اللذين بفيد . وحصرهم فيهما القرامطة وأرسل زكرويه إلى أهل قيد يأمر بهم بإخراجهم أو بتسليم الحصنين إليه ، وبذل لهم الأمان على ذلك ، فلم يجيبوه فتهدهم بالنهب والقتل فازداد امتناعهم . وأقام عليهم عدة أيام ، ثم سار إلى الساج^(٢) ثم إلى جعفر أبي موسى .

ذكر قتل زكرويه لعنه الله

لما فعل زكرويه بالحجاج ، ما ذكرناه ، عظم ذلك على الخليفة خاصة وعلى كافة

(١) الهبير : رمل زورد في طريق مكة .

(٢) في الطبري : « إلى الناج » .

المسلمين عامة ، فجَهَّزَ المكتفي الجيوش . فلما كان أول ربيع الأول سِيرَ وصيف بن صوارتكين مع جماعة من القَوَاد والعساكر إلى القرامطة ، فساروا على طريق خفان ، فلقِيهم زكرويه ومن معه من القرامطة ثامن ربيع الأول ، فاقتتلوا يومهم ، ثم حجز بينهم الليل ، وباتوا يتحارسون . ثم بَكَّرُوا إلى القتال فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتِلَ من القرامطة مقتلة عظيمة . ووصل عسكر الخليفة إلى عدوِّ الله زكرويه ، فضربه بعض الجند وهو مولٌ بالسيف على رأسه ، فبلغت الضربة دماغه ، وأخذهُ أسيراً وأخذَ خليفته ، وجماعة من خواصه ، وأقربائه ، وفيهم ابنه وكتابه وزوجته ، واحتوى الجند على ما في العسكر . وعاش زكرويه خمسة أيام ومات . فَسِيرَتْ جيفتُهُ والأسرى إلى بغداد . وانهزم جماعة من أصحابه إلى الشام ، فأوقع بهم الحسين بن حمدان فقتلوهم جميعاً ، وأخذوا جماعة من النساء والصبيان ، وحَمَلَ رأسُ زكرويه إلى خراسان ، لثلا ينقطع الحجاج ، وأخذ الأعراب رجلين من أصحاب زكرويه ، يُعرَفُ أحدهما بالحداد والآخر بالمنتقم - وهو أخو امرأة زكرويه - كانا قد سارا إليهم يدعوانهم إلى الخروج معهم . فلما أخذوهما سَيَّرَوهما إلى بغداد . وتبع الخليفة القرامطة بالعراق ، فقتل بعضهم ، وحبس بعضهم ، ومات بعضهم في الحبس .

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة غزا ابن كيغَلغ الروم من طرسوس ، فأصاب من الروم أربعة آلاف رأس سبي ودواب ومتاعاً . ودخل بطريق من بطارقة الروم في الأمان ، وأسلم . وفيها غزا ابن كيغَلغ الرُّوم ، فبلغ شكند وافتتح الله عليه ، وسار إلى الليس فغنموا نحواً من خمسين ألف رأس ، وقتلوا مقتلة عظيمة من الروم ، وانصرفوا سالمين . وكاتب اندرونقس البطريق المكتفي بالله يطلب منه الأمان ، وكان على حرب أهل الثغور من قبل ملك الروم ، فأعطاه المكتفي ما طلب ، فخرج ومعه مائتا أسير من المسلمين كانوا في حصنه . وكان ملك الروم قد أرسل للقبض عليه فاعطى المسلمين سلاحاً وخرجوا معه فقبضوا على الذي أرسله ملك الروم ليقبض عليه ليلاً ، فقتلوا ممن معه خلقاً كثيراً ، وغنموا ما في عسكرهم . فاجتمعت الرُّوم على اندرونقس ، ليحاربوه ، فسار إليهم جمع من المسلمين ليخلَّصوه ومن معه من أسرى المسلمين . فبلغوا قونية ، فبلغ الخبر إلى الروم ، فانصرفوا عنه . وسار جماعة من ذلك العسكر إلى اندرونقس وهو

بحصنه ، فخرج ومعه أهله وماله إليهم ، وسار معهم إلى بغداد ، وأخرب المسلمون قونية ، فأرسل ملك الروم إلى الخليفة المكتفي فطلب الفداء . وفيها ظهر بالشام رجلٌ يدّعي أنه السفيناني ، فأخذ وحُمِلَ إلى بغداد ، فقبل : إنه موسوس . وفيها كانت وقعة بين الحسين بن حمدان وبين أعراب من بني كلب وطىء واليمن ، وأسد وغيرهم . وفيها حاصر أعراب طىء وصيف بن صوارتكين بفيد ، وقد سيره المكتفي أميراً على الموسم ، فحصره ثلاثة أيام ، ثم خرج فواقعهم ، فقتل منهم قتلى . ثم انهزمت الأعراب ورحل وصيف بمن معه ، وحجّ بالناس هذه السنة الفضل بن عبد الله^(١) الهاشمي . وفيها توفي صالح بن محمد الحافظ الملقب بجزرة البغدادي^(٢) وأبو عبيد الله محمد بن نصر المروزي الفقيه الشافعي ، وكان موته بسمرقند وله تصانيف كثيرة . وفيها قتل محمد بن اسحاق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه بطريق مكة ، قتله القرامطة حين أخذوا الحاج .

(١) في الطبري « الفضل بن عبد الملك » .

(٢) ولد جزرة سنة خمس ومائتين ببغداد ، قال أبو سعيد الأدرسي الحافظ : صالح بن جزرة ما أعلم في عصره بالعراق وخراسان في الحفظ مثله . ولقب جزرة لأنه جاء في حديث عبد الله بن بشر أنه كانت عنده خرزة يرقى بها المرضى وكانت لأبي أمامة الباهلي فصحفها جزرة بجيم وزاي معجمتين - وله في هذا النحو أشياء إلا أنها لا تنقص من حفظه أو ثقته .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين

ذكر وفاة اسماعيل بن أحمد الساماني وولاية ابنه أحمد^(١)

في هذه السنة منتصف صفر ، توفي اسماعيل بن أحمد أمير خراسان وما وراء النهر ببخارى ، وكان يلقَّب بعد موته بالماضي ، وولَّى بعده ابنه أبونصر أحمد ، وأرسل إليه المكتفي عهده بالولاية ، وعقد لواء بيده . وكان اسماعيل عاقلاً عادلاً حسن السيرة في رعيته حليماً . حُكي عنه ، أنه كان لولده أحمد مؤدب يؤدبه ، فمر به الأمير اسماعيل يوماً والمؤدب لا يعلم به ، فسمعه وهو يسبُّ ابنه ويقول له : « لا بارك الله فيك ولا فيمن ولدك » . فدخل إليه وقال له : يا هذا نحن لم نذنب ذنباً لتسبنا ، فهل ترى أن تعفينا من سبِّك ، وتخص المذنب بشتمك وذكِّمك ؟ فارتاب المؤدب ، فخرج اسماعيل عنه وأمر له بصلة جزاء لخوفه منه . وقيل : جرى بين يديه ذكر الأنساب والأحساب ، فقال لبعض جلسائه : كُنْ عَصامياً ولا تَكُنْ عظامياً . فلم يفهم مراده ، فذكر له معنى ذلك ، وسأل يوماً يحيى بن زكريا النيسابوري ، فقال له : ما السبب في أن آل معاذ لما زالت دولتهم بقيت عليهم نعمتهم بخراسان مع سوء سيرتهم وظلمهم وأن آل طاهر لما زالت دولتهم عن خراسان زالت معها نعمتهم مع عدلهم ، وحسن سيرتهم ونظرهم لرعيته . فقال له يحيى : السبب في ذلك أن آل معاذ لما تغير أمرهم كان الذي ولي البلاد بعدهم آل طاهر في عدلهم وانصافهم واستعفافهم عن أموال الناس ، ورغبتهم في اصطناع أهل البيوتات ، فقدموا آل معاذ وأكرمواهم ، وأن آل طاهر لما زالت عنهم ، كان سلطان بلادهم آل الصفار

(١) وهو أحد ملوك السامانية وهم أرباب الولايات بالشاش وسمرقند وفرغانة وما وراء النهر ولي أمره خراسان بعد عمرو بن الليث الصفار وكان ملكاً شجاعاً صالحاً بنى الربط في المفاوز وأوقف عليها الأوقاف وكل رباط يسع ألف فارس وهو الذي كسر الترك . ولما توفي تمثل بقول أبي نواس : لم يخلق الدهر مثله أبداً هيهات هيهات شأنه عجب

في ظلمهم، وغشمهم ومعاداتهم لأهل البيوتات، ومناصبتهم لأهل الشرف والنعم فأتوا عليهم وأزالوا نعمتهم. فقال اسماعيل: لله درك يا يحيى فقد شفيت صدري، وأمر له بصلة. ولما ولي بعد أخيه كان ي كاتب أصحابه وأصدقائه بما كان يكتبهم أولاً، ف قيل له في ذلك فقال: يجب علينا إذا زادنا الله رفعة أن لا ننقص أخواننا، بل نزيدهم رفعة وعلاء وجاهاً ليزيدوا لنا أخلاصاً وشكراً. ولما ولي بعده ابنه أبو نصر أحمد واستوثق أمره أراد الخروج إلى الرِّي، فأشار عليه إبراهيم بن زيدويه بالخروج إلى سمرقند، والقبض على عمه اسحاق بن أحمد لئلا يخرج عليه ويشغله. ففعل ذلك. واستدعى عمه إلى بخارى، فحضر، فأعتقله بها ثم عبر إلى خراسان.

فلما ورد نيسابور هرب بارس الكبير من جرجان إلى بغداد خوفاً منه. وكان سبب خوفه أن الأمير اسماعيل كان قد استعمل ابنه أحمد على جرجان لما أخذها من محمد بن زيد. ثم عزله عنها، واستعمل عليها بارس الكبير على ما ذكرناه، فاجتمع عند بارس أموال جمّة من خراج الرِّي وطبرستان وجرجان، فبلغت ثمانين قرأ فحملها إلى اسماعيل. فلما سارت عنه بلغه خبر موت اسماعيل فردّها إليه وأخذها، فلما سار إليه أحمد خافه وكتب إلى المكتفي يستأذنه في المسير إليه، فأذن له في ذلك. فسار إليه في أربعة آلاف فارس، فارسل أحمد خلفه عسكرياً فلم يدركوه. واجتاز الرِّي، فتحصّن بها نائب أحمد بن اسماعيل. فسار إلى بغداد فوصلها، وقد مات المكتفي وولي المقتدر بعده فأعجبه المقتدر. وكان وصوله بعد حادثة ابن المعتز فسيرّه المقتدر في عسكريه إلى بني حمدان وولّاه ديار ربيعة. فخافه أصحاب الخليفة أن يتقدّم عليهم، فوضعوا عليه غلاماً له فسمه، فمات. واستولى غلامه على ماله، وتزوّج امرأته، وكان موته بالموصل.

ذكر وفاة المكتفي

في هذه السّنة في ذي القعدة توفي أمير المؤمنين المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق بن المتوكل. وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً، وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة، وقيل: اثنتين وثلاثين سنة. وكان ربعة جميلاً رفيقاً بالبشرة حسن الشعر وافر اللحية، وكُنيتُهُ أبو محمد، وأمّه

أم ولد تركية ، اسمها جيجك . وطال عليه مرضه عدّة شهور ، ولما مات دُفِنَ بدار محمد بن طاهر ، - رحمه الله -

ذكر خلافة المقتدر بالله

وكان السَّبب في ولاية المقتدر بالله الخلافة - وهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد - أن المكتفي لما ثقل في مرضه فكَّر الوزير حيثنذ - وهو العبَّاس بن الحسن - فيمن يصلح للخلافة . وكان عادته أن يسايره إذا ركب إلى دار الخلافة ، وأخذَ من هؤلاء الأربعة الذين يتولون الدواوين ، وهم أبو عبد الله بن محمد بن الجراح وأبو الحسن محمد بن عبدان وأبو الحسن عليّ بن محمد بن الفرات . وأبو الحسن عليّ بن عيسى . فاستشار الوزير يوماً ، محمد بن داود بن الجراح في ذلك ، فأشار بعبد الله بن المعتز ، ووصفه بالعقل والأدب والرأي . واستشار بعده أبا الحسن بن الفرات فقال : هذا شيء ما جرت به عادتي أشير فيه ، وإنما أشاور في العمال لا في الخلفاء . فغَضِبَ الوزير وقال : هذه مقاطعة باردة ، وليس يخفى عليه الصحيح ، وألح عليه فقال : إن كان رأي الوزير قد استقرَّ على أحد بعينه ، فليفعل ، فعلم أنه عني ابن المعتز لا شهارة خبره ، فقال الوزير : لا اقنع إلا أن تمحضني النصيحة ، فقال ابن الفرات : فليتنق الله الوزير ، ولا ينصب إلا من عرفه واطلع على جميع أحواله ، ولا ينصب بخيلاً ، فيضيق على الناس ، ويقطع أرزاقهم ، ولا طماعاً فيشره في أموالهم ، فيصادرهم ، ويأخذ أموالهم وأملاكهم ، ولا قليل الدين ، فلا يخاف العقوبة والآثام ، ويرجو الثواب فيما يفعله ، ولا يولّي من عرف نعمة هذا ، وبستان هذا ، وضيعة هذا ، وفرس هذا ، ومن قد لقي الناس ، ولقوه ، وعاملهم وعاملوه ، ويتخيل ويحسب حساب نعم الناس ، وعرف وجوه دخلهم وخرجهم . فقال الوزير : صدقت ونصحت فيمن تشير ؟ قال : أصلح الموجود جعفر بن المعتضد ، قال : ويحك هو صبي ، قال ابن الفرات : إلا أنه ابن المعتضد ولم نأتِ برجل كامل يباشر الأمور بنفسه غير محتاج إلينا . ثم إن الوزير استشار عليّ بن عيسى فلم يسم أحداً وقال : لكن ينبغي أن يتقي الله ، وينظر من يصلح الدين والدنيا . فمالَت نفس الوزير إلى ما أشار به ابن الفرات وإنصاف إلى ذلك وصية المكتفي . فانه أوصى ، لما اشتدَّ مرضه بتقليد أخيه جعفر الخلافة .

فلما مات المكتفي نصب الوزير جعفرًا للخلافة ، وعيَّنه لها ، وأرسل صافياً

الحرمي إليه ليحذره من دور آل طاهر بالجانب الغربي ، وكان يسكنها . فلما حطه في الحراقة وحدره ، وصارت الحراقة مقابل دار الوزير صاح غلمان الوزير بالملاح ليدخل إلى دار الوزير فظن صافي الحرمي أن الوزير يريد القبض على جعفر ، وينصب في الخلافة غيره ، فمنع الملاح من ذلك ، وسار إلى دار الخلافة . وأخذ له صافي البيعة على الخدم ، وحاشية الدار ، ولقب نفسه المقتدر بالله . ولحق الوزير به وجماعة الكتاب ، فبايعوه . ثم جهزوا المكتفي ، ودفنوه بدار محمد بن طاهر . ولما بويع المقتدر كان في بيت المال حين بويع خمسة عشر ألف ألف دينار ، فأطلق يد الوزير في بيت المال ، فاخرج منه حق البيعة . وكان مولد المقتدر ، ثامن رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين . وأمه أم ولد يقال لها : شغب . فلما بويع استصغره الوزير وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة . وكثر كلام الناس فيه فعزم على خلعه وتقليد الخلافة أبا عبد الله محمد بن المعتمد على الله ، وكان حسن السيرة جميل الوجه ، والفعل . فراسله في ذلك واستقر الحال وانتظر الوزير قدوم بارس ، حاجب اسماعيل صاحب خراسان ، وكان قد أذن له في القدوم ، كما ذكرناه . وأراد الوزير أن يستعين به على ذلك ويتقوى به على غلمان المعتضد ، فتأخر بارس وأنفق أنه وقع بين أبي عبد الله بن المعتضد ، وبين ابن عمرويه صاحب الشرطة منازعة في ضيعة مشتركة بينهما فاعلظ له ابن عمرويه ، فغضب ابن المعتمد غضباً شديداً ، وأغمي عليه ، وفلج في المجلس فحمل إلى بيته في محفة ، فمات في اليوم الثاني . فأراد الوزير البيعة لأبي الحسين بن المتوكل ، فمات أيضاً بعد خمسة أيام ، وتم أمر المقتدر .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كانت وقعة بين نجح بن جاح ، وبين الأجناد بئني ، ثاني عشر ذي الحجة . فقتل منهم جماعة ، لأنهم طلبوا جائزة بيعة المقتدر بالله ، وهرب الناس إلى بستان ابن عامر . وأصاب الحجاج في عودهم عطش عظيم ، فمات منهم جماعة . وحكي أن أحدهم كان يبول في كفه ثم يشربه . وفيها خرج عبد الله بن إبراهيم المسمعي عن اصبهان إلى قرية من قرأها مخالفاً للخليفة ، واجتمع إليه نحو من عشرة آلاف من الأكراد وغيرهم . فأمر بدر الحمامي بالمسير إليه ، فسار في خمسة آلاف من الجند . وأرسل إليه منصور بن عبد الله بن منصور الكاتب يخوفه عاقبة الخلاف ، فسار

إليه وأدى إليه الرسالة، فرجع إلى الطاعة، وسار إلى بغداد، واستخلف على عمله باصبهان، فرضي عنه المكتفي بالله.

وفيها كانت وقعة للحسين بن موسى على أعراب طيء الذين كانوا حصروا وصيفاً على غرة منهم، فقتل فيهم كثيراً وأسير. وفيها أوقع الحسن بن أحمد بالأكراد الذين تغلبوا على نواحي الموصل فظفر بهم واستباحهم، ونهب أموالهم، وهرب رئيسهم إلى رؤوس الجبال فلم يدرك. وفيها فتح المظفر بن حاج بعض ما كان غلب عليه الخارجي باليمن، وأخذ رئيساً من رؤساء أصحابه، ويُعرف بالحكيمة. وفيها تمّ الفداء بين المسلمين والروم في ذي القعدة؛ وكان عدة من فُودِيَّ به من الرجال والنساء ثلاثة آلاف نفس. وحجَّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي. وفيها توفي أبو بكر محمد بن اسماعيل بن مهران الجرجاني الإسماعيلي الفقيه الشافعي المحدث، ومحمد بن أحمد بن نصر أبو جعفر الترمذي الفقيه الشافعي توفّي ببغداد، وأبو الحسين أحمد بن محمد النوري شيخ الصوفية^(١). وتوفّي الحسين بن عبد الله بن أحمد أبو علي الخرقى الفقيه الحنبلي يوم الفطر^(٢). (الخرقي) بالخاء المعجمة والقاف. وعبدُ الله بن أبي دارة.

(١) أصله من خراسان من قرية بين هراة ومرو الروذ وسمي النوري لأنه كان إذا حضر في مكان ينور وكان أعظم مشايخ الصوفية في وقته.

(٢) هو والد الامام عمر مصنف كتاب مختصر الخرقى في مذهب الامام أحمد بن حنبل وطبع شرحه المغني لابن قدامة ومعه الشرح الكبير والخرقي بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء آخره قاف - وهذه النسبة الى بيع الخرق والثياب.

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين

ذكر خلع المقتدر وولاية ابن المعتز

وفي هذه السنة اجتمع القواد والقضاة ، والكتائب مع الوزير العباس بن الحسن على خلع المقتدر ، والبيعة لابن المعتز ، وأرسلوا الى ابن المعتز في ذلك ، فأجابهم على ان لا يكون فيه سفك دم ولا حرب ، فأخبروه باجتماعهم عليه وأنهم ليس لهم منازع ولا محارب . وكان الرأس في ذلك العباس بن الحسن ، ومحمد بن داود بن الجراح ، وأبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضي ؛ ومن القواد الحسين بن حمدان ، وبدر الأعجمي ، ووصيف بن صوارتكين ، ثم أن الوزير رأى أمره صالحاً مع المقتدر وأنه على ما يحب ، فبداه في ذلك فوثب به الآخرون فقتلوه . وكان الذي تولى قتله منهم الحسين بن حمدان ، وبدر الأعجمي ، ووصيف ، ولحقوه وهو سائر إلى بستان له فقتلوه في طريقه ، وقتلوا معه فاتكاً المعتضدي ، وذلك في العشرين من ربيع الأول ، وخلع المقتدر من الغد وباع الناس لابن المعتز ، وركض الحسين بن حمدان إلى الحلبة ظناً منه ان المقتدر يلعب هناك بالكرة ، فيقتله فلم يصادفه ، لأنه كان هناك ، فبلغه قتل الوزير ، وفاتك ، فركض دابته فدخل الدار وغلقت الأبواب فندم الحسين حيث لم يبدأ بالمقتدر .

وأحضروا ابن المعتز وباعوه بالخلافة ، وكان الذي يتولى أخذ البيعة له محمد بن سعيد الأزرق ، وحضر الناس والقواد وأصحاب الدواوين سوى أبي الحسن بن الفرات ، وخواص المقتدر ، فانهم لم يحضروا ، ولقب ابن المعتز المرتضى بالله ، وامتوزر محمد بن داود بن الجراح ، وقلد علي بن عيسى الدواوين .

وكتب الكتب إلى البلاد من أمير المؤمنين المرتضى بالله أبي العباس عبد الله بن المعتز بالله ، ووجه إلى المقتدر يأمره بالانتقال إلى دار ابن طاهر التي كان مقيماً فيها

ليستقل هو إلى دار الخلافة، فأجابه بالسَّمع والطاعة، وسأل الإمهال إلى الليل، وعاد الحسين بن حمدان بكرة غد إلى دار الخلافة فقاتله الخدم، والغلمان، والرجالة، من وراء الستور عامة النهار، فأنصرف عنهم آخر النهار، فلما جنه الليل سار عن بغداد بأهله. وكل ماله إلى الموصل لا يدري لم فعل ذلك، ولم يكن بقي مع المقتدر من القواد غير مؤنس الخادم، ومؤنس الخازن، وغريب الخال، وحاشية الدار، فلما همَّ المقتدر بالانتقال عن الدار قال بعضهم لبعض: لا نسلم الخلافة من غير أن نبلى عذراً، ونجتهد في دفع ما أصابنا، فاجمع رأيهم على أن يصعدوا في الماء إلى الدار التي فيها ابن المعتز بالحرم يقاتلونه، فأخرج لهم المقتدر السلاح والزرديات وغير ذلك، وركبوا في السميريات، وأصعدوا في الماء، فلما رأهم من عند ابن المعتز هالهم كثرتهم واضطربوا، وهربوا على وجوههم من قبل أن يصلوا إليهم، وقال بعضهم لبعض: إن الحسين بن حمدان، عرف ما يريد أن يجري فهرب من الليل، وهذه مواطاة بينه وبين المقتدر. وهذا كان سبب هربه، ولما رأى ابن المعتز ذلك ركب، ومعه وزيره محمد بن داود وهربا وغلام له ينادي بين يديه، يا معشر العامة ادعوا لخليفتكُم السني البربهاري. وإنما نسب هذه النسبة، لأن الحسين بن القاسم بن عبيد الله البربهاري كان مقدم الحنابلة والسنة من العامة، ولهم فيه اعتقاد عظيم، فأراد استمالتهم بهذا القول. ثم إن ابن المعتز ومن معه ساروا نحو الصحراء ظناً منهم أن من بايعه من الجند يتبعونه، فلم يلحقه منهم أحد، فكانوا عزموا أن يسيروا إلى سُرْمَنْ رأى بمن يتبعهم من الجند فيشتد سلطانهم. فلما رأوا أنهم لم يأتهم أحد رجعوا عن ذلك الرأي، واختفى محمد بن داود في داره، ونزل ابن المعتز عن دابته ومعه غلامه يمن، وانحدر إلى دار أبي عبد الله بن الجصاص فاستجار به، واستتر أكثر من بايع ابن المعتز، ووقعت الفتنة، والنهب والقتل ببغداد، وثار العيارون والسفل ينهبون الدور. وكان ابن عمرويه صاحب الشرطة ممن بايع ابن المعتز، فلما هرب جمع ابن عمرويه أصحابه ونادى بشعار المقتدر، يدلس بذلك فناداه العامة يا مرائي، يا كذاب، فهرب، واستتر وتفرق أصحابه، فهجاه يحيى بن عليّ بأبيات منها:

بايعوه فلم يكن عند الأز وك إلا التغيير والتخبيط
 رافضيون بايعوا أنصب الأم لة هذا لعمري التخليط
 ثم ولّى من زعقة ومحامو ه ومن خلفهم لهم تضريط

وقلّد المقتدر تلك الساعة الشرطة مؤنساً الخازن - وهو غير مؤنس الخادم - وخرج بالعسكر وقبض على وصيف بن صوارتكين وغيره فقتلهم . وقبض على القاضي أبي عمر وعليّ بن عيسى . والقاضي محمد بن خلف وكيع ثم أطلقهم . وقبض على القاضي المثنى أحمد بن يعقوب ، فقتله لأنه قيل له بايع المقتدر فقال : لا ابيع صبيّاً فذبح . وأرسل المقتدر إلى أبي الحسن بن الفرات ، وكان مختفياً ، فأحضره ، واستوزره وخلع عليه . وكان في هذه الحادثة عجائب . منها ان الناس كلهم أجمعوا على خلع المقتدر ، والبيعة لابن المعتز فلم يتم ذلك ، بل كان على العكس من إرادتهم ، وكان أمر الله مفعولاً ، ومنها أنّ ابن حمدان على شدّة تشيّع ، وميله إلى عليّ عليه السلام ، وأهل بيته يسعى في البيعة لابن المعتز ، على انحرافه عن عليّ ، وغلوّه في النصب إلى غير ذلك . ثم أنّ خادماً لابن الجصاص ، يُعرف بسوسن ، أخبر صافياً الحرمي ، بأنّ ابن المعتز عند مولاه ، ومعه جماعة ، فكيسّت دار ابن الجصاص ، وأخذ ابن المعتز منها ، وحسّ إلى الليل ، وعصرت خصيته حتى مات . ولفّ في زلي وسلّم إلى أهله ؛ وضوّد ابن الجصاص على مال كثير . وأخذ محمد بن داود وزير ابن المعتز ، وكان مستتراً فقتل .

ونفي عليّ بن عيسى إلى واسط ، فأرسل الى الوزير ابن الفرات يطلب منه ان يأذن له في المسير إلى مكة ، فأذن له في ذلك . فسار إليها على طريق البصرة ، وأقام بها . وصور القاضي أبو عمر على مائة ألف دينار . وسيرت العساكر من بغداد ، في طلب الحسين بن حمدان ، فتبعوه إلى الموصل ثم إلى بلد فلم يظفروا به ، فعادوا إلى بغداد .

فكتب الوزير إلى أخيه أبي الهيجاء بن حمدان - وهو الأمير على الموصل - يأمره بطلبه ، فسار إليه إلى بلد ، ففارقها الحسين إلى سنجار وأخوه في أثره ، فدخل البرية فتبعه أخوه عشرة ايام ، فأدركه فاقتلوا ، فظفر أبو الهيجاء ، واسر بعض أصحابه ، واخذ منه عشرة آلاف دينار ، وعاد عنه إلى الموصل ثم انحدر إلى بغداد . فلما كان فوق تكريت أدركه أخوه الحسين فيّته ، فقتل منهم قتلى . وانحدر ابو الهيجاء إلى بغداد وأرسل الحسين الى ابن الفرات وزير المقتدر يسأله الرضا عنه . فشفع فيه إلى المقتدر بالله ليرضى عنه وعن ابراهيم بن كيغلغ ، وابن عمرويه صاحب الشرطة

وغيرهم فرضي عنهم . ودخل الحسين بغداد فرد عليه أخوه ما أخذ منه . واقام الحسين ببغداد إلى أن ولي قُم فصار إليها ، وأخذ الجرائد التي فيها أسماء من أعان على المقتدر ففرقها في دجلة ، وبَسَطَ ابن الفرات العدل والاحسان وأخرج الادارات للعباسيين ، والطالبين وأرضى القواد بالأموال ، ففرق معظم ما كان في بيوت الأموال .

ذكر حادثة ينبغي أن يحتاط من مثلها ويفعل فيها . مثل فعل صاحبها

كان سليمان بن الحسن بن مخلد متصلاً بابن الفرات ، وبينهما مودة وصداقة ، فوجد الوزير كتب البيعة لابن المعتز بخط سليمان لاتصال كان لمحمد بن داود بن الجراح وقرابة بينهما ، فلم يظهر عليها المقتدر ، وأخفاها عنه . وأحسن ابن الفرات إلى سليمان ، وقلَّده الأعمال ، فسعى سليمان بابن الفرات إلى المقتدر ، وكتب بخطه مطالعة تتضمن ذكر املاك الوزير ، وضياعه ، ومستغلاته ، وما يتعلق بأسبابه . وأخذ الرقعة ليوصلها إلى المقتدر ، فلم يتهياً له ذلك ، وحضر دار الوزير وهي معه ، وسقطت من كفه فظفر بها بعض الكتاب فأوصلها إلى الوزير فلما قرأها قبض على سليمان ، وجعله في زوق وأحدره إلى واسط ووكل به هناك وصادره ، ثم أراد العفو عنه . فكتب إليه : « نظرتُ أعزك الله في حقك عليّ ، وجرمك إليّ فرأيت الحق مؤفياً على الجرم ، وتذكرتُ من سالف خدمتك ما عطفني عليك وثناني إليك ، وأعادني لك إلى أفضل ما عهدت ، وأجمل ما ألفتُ » . وأطلق له عشرة آلاف درهم وعفا عنه واستعمله وأكرمه .

ذكر ولاية أبي مضر افريقية

وهربه الى العراق وما كان من أمره

في هذه السنة مستهل شهر رمضان ولَّى أبو مضر زيادة الله بن أبي العباس بن عبدالله افريقية بعد قتل أبيه ، فانعكف على اللذات والشَّهوات وملازمة الندماء ، والمضحكين وأهمل أمور المملكة وأحوال الرعية . وأرسل كتاباً يوم ولَّى إلى عمه الأحول على لسان أبيه يستعجله في القدوم عليه ، ويحثُّه على السرعة فصار مجداً ، ولم يعلم بقتل أبي العباس ، فلما وصل قتله ، وقتل من قدر عليه من أعمامه وأخوته ، واشتدَّت شوكة أبي عبدالله الشيعي في أيامه وقوي أمره ، وكان الأحول

قبالته ، فلما قُتِلَ صَفْتُ له البلاد ، ودانت له الأمصار ، والعباد . فسِيرَ إليه زيادة الله جيشاً مع إبراهيم بن أبي الأغلب - وهو من بني عمه - بلغت عدَّتُهُم أربعين ألفاً سوى من انضاف إليه ، فهزموه أبو عبد الله الشيعي ، على ما نذكره آنفاً ، فلما اتَّصَلَ بزيادة الله خَبَرَ الهزيمة ، علم أنه لا مقام له لأنَّ هذا الجمع هو آخر ما انتهت قدرته إليه ، فجمع ما عز عليه من أهل ومال وغير ذلك ، وعزم على الهرب إلى بلاد الشرق ، وأظهر للناس أنه قد جاء خبر هزيمة أبي عبد الله الشيعي . وأمر بإخراج رجال من الحبس فقتلهم . وأعلم خاصَّته حقيقة الحال ، وأمرهم بالخروج معه ، فأشار عليه بعض أهل دولته بأن لا يفعل ولا يترك مُلكَهُ وقال له : « إنَّ أبا عبد الله لا يجسر عليك » . فشتَّمَهُ وردَّ عليه رأيه وقال : أحب الأشياء إليك أن يأخذني بيدي . وانصرف كل واحد من خاصته ، وأهله يتجهز للمسير معه ، وأخذ ما أمكنه حملة . وكانت دولة آل الأغلب بإفريقية قد طالَّت . مدَّتْها وكثُرَتْ عُبيدُها وقوى سلطانُها . وسار عن إفريقية إلى مصر في سنة ست وتسعين ومائتين ، واجتمع معه خلق عظيم فلم يزل سائراً حتى وصل طرابلس فدخلها فأقام بها تسعة عشر يوماً ورأى بها أبا العباس أخا أبي عبد الله الشيعي وكان محبوساً بالقيروان حبسه زيادة الله ، فهرب إلى طرابلس . فلما رآه احضره ، وقرَّره ، هل هو أخو أبي عبد الله ؟ فأنكر وقال : أنا رجل تاجر . قيل عني ، إنني أخو أبي عبد الله فحبستني ، فقال له زيادة الله : أنا أطلقُكَ ، فإن كنت صادقاً في أنك تاجر ، فلا نأثم فيك وإن كنت كاذباً وأنت أخو أبي عبد الله ، فليكن للصنيعة عندك موضع وتحفظنا فيمن خلفنا ، وأطلقه . وكان من كبار أهله وأصحابه إبراهيم بن أبي الأغلب ، فأراد قتله ، وقتل رجل آخر كانا قد عرضا أنفسهما على ولاية القيروان ، فعَلِمَا ذلك وهربا إلى مصر ، وقَدِمَا على العامل بها - وهو عيسى النُوشري - فتحدثا معه وسعيا بزيادة الله وقالوا له : إنه يَمْنِي نفسه بولاية مصر ، فوق ذلك في نفسه ، وأراد منعه من دخول مصر إلّا بأمر الخليفة من بغداد ، فوصل زيادة الله ليلاً ، وعبر الجسر إلى الجيزة قهراً ، فلما رأى ذلك النُوشري لم يمكنه منعه ، فأنزله بدار ابن الجصاص ونزل أصحابه في مواضع كثيرة ، فأقام ثمانية أيام ورحل يريد بغداد ، فهرب عنه بعض أصحابه ، وفيهم غلام له ، وأخذ منه مائة ألف دينار فأقام عند النُوشري ، فأرسل النُوشري إلى الخليفة - وهو المقتدر بالله - يعرفه حال زيادة الله ، وحال من تخلف عنه بمصر ، فأمره بردِّ مَنْ تخلف عنه إليه مع المال ، ففعل . وسار زيادة الله حتى بلغ الرِّقَّة وكتب إلى الوزير - وهو ابن الفرات - يسأله في

الإذن له لدخول بغداد ، فأمره بالتوقف ، فبقي على ذلك سنة ففترَّق عنه أصحابه وهو مع هذا مدمن الخمر واستماع الملاهي . وسعى به إلى المقتدر . وقيل له : يرده إلى المغرب يطلب بثأره . فكتب إليه بذلك ، وكتب إلى النوشري بانجاده بالرجال ، والعدد والأموال من مصر ليعود إلى المغرب ، فعاد إلى مصر فأمره النوشري بالخروج إلى ذات الحمام ليكون هناك إلى أن يجتمع إليه ما يحتاج إليه من الرجال والمال ، ففعل ، ومطله ، فطال مقامه وتتابع به الأمراض . وقيل ؛ بل سمَّه بعض غلمانه ، فسقط شعر لحيته ، فعاد إلى مصر ، وقصد البيت المقدس ، فتوفي بالرَّملة ، ودُفِنَ بها ، فسبحان الحي الذي لا يموت ولا يزول ملكه . ولم يبقَ بالمغرب من بني الأغلب أحد . وكانت مدة مُلكِهِم مائة سنة واثنى عشرة سنة . وكانوا يقولون : إننا نخرج إلى مصر ، والشام ، ونربط خيلنا في زيتون فلسطين فكان زيادة الله هو الخارج إلى فلسطين على هذه الحال لا على ما ظنَّوه .

ذكر ابتداء الدولة العلوية بإفريقية

هذه دولة اتسعت أكناف مملكتها وطالت مدَّتُها ، فإنها ملكت إفريقية هذه السَّنة ، وانقرضت دولتهم بمصر سنة سبع وستين وخمسائة ، فحتاج أن نستقصي ذكرها فنقول : أوَّل مَنْ وَلِيَ مِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّد عبيدالله ، فقليل : هو محمد بن عبدالله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم . ومن ينسب هذا النسب يجعله عبدالله بن ميمون القداح الذي ينسب إليه القداحية ، وقيل : هو عبدُالله بن أحمد بن إسماعيل الثاني محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم . وقد اختلف العلماء في صحة نَسَبِهِ فقال هو وأصحابه القائلون بإمامتِهِ : إن نَسَبَهُ صحيح على ما ذكرناه ، ولم يرتابوا فيه . وذهب كثير من العلويين العالمين بالأنساب إلى موافقتهم أيضاً ، ويشهد بصحة هذا القول ما قاله الشَّريف الرُّضي :

ما مُقامي على الهوانِ وعندي	مقول صارمٌ وانفٌ حمي
أليسَ الذلُّ في بلاد الأعداي	وبمصرَ الخليفة العلوي
من أبوه أبي ، ومولاه مولا	ي إذا ضامني البعيدُ القصي
لف عرقي بعرقه سيّد الد	اس جميعاً محمد وعليّ

إِنَّ ذَلِي بِذَلِكَ الْجَدُّ عَزَّ وَأَوَامِي بِذَلِكَ الرَّبْعَ رِي

وإنما لم يودعها في بعض ديوانه خوفاً ، ولا حجة بما كتبه في المحضر المتضمن القدر في أنسابهم ، فإن الخوف يحمل على أكثر من هذا ، على أنه قد وَرَدَ ما يصدق ما ذكرته ، وهو أَنَّ القادر بالله ، لما بلغت هذه الأبيات أحضر القاضي أبا بكر بن الباقلاني ، فأرسله إلى الشريف أبي أحمد الموسوي والد الشريف الرضي يقول له : قد عرفت منزلتك منا وما لزال عليه من الاعتداد بك بصدق الموالاتة منك وما تقدم لك في الدولة من مواقف محمود ، ولا يجوز أن تكون أنت على خليفة ترضاه ، ويكون ولدك على ما يضادها ، وقد بلغنا أنه قال شعراً وهو كذا وكذا . فياليت شعري على أي مقام ذل أقام ، وهو ناظر في النقابة والحج وهما من أشرف الأعمال ولو كان بمصر لكان كبعض الرعايا ، وأطال القول فحلف أبو أحمد أنه ما علم بذلك ، وأحضر ولده وقال له في المعنى فأنكر الشعر فقال له : أَكْتُبُ خَطُّكَ إِلَى الخليفة بالاعتذار ، واذكر فيه ، أَنَّ نسبَ المصري مدخول وأنه مدع في نسبه ، فقال : لا أفعل فقال أبوه : تكذبن في قلبي ؟ فقال : ما أكذبك ، ولكنني أخاف من الدليل ، وأخاف من المصري من الدعاة في البلاد فقال أبوه : أتخاف ممن هو بعيد عنك ، وتراقبه ، وتسخط من هو قريب ، وانت بمرأى منه ومسمع ، وهو قادر عليك وعلى أهل بيتك ؟ وتردد القول بينهما ، ولم يكتب الرضي خطه فجرد عليه أبوه وغضب وحلف أنه لا يقيم معه في بلد . قال الأمر إلى أن حلف الرضي أنه ما قال هذا الشعر ، واندرجت القصة على هذا .

ففي امتناع الرضي من الاعتذار ومن أن يكتب طعناً في نسبهم مع الخوف دليل قوي على صحة نسبهم ، وسألت أنا جماعة من أعيان العلويين في نسبه فلم يرتابوا في صحته ، وذهب غيرهم إلى أن نسبه مدخول ليس بصحيح . وعدا طائفة منهم إلى أن جعلوا نسبه يهودياً .

وقد كتب في الأيام القادرية محضر ، يتضمن القدر في نسبه ونسب أولاده ، وكتب فيه جماعة من العلويين وغيرهم ، أن نسبه إلى أمير المؤمنين علي غير صحيح ، فمن كتب فيه من العلويين المرتضى ، وأخوه الرضي ، وابن البطحاوي وابن الأزرق العلويين ، ومن غيرهم ابن الأكفاني وابن الخرز ، وأبو العباس الأبيوردي ، وأبو حامد ، والكشغلي ، والقُدوري ، والصيمري ، وأبو الفضل النسوي ، وأبو جعفر

النسفي ، وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة . وزعم القائلون بصحة نسبه ، إن العلماء ممن كتب في المحضر ، إنما كتبوا خوفاً وتقيةً ومن لا علم عنده بالأنساب ، فلا احتجاج بقوله ، وزعم الأمير عبد العزيز صاحب تاريخ إفريقية والمغرب ، إن نسبه معروف في اليهودية ، ونقل فيه عن جماعة من العلماء .

وقد استقصى ذكر إبتداء دولتهم وبالع ، وأنا اذكر معنى ما قاله مع البراءة من عهدة طعنة في نسبه وما عداه فقد أحسن فيما ذكر قال : لما بعث الله تعالى سيد الأولين والآخرين محمداً ﷺ عظم ذلك على اليهود ، والنصارى ، والروم ، والفرس ، وقرش ، وسائر العرب لأنه سفّه أحلامهم ، وعاب أديانهم وآلهتهم ، وفرّق جمعهم ، فاجتمعوا يداً واحدة عليه ، فكفاه الله كيدهم ، ونصره عليهم ، فأسلم منهم من هداه الله تعالى . فلما قبض ﷺ نجم النفاق ، وارتدت العرب وظنوا أن الصحابة يضعفون بعده . فجاهد أبو بكر رضي الله عنه في سبيل الله فقتل مسيلمة . وردّ الردة ، وأذل الكفر ، ووطأ جزيرة العرب وغزا فارس ، والروم ، فلما حضرته الوفاة ظنوا أن بوفاته ينتقص الاسلام . فاستخلف عمر بن الخطاب فأذلّ فارس ، والروم ، وغلب على ممالكها ، فدسّ عليه المنافقون أبا لؤلؤة فقتله ، ظناً منهم أن بقتله ينطفئ نور الاسلام ، فولي بعده عثمان ، فزاد في الفتوح ، واتسعت مملكة الاسلام ، فلما قتل وولي بعده أمير المؤمنين عليّ قام بالأمر أحسن قيام . فلما يشّ أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة ، وتشكيك ضعفة العقول في دينهم بأمور ، قد ضبطها المحدثون ، وأفسدوا الصحيح بالتأويل ، والطعن عليه ، فكان أول من فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد . وأبو شاذان ميمون بن ديسان ، صاحب كتاب الميزان في نصره الزندقة . وغيرهما . فألقوا إلى من وثقوا به . ان لكل شيء من العبادات باطلاً ، وان الله تعالى لم يوجب على أوليائه ، ومن عرف من الأئمة ، والأبواب صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ولا حرّم عليهم شيئاً ، وأباحوا لهم نكاح الأمهات ، والأخوات . وإنما هذه قيود للعامة ساقطة عن الخاصة ، وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي ﷺ ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة . وتفرّق أصحابهم في البلاد ، وأظهروا الزهد والعبادة يغرون الناس بذلك ، وهم على خلافة . فقتل أبو الخطاب وجماعة من أصحابه بالكوفة . وكان أصحابه قالوا له : إنا نخاف الجند ، فقال لهم : إن أسلحتهم لا تعمل فيكم ، فلما ابتدأوا في ضرب اعناقهم ، قال له أصحابه : ألم

تقل: إن سيوفهم لا تعمل فينا؟ فقال: إذا كان قد أراد الله فما حيلتي، وتفرقت هذه الطائفة في البلاد وتعلموا الشريعة. والنار نجيات، والزور، والنجوم، والكيمياء فهم يحتالون على كل قوم بما ينفق عليهم وعلى العامة باظهار الزهد.

ونشأ لابن ديسان ابن يقال له: عبدالله القداح، علمه الحيل، وأطلعه على أسرار هذه النحلة فحذق وتقدم. وكان بنواحي كرخ، واصبهان رجل يعرف بمحمد بن الحسين، ويلقب بدندان، يتولى تلك المواضع، وله نيابة عظيمة، وكان يبغض العرب ويجمع مساوئهم، فسار إليه القداح، وعرفه من ذلك. ما زاد به محله، وأشار عليه أن لا يظهر ما في نفسه، إنما يكتمه، ويظهر التشيع والطعن على الصحابة، فإن الطعن فيهم طعن في الشريعة، فإن بطريقهم وصلت إلى من بعدهم، فاستحسن قوله وأعطاه مالا عظيماً ينفقه على الدعاة إلى هذا المذهب، فسيره إلى كور الأهواز والبصرة والكوفة وطالقان وخراسان وسلمية من ارض حمص، وفرقه في دعائه وتوفي القداح، ودندان، وإنما لقب القداح لأنه كان يعالج العيون ويقدها. فلما توفي القداح قام بعده ابنه أحمد مقامه، وصحبه إنسان يقال له: رستم بن الحسين بن حوشب بن دادان النجار من أهل الكوفة، فكانا يقصدان المشاهد.

وكان باليمن رجل اسمه محمد بن الفضل كثير المال والعشيرة من أهل الجند يتشيع فجاء إلى مشهد الحسين بن علي يزوره فرآه أحمد، ورستم يبكي كثيراً. فلما خرج اجتمع به احمد وطمع فيه، لما رأى من بكائه، وألقى إليه مذهبه فقبله، وسير معه النجار إلى اليمن، وأمره بلزوم العبادة والزهد ودعاء الناس إلى المهدي، وأنه خارج في هذا الزمان باليمن، فسار النجار إلى اليمن ونزل بعدن بقرب قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى، وأخذ في بيع ما معه. وأتاه بنو موسى، وقالوا له: فيم جئت؟ فقال: للتجارة قالوا: لست بتاجر، وإنما أنت رسول المهدي، وقد بلغنا خبرك، ونحن بنو موسى، ولعلك قد سمعت بنا، فانبسط ولا تحتشم، فإننا أخوانك، فظهر أمره وقوى عزائمهم وقرب أمر المهدي، فامرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح، وأخبرهم أن هذا أوان ظهور المهدي ومن عندهم يظهر. واتصلت أخباره بالشيعة الذين بالعراق، فساروا اليه فكثر جمعهم، وعظم بأسهم، وأغاروا على من جاورهم وسبوا وجبوا الأموال، وأرسل إلى من بالكوفة من ولد عبدالله القداح هدايا عظيمة.

وكانوا أنفذوا إلى المغرب رجلين أحدهما يعرف بالحلواني والآخر يُعرف بأبي سفيان ، وقالوا لهما : إن المغرب ارض بور فاذهبوا فاحرصا حتى يجيء صاحب البذر . فسارا فنزل أحدهما بأرض كُتامة ببلد يسمّى مرمجنة^(١) والآخر بسوق حمار . فمالت قلوب أهل تلك النواحي إليهما ، وحملوا إليهما الأموال والتحف ، فأقاما سنين كثيرة ، وماتا وكان أحدهما قريب الوفاة من الآخر .

ذكر ارسال ابي عبدالله الشيعي الى المغرب

كان أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي من أهل صنعاء . وقد سار الى ابن حوشب النجار وصحبه بَعْدَن ، وصار من كبار أصحابه ، وكان له علم وفهم ودهاء ومكر . فلما أتى خبر وفاة الحلواني وأبي سفيان إلى ابن حوشب قال لأبي عبدالله الشيعي : « إن ارض كُتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان ، وقد ماتا وليس لها غيرك ، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك » ، فخرج أبو عبدالله إلى مكة وأعطاه ابن حوشب مالا ، وسير معه عبدالله بن أبي ملاحف . فلما قَدِمَ أبو عبدالله مكة سأل عن حجاج كتامة فأرشد إليهم ، فاجتمع بهم ، ولم يُعرفهم قصده ، وجلس قريبا منهم . فسمعهم يتحدثون بفضائل أهل البيت ، فأظهر استحسان ذلك ، وحدّثهم بما لم يعلموه . فلما اراد القيام سألوه أن يأذن لهم في زيارته والانبساط معه فأذن لهم في ذلك ، فسألوه : أين مقصدك ؟ فقال : أريدُ مصر ففرحوا بصحبته . وكان من رؤساء الكتاميين بمكة رجل اسمه حُرَيْث الجميلي ، وآخر اسمه موسى بن مكاد ، فرحلوا وهولا يخبرهم بغرضه ، وأظهر لهم العبادة والزهد ، فازدادوا فيه رغبة وخدموه ، وكان يسألهم عن بلادهم وقبائلهم وعن طاعتهم لسلطان افريقية فقالوا : ماله علينا طاعة وبيننا وبينه عشرة أيام . قال : أفتحملون السلاح ؟ قالوا : هو شغلنا . ولم يزل يتعرّف أحوالهم حتى وصلوا إلى مصر ، فلما أراد وداعهم قالوا له : أي شيء تطلب بمصر ؟ قال : اطلب التعليم بها . قالوا : اذا كنت تقصد هذا ، فبلادنا أنفع لك ، ونحن أعرف بحقك ، ولم يزلوا به حتى أجابهم إلى المسير معهم بعد الخضوع والسؤال فسار معهم . فلما قاربوا بلادهم لقيهم رجال من الشيعة فأخبروهم بخبره فرغبوا في نزوله

(١) في معجم البلدان « مَرْمَجَنَة : قرية بافريقية لهوارة قبيلة من البربر .

عندهم ، واقترعوا فيمن يضيفه منهم ، ثم رحلوا حتى وصلوا الى أرض كتامة منتصف شهر ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين ، فسأله قوم منهم أن ينزل عندهم حتى يقاتلوا دونه . فقال لهم : أين يكون فجّ الأخيار ؟ فتعجبوا من ذلك ولم يكونوا ذكروه له . فقالوا : عند بني سليان فقال : إليه نقصد ثم تأتي كل قوم منكم في ديارهم ونزورهم في بيوتهم ، فأرضى بذلك الجميع . وسار الى جبل يقال له : انكجان وفيه فجّ الأخيار فقال : هذا فجّ الأخيار وما سمي إلا بكُم ، ولقد جاء في الآثار . أن للمهدي هجرة تنبؤ عن الأوطان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان ، قوم مشتق اسمهم من الكتمان ، فإنهم كتامة وبخروجكم من هذا الفجّ يسمّى فجّ الأخيار . فتسامعت القبائل وصنع من الحيل والمكيدات والنارنجيات ما أذهل عقولهم . وأتاه البربر من كل مكان وعظم أمره الى أن تقاتلت كتامة عليه مع قبائل البربر ، وسلم من القتل مراراً وهو في كل ذلك لا يذكر اسم المهدي ، فاجتمع أهل العلم على مناظرته ، وقتله فلم يتركه الكتاميون يناظرهم . وكان اسمه عندهم أبا عبدالله المشرقي . وبلغ خبره الى ابراهيم بن أحمد بن الأغلب أمير افريقية ، فأرسل الى عامله على مدينة ميلة يسأله عن أمره فصغره وذكر له أنه يلبس الخشن ، ويأمر بالخير والعبادة فسكت عنه . ثم انه قال للكتامين : أنا صاحب البدر الذي ذكر لكم أبو سفيان ، والحلواني فازدادت محبتهم له وتعظيمهم لأمره . وتفرقت كلمة البربر ، وكتامة بسببه فاراد بعضهم قتله فاخفى ووقع بينهم قتال شديد ، واتصل الخبر بإنسان اسمه الحسن بن هارون - وهو من أكابر كتامة - فأخذ أبا عبدالله إليه ودافع عنه . ومضيا إلى مدينة ناصرون فأته القبائل من كل مكان وعظم شأنه ، وصارت الرياسة للحسن بن هارون وسلم إليه أبو عبدالله أعنة الخيل ، وظهر من الاستتار وشهر الحروب فكان الظفر له فيها وغنم الأموال . وانتقل الى مدينة ناصرون وخندق عليها فزحفت قبائل البربر ، إليها فاقتتلوا ، ثم اصطلحوا ، ثم اعادوا القتال . وكان بينهم وقائع كثيرة ظفر بهم وصارت إليه أموالهم ، فاستقام له أمر البربر وعامة كتامة .

ذكر ملكه مدينة ميلة وانهزامه

فلما تمّ لأبي عبدالله ذلك زحف إلى مدينة ميلة فجاءه منها رجل اسمه الحسن بن أحمد ، فأطلعه على غرة البلد فقاتل أهله قتالاً شديداً ، وأخذ الأرباض ، فطلبوا منه

الأمان ، ودخل مدينة ميله ، وبلغ الخبر أمير أفريقية - وهو حينئذ إبراهيم بن أحمد - فنقذ ولده الأحول في اثني عشر ألفاً ، وتبعه مثلهم ، فالتقيا فاقتتل العسكران ، فانهزم أبو عبدالله ، وكثر القتل في أصحابه وتبعه الأحول ، وسقط ثلج عظيم حال بينهم .

وسار أبو عبدالله إلى جبل إنكجان ، فوصل الأحول إلى مدينة ناصرون ، فأحرقها وأحرق مدينة ميله ولم يجد بها أحداً . وبنى أبو عبدالله بانكجان دار هجرة ، فقصده أصحابه . وعاد الأحول إلى أفريقية ، فسار أبو عبدالله بعد رحيلهم فغنم ما رأى مما تخلف عنهم ، وأتاه خبر وفاة إبراهيم فسر به . ثم أتاه خبر قتل أبي العباس وولده وولاية زيادة الله ، واشتغاله باللهو واللعب ، فاشتد سروره . وكان الأحول قد جمع جيشاً كثيراً أيام أخيه أبي العباس ولقي أبا عبدالله ، فانهزم الأحول ، وبقي الأحول قريباً منه يقاتله ويمنعه من التقدم .

فلما ولي أبو مضر زيادة الله أفريقية ، أحضر الأحول وقتله كما ذكرناه ، ولم يكن أحولاً وإنما كان يكسر عينه ، إذا أدام النظر فلَقَبَ به ، فلما قُتِلَ انتشرت حينئذ جيوش أبي عبدالله في البلاد ، وصار أبو عبدالله يقول : المهدي يخرج في هذه الأيام ويملك الأرض . فيا طوبى لمن هاجر إليّ وأطاعني . ويغري الناس بأبي مضر ويعيبه . وكان كل من عند زيادة الله من الوزراء فلا يسوءهم أن يظفر أبو عبدالله لاسيما مع ما كان يذكر لهم من الكرامات التي للمهدي من احياء الموتى ، ورد الشمس من مغربها ، وملكه الأرض ، بأسرها . وأبو عبدالله يرسل اليهم ويسحرهم ، ويعدهم .

ذكر سبب اتصال المهدي عبيد الله بأبي

عبدالله الشيعي ، ومسيره إلى سجلماسة (١)

لما توفي عبدالله بن ميمون القداح ، ادعى ولده انهم من ولد عقيل بن أبي طالب ، وهم مع هذا يسترون ويسرون أمرهم ويخفون اشخاصهم . وكان ولده أحمد هو المشار إليه منهم ، فتوفي وخلف ولده محمداً . وكان هو الذي يكتبه الدعاء في البلاد . وتوفي محمد وخلف أحمد والحسين . فسار الحسين إلى سلمية من ارض

(١) مدينة في جنوب المغرب

حمص وله بها ودائع وأموال من ودائع جدّه عبدالله القداح ، ووكلاء وغللمان ، وبقي ببغداد من أولاد القداح أبو الشلغلغ .

وكان الحسين يدّعي أنه الوصي ، وصاحب الأمر والدعاة باليمن والمغرب ، يكتبونه ويراسلونه ، واتفق أنه جرى بحضرته حديث النساء بسلمية ، فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد مات عنها زوجها - وهي في غاية الحسن - فتزوجها ولها ولد من الحداد ، يماثلها في الجمال ، فأحبها وحسّن موقعها معه ، وأحبّ ولدها وأدبّه ، وعلمّه ، فتعلّم العلم وصارت له نفس عظيمة ، وهمة كبيرة . فمن العلماء من اهل هذه الدعوة من يقول : إن الامام الذي كان بسلمية - وهو الحسين - مات ولم يكن له ولد فعهد إلى ابن اليهودي الحداد - وهو عبيدالله - وعرفّه اسرار الدعوة من قول وفعل ، وأين الدعاة ، وأعطاه الأموال والعلامات . وتقدّم إلى أصحابه بطاعته ، وخدمته ، وأنه الإمام والوصيّ . وزوجه ابنة عمه أبي الشلغلغ ، وهذا قول أبي القاسم الأبيض العلوي وغيره . وجعل لنفسه نسباً وهو عبيدالله بن الحسين بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وبعض الناس يقولون - وهم قليل - أن عبيدالله هذا من ولد القدّاح . وهذه الأقوال فيها ما فيها . فialيت شعري ما الذي حمل أبا عبدالله الشيعي وغيره ممن قام في إظهار هذه الدعوة ، حتى يخرجوا هذا الأمر من أنفسهم ، ويسلّموه إلى ولد يهودي ؟ وهل يسامح نفسه بهذا الأمر من يعتقده ديناً يثابّ عليه ؟ قال : فلما عهد الحسين إلى عبيدالله قال له : إنك ستهاجر بعدي هجرة بعيدة ، وتلقى محناً شديدة . فتوفي الحسين ، وقام بعده عبيدالله ، وانتشرت دعوته وبذل الأموال خلاف ما تقدم . وأرسل إليه أبو عبدالله رجلاً من كتامة من المغرب ، ليخبروه بما فتح الله عليه ، وأنهم ينتظرونه . وشاع خبره عند الناس أيام المكتفي ، فطلب ، فهرب هو وولده أبو القاسم نزار ، الذي وُلّي بعده ، وتلقّب بالقائم - وهو يومئذ غلام - وخرج معه خاصّته ، ومواليه يريد المغرب ، وذلك أيام زيادة الله . فلما انتهى إلى مصر ، أقام مستتراً بزّي التجار .

كان عامل مصر حينئذ عيسى النوشري فأتته الكتب من الخليفة بصفته وحليته وأمر بالقبض عليه ، وعلى كل من يشبهه . وكان بعض خاصّة عيسى متشعباً بالانصراف ، فخرج من مصر مع اصحابه ، ومعه أموال كثيرة فأوسع النفقة على صحبه فأخبر المهديّ وأشار

عليه فلما وصل الكتاب إلى النوشي، فرّق الرُّسُل في طلب المهدي، وخرج بنفسه، فليحَقه فلما رآه لم يشك فيه، فقبض عليه، ونزل ببستان ووكل به فلما حضر الطعام دعاه ليأكل، فأعلمه أنه صائم فرّق له وقال له: أعلمني بحقيقة حالك حتى أطلقك، فخوِّفه بالله تعالى، وانكر حاله ولم يزل يخوِّفه ويتلطفه، فأطلقه، وخلي سبيله. وأراد أن يرسل معه من يوصله إلى رفقته فقال: لا حاجة لي في ذلك، ودعا له، وقيل: أنه أعطاه في الباطن مالاً حتى أطلقه، فرجع بعض أصحاب النوشي عليه باللوم، فنَدِم على إطلاقه، وأراد إرسال الجيش وراءه ليردوه.

وكان المهدي لما لَحِق أصحابه رأى ابنه أبا القاسم، قد ضيَّع كلباً كان له يصيد به - وهو ييكي عليه - فعرفه عبيده انهم تركوه في البستان الذي كانوا فيه. فرجع المهدي بسبب الكلب حتى دخل البستان ومعه عبيده، فرآهم النوشي، فسأل عنهم ف قيل: إنه فلان. وقد عاد بسبب كذا وكذا. فقال النوشي لأصحابه: قَبِّحْكُمُ الله اردتم أن تحملوني على قتل هذا حتى آخذه، فلو كان يطلب ما يقال أو كان مريباً لكان يطوي المراحل، ويخفي نفسه، ولا كان رجع في طلب كلب، وتركه.

وجدَّ المهديُّ في الهرب، فليحَقه لصوصٌ بموضع - يقال له: الطاحونة - فأخذوا بعض متاعه. وكانت عنده كتب وملاحم لأبائه، فأخِذَت، فعظم أمرها عليه فيقال: إنه لما خرج ابنه أبو القاسم في المرة الأولى إلى الديار المصرية، أخذها من ذلك المكان وانتهى المهديُّ وولده إلى مدينة طرابلس. وتفرَّق مِنْ صحبه من التجار. وكان في صحبته أبو العباس، أخو أبي عبد الله الشيعي، فقدمه المهدي إلى القيروان ببعض ما معه، وأمره أن يلحق بكتامة. فلما وصل أبو العباس إلى القيروان، وجد الخبر قد سبقه إلى زيادة الله بخبر المهدي فسأل عنه رفقته، فأخبروا أنه تخلف بطرابلس، وأن صاحبه أبا العباس بالقيروان، فأخذ أبو العباس، وقرَّر، فأنكر وقال: «إنما أنا رجل تاجر صحبتُ رجلاً في القفل فحبسه» وسمع المهديُّ، فسار إلى قسطنطية.

ووصل كتاب زيادة الله إلى عامل طرابلس بأخذه، وكان المهدي قد أهدى له واجتمع به، فكتب العامل يخبره أنه قد سار ولم يدركه. فلما وصل المهديُّ إلى قسطنطية، ترك قصد أبي عبد الله الشيعي، لأن أخاه أبا العباس كان قد أخذ. فعلم أنه إذا قصد أخاه تحققوا الأمر، وقتلوه، فتركه وسار إلى سِجْلَمَاسة. ولما سار من قسطنطية

وصل الرُّسُلُ في طلبه ، فلم يوجد ووصل الى سِجْلَمَاسَة ، فأقام بها ، وفي كل ذلك عليه العيون في طريقه .

وكان صاحب سُجْلَمَاسَة ، رجلاً يسمّى اليسع بن مدرار ، فأهدى له المهدى وواصله ، فقربته اليسع وأحبه - فأثاء كتاب زيادة الله يعرفه أنه الرجل الذي يدعو إليه أبو عبد الله الشيعي ، فقبض عليه وحبسه . فلم يزلّ محبوساً حتى أخرجه أبو عبد الله الشيعي ، على ما نذكره .

ذكر استيلاء أبي عبد الله على أفريقية ، وهرب زيادة الله أميرها

قد ذكرنا من حال أبي عبد الله ما تقدم . ثم ان زيادة الله لما رأى استيلاء أبي عبد الله على البلاد ، وأنه قد فتح مدينة ميلة . ومدينة سطيف وغيرها . أخذ في جمع العساكر ، وبذل الأموال . فاجتمعت إليه عساكر عظيمة . فقدم عليهم إبراهيم بن خنيش - وهو من أقاربه - وكان لا يعرف الحرب . فبلغت عدّة جيشه أربعين ألفاً وسَلِمَ إليه الأموال والعدد . ولم يترك بأفريقية شجاعاً إلا أخرجه معه . وسار إليه فانضاف إليه مثل جيشه .

فلما وصل قسطينة الهواء - وهي مدينة قديمة حصينة - نزل بها وأثاء كثير من كتامة الذين لم يطيعوا أبا عبد الله ، فقتل في طريقه كثيراً من أصحاب أبي عبد الله . وخاف أبو عبد الله منه وجميع كتامة . وأقام بقسطينة ستة أشهر ، وأبو عبد الله متحصن في الجبل . فلما رأى إبراهيم أبا عبد الله لا يتقدم إليه ، بادر وزحف بالعساكر المجتمعة إلى بلد اسمه كرامة ، فأخرج إليه أبو عبد الله خيلاً اختارها ليختبر نزوله ، فوافاها بالموضع المذكور . فلما رأى إبراهيم الخيل قصد إليها بنفسه ولم يصحبه إليها احد من جيشه . وكانت ائقال العسكر على ظهور الدواب لم تحط ، ونشبت الحرب ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، واتصل الخبر بأبي عبد الله ، فزحف بالعساكر ، ف وقعت الهزيمة على إبراهيم ومن معه ، ففجرح وعقر فرسه ، وتمت الهزيمة على الجيش جميعه ، وأسلموا الأئقال بأسرها ، فغنمها أبو عبد الله وقتل منهم خلقاً كثيراً .

وتم أمر إبراهيم إلى القيروان ، فشاشت بلاد أفريقية وعظم أمر أبي عبد الله ،

واستقرت دولته، وكتب أبو عبد الله كتاباً إلى المهديّ - وهو في سجن سُجْلَمَاسَة - يَشْرُهُ ، وسير الكتاب مع بعض ثقاته، فدخل السجن في زِيّ قَصَابٍ يبيع اللحم ، فاجتمع به وعرفه ذلك .

وسار أبو عبد الله إلى مدينة طَبنة فحصرها، ونصب عليها الدبابات، ونقب برجاً وبدنة فسقط السور بعد قتال شديد، ومَلَكَ البلد . فاحتَمَى المقدمون بحصن البلد، فحصرهم فطلبوا الأمان فأَمَنَهُمْ وأَمَنَ أهل البلد .

وسار إلى مدينة بلزمة، وكان قد حصرها مراراً كثيرة فلم يظفر بها، فلما حصرها الآن ضيق عليها، وجد في القتال، ونصب عليها الدبابات، ورمأها بالنار، فأحرقها وفتحها بالسيف، وقتل الرجال وهدم الاسوار . واتصلت الأخبار بزيادة الله فعظم عليه، وأخذ في الجمع والحشد . فجمع عسكرياً عدتهم اثنا عشر ألفاً، وأمر عليهم هارون بن الطنبلي . فسار واجتمع معه خلق كثير وقصد مدينة دار ملوك، وكان أهلها قد اطاعوا أبا عبد الله، فقتل هارون أهلها وهدم الحصن . ولقيه في طريقه خيل لأبي عبد الله كان قد أرسلها ليختبروا عسكريه، فلما رآها العسكر اضطربوا، وصاحوا صيحة عظيمة، وهربوا من غير قتالٍ فظن أصحاب أبي عبد الله أنها مكيدة . فلما ظهر أنها هزيمة استدركوا الأمر، ووضعوا السيفَ فما يحصى من قتلوا . وقتل هارون أمير العسكر . وفتح أبو عبد الله مدينة تيجس صلحاً، فأشد الأمر حينئذ على زيادة الله وأخرج الأموال وجيش الجيوش، وخرج بنفسه إلى محاربة أبي عبد الله، فوصل إلى الأربس^(١) في سنة خمس وتسعين ومائتين . فقال له وجوه دولته، إنك تغرر بنفسك فإن يكن عليك لا يبقى لنا ملجأ، والرأي أن ترجع إلى مستقر مُلْكِكَ ، وترسل الجيش مع من تثق إليه، فإن كان الفتح لنا فنصل إليك، وإن كان غير ذلك فتكون ملجأ لنا ، ورجع ففعل ذلك وسير الجيش، وقدم عليه رجلاً من بني عمه يقال له : إبراهيم بن أبي الأغلب، وكان شجاعاً، وبلغ أبا عبد الله الخبر، وكان أهل باغاية^(٢) قد كاتبوه بالطاعة، فسار إليهم، فلما قرب منها هرب عاملها إلى الأربس ، فدخلها أبو عبد الله ، وترك بها جنداً وعاد إلى إنكجان^(٣) . ووصل الخبر

(١) الأربس : بالضم ثم السكون والضم : مدينة وكورة بإفريقية .

(٢) باغاية : مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجانة وقسنطينة .

(٣) إنكجان : ناحية بالمغرب من بلاد البربر .

إلى زيادة الله فزاده غماً وحزناً فقال له انسان كان يضحكه : « يا مولانا لقد عملت شعراً ، فعسى تجعل من يلحنه ، وتشرب عليه ، وأترك هذا الحزن » . فقال : ما هو؟ فقال المضحك للمغنين : غنوا شعر كذا وقولوا بعد فراغ كل بيت :

اشرب واسقينا من القرن يكفيننا

فلما غنوا ، طرب زيادة الله وشرب وانهمك في الأكل والشرب والشهوات . فلما رأى ذلك أصحابه ساعدوه على مراده . ثم إن أبا عبد الله أخرج خيلاً إلى مدينة مجانية فافتتحها عنوةً وقتل عاملها وسير عسكرياً آخر إلى مدينة تيفاش ، فملكها وأمن أهلها . وقصد جماعة من رؤساء القبائل أبا عبد الله يطلبون منه الأمان فأمّنهم ، وسار بنفسه إلى مسكيانة ثم إلى تبسة^(١) ثم إلى مدبرة ، فوجد فيها أهل قصر الأفريقي ، ومدينة مرمجة ، ومدينة مجانية واختلطاً من الناس قد التجؤوا إليها وتحصنوا فيها - وهي حصينة - فنزل عليها وقاتلها ، فأصابه علة الحصى ، وكانت تعتاده ، فشغل بنفسه ، وطلب أهلها الأمان فأمّنهم بعض أهل العسكر ، ففتحوا الحصن ، فدخلها العسكر ووضعوا السيف وانتهبوا .

وبلغ ذلك أبا عبد الله فعظم عليه . ورحل ، فنزل على القصرين من قمودة وطلب أهلها الأمان فأمّنهم . وبلغ إبراهيم بن أبي الأغلب أمير الجيش الذي سيره زيادة الله ، أن أبا عبد الله يريد أن يقصد زيادة الله بركة ، ولم يكن مع زيادة الله كبير عسكر ، فخرج من الأربس ونزل دردمين . وسير أبو عبد الله سريةً إلى دردمين ، فجرى بينهما وبين أصحاب زيادة الله قتال فقتل من أصحاب أبي عبد الله جماعة وانهزم الباقون . واستبطأ أبو عبد الله خبرهم فسار في جميع عساكره ، فلقي أصحابه منهزمين ، فلما رأوه قويت قلوبهم ، ورجعوا وكروا على أصحاب إبراهيم ، وقتلوا منهم جماعة ، وحجز الليل بينهم . ثم سار أبو عبد الله إلى قسطيلة ، فحصرها فقاتله أهلها ثم طلبوا الأمان فأمّنهم ، وأخذ ما كان لزيادة الله فيها من الأموال والعدد ، ورحل إلى قفصة فطلب أهلها الأمان فأمّنهم . ورجع إلى باغاية ، فترك بها جيشاً وعاد إلى جبل إنكجان . فسار إبراهيم بن أبي الأغلب في جيشه إلى باغاية ، وحصرها . فبلغ الخبر أبا عبد الله ، فجمع

(١) تبسة : بالفتح ثم الكسر وتشديد السين ، بلد مشهور من أرض أفريقية ، بينه وبين قفصة ست مراحل .

عسكره ، وسار مجداً إليها ووجه اثني عشر ألف فارس ، وأمر مقدمهم أن يسير إلى باغاية ، فإن كان ابراهيم قد رحل عنها فلا يجاوز فج العرعار . فمضى الجيش ، وكان أصحاب أبي عبد الله الذين في باغاية قد قاتلوا عسكر ابراهيم قتالاً شديداً ، فلما رأى صبرهم عجب ، هو وأصحابه منهم فأرعب ذلك قلوبهم . ثم بلغهم قرب العسكر منهم فعاد ابراهيم بعساكره ، فوصل عسكر أبي عبد الله فلم يروا أحداً فنهبوا ما وجدوا وعادوا ، ورجع ابراهيم إلى الأربس .

ولما دخل فصل الربيع وطاب الزمان جمع أبو عبد الله عساكره فبلغت مائتي ألف فارس وراجل واجتمع من عساكر زيادة الله بالأربس ، مع ابراهيم ما لا يحصى ، وسار أبو عبد الله أول جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومائتين فالتقوا ، واقتتلوا أشد قتال ، وطال زمانه وظهر أصحاب زيادة الله . فلما رأى ذلك أبو عبد الله ، اختار من أصحابه ستمائة رجل ، وأمر أصحابه ان يأتوا عسكر زيادة الله من خلفهم ، فمضوا لما أمرهم في الطريق الذي أمرهم بسلوكه . واتفق أن ابراهيم فعل مثل ذلك ، فالتقى الطائفتان فاقتلوا في مضيق هناك . فانهزم أصحاب ابراهيم ووقع الصوت في عسكره بكمين أبي عبد الله ، وانهزموا وتفرقوا وهرب كل قوم إلى جهة بلادهم . وهرب ابراهيم وبعض من معه إلى القيروان وتبعهم اصحاب أبي عبد الله يقتلون ويأسرون ، وغنموا الأموال والخيول والعدد ، ودخل أصحابه مدينة الأربس فقتلوا بها خلقاً عظيماً . ودخل كثير من أهلها الجامع ، فقتل فيه أكثر من ثلاثة آلاف ، ونهبوا البلد وكانت الواقعة أواخر جمادى الآخرة ، وانصرف أبو عبد الله إلى قمودة فلما وصل خبر الهزيمة إلى زيادة الله ، هرب إلى الديار المصرية ، وكان من أمره ، ما تقدم ذكره . ولما هرب زيادة الله هرب أهل مدينة رقادة على وجوههم في الليل إلى القصر القديم وإلى القيروان . وسوسة ودخل أهل القيروان رقادة ونهبوا فيها ، وأخذ القوي الضعيف ، ونهبت قصور بني الأغلب وبقي النهب ستة أيام ووصل ابراهيم بن أبي الأغلب إلى القيروان ، فقصده قصر الإمارة ، واجتمع إليه أهل القيروان ، ونادى مناديه بالأمان وتسكين الناس . وذكر لهم أحوال زيادة الله وما كان عليه حتى أفسد ملكه ، وصغر أمر أبي عبد الله الشيعي ، ووعدهم أن يقاتل عنهم ويحمي حريمهم وبلدهم ، وطلب منهم المساعدة بالسمع والطاعة والأموال فقالوا : «إنما نحن فقهاء وعامة وتجار وما في أموالنا ما يبلغ غرضك

وليس لنا بالقتال طاقة ». فأمرهم بالانصراف . فلما خرجوا من عنده وأعلموا الناس بما قاله صاحوا به أُخْرِجَ عنا فما لك عندنا سمعٌ ولا طاعةٌ، وشتموه فخرج عنهم وهم يرمونه.

ولما بلغ أبا عبد الله هرب زيادة الله كان بناحية سببية ورحل فنزل بوادي النمل ، وقَدِمَ بين يديه عروبة بن يوسف . وحسن بن أبي خنزير في ألف فارس إلى رقادة ، فوجدوا الناس ينهبون ما بقي من الأمتعة والأثاث ، فأمنوهم ولم يتعرضوا لأحد . وتركوا لكل واحد ما حملة ، فأتى الناس إلى القيروان ، فأخبروه الخبر ففرح أهلها . وخرج الفقهاء ووجوه البلد إلى لقاء أبي عبد الله فلقوه وسلّموا عليه وهنأوه بالفتح فرد عليهم رداً حسناً . وحذّثهم وأعطاهم الأمان ، فأعجبهم ذلك وسرهم . وذكروا زيادة الله ، وذكروا مساويه ، فقال لهم : « ما كان إلّا قوياً وله منعة ودولة شامخة وما قصّر في مدافعته ، ولكن أمر الله لا يعاند ولا يدافع » فأمسكوا عن الكلام ورجعوا إلى القيروان .

ودخل رقادة^(١) يوم السبت مستهل رجب من سنة ست وتسعين ومائتين ، فنزل ببعض قصورها وفرّق دُورَها على كتامة ولم يكن بقي أحدٌ من أهلها فيها ، وأمر فنودي بالأمان فرجع الناس إلى أوطانهم ، وأخرج العمال إلى البلاد ، وطلب أهل الشرّ فقتلهم . وأمر أن يجمع ما كان لزيادة الله من الأموال والسّلاح وغير ذلك . فاجتمع كثير منه وفيه كثير من الجوّاري لهنّ مقدارٌ وحظ من الجمال ، فسأل عمن كان يكفلهن ، فذكر له امرأة صالحة كانت لزيادة الله . فأحضرها وأحسن إليها وأمرها بحفظهنّ ، وأمر لهن بما يصلحهن ولم ينظر إلى واحدة منهن ، ولما حضرت الجمعة أمر الخطباء بالقيروان ورقادة ، فخطبوا ولم يذكروا أحداً ، وأمر بضرب السكة وأن لا ينقش عليها اسم ، ولكنه جعل مكان الاسم من وجه بلغت حجة الله ومن الوجه الآخر تفرّق أعداء الله . ونقش على السلاح عدة في سبيل الله ، ووسم الخيل على أفخاذها الملك لله . وأقام على ما كان عليه من لبس الدون الخشن والقليل من الطعام الغليظ .

(١) رقادة - بفتح أوله وتشديد ثانيه - بلدة بينها وبين القيروان أربعة أميال .

ذكر مسير أبي عبد الله إلى سجلماسة^(١) وظهور المهدي

لما استقرت الأمور لأبي عبد الله في رقادة وسائر بلاد أفريقية أتاه أخوه أبو العباس محمد، ففرح به وكان هو الكبير. فسار أبو عبد الله في رمضان من السنة من رقادة، واستخلف على أفريقية أخاه أبا العباس. وأبا زكي، وسار في جيوش عظيمة فاهتز المغرب لخروجه، وخافته زناته وزالت القبائل عن طريقه وجاءته رسلهم، ودخلوا في طاعته: فلما قرب من سجلماسة، وانتهى خبره إلى اليسع بن مدرار، أمير سجلماسة أرسل إلى المهدي - وهو حبسه على ما ذكرناه - يسأله عن نسبه وحاله، وهل إليه قصد أبو عبد الله، فحلف له المهدي أنه ما رأى أبا عبد الله ولا عرفه، وإنما أنا رجل تاجر. فاعتقله في دار وحده، وكذلك فعل بولده أبو القاسم وجعل عليهما الحرس. وقرّر ولده أيضاً، فما حال عن كلام أبيه، وقرّر رجالاً كانوا معه، واضربهم، فلم يُقرّوا بشيء، وسمع أبو عبد الله ذلك فشق عليه، فأرسل إلى اليسع يتلطفه، وأنه لم يقصد الحرب وإنما له حاجة مهمة عنده، ووعدته الجميل فرمى الكتاب، وقتل الرّسل. فعاوده بالملاطفة خوفاً على المهدي ولم يذكره له فقتل الرسل أيضاً، فأسرع أبو عبد الله في السير، ونزل عليه فخرج إليه اليسع وقاتله يومه ذلك، واقتروا فلما جنهم الليل، هرب اليسع وأصحابه من أهله وبنى عمه، وبات أبو عبد الله ومن معه في غمٍ عظيم لا يعلمون ما صنع بالمهدي وولده. فلما أصبح خرج إليه أهل البلاد وأعلموه بهرب اليسع، فدخل هو وأصحابه البلد وأتوا المكان الذي فيه المهدي فاستخرجوه واستخرج ولده فكانت في الناس مسرة عظيمة كادت تذهب بعقولهم، فأركبهما، ومشى هو ورؤساء القبائل بين أيديهما، وأبو عبد الله يقول للناس: هذا مولاكم وهويكي من شدة الفرح، حتى وصل إلى فسطاط قد ضرب له فنزل فيه. وأمر بطلب اليسع فطلب، فأدرك، فأخذ وضرب بالسياط ثم قتل.

فلما ظهر المهدي أقام بسجلماسة أربعين يوماً، وسار إلى أفريقية، وأحضر الأموال من إنكجان فجعلها أحمالاً وأخذها معه. ووصل إلى رقادة العشر الأخير من

(١) بسين مهملة مكسورة في أوله وبعدها جيم مكسورة وسكون اللام وبعد الألف سين مهملة مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان.

ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين ومائتين . وزال مُلْكُ بني الأغلب ، ومُلْكُ بني مدرار الذين منهم اليُسع ، وكان لها ثلاثون ومائة سنة منفردين بسجل ماسة . وزال مُلْكُ بني رستم من تاهرت ولهم ستون ومائة سنة تفردوا بتاهرت ، ومُلْكُ المهديّ جميع ذلك . فلما قرب من رقادة تلقّاه أهلها وأهل القيروان وأبو عبد الله ، ورؤساء كتامة مشاة بين يديه ، وولده خلفه ، فسَلَّموا عليه ، فردّ جميلاً وأمرهم بالانصراف ونزل بقصر من قصور رقادة . وأمر يوم الجمعة بذكر اسمه في الخطبة في البلاد ، وتلقّب بالمهدي أمير المؤمنين . وجلس بعد الجمعة رجلٌ يُعرف بالشّريف ، ومعه الدعاة ، وأحضروا الناس بالعنف والشدة ، ودعواهم إلى مذهبهم ، فمن أجاب أحسنَ إليه ، ومن أبى حُسْنَ ، فلم يدخل في مذهبهم إلّا بعض الناس - وهم قليلٌ - وقَتَلَ كثير ممن لم يوافقهم على قولهم . وعرض عليه أبو عبد الله جوارى زيادة الله ، فاختر منهنّ كثيراً لنفسه ، ولولده أيضاً وفرّق ما بقي على وجوه كتامة . وقسّم عليهم أعمال أفريقية ، ودوّن الدواوين وجبى الأموال ، واستقرّت قدمه ودانت له أهل البلاد ، واستعمل العمال عليها جميعها ، فاستعمل على جزيرة صقلية الحسن بن أحمد بن أبي خنزير ، فوصل إلى مازر عاشر ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومائتين . فولّى أخاه على جرجنت ، وجعل قاضياً بصقلية اسحاق بن المنهال - وهو أول قاضٍ تولّى بها للمهدي العلوي - وبقي ابن أبي خنزير إلى سنة ثمان وتسعين . فسار في عسكره إلى دمنش فغنمَ وسبى ، وأحرق ، وعاد ، فبقي مدة يسيرة ، وأساء السيرة في أهلها ، فثاروا به وأخذوه وحبسوه ، وكتبوا إلى المهدي بذلك واعتذروا فقبل عذرهم واستعمل عليهم عليّ بن عمر البلوي ، فوصل آخر ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين .

ذكر قتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس

في سنة ثمان وتسعين ومائتين ، قُتِلَ أبو عبد الله الشيعي ، قتله المهدي عبيد الله . وسبب ذلك أنّ المهدي لما استقامت له البلاد ودانت له العباد وباشر الأمور بنفسه ، وكفّ يد أبي عبد الله ويُدُّ أخيه أبي العباس داخل أبا العباس الحسد ، وعظم عليه الفِطَام عن الأمر والنهي ، والأخذ والعطاء . فأقبل يزري على المهدي في مجلس أخيه ، ويتكلّم فيه وأخوه ينهاه ، ولا يرضى فعله فلا يزيد ذلك إلّا لجاجاً . ثم أنه أظهر أبا عبد الله على ما في نفسه وقال له : ملكت أمراً فجئت بمن أزالك عنه ، وكان الواجب

عليه أن لا يسقط ، حَقَّك ولم يزل حتى أثر في قلب أخيه ، فقال يوماً للمهدي : « لو كنت تجلس في قصرِكَ وتتركني مع كُتامة أمرهم ، وأنهاهم لأنني عارف بعاداتهم ، لكان أهيب لك في أعين الناس » .

وكان المهديُّ سمع شيئاً مما يجري بين أبي عبد الله وأخيه ، فتحقق ذلك غير أنه ردَّ رداً لطيفاً . فصار أبو العباس يشيرُ إلى المقدمين بشيء من ذلك فمن رأى منه قبولاً كشف له ما في نفسه ، وقال : ما جازاكم على ما فعلتم . وذكر لهم الأموال التي أخذها المهديُّ من إنكجان ، وقال : هلاً قسمها فيكم وكلُّ ذلك يتَّصل بالمهدي وهو يتغافل ، وأبو عبد الله يداري ، ثم صار أبو العباس يقول : إن هذا ليس الذي كنَّا نعتقد طاعته ، وندعو إليه لأن المهديَّ يختم بالحجَّة ، ويأتي بالآيات الباهرة . فأخذ قوله بقلوب كثير من الناس منهم انسانٌ من كُتامة ، يقال له : شيخ المشايخ . فواجه المهديُّ بذلك وقال : إن كنتَ المهديُّ ، فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك ، فقتله المهديُّ . فخافه أبو عبد الله وعَلِمَ أنَّ المهديَّ قد تغير عليه ، فاتفق هو وأخوه ومن معهما على الاجتماع عند أبي زكي ، وعزموا على قتل المهديُّ ، واجتمع معهم قبائل كُتامة إلا قليلاً منهم . وكان معهم رجلٌ ، يظهر أنه منهم وينقل ما يجري إلى المهديُّ ، ودخلوا عليه مراراً ، فلم يجسروا على قتله . فاتفق أنهم اجتمعوا ليلةً عند أبي زكي ، فلما أصبحوا لبسَ أبو عبد الله ثوبه مقلوباً ، ودخل على المهديُّ فرأى ثوبه فلم يعرفه به . ثم دخل عليه ثلاثة أيام والقميصُ بحاله فقال له المهديُّ : « ما هذا الأمر الذي أذهلك عن إصلاح ثوبك ، فهو مقلوب منه ثلاثة أيام فعلمت أنك ما نزعته » . ؟ فقال : ما علمت بذلك إلا ساعتني هذه . قال : أين كنت البارحة ، والليالي قبلها ؟ فسكت أبو عبد الله فقال : أليس بتُّ في دار أبي زكي ؟ قال : بلى قال : وما الذي أخرجك من دارِكَ ؟ قال : خفتُ ، قال : وهل يخاف الإنسان إلا من عدوه ؟ فعلم أن أمره ظهر للمهديِّ فخرج وأخبر أصحابه ، وخافوا وتخلَّفوا عن الحضور . فذكر ذلك للمهديِّ وعنده رجل يقال له : ابن القديم ، كان من جملة القوم ، وعنده أموالٌ كثيرة من أموال زيادة الله فقال : يا مولاي إن شئت أتيتُك بهم . ومضى فجاء بهم . فعَلِمَ المهديُّ صحة ما قيل عنه ، فلاطفهم وفرَّقهم في البلاد .

وجُعِلَ أبا زكي والياً على طرابلس ، وكتب إلى عاملها أن يقتله عند وصوله . فلما وصلها قتله عاملها ، وأرسل رأسه إلى المهديِّ فهرب ابن القديم ، فأخذ فأمر المهديُّ

بقتله فُقُتِلَ ، وأمر المهديُّ عروبةً ورجالاً معه أن يرصدوا أبا عبد الله وأخاه أبا العباس ، ويقتلوهما . فلما وصلا إلى قُربِ القصرِ حمل عروبةً على أبي عبد الله فقال : لا تفعلْ يا بني فقال : الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك ، فُقُتِلَ هو وأخوه وكان قتلُهُما في اليوم الذي قُتِلَ فيه أبو زكري ، فقيل : إنَّ المهديَّ صلَّى على أبي عبد الله وقال : « رحمك الله أبا عبد الله وجزاك خيراً بجميل سعيك » . وثارت فتنة بسبب قتلها وجرَّد أصحابهما السيوف ، فركب المهديُّ وأمن الناس ، فسكنوا ثم تتبَّعهم حتى قتلهم . وثارت فتنة ثانية بين كُتامة وأهل القيروان قُتِلَ فيها خَلَقٌ كثير ، فخرج المهديُّ وسكن الفتنة ، وكفَّ الدعاة عن طلب التشييع من العامة . ولما استقامت الدولة للمهدي عهداً إلى ولده أبي القاسم نزار بالخلافة .

ورجعت كُتامة إلى بلادهم فأقاموا طفلاً وقالوا : « هذا هو المهديُّ » ثم زعموا أنه نبيُّ يوحى إليه ، وزعموا أن أبا عبد الله لم يمت . وزحفوا إلى مدينة^(١) ميلة فبلغ ذلك المهديُّ ، فأخرج ابنه أبا القاسم ، فحصرهم ، فقاتلهم فهزمهم واتبعهم حتى أجلاهم إلى البحر ، وقُتِلَ منهم خلقاً عظيماً ، وقتل الطفل الذي أقاموه ، وخالف عليه أهل صقلية مع ابن وهب ، فأنفذ إليهم اسطولاً ففتحها ، وأتى بابن وهب فقتله . وخالف عليه أهل تاهرت ، فغزاها ففتحها وقتل أهل الخلاف . وقتل جماعة من بني الأغلب برقادة ، كانوا قد رجعوا إليها بعد وفاة زيادة الله .

ذكر عدة حوادث

فيها سَيرَ القاسم بن سَيمَا وجماعةٌ من القوادِ في طلب الحسين بن حمدان ، فساروا حتى بلغوا قرقيسيا والرَّحبة ، فلم يظفروا به . فكتب المقتدرُ إلى أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ، وهو الأمير بالموصل يأمره بطلب أخيه الحسين ، فسار هو والقاسم بن سَيمَا ، فالتقوا عند تكريت ، فأنهزم الحسينُ فأرسل أخاه إبراهيم بن حمدان يطلب الأمان فأجيبَ إلى ذلك ، ودخل بغداد وخلع عليه ، وعقد له قم وقاشان . فسار إليها وصرف عنها العباس بن عمرو . وفيها وصل بارس غلام اسماعيل السَّاماني ، وقُلِّدَ ديار ربيعة . وقد تقدم ذكره .

(١) ميلة : بالكسر ثم السكون ولام مفتوحة : مدينة صغيرة بأقصى إفريقية .

وفيها كانت وقعة بين طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث، وبين سبكري، غلام عمر فأسر طاهراً ووجه وأخاه يعقوب بن محمد بن عمرو إلى المقتدر مع كاتبه عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي، فأدخلا بغداد أسيرين فحسباً. وكان سبكري قد تغلب على فارس بغير أمر الخليفة؛ فلما وصل كاتبه قرّر أمره على مال يحمله، وكان وصوله إلى بغداد سنة سبع وتسعين. وفيها خلع على مؤنس المظفر الخادم، وأمر بالمسير إلى غزو الروم، فسار في جمع كثيف فغزا من ناحية ملطية ومعه أبو الأغر السلمي، فظفر وغنم وأسر منهم جماعة وعاد. وفيها قُتل يوسف بن أبي السّاج أعمال أرمينية وآذربيجان وضمّنها بمائة ألف وعشرين ألف دينار، فسار إليها من الدينور. وفيها سقط ببغداد ثلج كثير من بكرة إلى العصر فصار على الأرض أربع أصابع، وكان معه برد شديد وجمد الماء والخلّ والبيض والأدهان، وهلك النخل وكثير من الشجر. وحجّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

وفيها توفي محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر. وفيها قُتل سوسن حاجب المقتدر. وسبب ذلك أنه كان له أثر في أمر ابن المعتز، فلما بويع ابن المعتز واستحجب غيره لزم المقتدر، فلما استوزر ابن الفرات تفرّد بالأمور فعاداه سوسن، وسعى في فساد حاله، فاعلم ابن الفرات المقتدر بالله بحال سوسن، وأنه كان ممن أعان ابن المعتز فقبض عليه وقتله. وفيها توفي محمد بن داود بن الجراح عم علي بن عيسى الوزير، وكان عالماً بالكتابة. وفيها توفي عبد الله بن جعفر بن خافان، وأبو عبد الرحمن الدهكاني.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين

ذكر استيلاء الليث على فارس وقتله

في هذه السنة سار الليث بن علي بن الليث من سجستان إلى فارس في [جيش]، وأخذها واستولى عليها وهرب سبكري عنها إلى أرجان . فلما بلغ الخبر المقتدر جهّز مؤنساً الخادم ، وسيّره إلى فارس معونة لسبكري . فاجتمعاً بأرجان . وبلغ خبر اجتماعهما الليث ، فسار إليهما ، فأتاه الخبر بمسير الحسين بن حمدان من قم إلى البيضاء معونة لمؤنس ، فسيّر أخاه في بعض جيشه إلى شیراز ليحفظها .

ثم سار في بعض جنده في طريق مختصر ليوافق الحسين بن حمدان ، فأخذ به الدليل في طريق الرجاله فهلك أكثر دوابه . ولقي هو وأصحابه مشقة عظيمة ، فقتل الدليل وعدل عن ذلك الطريق ، فأشرف على عسكر مؤنس ، فظنّه هو وأصحابه أنه عسكره الذي سيّر مع أخيه إلى شیراز ، فكبروا ، فثار إليهم مؤنس . وسبكري في جندهما ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم عسكر الليث وأخذ هو أسيراً فلما أسره مؤنس قال له أصحابه : إن المصلحة أن نقبض على سبكري ، ونستولي على بلاد فارس ، ونكتب إلى الخليفة ليقرّها عليك فقال : سأفعل غداً إذا صار إلينا على عادته ، فلما جاء الليل أرسل مؤنس إلى سبكري سرّاً يعرفه ما أشار به أصحابه ، وأمره بالمسير من ليلته إلى شیراز ففعل . فلما أصبح مؤنس قال لأصحابه ، أرى سبكري قد تأخر عنا ، فتعرفوا خبره ، فسار إليه بعضهم وعاد فأخبره أن سبكري سار من ليلته إلى شیراز ، فلام أصحابه وقال : من جهتكم بلغه الخبر حتى استوحش . وعاد مؤنس ومعه الليث إلى بغداد ، وعاد الحسين بن حمدان إلى قم .

ذكر أخذ فارس من سبكري

لما عاد مؤنس عن سبكري استولى كاتبه عبد الرحمن بن جعفر على الأمور، فحسده أصحاب سبكري، فنقلوا عنه أنه كاتب الخليفة وأنه قد حلف أكثر القوادله. فقبض عليه وقيده وحبسه، واستكتب مكانه إسماعيل بن إبراهيم اليميني فحملته على العصيان، ومنع ما كان يحمله إلى الخليفة، ففعل ذلك فكتب عبد الرحمن بن جعفر إلى ابن الفرات وزير الخليفة يعرفه ذلك، وأنه لما نهى سبكري عن العصيان قبض عليه، فكتب ابن الفرات إلى مؤنس - وهو بواسط - يأمره بالعود إلى فارس، ويعجزه حيث لم يقبض على سبكري، ويحمله مع الليث إلى بغداد. فعاد مؤنس إلى الأهواز، وأرسل سبكري مؤنساً وهاداه وسأله أن يتوسط حاله مع الخليفة، فكتب في أمره وبذل عنه مالاً فلم يستقر بينهم شيء. وعلم ابن الفرات أن مؤنساً يميل إلى سبكري فأنفذ وصيف كاتبه وجماعة من القواد ومحمد بن جعفر الفريابي، وعول عليه ففتح فارس، وكتب إلى مؤنس يأمره باستصحاب الليث معه إلى بغداد، فعاد مؤنس، وسار محمد بن جعفر إلى فارس وواقع سبكري على باب شيراز، فانهزم سبكري إلى بَم^(١) وتحصن بها وتبعه محمد بن جعفر وحصره بها، فخرج إليه سبكري وحاربه مرة ثانية فهزمه محمد ونهب ماله، ودخل سبكري مفازة خراسان فظفر به صاحب خراسان على ما نذكره، واستولى محمد بن جعفر على فارس، فاستعمل عليها قنبجا خادماً الأفشين، والصحيح أن فتح فارس كان سنة ثمان وتسعين.

ذكر عده حوادث

فيها وجّه المقتدر القاسم بن سيما لغزو الصائفة. وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي. وفيها توفي عيسى النوشري في شعبان بمصر بعد موت أبي العباس بن بسطام بعشرة أيام، ودُفن بالبيت المقدس. واستعمل المقتدر مكانه تكين الخادم، وخلع عليه منتصف شهر رمضان. وفيها توفي أبو عبد الله محمد بن سالم، صاحب سهل بن عبد الله التستري. وفيها توفي الفيض بن الخضر، وقيل: ابن محمد

(١) يفتح الباء الموحدة وتشديد الميم مدينة جليلة من أعيان مدن كرمان.

أبو الفيض الأولاشي^(١) الطرسوس ، وأبو بكر محمد بن داود بن عليّ الأصفهاني الفقيه
الظاهري^(٢) ، وموسى بن اسحاق القاضي ، والقاضي أبو محمد يوسف بن يعقوب بن
حمّاد، وله تسع وثمانون سنة.

(١) في النجوم الزاهرة : الأولاسي بالسين ، نسبة إلى اولاس حصن على ساحل بحر الشام من نواحي
طرسوس ويسمى حصن الزهاد.

(٢) محمد بن داود بن علي الظاهري الفقيه ابو بكر أحد أذكىء زمانه ، وصاحب كتاب الزهرة . له شعر رائق
وهو ممن قتله الهوى . شذرات الذهب ٢/ ٢٢٦ .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين

ذكر استيلاء أحمد بن اسماعيل على سجستان

في هذه السنة في رجب استولى ابو نصر أحمد بن إسماعيل الساماني على سجستان . وسبب ذلك أنه لما استقل أمره وثبت ملكه خرج في سنة سبع وتسعين ومائتين إلى الري . وكان يسكن بخارى ، ثم سار إلى هراة ، فسير منها جيشاً في المحرم سنة ثمان وتسعين إلى سجستان . وسير جماعة من أعيان قواده وأمرائه ، منهم أحمد بن سهل ومحمد بن المظفر وسيمجور الدواتي - وهو والد آل سيمجور ولادة خراسان للسامانية وسيرد ذكرهم - واستعمل أحمد على هذا الجيش الحسين بن علي المروروذي ، فساروا حتى أتوا سجستان ، وبها المعدل بن علي بن الليث الصفار - وهو صاحبها - فلما بلغ المعدل خبرهم سير أخاه أبا علي محمد بن علي بن الليث إلى بست والرخج ليحامي أموالها ويرسل منها الميرة إلى سجستان ، فسار الأمير أحمد بن اسماعيل إلى أبي علي ببست ، وجاذبه وأخذه أسيراً وعاد به إلى هراة ، وأما الجيش الذي بسجستان فانهم حصروا المعدل وضايقوه ، فلما بلغه أن أخاه أبا علي محمد قد أخذ أسيراً صالح الحسين بن علي ، واستأمن إليه ، فاستولى الحسين على سجستان ، فاستعمل عليها الأمير أحمد أبا صالح منصور بن اسحاق - وهو ابن عمه - وانصرف الحسين عنها ومعه المعدل إلى بخارى ثم إن سجستان خالف أهلها سنة ثلاثمائة على ما نذكره . ولما استولى السامانية على سجستان ، بلغهم خبر مسير سبكري في المفازة من فارس إلى سجستان . فسيروا إليه جيشاً فلقوه هو وعسكره قد أهلكهم التعب ، فأخذوه أسيراً واستولوا على عسكره . وكتب الأمير أحمد إلى المقتدر بذلك وبالفتح . فكتب إليه يشكره على ذلك ويأمره بحمل سبكري . ومحمد بن علي بن الليث إلى بغداد ، فسيّرهما ، وأدخلها بغداد .

مشهورين على فيلين . وأعاد المقتدر رسل أحمد صاحب خراسان ومعهم الهدايا والنخلع .

ذكر عدة حوادث

فيها أطلق الأمير أحمد بن اسماعيل عمه اسحاق بن أحمد من محبسه ، وأعادته إلى سمرقند ، وفرغانة . وفيها توفي محمد بن جعفر الفريابي وقنبح الخادم أمير فارس ، فاستعمل عليها عبد الله بن إبراهيم المسمعي ، وأضاف إليه كرمان . وفيها جعلت أم موسى الهاشمية قهرمانة دار المقتدر بالله ، فكانت تؤدي الرسائل من المقتدر وأمه إلى الوزير . وإنما ذكرناها لأن لها فيما بعد من الحكم في الدولة ما أوجب ذكرها ، وإلا كان الإضراب عنها أولى . وفيها غزا القاسم بن سيما الصائفة . وفيها في رجب توفي المظفر بن حاج أمير اليمن ، وحُمِلَ إلى مكة ، ودُفِنَ بها ، واستعمل الخليفة على اليمن بعده ملاحظاً .

وحجَّ بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي . وفيها في شعبان ، أخذ جماعة ببغداد ، قيل : إنهم أصحاب رجل يدعى الربوية ، يُعرفُ بمحمد بن بشر . وفيها هبَّت ريحٌ شديدة حارة صفراءٌ بحديثه الموصل ، فمات لشدة حرِّها جماعة كثيرة . وفيها توفي أبو القاسم الجنيد بن محمد الصوفي^(١) وكان أمام الدنيا في زمانه وأخذ الفقه عن أبي ثور صاحب الشافعي ، والتصوف عن سري السقطي ، وفيها توفي أبو برزة الحساب ، واسمه الفضل بن محمد . وفيها توفي القاسم بن العباس أبو محمد المعشري . وإنما قيل له : المعشري ، لأنه ابن بنت أبي معشر نجيح المدني وكان زاهداً فقيهاً . وفيها توفي أحمد بن سعيد بن مسعود بن عصام أبو العباس ، ومحمد بن إياس والد أبي زكريا صاحب تاريخ الموصل ، وكان خيراً فاضلاً وهو أزدي .

(١) الجنيد بن محمد القواريري الخزاز شيخ الصوفية تاج العارفين ، صحب خاله السري والمحاسبي شذرات الذهب ٢/ ٢٢٨ .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائتين ذكر القبض على ابن الفرات ووزارة الخاقاني

في هذه السنة قبض المقتدر على الوزير أبي الحسن بن الفرات في ذي الحجة ، وكان قد ظهر قبل القبض عليه بمدة يسيرة ثلاث كواكب مذنية ، أحدها ظهر آخر رمضان في برج الأسد ، والآخر ظهر في ذي القعدة في المشرق . والثالث ظهر في المغرب في ذي القعدة أيضاً في برج العقرب . ولما قبض على الوزير وكُل بداره ، وهتك حرمة ونهب ماله ، ونهبت دور أصحابه ، ومن يتعلق به ، واقتنت بغداد لقبضه ، ولقي الناس شدة ثلاثة أيام ثم سكنوا . وكانت مدة وزارته هذه - وهي الوزارة الأولى - ثلاث سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً ، وقلد أبو علي محمد بن يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الوزارة ، فرتب أصحاب الدواوين ، وتولى مناظرة ابن الفرات أبو الحسين أحمد بن يحيى بن أبي البغل . وكان أخوه أبو الحسن بن أبي البغل مقيماً باصبهان ، فسعى أخوه له في الوزارة هو وأُم موسى القهرمان . فأذن المقتدر في حضوره ليتولى الوزارة فحضر ، فلما بلغ ذلك الخاقاني انحلت أموره ؛ فدخل على الخليفة وأخبره بذلك فأمره بالقبض على أبي الحسن وأبي الحسين أخيه فقبض على أبي الحسن . وكتب في القبض على أبي الحسين ، فقبض أيضاً . ثم خاف القهرمان فأطلقهما واستعملهما . ثم أن أمور الخاقاني انحلت لأنه كان ضجوراً ضيق الصدر ، مهملاً لقراءة كتب العمال ، وجباية الأموال . وكان يتقرب إلى الخاصة والعامة فمنع خدم السلطان وخواصه أن يخاطبوه بالعبد . وكان إذا رأى جماعة من الملاحين والعامة يصلون جماعة ينزل ويصلي معهم ، وإذا سأله أحد حاجة دق صدره وقال : نعم وكرامة . فسمي دق صدره ، ألا أنه قصر في اطلاق الأموال للفرسان والقواد فنفروا عنه واتضعت الوزارة بفعلِهِ ما تقدم . وكان اولاده قد تحكموا عليه فكل منهم يسعى لمن يرثي منه .

وكان يولي في الأيام القليلة العمال . فاجتمعوا في الطريق فعرضوا توقيعاتهم ، فسار الأخير منهم وعاد الباقيون يطلبون ما خدمهم به أولاده فقبل فيه :

وزيرٌ قد تكاملَ في الرِّقاعة يوليُّ ثم يعزلُ بعد ساعة
إذا أهل الرشا اجتمعوا لديه فخيرُ القومِ أوفرُّهم بضاعةً
وليس يلامُ في هذا بحالٍ لأن الشيخَ أفلتَ من مجاعه

ثم زاد الأمر حتى تحكَّم أصحابه ، فكانوا يطلقون الأموال ، ويفسدون الأحوال ، فأنحلت القواعدُ وخِبتْ النياتُ . واشتغل الخليفة بعزل وزرائه والقبض عليهم والرجوع إلى قول النساء ، والخدم والتصرف على مقتضى آرائهن . فخرجت الممالك وطمع العمال في الأطراف ، وكان ما ذكره فيما بعد ، ثم أن الخليفة أحضر الوزير ابن الفرات من محبسه ، فجعله عنده في بعض الحجر مكرماً ، فكان يعرض عليه مطالعات العمال وغير ذلك وأكرمه وأحسن إليه بعد أن أخذ أمواله .

ذكر عدة حوادث

فيها غزا رستم أمير الثغور الصائفة من ناحية طرسوس ومعه دميانة ، فحصر حصن مليح الأرمني ، ثم دخل بلده وأحرقه . وفيها دخل بغداد العظيم والأغبر وهما من قواد ذكرويه القرمطي دخلاً بالأمان . وحجَّ بالناس الفضل بن عبد الملك . وفيها جاء نفرٌ من القرامطة من اصحاب أبي سعيد الجنابي إلى باب البصرة ، وكان عليها محمد بن اسحاق بن كنداجيق وكان وصولهم يوم الجمعة ، والناس في الصلاة فوقع الصوت بمجيء القرامطة ، فخرج إليهم الموكلون بحفظ باب البصرة ، فرأوا رجلين منهم ، فخرجوا إليهما فقتل القرامطة منهم رجلاً وعادوا . فخرج إليهم محمد بن اسحاق في جمع فلم يرهم . فسير في أثرهم جماعة ، فأدركوهم وكانوا نحو ثلاثين رجلاً ، فقاتلوهم ، فقتل بينهم جماعة . وعاد ابن كنداجيق وأغلق أبواب البصرة ظناً منه أن أولئك القرامطة كانوا مقدمة لأصحابهم ، وكاتب الوزير ببغداد يعرفه وصول القرامطة ويستمده ، فلما أصبح ولم ير للقرامطة أثراً ندِم على ما فعل . وسير إليه من بغداد عسكرياً مع بعض القواد . وفيها خالف أهل طرابلس الغرب على المهدي عبيد الله العلوي . فسير إليها عسكرياً فحاصرها فلم يظفر بها . فسير إليها المهدي ابنه أبا القاسم

في جمادى الآخرة، سنة ثلاثمائة، فحاصرها وصابرها واشتد في القتال، فعُدِمَت
الأقوات في البلد حتى أكل أهله الميتة، ففتح البلد عنفاً وعفا عن أهله وأخذ أموالاً
عظيمة من الذين أثاروا الخلاف. وغرّم أهل البلد جميع ما أخرج على عسكره، وأخذ
وجوه البلد رهائن عنده، واستعمل عليها عاملاً وانصرف.

وفيها كانت زلازل بالقيروان لم ير مثلها شدة وعظمة. وثار أهل القيروان فقتلوا
من كتامة نحو ألف رجل. وفيها توفي محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن النحوي،
وكان عالماً بنحو البصريين والكوفيين لأنه أخذه عن ثعلب والمبرد. وفيها توفي
محمد بن السري القنطري، وأبو صالح الحافظ وأبو علي بن سيبويه، وأبو يعقوب
اسحاق بن حنين الطبيب^(١).

(١) هو إسحاق بن حنين بن إسحاق بن يعقوب العبادي الطبيب ابن الطبيب له ولأبيه مصنفات كثيرة في هذا
الفن وكان أبوه يعرب كلام أرسططاليس وغيره من حكماء اليونان.

ثم دخلت سنة ثلاثمائة

ذكر عزل الخاقاني عن الوزارة ، ووزارة علي بن عيسى

في هذه السنة ظهر للمقتدر تخطيط الخاقاني ، وعجزه في الوزارة ، فأراد عزله وإعادة أبي الحسن بن الفرات إلى الوزارة ، فمنعه مؤنس الخادم عن ابن الفرات لنفوره عنه لأمر منمنها إنفاذ الجيش إلى فارس مع غيره ، وإعادته إلى بغداد ، وقد ذكرناه . فقال للمقتدر : متى أعدته ظن الناس أنك إنما قبضت عليه شرهاً في ماله ، والمصلحة أن تستدعي علي بن عيسى من مكة وتجعله وزيراً ، فهو الكافي الثقة الصحيح العمل المتين الدين . فأمر المقتدر بإحضاره ، فأنفذ من يحضره ، فوصل إلى بغداد أول سنة إحدى وثلاثمائة ، وجلس في الوزارة . وقبض على الخاقاني وسلم إليه ، فأحسن قبضه ، ووسّع عليه ، وتولّى علي بن عيسى ، ولازم العمل والنظر في الأمور ، وردّ المظالم ، وأطلق من المكوس شيئاً كثيراً بمكة ، وفارس ، وأطلق المواخير . والمفسدات بدوبق . وأسقط زيادات ، كان الخاقاني قد زادها للجند لأنه عمل الدخل ، والخرج ، فرأى الخرج أكثر فأسقط أولئك ، وأمر بعمارة المساجد والجوامع وتبييضها وفرشها بالحصر ، وإشعال الأضواء فيها ، وأجرى للأئمة والقراء والمؤذنين أرزاقاً . وأمر بإصلاح بیمارستانات ، وعمل ما يحتاج إليه المرضى من الأدوية . وقرّر فيها فضلاء الأطباء ، وأنصف المظلومين ، وأسقط ما زيد في خراج الضياع . ولما عزل الخاقاني أكثر الناس التزوير على خطّه بمسامحات ، وإدارات . فنظر علي بن عيسى في تلك الخطوط ، فأنكرها وأراد إسقاطها ، فخاف ذم الناس ورأى أن ينفذها إلى الخاقاني ليميز الصحيح من المزور عليه ، فيكون الذم له . فلما عُرِضَتْ تلك الخطوط عليه قال : هذه جميعها خُطِيَتْ وأنا أمرتُ بها . فلما عاد الرسول إلى علي بن عيسى ، بذلك ، قال : والله لقد كذب ، ولقد علم المزور من غيره ، ولكنه اعترف بها

ليحمده الناس ويذمونني وأمر بها فأجيزت، وقال الخاقاني لولده: يا بني هذه ليست خطي، ولكنه أنفذها إلي وقد عرف الصحيح من السقيم، ولكنه أراد أن يأخذ الشوك بأيدينا ويغضنا إلى الناس، وقد عكست مقصوده.

ذكر خلاف سجستان وعودها إلى

طاعة أحمد بن اسماعيل الساماني

وفي هذه السنة أنفذ الأمير أبو نصر أحمد بن إسماعيل الساماني عسكرياً إلى سجستان، ليفتحها ثانياً وكانت قد عصت عليه وخالف من بها. وسبب ذلك أن محمد بن هرمز المعروف بالمولى الصندلي كان خارجي المذهب، وكان قد أقام ببخارى، وهو من أهل سجستان، وكان شيخاً كبيراً. فجاء يوماً إلى الحسين بن علي بن محمد العارض يطلب رزقه فقال له علي: إن الأصلح لمثلك من المشيوخ أن يلزم رباطاً يعبد الله فيه حتى يوافيه أجله فغاضه ذلك. فانصرف إلى سجستان والوالي عليها منصور بن إسحاق، فاستمال جماعة من الخوارج ودعا إلى الصفار، وبايع في السر عمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث. وكان رئيسهم محمد بن العباس المعروف بابن الحفار، وكان شديد القوة فخرجوا وقبضوا على منصور بن إسحاق أميرهم وحبسوه في سجن أرك، وخطبوا لعمرو بن يعقوب وسلّموا إليه سجستان، فلما بلغ الخبر إلى الأمير أحمد بن إسماعيل سير الجيوش مع الحسين بن علي مرة ثانية إلى زرنج^(١) في سنة ثلاثمائة فحصرها تسعة أشهر، فصعد يوماً محمد بن هرمز الصندلي إلى السور وقال: ما حاجتكم إلى أذى شيخ لا يصلح إلا للزوم رباط يذكرهم بما قاله العارض ببخارى. واتفق أن الصندلي مات فاستأمن عمرو بن يعقوب الصفار. وابن الحفار إلى الحسين بن علي وأطلقوا عن منصور بن إسحاق، وكان الحسين بن علي يكرم ابن الحفار ويقرّبه فواطأ ابن الحفار جماعة على الفتك بالحسين فعلم الحسين ذلك. وكان ابن الحفار يدخل على الحسين لا يحجب عنه فدخل إليه يوماً. وهو مشتمل على سيف، فأمر الحسين بالقبض عليه وأخذه معه إلى بخارى. ولما انتهى خبر فتح سجستان إلى الأمير أحمد استعمل عليها سيمجور الدواتي، وأمر الحسين

(١) زرنج: بفتح أوله وثانيه ونون ساكنه، مدينة هي قصبة سجستان.

بالرجوع إليه ، فرجع معه عمرو بن يعقوب وابن الحفّار وغيرهما . وكان عوده في ذي الحجة سنة ثلاثمائة . واستعمل الأمير أحمد منصوراً ابن عمه إسحاق على نيسابور وأنفذه إليها وتوفي ابن الحفّار .

ذكر طاعة أهل صقلية للمقتدر

وعودهم إلى طاعة المهديّ العلويّ

قد ذكرنا سنة سبع وتسعين ومائتين ، استعمال المهديّ علي بن عمر على صقلية ، فلما وليها كان شيخاً لينا فلم يرض أهل صقلية بسيرته فعزلوه عنهم وولّوا على أنفسهم أحمد بن قرهب ، فلما ولي سيرة سرية إلى ارض قَلُورِيَّة^(١) فغنموا منها وأسروا من الروم ، وعادوا وأرسل ، سنة ثلاثمائة ابنه عليّاً إلى قلعة طبرمين المحدثّة في جيش ، وأمره بحصرها ، وكان غرضه إذا ملكها أن يجعل بها ولده وأمواله وعبيده فإذا رأى من أهل صقلية ما يكره امتنع بها . فحصرها ابنه ستة اشهر ثم اختلف العسكر عليه ، وكرهوا المقام ، فأحرقوا خيمته وسواد العسكر ، وأرادوا قتله فمنعهم العرب . ودعا أحمد بن قرهب الناس إلى طاعة المقتدر ، فأجابوه إلى ذلك ، فخطب له بصقلية ، وقطع خطبة المهدي . وأخرج ابن قرهب جيشاً في البحر إلى ساحل أفريقية ، فلقوا هناك أسطول المهديّ ، ومقدمه الحسن بن أبي خنزير ، فأحرقوا الأسطول ، وقتلوا الحسن ، وحملوا رأسه إلى ابن قرهب . وسار الأسطول الصقلي الى مدينة سفاقس ، فخرّبوها وساروا إلى طرابلس ، فوجدوا فيها القائم بن المهدي فعادوا ؛ ووصلت الخلع السود والألوية إلى ابن قرهب من المقتدر ، ثم أخرج مراكب فيها جيش إلى قَلُورِيَّة فغنم جيشه ، وخرّبوا وعادوا ، وسير أيضاً أسطولاً إلى افريقية ، فخرج عليها أسطول المهدي ، فظفروا بالذي لابن قرهب وأخذوه . ولم يستقم بعد ذلك لابن قرهب حالٌ وأدبر أمره ، وطمع فيه الناس ، وكانوا يخافونه وخاف منه أهل جرجنت^(٢) وعصوا أمره وكتبوا المهدي . فلما رأى ذلك أهل البلاد كاتبوا المهدي أيضاً وكرهوا

(١) قَلُورِيَّة : بكسر أوله وتشديد ثانيه وفتح ، وسكون الواو ، وكسر الراء والياء مفتوحة خفيفة : وهي جزيرة في شرقي صقلية وأهلها أفرنج .

(٢) جرجنت : لم يذكرها معجم البلدان .

الفتنة ، وثاروا بآبن قرهب ، وأخذوه أسيراً سنة ثلاثمائة ، وحبسوه ، وأرسلوه إلى المهديّ مع جماعة من خاصته ، فأمر بقتلهم على قبر ابن أبي خنزير ، فقتلوا ، واستعمل على صقلية ابا سعيد موسى بن أحمد ، وسير معه جماعة كثيرة من شيوخ كُتامة ، فوصلوا إلى طَرَابُش^(١) وسبب إرسال العسكر معه ان ابن قرهب كان قد كتب الى المهدي يقول له : إن أهل صقلية يكثرون الشغب على أمرائهم ولا يطيعونهم وينهبون أموالهم ولا يزول ذلك إلا بعسكر يقهرهم ويزيل الرّئاسة عن رؤسائهم ، ففعل المهدي ذلك . فلما وصل معه العسكر خاف منه أهل صقلية ، فاجتمع عليه أهل جرجنت ، وأهل المدينة وغيرهما فتحصّن منهم أبو سعيد وعمل على نفسه سوراً إلى البحر ، وصار المرسي معه فأقتلوا فانهمز أهل صقلية ، وقتل جماعة من رؤسائهم وأسر جماعة . وطلب أهل المدينة الأمان فأمنهم إلا رجلين هما أثارا الفتنة ، فرضوا بذلك وتسلم الرجلين وسيرهما إلى المهدي بأفريقية ، وتسلم المدينة وهدم أبوابها ، وأتاه كتاب المهدي يأمره بالعفو عن العامة .

ذكر وفاة عبدالله بن محمد صاحب

الأندلس وولاية عبد الرحمن

وفيها توفي عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الأموي صاحب الأندلس في ربيع الأول ، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة . وكان أبيض أصهب أزرق ربعة يخضب بالسّواد . وكانت ولايته خمساً وعشرين سنة واحد عشر شهراً . وخلف أحد عشر ولداً ذكراً أحدهم محمد المقتول ، قتله في حدّ من الحدود وهو والد عبد الرحمن الناصر .

ولما توفي ولي بعده ابن ابنه هذا محمّد واسمه عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي ، وأمه أم ولد تسمى مرتة ، وكان عمره لما قُتل أبوه عشرين يوماً . وكانت ولايته من المستطرف لأنه كان شاباً وبالحضرة أعمامه وأعمام أبيه ، فلم يختلفوا عليه . وولي الإمارة والبلاد

(١) طرابنش : اسم مدينة بجزيرة صقلية .

كلها وقد اختلف عليهم قبله ، وامتنع حصون بكورة ريه وحصن بيشتر ، فحاربها حتى صلحت البلاد بناحيته . وكان من بطليطة أيضاً قد خالفوا فقاتلهم حتى عادوا إلى الطاعة ، ولم يزل يقاتل المخلفين حتى أذعنوا له وأطاعوه نيفاً وعشرين سنة ، فاستقامت البلاد ، وأمنت في دولته ومضى لحال سبيله .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عزل عبدالله بن ابراهيم المسمعي عن فارس ، وكرمان ، واستعمل عليها بدر الحمامي ، وكان بدر يتقلد أصبهان ، واستعمل بعده على أصبهان علي بن وهسودان الديلمي .

وفيها ورد الخبر إلى بغداد ورسول من عامل برقة - وهي من عمل مصر وما بعدها بأربع فراسخ لمصر ، وما وراء ذلك من عمل المغرب - بخبر خارجي خرج عليهم وأنهم ظفروا به وبعسكره ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ووصل على يد الرسول من أنوفهم وآذانهم شيء كثير . وفيها كثرت الأمراض والعلل ببغداد . وفيها كُلبت الكلاب والذئاب بالبادية ، فأهلك خلقاً كثيراً ، وفيها ولي بشر الأفشيني طرسوس . وفيها قلد مؤنس المظفر الحرمين والثغور . وفيها انقضت الكواكب انقضاضاً كثيراً إلى جهة المشرق . وفيها مات اسكندروس بن لاون ، ملك الروم ، وملك بعده ابنه واسمه قسطنطين وعمره اثنتا عشرة سنة . وفيها توفي عبيدالله بن عبدالله بن طاهر بن الحسين ، وكان مولده سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وفيها توفي أحمد بن علي الحداد ، وقيل : سنة تسع وتسعين ومائتين وهو الصحيح . وفيها توفي أحمد بن يعقوب ابن اخي العرق المقرئ ، والحسين بن عمر بن أبي الأحوص ، وعلي بن طيفور النسوي ، وأبو عمر القتات . وفيها في ربيع الآخر توفي يحيى بن علي بن يحيى المنجم المعروف بالنديم .

ثم دخلت سنة احدى وثلاثمائة

في هذه السنة خلع على الأمير أبي العباس بن المقتدر بالله وقتل أعمال مصر والمغرب وعمره أربع سنين ، واستخلف له على مصر مؤنس الخادم ، وهذا أبو العباس هو الذي ولي الخلافة بعد القاهر بالله ، ولقب الراضي بالله . وخلع أيضاً على الأمير علي بن المقتدر وولي الري ودناوند وقزوین وزنجان وأبهر.

وفيها أحضر بدار عيسى رجل يعرف بالحلاج ، ويكنى أبا محمد مشعبداً في قول بعضهم وصاحب حقيقة في قول بعضهم ، ومعه صاحب له فليل : إنه يدعي الربوبية وُصِّلَ هو وصاحبه ثلاثة أيام كل يوم من بكرة الى انتصاف النهار ، ثم يؤمر بهما إلى الحبس . وسنذكر أخباره واختلاف الناس فيه عند صلبه . وفيها في صفر عزل ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان عن الموصل ، وقتل يمين الطولوني المعونة بالموصل ، ثم صرف عنها في هذه السنة واستعمل عليها تحرير الخادم الصغير . وفيها خالف ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان على المقتدر فسير إليه . مؤنساً المظفر وعلى مقدمته ، بني بن نفيس ، خرج إلى الموصل منتصف صفر ومعه جماعة من القواد وخرج مؤنس في ربيع الأول . فلما علم أبو الهيجاء بذلك قصد مؤنساً مستأمناً من تلقاء نفسه وورد معه إلى بغداد فخلع المقتدر عليه . وفيها توفي دميانة أمير الثغور ، وبحر الروم وتقلد مكانه ابن بلك .

ذكر قتل الأمير أبي نصر أحمد بن اسماعيل الساماني وولاية ولده نصر

وفي هذه السنة قتل الأمير أحمد بن اسماعيل بن أحمد الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر . وكان مولعاً بالصيد ، فخرج إلى فربر متصيداً ، فلما انصرف

أمر بإحراق ما اشتمل عليه عسكره وانصرف . فوردَ عليه كتاب نائبه بطبرستان - وهو أبو العباس صعلوك - وكان يليها بعد وفاة ابن نوح بها يخبره بظهور الحسن بن عليّ العلوي الأطروش بها ، وتغلبه عليها وأنه أخرجه عنها فغمّ ذلك أحمد وعاد الى معسكره الذي أحرقه ، فنزل عليه فتطيرّ الناس من ذلك . وكان له أسدٌ يربطه كلّ ليلة على باب مبيته ، فلا يجسر أحد أن يقربه فأغفلوا احضار الأسد تلك الليلة فدخل اليه جماعة من غلمانه فذبحوه على سريره وهربوا ، وكان قتله ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثمائة فحمل إلى بخارى ، فدفن بها ولقّب حينئذ بالشهيد . وطلب أولئك الغلمان فأخذ بعضهم فقتل ، وولى الأمر بعده ولده أبو الحسن نصر بن أحمد وهو ابن ثمان سنين ، وكانت ولايته سنة وثلاثة وثلاثين يوماً . وكان موته في رجب سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ولقّب بالسعيد ، وبايعه أصحاب أبيه ببخارى بعد دفن أبيه . وكان الذي تولى ذلك أحمد بن محمد بن الليث ، وكان متولي أمر بخارى فحملّه على عاتقه وبايع له الناس ، ولما حمله خدّم أبيه ليظهر للناس . خافهم وقال : أتريدون أن تقتلونني كما قتلتم أبي ، فقالوا : لا إنما نريد أن تكون موضع أبيك أميراً . فسكن روعه ، واستصغر الناس نصراً واستضعفوه وظنّوا أن أمره لا ينتظم مع قوة عم أبيه الأمير اسحاق بن أحمد - وهو شيخ السامانية وهو صاحب سمرقند - وميل الناس بما وراء النهر سوى بخارى إليه وإلى أولاده ، وتولى تدبير دولة السعيد نصر بن أحمد أبو عبدالله محمد بن أحمد الجيهاني فأمضى الأمور وضبط المملكة ، واتفق هو وحشم نصر بن أحمد على تدبير الأمر فأحكموه .

ومع هذا فإن أصحاب الأطراف طمعوا في البلاد فخرجوا من النواحي على ما نذكره . فممن خرج عن طاعته أهل سجستان وعم أبيه إسحاق بن أحمد بن أسد بسمرقند وابناه منصور ، وإلياس ابنا اسحاق ، ومحمد بن الحسين بن مت ، وأبو الحسن بن يوسف . والحسين بن عليّ المروزي ، ومحمد بن جيد ، وأحمد بن سهل ، وليلى بن نعمان صاحب العلويين بطبرستان ، ووقعة سيمجور مع أبي الحسن بن الناصر، وقراتكين، وماكان بن كالي ، وخرج عليه اخوته يحيى ومنصور وإبراهيم أولاد أحمد بن إسماعيل وجعفر بن أبي جعفر وابن داود ومحمد بن إلياس، ونصر بن محمد بن مت، ومرداويج، وشمكير ابنازيار . وكان السعيد مظفراً منصوراً عليهم .

ذكر أمر سجستان

ولما قتل الأمير أحمد بن إسماعيل خالف أهل سجستان على ولده نصر وانصرف عنها سيمجور الدواتي فولّاه المقتدر بالله بدرّاً الكبير . فأنفذ إليها الفضل بن حميد ، وأبا يزيد خالد بن محمد المروزي . وكان عبيدُ الله بن احمد الجيهاني بيست والرخج ، وسعد الطالقاني بغزنة من جهة السعيد نصر بن أحمد ، فقصد هما الفضل ، وخالد وانكشفَ عنهما عبيد الله وقبضا على سعد الطالقاني ، وأنفذه إلى بغداد ، واستولى الفضل وخالد على غزنة ، وبست ثم اعتل الفضل وانفرد خالد بالأمور وعصي على الخليفة فأنفذ إليه دركا أخا نجح الطولوني فقاتله فهزمه خالد ، وسار خالد إلى كرمان ، فأنفذ إليه بدر جيشاً فقاتلهم خالد فُجِرِحَ وانهزم أصحابه وأخذ هو أسيراً فمات فحمل رأسه إلى بغداد .

ذكر خروج اسحاق بن أحمد وابنه إلياس

وفي هذه السنة - وهي إحدى وثلاثمائة - خرج على السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل عم أبيه اسحاق بن احمد بن أسد وابنه إلياس ، وكان إسحاق بسمرقند لما قتل أحمد بن اسماعيل وولي ابنه نصر بن أحمد فلما بلغه ذلك عصي بها وقام ابنه إلياس بأمر الجيش وقوي أمرهما ، فساروا نحو بخارى فسار إليه حمويه بن عليّ في عسكر ، وكان ذلك في شهر رمضان فاقتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم إسحاق إلى سمرقند ، ثم جمع وعاد مرة ثانية فاقتلوا قتالاً شديداً فانهزم اسحاق ايضاً وتبعه حمويه الى سمرقند فملكها قهراً ، واختفى إسحاق وطلبه حمويه ووضع عليه العيون والرصد ، فضاق بإسحاق مكانه فأظهر نفسه واستأمن إلى حمويه فأمنه وحمله الى بخارى فأقام بها إلى أن مات . وأما ابنه إلياس فإنه سار الى فرغانة وبقي بها إلى أن خرج ثانياً .

ذكر ظهور الحسن بن علي الأطروش

وفيها استولى الحسن بن عليّ بن الحسن بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب على طبرستان وكان يلقب بالناصر . وكان سبب ظهوره ما نذكره . وقد ذكرنا فيما تقدم عصيان محمد بن هارون على أحمد بن اسماعيل وهربه منه وغير ذلك ، ثم أن الأمير أحمد بن اسماعيل استعمل على طبرستان أبا العباس عبدالله بن

محمد بن نوح ، فأحسن فيهم السيرة وعدل فيهم ، وأكرم من بها من العلويين ، وبالغ في الاحسان إليهم وراسل رؤساء الديلم ، وهاداهم ، واستمانهم . وكان الحسن بن علي الأطروش قد دخل الديلم بعد قتل محمد بن زيد وأقام بينهم نحو ثلاثة عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام ويقتصر منهم على العشر ، ويدافع عنهم ابن حسان ملكهم فأسلم منهم خلق كثير ، واجتمعوا عليه وبنى في بلادهم مساجد . وكان للمسلمين بإزائهم ثغور مثل قزوين . وسالوس ، وغيرهما ، وكان بمدينة سالوس حصن منيع قديم فهدمه الأطروش حين أسلم الديلم والجيل .

ثم إنه جعل يدعوهم إلى الخروج معه إلى طبرستان فلا يجيبونه إلى ذلك إلا حسان بن نوح ، فاتفق أن الأمير أحمد عزل ابن نوح عن طبرستان ، وولأها سلاماً ، فلم يحسن أهلها ، وهاج عليه الديلم فقاتلهم وهزمهم واستقال عن ولايتها فعزله الأمير أحمد ، وأعاد إليها ابن نوح ، فصلحت البلاد معه ، ثم أنه مات بها واستعمل عليها ابو العباس محمد بن إبراهيم صعلوك فغير رسوم ابن نوح وأساء السيرة ، وقطع عن رؤساء الديلم ما كان يهديه إليهم ابن نوح ، فانتهاز الحسن بن علي الفرصة وهيج الديلم عليه ودعاهم إلى الخروج معه فأجابوه وخرجوا معه . وقصدهم صعلوك ، فالتقوا بمكان يسمى نوروز - وهو على شاطئ البحر على يوم من سالوس - فانهزم ابن صعلوك وقُتل من أصحابه نحو أربعة آلاف رجل . وحصر الأطروش الباقين ثم أمنهم على أموالهم وأنفسهم وأهلهم ، فخرجوا إليه فأمنهم وعاد عنهم إلى آمل . وانتهى إليهم الحسن بن القاسم الداعي العلوي ، وكان ختن الأطروش ، فقتلهم عن آخرهم ، لأنه لم يكن أمنهم ولا عاهدهم . واستولى الأطروش على طبرستان ، وخرج صعلوك إلى الري وذلك سنة إحدى وثلاثمائة ، ثم سار منها إلى بغداد .

وكان الأطروش قد أسلم على يده من الديلم الذين هم وراء أسفيدروز إلى ناحية آمل ، وهم يذهبون مذهب الشيعة . وكان الأطروش زيدي المذهب شاعراً مقلداً ظريفاً علامة إماماً في الفقه والدين كثير المجون حسن النادرة . حكى عنه أنه استعمل عبدالله بن المبارك على جرجان ، وكان يرمي بالابنة فاستعجزه الحسن يوماً في شغل له وأنكر عليه فقال : « أيها الأمير أنا أحتاج إلى رجال أجلاذ يعينوني » . فقال : قد بلغني

ذلك ، وكان سبب صممه أنه ضرب على رأسه بسيف في حرب محمد بن زيد فطُرِشَ ، وكان له من الأولاد الحسن ، وأبو القاسم ، والحسين فقال يوماً لابنه الحسن : يا بني ، ههنا شيء من الغراء نلصق به كاغدا فقال : لا إنما ههنا بالخاء فحقدتها عليه ، ولم يولّه شيئاً ، وولّى ابنه أبا القاسم ، والحسين .

وكان الحسن ينكر تركه معزولاً ويقول : أنا أشرف منهما لأن أمي حسنية وأمهما أمة ، وكان الحسن شاعراً وله مناقضات مع ابن المعتز ، ولحقّ الحسن بابن أبي السّاج ، فخرج معه يوماً متصيّداً ، فسقط عن دابته فبقي راجلاً فمرّ به ابن أبي السّاج فقال له : اركبْ معي على دابتي . فقال : أيها الأمير لا يصلح بطلان على دابة .

ذكر القرامطة وقتل الجنابي

في هذه السنة قتل أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي كبير القرامطة قتله خادم له صقلبي في الحمام^(١) فلما قتله استدعى رجلاً من أكابر رؤسائهم وقال له : السيد يستدعيك فلما دخل قتله ففعل ذلك بأربعة نفر من رؤسائهم واستدعى الخامس ، فلما دخل فطنَ لذلك فأمسك بيد الخادم ، وصاح ، فدخل الناس وصاح النساء وجرى بينهم وبين الخادم مناظرات ، ثم قتلوه . وكان أبو سعيد قد عهد إلى ابنه سعيد وهو الأكبر ، فعجز عن الأمر فغلبه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان ، وكان شهماً شجاعاً وسيردُ من أخباره ما يعلم به محله .

ولما قتل أبو سعيد كان قد استولى على هجر ، والإحساء والقطيف والطائف ، وسائر بلاد البحرين . وكان المقتدر قد كتب إلى أبي سعيد كتاباً ليناً في معنى من عنده من أسرى المسلمين ويناظره ويقيم الدليل على فساد مذهبه ، ونفذه مع الرسل ، فلما وصل إلى البصرة بلغهم خبر موته فأعلموا الخليفة بذلك ، فأمرهم بالمسير إلى ولده ، فأتوا أبا طاهر بالكتاب ، فأكرم الرُّسل وأطلق الأسرى ونفذهم إلى بغداد وأجاب عن الكتاب .

(١) كان أصله كپالاً فهرب واستغوى خلقاً من القرامطة والأعراب وغلب على القطيف . وهجر وشغل المعتضد عنه الموت فاستفحل أمره ووقع له مع عساكر المكنتي وقائع وأمور وقتل الحجيج وأفسد البلاد وفعل ما لا يفعله مسلم . قتله خادم له صقلبي في الحمام أرادته على الفاحشة فخنقه الخادم وقتل قاضي الديثور .

ذكر مسير جيش المهدي إلى مصر

في هذه السنة جهّز المهدي العساكر من أفريقية وسيّرهما مع ولده أبي القاسم إلى الديار المصرية ، فساروا إلى برقة ، واستولوا عليها في ذي الحجة . وساروا إلى مصر فملك الاسكندرية والفيوم ، وصار في يده أكثر البلاد وضيق على أهلها . فسير إليها المقتدر بالله مؤسساً الخادم في جيش كثيف ، فحاربهم وأجلاهم عن مصر فعادوا إلى المغرب مهزومين .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة كثرت الأمراض الدموية بالعراق ، ومات بها خلق كثير ، وأكثرهم بالحربية ، فإنها أغلقت بها دور كثيرة لفناء أهلها .
وفيها توفي جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي ببغداد^(١) والقاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر المقدمي الثقفي .

(١) هو أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض المعروف بالفريابي وكان عالماً عظيماً .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثمائة

في هذه السنة أمر علي بن عيسى الوزير بالمسير إلى طرسوس لغزو الصائفة فسار في ألفي فارس معونة لبشر الخادم والي طرسوس فلم يتيسر لهم غزو الصائفة، فغزوها شاتية، في برد شديد وثلج. وفيها تنحى الحسن بن علي الأطروش العلوي عن أمل، بعد غلبته عليها كما ذكرناه. وسار إلى سالوس، ووجه إليه صعلوك جيشاً من الرّي فلقبهم الحسن وهزمهم، وعاد إلى أمل. وكان الحسن بن علي حسن السيرة عادلاً، ولم ير الناس مثله في عدله وحسن سيرته، وإقامته الحق، وقد ذكره ابن مسكويه في كتاب تجارب الأمم، فقال: الحسن بن علي الداعي، وليس به إنما الداعي علي بن القاسم وهو ختن، هذا علي ما ذكرناه. وفيها قبض المقتدر على أبي عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص الجوهري وأخذ ما في بيته من صنوف الأموال، وكان قيمته أربعة آلاف دينار. وكان هو يدعي أن قيمة ما أخذ منه عشرون ألف ألف دينار، وأكثر من ذلك.

ذكر مخالفة منصور بن إسحاق

وفي هذه السنة خالف منصور بن إسحاق بن أحمد بن أسد على الأمير نصر بن أحمد. ووافقه على المخالفة الحسين بن علي المروزي. ومحمد بن حيد. وكان سبب ذلك أن الحسين بن علي لما افتتح سجستان الدفعة الأولى على ما ذكرناه للأمير أحمد بن إسماعيل، طمع أن يتولاها، فولّيا منصور بن إسحاق هذا فخالف أهلها وحبسوا منصوراً. فأنفذ الأمير أحمد علياً أيضاً فافتتحها ثانياً، وطمع أن يتولاها فولّيا سيمجور، وقد ذكرنا هذا جميعه. فلما وليها سيمجور، استوحش علي لذلك ونفّر منه وتحذّث مع منصور بن إسحاق في الموافقة والتعاضد بعد موت الأمير أحمد، وتكون

إمارة خراسان لمنصور ، ويكون الحسين بن عليّ خليفته على أعماله فاتفقا على ذلك ، فلما قتل الأمير أحمد بن إسماعيل كان منصور بن إسحاق بنيسابور ، والحسين بهراة ، فأظهر الحسين العصيان ، وسار إلى منصور يحثه على ما كانا اتفقا عليه ، فخالف أيضاً ، وخطب لمنصور بنيسابور . فتوجه إليها من بخارى حمويه بن عليّ في عسكر ضخّم لمحاربتهم . فاتفق أن منصوراً مات ، فقيل : إن الحسين بن عليّ سمه . فلما قاربه حمويه سار الحسين بن عليّ عن نيسابور إلى هراة ، وأقام بها . وكان محمد بن حيد على شرطة بخارى مدة طويلة ، فسير من بخارى إلى نيسابور ، لشغل يقوم به فوردها ، ثم عاد عنها بغير أمر . فكتب إليه من بخارى بالإنكار عليه فخاف على نفسه ، فعدل عن الطريق إلى الحسين بن عليّ بهراة . فسار الحسين بن عليّ من هراة إلى نيسابور ، واستخلف بهراة أخاه منصور بن عليّ ، واستولى على نيسابور . فسير من بخارى إليه أحمد بن سهل لمحاربته ، فابتدأ أحمد بهراة فحصرها ، وأخذها واستأمن إليه منصور بن عليّ ، وسار أحمد من هراة إلى نيسابور ، وكان وصوله إليها في ربيع الأول سنة ست وثلاثمائة ، فنزل الحسين وحصره ، وقتله ، فانهزم أصحاب الحسين ، وأسّر الحسين بن عليّ ، وأقام أحمد بن سهل بنيسابور . وكان ينبغي أن نذكر استيلاء أحمد على نيسابور وأسر الحسين سنة ست وثلاثمائة ، لكن رأينا أن نجتمع سياق الحادثة لثلاث ينسى أولها .

وأما ابن حيد ، فإنه كان بمرور فلما بلغه استيلاء أحمد بن سهل على نيسابور ، وأسره الحسين بن عليّ سار إليه ، فقبض عليه أحمد ، وأخذ ماله وسواده وسيّره والحسين بن عليّ إلى بخارى . فأما ابن حيد فإنه سير إلى خوارزم ، فمات بها . وأما الحسين بن عليّ فإنه حبس ببخارى إلى أن خلّصه أبو عبد الله الجيهاني ، وعاد إلى خدمة الأمير نصر بن أحمد . فبينما هو يوماً عنده إذ طلب الأمير نصر ماء ، فأتى بماء في كوز غير حسن الصنعة ، فقال الحسين بن عليّ لأحمد بن حمويه ، وكان حاضراً : ألا يهدي والدك إلى الأمير من نيسابور من هذه الكيزان اللطاف النظاف ؟ فقال أحمد : إنما يهدي أبي إلى الأمير مثلك ومثل أحمد بن سهل ، ومثل ليلي الديلمي لا الكيزان ، فاطرق الحسين مفحماً ، وأعجب نصرأ قوله .

ذكر خبر مصر مع العلوي المهدي

وفيها أنفذ أبو محمد عبيد الله العلوي الملقب بالمهدي جيشاً من أفريقية مع قائد من قواد يقال له : حباسة إلى الإسكندرية ، فغلب عليها ، وكان مسيره في البحر ، ثم سار منها إلى مصر فنزل بين مصر والإسكندرية ، فبلغ ذلك المقتدر ، فأرسل مؤنساً الخادم في عسكر إلى مصر لمحاربة حُباسة وأمدّه بالسلاح والمال . فسار إليها فالتقى العسكران في جمادى الاولى فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل من الفريقين جمع كثير وجرح مثلهم ؛ ثم كان بينهم وقعة أخرى بنحوها ثم وقعة ثالثة ورابعة ، فانهمز فيها المغاربة أصحاب العلوي ، وقتلوا وأسروا . فكان مبلغ القتلى سبعة آلاف مع الأسرى وهرب الباقون . وكانت هذه الوقعة سلخ جمادى الآخرة ، وعادوا إلى الغرب . فلما وصلوا إلى الغرب قتل المهدي حُباسة . وفيها خالف عروبة بن يوسف الكتامي على المهدي بالقيروان ، واجتمع إليه خلق كثير من كتامة والبرابر ، فأخرج المهدي إليهم مولاه غالباً فاقتتلوا قتالاً شديداً في محضر القيروان ، فقتل عروبة وبنو عمه وقتل معهم عالم لا يحصون . وجمعت رؤوس مقدميهم في قفة وحملت إلى المهدي فقال : ما أعجب أمور الدنيا قد جمعت هذه القفة رؤوس هؤلاء ، وقد كان يضيق بعساكرهم فضاء المغرب .

ذكر عدة حوادث

فيها غزا بشر الخادم والي طرسوس بلاد الروم ، ففتح فيها وغنم وسبى وأسّر مائة وخمسين بطريقاً ، وكان السبي نحواً من ألفي رأس ؛ وفيها أوقع مؤنس الخادم بناحية وادي الذئاب بمن هنالك من الأعراب من بني شيبان فقتل منهم خلقاً كثيراً ونهب بيوتهم فأصاب فيها من أموال التجار التي كانوا أخذوها بقطع الطريق ما لا يحصى . وفيها في ذي الحجة ماتت بدعة المغنية مولاة غريب^(١) مولى المأمون . وفيها في ذي الحجة خرجت الأعراب من الحاجز على الحجاج ، فقطعوا عليها الطريق ، وأخذوا من العين

(١) في الطبري « مولاة غريب » بالعين المهملة قال : ماتت لست خلون من ذي الحجة وصلى عليها ابو بكر بن المهدي وخلفت ملاً كثيراً وجوهرأ وضياعاً وعقارات فأمر المقتدر بالله بقبض ذلك كله وتوفيت ولها ستون سنة ما ملكها رجل قط .

وما معهم من الأمتعة والجمال ما أرادوا وأخذوا مائتين وخمسين امرأة . وحجَّ بالناس هذه السنة الفضل بن عبد الملك . وفيها قلَّد أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان الموصل . وفيها مات الشاه بن ميكال . وفيها في ليلة الأضحى انقضَّ ثلاثة كواكب كبار اثنان أول الليل ، وواحد آخره سوى كواكب صغار كثيرة ، وإلى آخر هذه السنة انتهى تاريخ أبي جعفر الطبري ، رحمه الله . ورأيتُ في بعض النسخ إلى آخر سنة ثلاث وثلاثمائة ، وقيل : ان سنة ثلاث زيادة فيه ، وليست من تاريخ الطبري والله أعلم ، وفيها توفي اسحاق بن أبي حسان الأنماطي ، وابراهيم بن شريك وأبو عيسى بن القزاز ، وأبو العباس البراني . وعليّ بن محمد بن نصر بن بسام الشاعر ، وله نيف وسبعون سنة .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثمائة

ذكر أمر الحسين بن حمدان

في هذه السنة خَرَجَ الحُسين بن حمدان بالجزيرة عن طاعة المقتدر ، وسبب ذلك أن الوزير علي بن عيسى طالبه بمال عليه من ديار ربيعة - وهو يتولاها - فدافعه فأمره بتسليم البلاد إلى عمال السُلطان فأمتنع . وكان مؤنس الخادم غائباً بمصر لمحاربة عسكر المهدي العلوي صاحب أفريقية ، فجهَّز الوزير رائقاً الكبير في جيشٍ وسيَّره إلى الحسين بن حمدان . وكتب إلى مؤنس يأمره بالسَّير إلى ديار الجزيرة لقتال الحُسين بعد فراغه من أصحاب العلوي . فسار رائق إلى الحسين بن حمدان ، وجمع لهم الحسين نحو عشرين ألف فارس ، وسار إليهم فوصل إلى الحبشة ، وهم قد قاربوها . فلما رأوا كثرة جيشه عَلمُوا عجزَهُم عنه لأنهم كانوا أربعة آلاف فارس ، فانحازوا إلى جانب دجلة ، ونزلوا بموضع ليس له طريق إلَّا من وجه واحد . وجاء الحسين فترل عليهم وحصرهم ، ومنع الميرة عنهم من فوق ومن أسفل ، فضاقت عليهم الأقوات والعلوفات . فأرسلوا إليه يذللون له أن يوليَّه الخليفة ما كان بيده ويعود عنهم فلم يجب إلى ذلك ، ولزم حصارهم ، وأدام قتالهم إلى أن عاد مؤنس من الشام . فلما سمع العسكر بقرية قَوِيَتْ نفوسُهُم وضعُفَت نفوسُ الحسين ومن معه فخرج العسكر إليه ليلاً وكبسوه ، فانهزم وعاد إلى ديار ربيعة ، وسار العسكر فترلوا على الموصل ، وسمع مؤنس خبر الحسين فجذَّ مؤنس في المسير نحوه ، واستصحب معه أحمد بن كيغلق . فلما قَرَّب منه راسله الحسين يعتذر وترددت الرُّسل بينهما فلم يستقر حال . فرحل مؤنس نحو الحسين حتى نزل بإزاء جزيرة ابن عمر .

ورحل الحسين نحو أرمينية مع ثقله وأولاده وتفرَّق عسكر الحسين عنه ، وصاروا إلى مؤنس . ثم إن مؤنساً جهَّز جيشاً في أثر الحسين مقدمهم بليق ومعه سيما الجزري

وجنى الصفواني فتبعوه إلى تلّ فافان فراوها خاوية على عروشها قد قتل أهلها وأحرقها . فجدّوا في اتباعه ، فأدركوه فقاتلوه فانهمز من بقي معه من أصحابه وأسير هو ومعه ابنه عبد الوهاب وجميع أهله ، وأكثر من صحبه وقبض أملاكه . وعاد مؤنس إلى بغداد على الموصل والحسين معه فأركب على جمل هو وابنه ، وعليهم البرانس واللبود الطوال وقمصان من شعر أحمر ، وحُبسَ الحسين وابنه عند زيدان القهرمانة . وقبض المقتدر على أبي الهيجاء بن حمدان وعلى جميع اخوته وحبسوا . وكان قد هرب بعض أولاد الحسين بن حمدان فجمع جمعاً ومضى نحو آمد فأوقع بهم مستحفظها ، وقتل ابن الحسين وأنفذ رأسه إلى بغداد .

ذكر بناء المهديّة

في هذه السنة خرج المهديّ بنفسه إلى تونس . وقرطاجنة وغيرهما ، يرتاد موضعاً على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة . وكان يجذّ في الكتب خروج أبي يزيد على دولته ومن أجله بني المهديّة ، فلم يجد موضعاً أحسن ولا أحصن من موضع المهديّة . وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصل بزند - فبناها ، وجعلها دار مُلكٍ وجعل لها سوراً محكماً وأبواباً عظيمة ، وزنّ كل مصراع مائة قنطار ، وكان ابتداء بنائها يوم السبت لخمس خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة . فلما ارتفع السور أمر رامياً يرمي بالقوس سهماً إلى ناحية المغرب فرمى سهمه فأنتهى إلى موضع المصلّى فقال إلى موضع : هذا يصل صاحب الحمار - يعني أبا يزيد الخارجي - لأنه كان يركب حماراً ، وكان يأمر الصناع بما يعملون . ثم أمر أن ينقر دار صناعة في الجبل تسع مائتي شيني وعليها باب مغلق . ونقر في أرضها اهراء للطعام ومصانع للماء ، وبنى فيها القصور والدور . فلما فرغ منها قال : اليوم أمنت على الفاطميات - يعني بناته - وارتحل عنها . ولما رأى اعجاب الناس بها وبحصانتها كان يقول : هذا لساعة من نهار ، وكان كذلك لأن أبا يزيد وصل إلى موضع السهم ووقف فيه ساعة ، وعاد ولم يظفر .

ذكر عدة حوادث

فيها أغارت الروم على الثغور الجزرية ، وقصدوا حصن منصور وسبوا من فيه وجرى على الناس أمر عظيم ، وكانت الجنود متشاغلة بأمر الحسين بن حمدان . وفيها عاد الحجاج وقد لقوا من العطش والخوف شدة ، وخرج جماعة من العرب على أبي

حامد ورقاء بن محمد المرتب على الثعلبية لحفظ الطريق ، فقاتلهم وظفر بهم ، وقتل جماعة منهم وأسر الباقيين ، وحملهم إلى بغداد ، فأمر المقتدر بتسليمهم إلى صاحب الشرطة ليحسبهم ، فثارت بهم العامة فقتلوهم وألقوهم في دجلة . وفيها ظهر بالجامدة انسان زعم أنه علوي فقتل العامل بها ، ونهبها وأخذ من دار الخراج أموالاً كثيرة ، ثم قتل بعد ظهوره بيسير وقتل معه جماعة من أصحابه ، وأسر جماعة . وفيها ظهرت الروم وعليهم الغنيط ، فأوقعوا بجماعة من مقاتلة طرسوس والغزاة ، فقتلوا منهم نحو ستمائة فارس ، ولم يكن للمسلمين صائفة . وفيها خرج مليح الأرمني إلى مرعش ، فعاث في بلدها ، وأسر جماعة ممن حولها وعاد . وفيها وقع الحريق ببغداد في عدة مواضع فاحترق كثير منها . وفيها توفي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي صاحب كتاب السنن بمكة ، ودفن بين الصفا والمروة ، والحسن بن سفيان النسوي^(١) . وفيها توفي أبو بكر محمد بن عينة بنصيبين ، وكان يتولى أعمال الخراج والضياح بديار ربيعة ، ولما توفي ولي ابنه الحسن مكانه . وفيها توفي أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي المعتزلي^(٢) . وفيها توفي يموت بن المزرع العبدي ، وهو ابن أخت الجاحظ ، توفي بدمشق وحجَّ بالناس هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

(١) هو الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء أبو العباس الشيباني النسوي محدث خراسان ومصنف المسند كان يضرب إليه أباط الإبل في معرفة الحديث والفقه وكان يقني بمذهب أبي ثور .

(٢) كان شيخ المعتزل في عصره ورأساً في علم الكلام أخذ العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري ، وعليه اشتغل أبو الحسن الأشعري ، ثم رجع عنه وردَّ عليه ردّاً معقولاً سفه مذهب الاعتزال .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثمائة ذكر عزل ابن وهسودان عن أصبهان

في هذه السنة في المحرم أرسل علي بن وهسودان - وهو متولي الحرب بأصبهان - غلاماً كان رباه وتبناه إلى أحمد بن شاه متولي الخراج في حاجة، فلقبه راكباً فكلمه في حاجة مولاه، ورفع صوته فشتمه أحمد وقال: يا مؤاجر تكلمني بهذا على الطريق وحرد عليه، فعاد إلى مولاه باكباً وعرفه ذلك فقال: صدق لولا أنك مؤاجر لقتلته، فعاد الغلام فلقبه، وهو راكب فقتله. فأنكر الخليفة ذلك وصرف علي بن وهسودان عن أصبهان وولى مكانه أحمد بن مسرور البلخي، وأقام ابن وهسودان بنواحي الجبل.

ذكر وزارة ابن الفرات الثانية وعزل علي بن عيسى

في هذه السنة في ذي الحجة عزل علي بن عيسى عن الوزارة، وأعيد إليها أبو الحسن علي بن الفرات. وكان سبب ذلك أن أبا الحسن بن الفرات كان محبوساً، وكان المقتدر يشاوره وهو في محبسه ويرجع إلى قوله، وكان علي بن عيسى يمشي أمر الوزارة ولم يتبع أصحاب ابن الفرات وأسبابه ولا غيره. وكان جميل المحضر قليل الشر، فبلغه أن أبا الحسن بن الفرات قد تحدث له جماعة من أصحاب الخليفة في إعادته إلى الوزارة، فشرع واستعفى من الوزارة وسأل في ذلك، فأنكر المقتدر عليه ومنعه من ذلك فسكن. فلما كان آخر ذي القعدة جاءته أم موسى القهرمانة لتتفق معه على ما يحتاج حرم الدار والحاشية التي للدار من الكسوات، والنفقات فوصلت إليه وهو نائم فقال لها حاجبه: إنه نائم ولا أجسر أن أوقظه فأجلسي في الدار ساعة حتى يستيقظ فغضبت من هذا وعادت. واستيقظ علي بن عيسى في الحال فأرسل إليها حاجبه، وولده يعتذر فلم تقبل منه. ودخلت على المقتدر وتخرصت على الوزير عنده

وعند أمه ، فعزله عن الوزارة ، وقبض عليه ثامن ذي القعدة وأُعيد ابن الفرات إلى الوزارة . وضمن على نفسه أن يحمل كل يوم إلى بيت المال ألف دينار وخمسمائة دينار . فقبض على أصحاب الوزير عليّ بن عيسى ، وعاد فقبض على الخاقاني الوزير وأصحابه . واعترض العمال ، وغيرهم وعاد عليهم بأموال عظيمة ليقوم بما ضمنه . وكان عليّ بن عيسى قد تعجل بمال من الخراج لينفقه في العيد فاتسّع به ابن الفرات . وكان قد كاتب العمال بالبلاد كفارس والأهواز وبلاد الجبل وغيرها في حمل المال ، وحثّهم على ذلك غاية الحثّ بعد قبضه فأدّعى ابن الفرات الكفاية ، والنهضة في جمع المال . وكان أبو علي بن مقلة مستخفياً مذ قبض ابن الفرات إلى الآن ، فلما عاد ابن الفرات إلى الوزارة ظهر فأشخصه ابن الفرات وقرّبهُ .

ذكر أمر يوسف بن أبي السّاج

كان يوسف بن أبي السّاج على اذربيجان وأرمينية قد وَلِيَ الحرجَ والصلاة والأحكام وغيرها منذ أول وزارة ابن الفرات الأولى وعليه مال يؤديه إلى ديوان الخلافة . فلما عزل ابن الفرات وولي الخاقاني الوزارة وبعده عليّ بن عيسى طمع فأخّر حمل بعض المال ، فاجتمع له ما قويت به نفسه على الامتناع وبقي كذلك إلى هذه السّنة . فلما بلغه القبض على الوزير عليّ بن عيسى أظهر أن الخليفة أنفذ له عهداً بالرمي وأن الوزير عليّ بن عيسى سعى له في ذلك فأنفذه إليه ، وجمع العساكر وسار إلى الري ، وبها محمد بن علي صعلوك يتولّى أمرها لصاحب خراسان ، وهو الأمير نصر بن أحمد بن إسماعيل السّاماني .

وكان صعلوك قد تغلب على الري وما يليها أيام وزارة علي بن عيسى ثم أرسل إلى ديوان الخلافة فقاطع عليها بمال يحمله . فلما بلغه مسير يوسف بن أبي السّاج نحوه سار إلى خراسان ، فدخل يوسف الري واستولى عليها وعلى قزوين وزنجان وأبهر . فلما بلغ المقتدر فعله وقوله : إن عليّ بن عيسى أنفذ له العهد واللواء بذلك ، فانكره واستعظمه ، وكتب يوسف إلى الوزير ابن الفرات يعرفه أن عليّ بن عيسى أنفذ إليه بعهدته على هذه الأماكن وأنه افتتحها وطرد عنها المتغلبين عليها ، ويعتذر بذلك ويذكر كثرة ما أخرجه . فعظم ذلك على المقتدر وأمر ابن الفرات أن يسأل عليّ بن عيسى عن الذي ذكره يوسف فأحضره وسأله فانكر ذلك . وقال : « سَلُوا الكُتّابَ وحاشية الخليفة فَإِنَّ

العهد واللواء لا بد أن يسير بهما بعض خدم الخليفة أو بعض قواده . فعملوا صدقه . وكتب ابن الفرات إلى ابن أبي السّاج ينكر عليه تعرضه إلى هذه البلاد وكذبه على الوزير عليّ بن عيسى . وجّه العساكر لمحاربته ، وكان مسير العساكر سنة خمس وثلاثمائة ، وكان المقدم على العسكر خاقان المفلحي ومعه جماعة من القواد ، كأحمد بن مسرور البلخي . وسيما الجزري وتحرير الصغير ، فساروا ، والتقوا بيوسف واقتتلوا فهزمهم يوسف وأسر منهم جماعة وأدخلهم الري مشهورين على الجمال . فسير الخليفة مؤنساً الخادم في جيش كثيف إلى محاربته فسار وانضم إليه العسكر الذي كان مع خاقان . فصرف خاقان عن أعمال الجبل ووليها تحرير الصغير . وسار مؤنس فأتاه أحمد بن عليّ - وهو أخو محمد بن عليّ صعلوك - مستأناً فأكرمه ، ووصله . وكتب ابن أبي السّاج يسأل الرضا ، وأن يقاطع على أعمال الري ، وما يليها على سبعمائة ألف دينار . لبیت المال سوى ما يحتاج إليه الجند وغيرهم ، فلم يجبه المقتدر إلى ذلك ، ولو بذل ملء الأرض لما أقره على الري يوماً واحداً لإقدامه على التزوير . فلما عرف ابن أبي السّاج ذلك سار عن الري بعد أن أخربها ، وجبى خراجها في عشرة أيام ، وقلد الخليفة الري وقزوين وأبهر وصيفاً البكتري . وطلب ابن أبي السّاج أن يقاطع على ما كان بيده من الولاية فأشار ابن الفرات بإجابته إلى ذلك ، فعارضه نصر الحاجب وابن الحواري وقالوا : لا يجوز أن يجاب إلى ذلك إلّا بعد أن يطأ البساط . ونسب ابن الفرات إلى موطأة ابن أبي السّاج والميل معه ، فحصل بينهما وبين ابن الفرات عداوة فامتنع المقتدر من إجابته إلى ذلك إلى أن يحضر في خدمته بنفسه . فلما رأى يوسف أن دمه على خطر إن حضر لخدمته حارب مؤنساً ، فانهزم مؤنس إلى زنجان وقتل من قواده سيما بن بويه وأسر جماعة منهم ، فيهم هلال بن بدر ، فأدخلهم اردبيل مشتهرين على الجمال . وأقام مؤنس بزنجان يجمع العساكر ويستمد الخليفة وكاتبه ابن أبي السّاج في الصلح وتراسلاً في ذلك . وكتب مؤنس إلى الخليفة فلم يجبه إلى ذلك ، فلما كان في المحرم سنة سبع وثلاثمائة ، والوزير يومئذ حامد بن العباس اجتمع لمؤنس عسكر كبير فسار إلى يوسف فتواقعا على باب اردبيل ، فانهزم عسكر يوسف وأسر يوسف وجماعة من أصحابه ، وعاد بهم مؤنس إلى بغداد فدخلها في المحرم أيضاً . وأدخل يوسف أيضاً بغداد مشتهراً على جمل وعليه برنس بأذنان الثعالب فأدخل إلى المقتدر ثم حبس بدار الخليفة عند زيدان القهرمانه . ولما ظفر مؤنس بابن أبي السّاج قلد على ابن وهسودان

أعمال الري وذنباوند وقزوين وأبهر وزنجان ، وجعل أموالها لرجاله ، وقلد أصبهان .
وقم وقاشان وسواه أحمد بن علي بن صعلوك ، وسار عن أذربيجان .

ذكر حال هذه البلاد بعد مسير مؤنس

لما سار مؤنس عن أذربيجان إلى العراق وثب سبك غلام يوسف بن أبي الساج
على بلاد أذربيجان فملكها واجتمع إليه عسكر عظيم . فأنفذ إليه مؤنس محمد
ابن عبيد الله الفارقي وقلّده البلاد . وسار إلى سبك وحاربه فانهزم الفارقي وسار
إلى بغداد ، وتمكّن سبك من البلاد ، ثم كتب إلى الخليفة يسأل أن يقاطع على
أذربيجان فأجيب إلى ذلك وقرّر عليه كلّ سنة مائتان وعشرون ألف دينار ، وانفذت إليه
الخلع والعهد ، فلم يقف على ما قرره . ثم وثب أحمد بن مسافر صاحب الطرم على ابن
أخيه علي بن وهسودان - وهو مقيم بناحية قزوين - فقتله على فراشه ، وهرب إلى بلده
فاستعمل مكان علي بن وهسودان وصيفاً البكتمري ، وقلّد محمد بن سليمان صاحب
الجيش أعمال الخراج بها . وسار أحمد بن علي بن صعلوك من قم إلى الري
فدخلها . فأنفذ الخليفة ينكر عليه ذلك ويأمره بالعود إلى قم فعاد . ثم أنه أظهر الخلاف
وصرف عمال الخراج عن قم واستعد للمسير إلى الري فكتب تحرير الصغير - وهو
على همذان - ليسيّر هو ووصيف إلى الري لمنع أحمد بن علي عنها فساروا إليها .
فلقيهم أحمد بن علي على باب الري فهزمهم أحمد ، وقتل محمد بن سليمان ،
واستولى أحمد على الري . وكتب نصراً الحاجب ليصلح أمره مع الخليفة ففعل
ذلك ، وأصلح أمره . وقرّع عليه عن الري وذنباوند وقزوين وزنجان وأبهر مائة وستين
ألف دينار محمولة كل سنة إلى بغداد . فنزل أحمد عن قم فاستعمل الخليفة عليها من
ينظر فيها .

ذكر تغلب كثير بن أحمد على سجستان ومحاربتة

كان كثير بن أحمد بن شهنشاه قد تغلب على أعمال سجستان . فكتب الخليفة
إلى بدر بن عبد الله الحمامي - وهو متقلد أعمال فارس - يأمره أن يرسل جيشاً يحاربون
كثيراً ويؤمّر عليهم دردا ويستعمل على الخراج بها زيد بن ابراهيم . فجّهز بدر جيشاً
كثيفاً وسيّرهم ، فلما وصلوا قاتلهم كثير ، فلم يكن له بهم قوّة وضعف أمره ، وكادوا

يملكون البلد . فبلغ أهل البلد ، أن زيدا معه قيود وأغلال لأعيانهم ، فاجتمعوا مع كثير وشدوا منه ، وقتلوا معه فهزموا عسكر الخليفة . وأسروا زيدا فوجدوا معه القيود ، والأغلال ، فجعلوها في رجله وعنقه . وكتب كثير إلى الخليفة يتبرأ من ذلك ويجعل الذنب فيه لأهل البلد . فأرسل الخليفة إلى بدر الحمامي يأمره أن يسير بنفسه إلى قتال كثير ، فتجهز بدر . فلما سمع كثير ذلك خاف فأرسل يطلب المقاطعة على مال يحمله كل سنة فأجيب إلى ذلك ، وقوطع على خمسمائة ألف درهم ، وقررت البلاد عليه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في الصيف خافت العامة ببغداد من حيوان كانوا يسمونه الزيزب^(١) ويقولون : انهم يرونه في الليل على سطوحهم . وأنه يأكل أطفالهم وربما عض يد الرجل وثدي المرأة فقطعهما وهرب بهما . فكان الناس يتحارسون ويتزاعقون ، ويضربون بالطشوت ، والصواني وغيرها ليفزعوه فارتجت بغداد لذلك ، ثم إن أصحاب السلطان صادوا ليلة حيواناً أبلق بسواد ، قصير اليدين والرجلين ، فقالوا : هذا هو الزيزب وصلبوه على الجسر فسكن الناس . وهذه دابة تسمى طبرة . وأصاب اللصوص حاجتهم لاشتغال الناس عنهم .

وفيها توفي الناصر العلوي صاحب طبرستان في شعبان ، وعمره تسع وسبعون سنة . وبقيت طبرستان في أيدي العلوية إلى أن قتل الداعي - وهو الحسن بن القاسم - سنة ست عشرة وثلاثمائة على ما نذكره . وفيها خالف أبو يزيد خالد بن محمد المادرائي^(٢) على المقتدر بالله بكرمان . وكان يتولى الخراج ، وسار منها إلى شيراز يريد التغلب على فارس . فخرج إليه بدر الحمامي ، فحاربه وقتله وحمل رأسه إلى بغداد وطيف به^(٣) .

(١) الزيزب بزاءين بينهما باء موحدة دابة كالسنور وهي بلقاء بسواد ، قصيرة اليدين والرجلين ، كذا في حياة الحيوان وشرح القاموس ، ووقع في البداية والنهاية لابن كثير - ١٣٤/١٦ - الزرنب بالتون وهو تصحيف .

(٢) الذي في صلة الطبري « أبو يزيد خالد بن محمد الشعراني »

(٣) الذي في صلة الطبري لعريب بن سعد « ان بديراً وجه إلى أبي يزيد خالد قائداً من قواده يعرف بذكره وضم إليه من جنده فارس عسكراً كثيراً وكتب بدر قبل إنفاذ الجيش إلى أبي يزيد يرغبه في الطاعة ويتضمن له العافية مع الأنهاض في المنزلة وخوفه وبال المعصية .

وفيها سار مؤنس المظفر إلى بلاد الروم لغزاة الصائفة . فلما صار بالموصل قلد سبك المفلحي بازندي وقردي وقلد عثمان العنزي مدينة بلد وباعيناثا وسنجار . وقلد وصيفاً البكتيري باقي بلاد ربيعة . وسار مؤنس إلى ملطية وغزا فيها . وكتب إلى أبي القاسم علي بن أحمد بن بسطام أن يغزو من طرسوس في أهلها ، ففعل وفتح مؤنس حصوناً كثيرة من الروم ، وأثر آثاراً جميلة . وعتب عليه أهل الثغور وقالوا : لو شاء لفعل أكثر من هذا ، وعاد إلى بغداد فأكرمه الخليفة وخلع عليه . وفيها توفي يموت بن المزرع العبدي - وهو ابن أخت الجاحظ - ^(١) وسليمان بن محمد بن أحمد أبو موسى النحوي المعروف بالحامض ، أخذ العلم عن ثعلب ^(٢) وكانت وفاته في ذي الحجة وكان من أصحاب ثعلب ، ويوسف بن الحسين بن علي بن يعقوب الرازي وهو من أصحاب ذي النون المصري ، وهو صاحب قصة الفأرة معه .

= ثم أتى الخبر بأن أبا يزيد هذا مات في طريقه فحمل رأسه إلى مدينة السلام ونصب على سور السجن الجديد .

(١) ذكره المؤلف أيضاً في وفيات السنة التي قبلها ولعل ذلك سهو من المؤلف لأن غيره من المؤلفين ذكره في وفيات سنة أربع وثلاثمائة .

(٢) كان ديناً صالحاً أوحّد الناس في البيان والمعرفة بالعربية واللغة والشعر . وإنما قيل له ؛ الحامض لشراسته اخلاقه ، له تصانيف كثيرة وأوصى بكتبه لأبي فاتك المقتدري بخلاؤها أن تصير إلى أحد من أهل العلم ، ذكر بعض المؤلفين وفاته سنة خمس وثلاثمائة .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثمائة

في هذه السنة في المحرم وصل رسولان من ملك الروم إلى المقتدر يطلبان المهادنة والفداء فأكرما أكراماً كثيراً . وأدخلا على الوزير وهو في أكمل أبهة وقد صف الأجناد بالسلاح والزينة التامة وأديا الرسالة إليه . ثم أنهما دخلا على المقتدر وقد جلس لهما واصطف الأجناد بالسلاح والزينة التامة وأديا الرسالة فأجابهما المقتدر إلى ما طلب ملك الروم من الفداء . وسير مؤنس الخادم ليحضر الفداء ، وجعله أميراً على كل بلد يدخله يتصرف فيه على ما يريد إلى أن يخرج عنه ، وسير معه جمعاً من الجنود وأطلق لهم أرزاقاً واسعة ، وأنفذ معه مائة ألف وعشرين ألف دينار لفداء أسارى المسلمين . وسار مؤنس والرسل ، وكان الفداء على يد مؤنس . وفيها أطلق أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان وإخوته ، وأهل بيته من الحبس ، وكانوا محبوسين بدار الخليفة وقد تقدم ذكر حبسهم وسببه . وفيها مات العباس بن عمرو الغنوي ، وكان متقلداً أعمال الحرب بديار مضر ، فجعل مكانه وصيف البكتري فلم يقدر على ضبط العمل ، فعزل وجعل مكانه جني الصفواني فضبطه أحسن ضبط . وفي هذه السنة كانت بالبصرة فتنة عظيمة . وسببها أنه كان الحسن بن الخليل بن رمال متقلداً أعمال الحرب بالبصرة ، وأقام بها سنين وجرت بينه وبين العامة من مضر وربيعة فتن كثير وسكنت . ثم ثارت بينهم فتنة اتصلت ، فلم يمكنه الخروج من منزله برحبة بني نُمير ، واجتمع الجند كلهم معه ، وكان لا يوجد أحد منهم في طريق إلا قُتل حتى حُوصِرَتْ ، وعُورَتْ القناة التي يجري فيها الماء إلى بني نُمير فاضطرَّ إلى الركوب إلى المسجد الجامع ، فقتل من العامة خلقاً كثيراً . فلما عجز عن إصلاحهم خرج هو ومعه الأعيان من أهل البصرة إلى واسط . فعزل عنها واستعمل أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي عليها ، فبقي نحو سنة وصُرف عنها . ووليها سبك المفلحي نيابة عن شفيع المقتدري .

وفيها عُقِدَ لثَمَالِ الخادم على الغزاة في بحر الرُّوم وسار. وفيها غزا جني الصفواني بلاد الروم ، فغنم ونهب وسبى وعاد سالماً . وفي هذه السنة مات أبو خليفة المحدث البصري^(١) . وفيها في جُمادى الأولى مات أبو جعفر بن محمد بن عثمان العسكري المعروف بالسَّمان ويُعرَفُ أيضاً بالعُمري رئيس الأمامية . وكان يدَّعي أنه الباب إلى الإمام المنتظر . وأوصى إلى أبي القاسم بن الحسين بن روح . وفي آخرها توفي أحمد بن محمد بن شريح ، وكان عالماً بمذهب الشافعي .

(١) واسمه الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب أبو خليفة الجمحي البصري كان رحلة الأفاق في زمانه واسم أبيه عمرو ولقبه الحباب ولد سنة ست ومائتين وكان محدثاً ثقة راوية للأخبار فصيحاً مفوهاً اديباً .

ثم دخلت سنة ست وثلاثمائة

ذكر عزل ابن الفرات ، ووزارة حامد بن العباس

في هذه السنة في جُمادى الآخرة قُبِضَ على الوزير أبي الحسن بن الفرات ، وكانت مدّة وزارته هذه - وهي الثانية - سنة واحدة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً . وكان سبب ذلك أنه أخر اطلاق أرزاق الفرسان واحتجّ عليهم بضيق الأموال ، وأنها أُخْرِجَتْ في محاربة ابن أبي الساج ، وأنّ الارتفاع نقص بأخذ يوسف أموال الري وأعمالها ، فشَغِبَ الجندُ شَغْباً عظيماً وخرجوا الى المصلى ، والتمسَ ابنُ الفرات من المقتدر اطلاق مائتي ألف دينار من بيت المال الخاصة ، ليضيفَ إليها مائتي ألف دينار يحصلها ، ويصرف الجميع في أرزاق الجند . فاشتدّ ذلك على المقتدر وأرسل إليه أنك ضمنت ، أنك ترضي جميع الأجناد ، وتقوم بجميع النفقات الراتبية على العادة الأولى ، وتحمل بعد ذلك ما ضمنت أنك تحمله يوماً بيوم فأراك تطلبُ من بيت المال الخاصة . فاحتج بقِلَّةِ الارتفاع وما أخذه ابن أبي الساج من الارتفاع وما خرج على محاربته ، فلم يسمع المقتدر حجته وتنكّر له عليه . وقيل ؛ كان سبب قبضه أن المقتدر قيل له : إن ابن الفرات يريد إرسال الحسين بن حمدان إلى ابن أبي الساج ليخاربه ، وإذا صار عنده اتفقا عليك ، ثم إن ابن الفرات قال للمقتدر في إرسال الحسين إلى ابن أبي الساج . فقتل ابن حمدان في جُمادى الأولى ، وقبض على ابن الفرات في جُمادى الآخرة .

ثم ان بعض العمال ذكر لابن الفرات ما يتحصل لحامد بن العباس من أعمال واسط زيادة على ضمانه فاستكثره ، وأمره أن يكاّته بذلك فكاتبه فخاف حامد أن يؤخذ ويطالب بذلك المال ، فكتب إلى نصر الحاجب وإلى والدته المقتدر ، وضمن لهما مالاً ليتحدثا له في الوزارة . فذكر للمقتدر حاله وسعة نفسه ، وكثرة أتباعه وأنه له أربعمائة مملوك يحملون السلاح . واتفق ذلك عند نفرة المقتدر عن ابن الفرات فأمره بالحضور

من واسط فحضر ، وقبض على ابن الفرات ، وولده المحسن وأصحابهما ، واتباعهما . ولما وصل حامد إلى بغداد أقام ثلاثة أيام في دار الخليفة ، فكان يتحدث مع الناس ويصاحكهم ويقوم لهم ، فبان للخدم ، ولأبي القاسم بن الحواري ، وحاشية الدار قلة معرفته بالوزارة . وقال له حاجبه : يا مولانا الوزير يحتاج إلى لبسه وجلسه وعبسه . فقال له : « تعني أن نلبس ونقعد فلا نقوم لأحد ، ولا نضحك في وجه أحد ، ولا نحدث أحداً » ؟ قال : نعم قال حامد : « إن الله أعطاني وجهاً طلقاً ، وخلقاً حسناً ، وما كنت بالذي أعبس وجهي ، وأقبح خلقي ، لأجل الوزارة » . فعابوه عند المقتدر ونسبوه إلى الجهل بأمور الوزارة ، فأمر المقتدر باطلاق علي بن عيسى من محبسه وجعله يتولى الدواوين شبه النائب عن حامد فكان يراجعه في الأمور ويصدر عن رأيه ، ثم انه استبد بالأمر دون حامد ولم يبق إلى حامد غير إسم الوزارة ، ومعناها علي حتى قيل فيهما :

هذا وزير بلا سواد وذا سواد بلا وزير

ثم إن حامداً أحضر ابن الفرات ليقابله على أعماله ووكل بمناظراته علي بن أحمد الماذرائي ليصحح عليه الأموال فلم يقدر ، على إثبات الحجّة عليه . فانتدب له حامد وسبّه ونال منه وقام إليه فلكمه . وكان حامد سفيهاً ، فقال له ابن الفرات : « أنت على بساط ابن السلطان وفي دار المملكة ، وليس هذا الموضع مما تعرفه من بيدرتقسمه ، أوغلة تستفضل في كيلها ولا هو مثل أكار تشتمه » . ثم قال لشفيح اللؤلؤي : قل لأمر المؤمنين عني : إن حامداً إنما حمله على الدخول في الوزارة وليس من أهلها أني أوجب عليه أكثر من ألفي ألف دينار من فضل ضمانه وألححت في مطالبته بها فظن أنها تندفع عنه بدخوله في الوزارة ، وأنه يضيف إليها غيرها فاستشيط حامد وبالع في شتمه . فأنفذ المقتدر فأقام ابن الفرات من مجلسه وردّه إلى محبسه . وقال علي بن عيسى ، ونصر الحاجب لحامد : قد جنيت علينا وعلى نفسك جناية عظيمة بما فعلته بابن الفرات وأيقظت منه شيطانا لا ينام . ثم ان ابن الفرات صودر على مالٍ عظيم وضرب ولده المحسن وأصحابه وأخذ منهم أموال جمة .

وفي هذه السنة عزل نزار عن شرطة بغداد ، وجعل فيها نجح الطولوني ، وجعل في الارباع فقهاء يكون عمل أصحاب الشرطة بفتواهم فضعت هيبة السلطنة بذلك .

وطمع للصوص والعيارون، وكثرت الفتن وكبست دُور التجار، وأخذت بنات الناس في الطريق المنقطعة وكثر المفسدون.

ذكر ارسال المهدي العلوي العساكر إلى مصر

وفي هذه السنة جهز المهدي صاحب أفريقية جيشاً كثيفاً مع ابنه القاسم وسيرهم إلى مصر - وهي المرة الثانية - فوصل إلى الإسكندرية في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة، فخرج عاملُ المقتدر عنها ودخلها القائمُ ورحل إلى مصر، فدخل الجيزة، وملك الأشمونين، وكثيراً من الصعيد. وكتب إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول في طاعته فلم يقبلوا منه. ووردت بذلك الأخبار إلى بغداد فبعث المقتدر بالله مؤسساً الخادم في شعبان، وجدّ في السير، فوصل إلى مصر، وكان بينه وبين القائم عدّة وقعات. ووصل من أفريقية ثمانون مركباً نجدة للقائم، فأرست بالإسكندرية وعليها سليمان الخادم، ويعقوب الكتامي وكانا شجاعين. فأمر المقتدر بالله أن يسير مراكب طرسوس إليهم، فسار خمسة وعشرون مركباً، وفيها النفط والعدد ومقدمها أبو اليمن. فالتقت المراكب بالمراكب واقتتلوا على رشيد، فظفر أصحاب مراكب المقتدر، وأحرقوا كثيراً من مراكب أفريقية. وهلك أكثر أهلها وأسّر منهم كثير، وفي الأسرى سليمان الخادم، ويعقوب، فقتل من الأسرى كثير وأطلق كثير. ومات سليمان في الحبس بمصر وحمل يعقوب إلى بغداد ثم هرب منها، وعاد إلى أفريقية، وأما عسكر القائم فكان بينه وبين مؤنس وقعات كثيرة، وكان الظفر لمؤنس فلَقِبَ حينئذ بالمظفر، ووقع الوباء في عسكر القائم والغلاء، فمات منهم كثير من الناس والخيّل، فعاد من سلم إلى أفريقية، وسار عسكر مصر في أثرهم حتى أبعُدوا فوصل القائم إلى المهدية في رجب من السنة.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا بشر الأفشيني بلاد الروم فافتتح عدّة حصون وغنم وسَلِمَ، وغزا ثمالك في بحر الروم، فغنم وسبى وعاد. وكان على الموصل أبو أحمد بن حمّاد الموصلي.

وفيها دخل جني الصفواني بلاد الروم، فنهب وخرب وأحرق وفتح وعاد، فقرئت الكتب على المنابر ببغداد بذلك. وفيها وقعت فتنة ببغداد بين العامة،

والحنابلة فأخذ الخليفة جماعة منهم ، وسيرهم إلى البصرة فحبسوا . وفيها أمر المقتدر ببناء بیمارستان^(١) فبنى ، وأجرى عليه النفقات الكثيرة ، وكان يسمى بیمارستان المقتدری . وفيها توفي القاضي محمد بن خلف بن حيّان أبو بكر الضبي المعروف بوكيع ، وكان عالماً بأخبار الناس وغيرها وله تصانيف حسنة^(٢) . والقاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج الفقيه الشافعي وله سبع وخمسون سنة^(٣) . وفيها مات كُنِيزُ المغني وهو مشهور بالحدق في الغناء^(٤)

(كُنِيزَ) بضم الكاف وفتح النون وآخرها زاي .

(١) بیمارستان - بكسر الباء الموحدة وسكون الياء بعدها وكسر الراء - ومعناها دار المرضي قال يعقوب : بیمار

عندهم هو المريض ، واستان المأوى .

(٢) من تصانيفه كتاب عدد آي القرآن ولي القضاء بالأهواز .

(٣) هو أحد أئمة الشافعية وأعلم من بقي بمذهب الشافعي وأقومهم به ويلقب بالباز الأشهب أخذ الفقه عن أبي قاسم الانماطي وعن أصحاب الشافعي كالزمزني وغيره وعنه انتشر مذهب الشافعي في الأفاق . صنف نحو أربعمئة مصنف .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثمائة

في هذه السنة ضَمِنَ حامدُ بن العباس أعمال الخراج والضَّياع الخاصة ،
والعامة ، والمستحدثة ، والفراتية بسواد بغداد ، والكوفة ، وواسط ، والبصرة ،
والأهواز ، وأصبهان . وسبب ذلك أنه لما رأى أنه قد تعطل عن الأمر والنهي وتفرد به
عليّ بن عيسى شرع في هذا ليصير له حديثٌ وأمر ونهي . واستأذن المقتدر في
الانحذار إلى واسط ليُدبّر أمر ضمانه الأول ، فأذن له في ذلك ، فانحدر إليها واسم
الوزارة عليه ، وعليّ بن عيسى يدبر الأمور . وأظهر حامد زيادة ظاهرة في
الأموال ، وزاد زيادة متوفرة فسّر المقتدر بذلك وبسط يد حامد في الأعمال حتى خافه
عليّ بن عيسى . ثم إن السعر تحرك ببغداد فثارت العامة ، والخاصة لذلك واستغاثوا
وكسروا المنابر ، وكان حامد يخزن الغلال وكذلك غيره من القواد ، ونهبت عدة من
دكاكين الدقاقين فامر المقتدر بإحضار حامد بن العباس ، فحضر من الأهواز فعاد الناس إلى
شغبيهم ، فأنفذ حامد لمنعهم فقاتلوهم وأحرقوا الجسرين ، وأخرجوا المحبسين من السجون ،
ونهبوا دار صاحب الشرطة ، ولم يتركوا له شيئاً .

فأنفذ المقتدر جيشاً مع غريب الخال ، فقاتل العامة فهربوا من بين يديه ، ودخلوا
الجامع بباب الطاق ، فوكل بأبواب الجامع ، وأخذ كل من فيه ، فحبسهم وضرب
بعضهم ، وقطع أيدي من يعرف بالفساد . ثم أمر المقتدر من الغد فنودي في الناس
بالأمان فسكنت الفتنة .

ثم إن حامداً ركب إلى دار المقتدر في الطيار فرجحه العامة ، ثم أمر المقتدر
بتسكينهم فسكنوا ، وأمر المقتدر بفتح مخازن الحنطة ، والشعير التي لحامد ولأم
المقتدر ، وغيرهما وبيع ما فيهما ، فرخصت الأسعار وسكن الناس ، فقال عليّ بن

عيسى للمقتدر : إن سبب غلاء الأسعار إنما هو ضمان حامد ، لأنه منع من بيع الغلال في البيادر وخزنها . فأمر بفسخ الضمان عن حامد وصرف عماله عن السواد . وأمر علي بن عيسى أن يتولى ذلك فسكن الناس واطمأنوا . وكان أصحاب حامد يقولون : إن ذلك الشغب كان بوضع من علي بن عيسى .

ذكر أمر أحمد بن سهل

في هذه السنة ظفر الأمير نصر بن أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر بأحمد بن سهل ، ونحن نذكر حاله من أوله ، كان هذا أحمد بن سهل من كبار قواد الأمير إسماعيل بن أحمد وولده أحمد بن إسماعيل وولده نصر بن أحمد . وقد تقدم من ذكر تقدمه على الجيوش في الحروب ما يدل على علو منزلته . وهو أحمد بن سهل بن هاشم بن الوليد بن جبلة بن كامكار بن يزدجر بن شهریار الملك . وكان كامكار دهقاناً بنواحي مرو وإليه ينسب الورد الكامكاري . وهو الشديد الحمرة . وهو الذي يسمى بالري القصراني ، وبالعراق والجزيرة ، والشام الجوري . ينسب إلى قصران وهي قرية بالري وإلى مدينة جور . وهي من مدن فارس . وكان لأحمد اخوة يقال لهم : محمد . والفضل . والحسين قتلوا في عصبية العرب والعجم بمرو . وكان أحمد خليفة عمرو بن الليث على مرو فقبض عليه عمرو ، ونقله إلى سجستان فحبسه بها . فرأى وهو في السجن كأن يوسف النبي عليه السلام على باب السجن فقال له : ادع الله أن يخلصني ويؤتيني فقال له : قد أذن الله في خلاصك لكنك لا تلي عملاً برأسك . ثم إن أحمد طلب الحمام فأدخل إليها فأخذ النورة ، فطلى بها رأسه ، ولحيته فسقط شعره وخرج من الحمام ولم يعرفه أحمد فأختفى ، فطلبه عمرو فلم يظفر به ، ثم خرج من سجستان نحو مرو فقبض على خليفة عمرو واستولى عليها ، واستأمن إلى إسماعيل بن أحمد ببخارى فأكرمه وقدمه ، ورفع قدره وكان عاقلاً كتوماً لأسراره . فلما عصي الحسين بن علي سير إليه أحمد فظفر به على ما ذكرناه ، وضمن له الأمير نصر أشياء لم يف له بها ، فاستوحش من ذلك ، فاتاه يوماً بعض أصحاب أبي جعفر صعلوك ، فحادثه فأنشده أحمد بن سهل ، وقد ذكر حاله ، وأنهم لم يفوا له بما وعدوه .

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني يمينك ، فأنظر أي كفيك تبدل
وفي الناس إن رثت حبالك واصل وفي الأرض عن دار العلا متحول

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل
وتركبُ حدَّ السيفِ من أن تضيّمهُ إذا لم يكن عن شفرة السيفِ مرّجلاً
إذا انصرفَ نفسي عن الشيء لم تكذُ إليه بوجه آخر الدهر تقبل

قال ؛ فعلمت أنه قد أضمر المخالفة ، فلم تمض إلا أيام حتى خالفه بنيسابور ، واستولى عليها ، وأسقط خطبة السعيد نصر بن أحمد ، وأنفذ رسولا إلى بغداد يخطب له أعمال خراسان . وسار من نيسابور إلى جرجان وبها قراتكين فحاربه ، واستولى عليها وأخرج قراتكين عنها . ثم عاد إلى خراسان ، وقصد مرو ، فاستولى عليها وبني عليها سوراً وتحصّن بها . فأرسل إليه السعيد نصر الجيوش مع حمويه بن علي من بخارى ؛ فوافى مرو الروذ فأقام بنواحيها ليخرج إليه أحمد بن سهل منها ، فلم يفعل . ودخل بعض أصحاب أحمد عليه يوماً وهو يفكر بعد نزول حمويه عليه ، فقال له صاحبه : لاشك ان الأمير مشغول القلب لهذا الخطب فما هو رأي الأمير ؟ فقال : ليس بي ما تظن ولكن ذكرت رؤيا رأيتها في حبس سجستان وذكر قول يوسف الصديق عليه السلام : إنك لا تلي عملاً برأسك ، قال : فقلت له : ان القوم يقتنمون سلمك ، ويعطونك ما تريد فإن رأيت أن يتوسط الحال ، فعلنا ، فانشد :

سأغسل عني العار بالسيف جالباً على قضاء الله ما كان جالباً

ولما رأى حمويه أنه لا يخرج إليه من مرو عمل الحيلة في ذلك فجعل يقول : قد أدخلت ابن سهل في جحر فأر سدّدت عليه وجوه الفرار وأشباه هذا من الكلام ليغضب أحمد فيخرج ، فلم يفعل ذلك . فحينئذ أمر حمويه جماعة من ثقات قواده ، فكاتبوا أحمد بن سهل سرّاً وأظهروا له الميل ودعوه إلى الخروج من مرو ، ليسلموا إليه حمويه ، فأجابهم إلى ذلك ، لما في نفسه من الغيظ على حمويه . فخرج عن مرو نحو حمويه فالتقوا على مرحلة من مرو الروذ في رجب سنة سبع وثلاثمائة . فانهزم أصحاب أحمد ، وحارب هو إلى أن عجزت دابته ، فنزل عنها ، واستأمن فأخذ أسيراً ، وأنفذوه إلى بخارى فمات بها في الحبس في ذي الحجة من سنة سبع وثلاثمائة . وكان الأمير أحمد بن اسماعيل بن أحمد يقول : لا ينبغي لأحمد بن سهل أن يغيب عن باب السلطان ، فإنه إن غاب عنه أثار شغلاً عظيماً كأنه كان يترسم فيه ما فعل ، فهكذا ينبغي أن تكون فراسة الملك .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وقع حريق بالكرخ^(١) من بغداد ، فأحترق فيه كثير من الدور والناس . وفيها قُلت إبراهيم بن حمدان ديار ربيعة ، وقُلت بني بن نفيس شهرزور ، فامتنعت عليه فاستمد المقتدر فسير إليه جيشاً ، فحصرها ولم يفتحها وقُلت القتال بالموصل وأعمالها . وفيها أوقع ثمال متولي الغزو في البحر بمراكب للمهدي العلوي صاحب أفرقية ، وقتل جماعة ممن فيها وأسر خادماً له .

وفيها انقضَّ كوكبٌ عظيمٌ ، فاشتد ضوؤه ، وعظم ، وتفرق ثلاث فرق ، وسمع عند انقضاضه ، مثل صوت الرعد الشديد ، ولم يكن في السماء غيمٌ . وفيها كانت فتنة بالموصل بين أصحاب الطعام وبين الأساكفة ، واحترق سوق الأساكفة ، وما فيه . وكان الوالي على الموصل وأعمالها العباس بن محمد بن اسحاق بن كنداج وكان خارجاً عن البلد فسمع بالفتنة فرجع ليوقع باهل الموصل فعزموا على قتاله ، وحصنوا البلد ، وسلّوا الدروب . فلما علم بذلك ، ترك قتالهم ، وأمر الأعراب بتخريب الأعمال ، فصاروا يقطعون الطريق على الجسر ، وفي الميدان ويقاسمونهم فخرّب البلد . فبلغ الخبر إلى الخليفة فعزله سنة ثمان وثلاثمائة . واستعمل بعده عبد الله بن محمد الفتان وكان عفيفاً صارماً كف الأعراب عن البلد . وفيها توفي أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصل صاحب المسند بها^(٢) .

(١) في البداية والنهاية ١١/١٣٩ « بالكرخ في الباقلايتين »

(٢) هو الحافظ أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال أبو يعلى التميمي الموصل صاحب المسند ، كان أماً عالمًا محدثاً فاضلاً وثقه ابن حبان البستي ووصفه بالانتقان والدين وقال بينه وبين النبي ﷺ ثلاثة أنفس .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثلاثمائة

في هذه السَّنة خَلَعَ المقتدرُ على أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان، وقلد طريق خراسان والدينور، وخلع على أخويه أبي العلاء وأبي السرايا.

وفيها وصل رسولُ أخي صعلوك بالمال والهدايا والتحفِ ويخبر باستمراره على الطاعة للمقتدر بالله . وفيها توفي إبراهيم بن حمدان في المحرم . وفيها قلد بدر الشرايبي دقوقاً وعكبرا وطريق الموصل ، وفيها توفي إبراهيم بن محمد بن سفيان صاحبُ مسلم بن الحجاج ، ومن طريقه يروى صحيح مسلم إلى اليوم .

الفهرس

٣	سنة ثمان عشرة ومائتين
٣	ذكر المحنة بالقرآن المجيد
٦	ذكر مرض المأمون ووصيته
٨	ذكر وفاة المأمون وعمره وصفته
٨	ذكر بعض سيرته وأخباره
١٣	ذكر خلافة المعتصم
١٤	ذكر خلاف فضل على زيادة الله
١٤	ذكر عدة حوادث
١٥	سنة تسع عشرة ومائتين
١٥	ذكر خلاف محمد بن القاسم العلوي
١٦	ذكر محاربة الزط
١٦	ذكر محاصرة طليطلة
١٧	ذكر عدة حوادث
١٨	سنة عشرين ومائتين
١٨	ذكر ظفر عجيف بالزط
١٨	ذكر مسير الأفشين لحرب بابك الخرمي
٢٠	ذكر وقعة الافشين مع بابك
٢١	ذكر بناء سامرا
٢٢	ذكر قبض الفضل بن مروان
٢٣	ذكر عدة حوادث

٢٥	سنة إحدى وعشرين ومائتين
٢٥	ذكر محاربة بابك
٢٧	ذكر عدة حوادث
٢٨	سنة اثنتين وعشرين ومائتين
٢٨	ذكر محاربة بابك أيضاً
٢٩	ذكر فتح البذ وأسر بابك
٣٦	ذكر استيلاء عبد الرحمن على طليطلة
٣٧	ذكر عدة حوادث
٣٨	سنة ثلاث وعشرين ومائتين
٣٨	ذكر قدوم الأفشين ببابك
٣٩	ذكر خروج الروم إلى زبطرة
٤٠	ذكر فتح عمورية
٤٦	ذكر حبس العباس بن المأمون
٤٨	ذكر وفاة زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب وابتداء ولاية أخيه الأغلب
٤٩	ذكر عدة حوادث
٥٠	سنة أربع وعشرين ومائتين
٥٠	ذكر مخالفة مازيار بطبرستان
٥٦	ذكر عصيان منكجور قرابة الأفشين
٥٧	ذكر ولاية عبد الله الموصل وقتله
٥٨	ذكر غزاة المسلمين بالأندلس
٥٨	ذكر عدة حوادث
٦٠	سنة خمس وعشرين ومائتين
٦٠	ذكر وصول مازيار إلى سامرا
٦٠	ذكر غضب المعتصم على الأفشين وحبيه
٦٤	ذكر عدة حوادث
٦٥	سنة ست وعشرين ومائتين
٦٥	ذكر موت الأفشين
٦٦	ذكر وفاة الأغلب وولاية أبي العباس محمد بن الأغلب إفريقية وما كان منه

٥١١	الفهرس
٦٦	ذكر ولاية ابنه أبي ابراهيم أحمد
٦٧	ذكر ولاية أخيه أبي محمد زيادة الله
٦٧	ذكر ولاية محمد بن أحمد بن الأغلب
٦٧	ذكر عدة حوادث
٦٩	سنة سبع وعشرين ومائتين
٦٩	ذكر خروج المبرقع
٧٠	ذكر وفاة المعتصم
٧١	ذكر بعض سيرته
٧٣	ذكر خلافة الواثق بالله
٧٣	ذكر الفتنة بدمشق
٧٣	ذكر عدة حوادث
٧٥	سنة ثمان وعشرين ومائتين
٧٥	ذكر غزوات المسلمين في جزيرة صقلية
٧٦	ذكر الحرب بين موسى بن موسى والحرث بن بزيغ
٧٧	ذكر عدة حوادث
٧٩	سنة تسع وعشرين ومائتين
٨١	سنة ثلاثين ومائتين
٨١	ذكر مسير بغا إلى الأعراب بالمدينة
٨٢	ذكر وفاة عبدالله بن طاهر
٨٢	ذكر شيء من سيرة عبدالله بن طاهر
٨٣	ذكر خروج المشركين إلى بلاد المسلمين بالأندلس
٨٤	ذكر عدة حوادث
٨٥	سنة احدى وثلاثين ومائتين
٨٥	ذكر ما فعله بغا بالأعراب
٨٦	ذكر أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي
٨٧	ذكر عدة حوادث
٩٠	سنة اثنتين وثلاثين ومائتين
٩٠	ذكر الحرب مع بني نمير

- ٩١ ذكر موت أبي جعفر الوراق
- ٩٢ ذكر بعض سيرة الوراق بالله
- ٩٤ ذكر خلافة المتوكل
- ٩٤ ذكر عدة حوادث
- ٩٦ سنة ثلاث وثلاثين ومائتين
- ٩٦ ذكر القبض على محمد بن عبد الملك الزيات
- ٩٨ ذكر عدة حوادث
- ١٠٠ سنة أربع وثلاثين ومائتين
- ١٠٠ ذكر هرب محمد بن البعيث
- ١٠١ ذكر إيتاخ وما صار إليه أمره
- ١٠٢ ذكر الخلف بإفريقية
- ١٠٢ ذكر عدة حوادث
- ١٠٣ سنة خمس وثلاثين ومائتين
- ١٠٣ ذكر قتل إيتاخ
- ١٠٤ ذكر أسر ابن البعيث وموته
- ١٠٥ ذكر البيعة لأولاد المتوكل بولاية العهد
- ١٠٥ ذكر ظهور رجل ادعى النبوة
- ١٠٦ ذكر ما كان بالأندلس من الحوادث
- ١٠٦ ذكر عدة حوادث
- ١٠٨ سنة ست وثلاثين ومائتين
- ١٠٨ ذكر مقتل محمد بن إبراهيم
- ١٠٨ ذكر ما فعله المتوكل بمشهد الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام
- ١٠٩ ذكر عدة حوادث
- ١١١ سنة سبع وثلاثين ومائتين
- ١١١ ذكر وثوب أهل أرمينية بعاملهم
- ١١٢ ذكر غضب المتوكل على ابن أبي دؤاد وولاية ابن أكرم القضاء
- ١١٢ ذكر ولاية العباس بن الفضل صقلية وما فتح فيها
- ١١٣ ذكر فتح قصر يانة

٥١٣	الفهرس
١١٤	ذكر ابتداء أمر يعقوب بن الليث
١١٥	ذكر عدة حوادث
١١٦	سنة ثمان وثلاثين ومائتين
١١٦	ذكر ما فعله بغا بتقليس
١١٧	ذكر مسير الروم إلى ديار مصر
١١٧	ذكر وفاة عبد الرحمن بن الحكم وولاية ابنه محمد
١١٨	ذكر عدة حوادث
١١٩	سنة تسع وثلاثين ومائتين
١٢٠	سنة أربعين ومائتين
١٢٠	ذكر وثوب أهل حمص بعاملهم
١٢٠	ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بالأندلس
١٢١	ذكر عدة حوادث
١٢٢	سنة إحدى وأربعين ومائتين
١٢٢	ذكر وثوب أهل حمص بعاملهم
١٢٢	ذكر الفداء بين المسلمين والروم
١٢٣	ذكر غارات البجاة بمصر
١٢٤	ذكر عدة حوادث
١٢٦	سنة اثنتين وأربعين ومائتين
١٢٨	سنة ثلاث وأربعين ومائتين
١٢٩	سنة أربع وأربعين ومائتين
١٣٠	سنة خمس وأربعين ومائتين
١٣٢	ذكر خروج الكفار بالأندلس إلى بلاد الإسلام
١٣٢	ذكر الحرب بين البربر وابن الأغلب بإفريقية
١٣٣	ذكر عدة حوادث
١٣٤	سنة ست وأربعين ومائتين
١٣٦	سنة سبع وأربعين ومائتين
١٣٦	ذكر مقتل المتوكل
١٤٠	ذكر بعض سيرته

- ١٤١ ذكر بيعة المنتصر
- ١٤٣ ذكر ولاية خفاجة بن سفيان صقلية وابنه محمد وغزواتهما
- ١٤٥ ذكر ولاية ابنه محمد
- ١٤٥ ذكر عدة حوادث
- ١٤٦ سنة ثمان وأربعين ومائتين
- ١٤٦ ذكر غزاة وصيف الروم
- ١٤٦ ذكر خلع المعتز والمؤيد
- ١٤٨ ذكر موت المنتصر
- ١٤٩ ذكر بعض سيرته
- ١٤٩ ذكر خلافة المستعين
- ١٥٠ ذكر عدة حوادث
- ١٥٣ سنة تسع وأربعين ومائتين
- ١٥٣ ذكر غزو الروم وقتل علي بن يحيى الأرمني
- ١٥٣ ذكر الفتنة ببغداد
- ١٥٤ ذكر الفتنة بسامرا
- ١٥٤ ذكر قتل أتامش
- ١٥٥ ذكر عدة حوادث
- ١٥٦ سنة خمسين ومائتين
- ١٥٦ ذكر ظهور يحيى بن عمر الطالبي ومقتله
- ١٥٨ ذكر ظهور الحسن بن زيد العلوي
- ١٦١ ذكر عدة حوادث
- ١٦٣ سنة إحدى وخمسين ومائتين
- ١٦٣ ذكر قتل باغر التركي
- ١٦٤ ذكر مسير المستعين إلى بغداد
- ١٦٥ ذكر البيعة للمعتز بالله
- ١٦٧ ذكر حصار المستعين ببغداد
- ١٧٣ ذكر حال الأنبار
- ١٧٩ ذكر غزو الفرنج بالأندلس

- ١٧٩ ذكر عدة حوادث
- ١٨٢ سنة اثنتين وخمسين ومائتين
- ١٨٢ ذكر خلع المستعين
- ١٨٣ ذكر حال وصيف وبغا
- ١٨٣ ذكر الفتنة بين جند بغداد ومحمد بن عبدالله
- ١٨٥ ذكر خلع المؤيد وموته
- ١٨٥ ذكر قتل المستعين
- ١٨٦ ذكر الفتنة بين الأتراك والمغاربة
- ١٨٦ ذكر خروج مساور بالبوازيح
- ١٨٧ ذكر عدة حوادث
- ١٨٩ سنة ثلاث وخمسين ومائتين
- ١٨٩ ذكر أخذ كرج من أبي دلف
- ١٨٩ ذكر قتل وصيف
- ١٩٠ ذكر قتل بندار الطبري
- ١٩٠ ذكر موت محمد بن عبدالله بن طاهر
- ١٩١ ذكر الفتنة بأعمال الموصل
- ١٩٢ ذكر عدة حوادث
- ١٩٣ ذكر ابتداء دولة يعقوب الصفار وملكه هراة وبوشنج
- ١٩٤ سنة أربع وخمسين ومائتين
- ١٩٤ ذكر مقتل بغا الشراي
- ١٩٥ ذكر ابتداء حال أحمد بن طولون
- ١٩٥ ذكر وقعة بين مساور الخارجي وبين عسكر الموصل
- ١٩٥ ذكر عدة حوادث
- ١٩٧ سنة خمس وخمسين ومائتين
- ١٩٧ ذكر استيلاء يعقوب بن الليث الصفار على كرمان
- ١٩٨ ذكر ملك يعقوب فارس
- ١٩٩ ذكر خلع المعترز وموته
- ٢٠١ ذكر خلافة المهتدي

- ٢٠١ ذكر الشعب ببغداد
- ٢٠٢ ذكر ظهور قبيحة أم المعتر
- ٢٠٣ ذكر قتل أحمد بن اسرائيل وأبي نوح
- ٢٠٣ ذكر ولاية سليمان بن عبدالله بن طاهر بغداد وشغب الجند والعامه بها
- ٢٠٤ ذكر استيلاء مفلح على طبرستان وعوده عنها
- ٢٠٥ ذكر استيلاء مساور على الموصل
- ٢٠٦ ذكر أول خروج صاحب الزنج
- ٢١٢ ذكر عدة حوادث
- ٢١٤ سنة ست وخمسين ومائتين
- ٢١٤ ذكر وصول موسى بن بغا إلى سامرا واختفاء صالح
- ٢١٤ ذكر قتل صالح بن وصيف
- ٢١٩ ذكر اختلاف الخوارج على مساور
- ٢٢٠ ذكر خلع المهدي وموته
- ٢٢٣ ذكر بعض سيرة المهدي
- ٢٢٤ ذكر خلافة المعتمد على الله
- ٢٢٥ ذكر أخبار صاحب الزنج
- ٢٢٥ ذكر دخول الزنج الأبله
- ٢٢٦ ذكر أخذ الزنج عبادان
- ٢٢٦ ذكر أخذهم الأهواز
- ٢٢٦ ذكر عزل عيسى بن الشيخ عن الشام وولايته أرمينية
- ٢٢٦ ذكر ابن الصوفي العلوي وخروجه بمصر
- ٢٢٧ ذكر ظهور علي بن زيد على الكوفة وخروجه عنها
- ٢٢٧ ذكر عدة حوادث
- ٢٢٩ سنة سبع وخمسين ومائتين
- ٢٢٩ ذكر عود أبي أحمد الموفق من مكة إلى سر من رأى
- ٢٢٩ ذكر انهزام الزنج من سعيد الحاجب
- ٢٢٩ ذكر خلاص ابن المدبر من الزنج
- ٢٣٠ ذكر انهزام سعيد من الزنج وولاية منصور بن جعفر البصرة

٥١٧	الفهرس
٢٣٠	ذكر انهزام جيش الزنج بالأهواز
٢٣١	ذكر أخذ الزنج البصرة وتخريبها
٢٣٢	ذكر مسير المولد لحرب الزنج
٢٣٢	ذكر قصد يعقوب فارس وملكه بلخ وغيرها
٢٣٣	ذكر ملك الحسن بن زيد العلوي جرجان
٢٣٣	ذكر عدة حوادث
٢٣٥	سنة ثمان وخمسين ومائتين
٢٣٥	ذكر قتل منصور بن جعفر الخياط
٢٣٦	ذكر مسير أبي أحمد إلى الزنج وقتل مفلح
٢٣٦	ذكر قتل يحيى بن محمد البحراني
٢٣٧	ذكر عود أبي أحمد إلى واسط
٢٣٨	ذكر عدة حوادث
٢٤٠	سنة تسع وخمسين ومائتين
٢٤٠	ذكر دخول الزنج الأهواز
٢٤٠	ذكر مسير موسى بن بغا لحرب الزنج
٢٤٢	ذكر ملك يعقوب نيسابور
٢٤٢	ذكر ظهور ابن الصوفي بمصر ثانياً
٢٤٣	ذكر حال أبي عبد الرحمن العمري
٢٤٤	ذكر ما كان هذه السنة بالاندلس
٢٤٤	ذكر عدة حوادث
٢٤٦	سنة ستين ومائتين
٢٤٦	ذكر دخول يعقوب طبرستان
٢٤٧	ذكر الفتنة بالموصل وإخراج عاملهم
٢٤٨	ذكر الحرب بين أهل طليطلة وهوارة
٢٤٨	ذكر عدة حوادث
٢٥١	سنة احدى وستين ومائتين
٢٥١	ذكر الحرب بين محمد بن واصل وابن مفلح
٢٥١	ذكر ولاية أبي الساج الأهواز

- ٢٥٢ ذكر عود الصفار إلى فارس ، والحرب بينه وبين ابن واصل
- ٢٥٢ ذكر تجهز أبي أحمد للمسير إلى البصرة
- ٢٥٣ ذكر ولاية نصر بن أحمد الساماني ما وراء النهر
- ٢٥٥ ذكر عصيان أهل برقة
- ٢٥٦ ذكر ولاية إبراهيم بن أحمد إفريقية
- ٢٥٨ ذكر عدة حوادث
- ٢٦٠ سنة اثنتين وستين ومائتين
- ٢٦٠ ذكر الحرب بين الموفق والصفار
- ٢٦٢ ذكر أخبار الزنج
- ٢٦٣ ذكر وقعة للزنج عظيمة انهزموا فيها
- ٢٦٤ ذكر أخبار أحمد بن عبدالله الخجستاني
- ٢٦٨ ذكر قتل الخجستاني
- ٢٦٩ ذكر عدة حوادث
- ٢٧١ سنة ثلاث وستين ومائتين
- ٢٧١ ذكر وقعة الزنج
- ٢٧١ ذكر استيلاء يعقوب على الأهواز وغيرها
- ٢٧٢ ذكر ملك الروم لؤلؤة
- ٢٧٢ ذكر عدة حوادث
- ٢٧٤ سنة أربع وستين ومائتين
- ٢٧٤ ذكر أسر عبد الله بن كاوس
- ٢٧٤ ذكر أخبار الزنج هذه السنة ودخولهم واسط
- ٢٧٦ ذكر وزارة سليمان بن وهب للخليفة ووزارة الحسن بن مخلد وعزله
- ٢٧٧ ذكر وفاة أماجور وملك ابن طولون الشام وطرسوس وقتل سيما الطويل
- ٢٧٨ ذكر الفتنة ببلاد الصين
- ٢٧٩ ذكر ملك المسلمين مدينة سرقوسة
- ٢٧٩ ذكر عدة حوادث
- ٢٨١ سنة خمس وستين ومائتين
- ٢٨١ ذكر أخبار الزنج

- ٢٨١ ذكر استعمال مسرور البلخي على الأهواز وانهزام الزنج منه
- ٢٨٢ ذكر عصيان العباس بن أحمد بن طولون على أبيه
- ٢٨٣ ذكر موت يعقوب وولاية أخيه عمرو
- ٢٨٤ ذكر عدة حوادث
- ٢٨٦ سنة ست وستين ومائتين
- ٢٨٦ ذكر أخبار الزنج مع أغرتمش
- ٢٨٧ ذكر دخول الزنج رامهرمز
- ٢٨٨ ذكر عدة حوادث
- ٢٩٢ سنة سبع وستين ومائتين
- ٢٩٢ ذكر أخبار الزنج
- ٢٩٥ ذكر وصول الموفق إلى قتال الزنج وفتح المنيعه
- ٢٩٧ ذكر استيلاء الموفق على طهنا
- ٢٩٨ ذكر مسير الموفق إلى الأهواز وإجلاء الزنج عنها
- ٣٠٠ ذكر محاصرة مدينة صاحب الزنج
- ٣٠٤ ذكر عبور الموفق إلى مدينة صاحب الزنج
- ٣٠٦ ذكر الحرب بين الخوارج ببلد الموصل
- ٣٠٧ ذكر عدة حوادث
- ٣٠٩ سنة ثمان وستين ومائتين
- ٣٠٩ ذكر أخبار الزنج
- ٣١٠ ذكر الوقعة بين المعتضد والأعراب
- ٣١١ ذكر أخبار رافع بن هرثمة
- ٣١٢ ذكر الحوادث بالأندلس وبإفريقية
- ٣١٣ ذكر عدة حوادث
- ٣١٥ سنة تسع وستين ومائتين
- ٣١٥ ذكر أخبار الزنج
- ٣١٧ ذكر إحراق قصر صاحب الزنج
- ٣١٩ ذكر غرق نصير
- ٣٢٠ ذكر إحراق قنطرة العلوي صاحب الزنج

٣٢١ ذكر انتقال صاحب الزنج إلى الجانب الشرقي وإحراق سوقه

٣٢٣ ذكر استيلاء الموفق على مدينة صاحب الزنج الغربية

٣٢٥ ذكر استيلاء الموفق على مدينة الخبيث الشرقية

٣٢٧ ذكر خلاف لؤلؤ على مولاه أحمد بن طولون

٣٢٨ ذكر مسير المعتمد إلى الشام وعوده من الطريق

٣٢٨ ذكر الحرب بين عسكر ابن طولون وعسكر الموفق بمكة

٣٢٩ ذكر عدة حوادث

٣٣١ **سنة سبعين ومائتين**

٣٣١ ذكر قتل الخبيث صاحب الزنج

٣٣٦ ذكر الظفر بالروم

٣٣٦ ذكر وفاة الحسن بن زيد وولاية أخيه محمد

٣٣٧ ذكر وفاة أحمد بن طولون وولاية ابنه خمارويه

٣٣٨ ذكر مسير اسحاق بن كنداجيق إلى الشام

٣٣٩ ذكر عدة حوادث

٣٤١ **سنة احدى وسبعين ومائتين**

٣٤١ ذكر خلاف محمد، وعلي العلويين

٣٤١ ذكر عزل عمرو بن الليث عن خراسان

٣٤٢ ذكر وقعة الطواحين

٣٤٣ ذكر الحرب بين عسكر الخليفة وعمرو الصفار

٣٤٣ ذكر حروب الأندلس وإفريقية

٣٤٣ ذكر عدة حوادث

٣٤٥ **سنة اثنتين وسبعين ومائتين**

٣٤٥ ذكر الحرب بين اذكوتكين، ومحمد بن زيد العلوي

٣٤٥ ذكر عدة حوادث

٣٤٨ **سنة ثلاث وسبعين ومائتين**

٣٤٨ ذكر الاختلاف بين ابن أبي الساج وابن كنداج،

٣٤٨ والخطبة بالجزيرة لابن طولون

٣٤٨ ذكر وقعة بين عسكر ابن أبي الساج والشرارة

٥٢١	الفهرس
٣٤٩	ذكر وفاة محمد بن عبد الرحمن وولاية ابنه المنذر
٣٤٩	ذكر عدة حوادث
٣٥١	سنة أربع وسبعين ومائتين
٣٥١	ذكر الحرب بين عسكر عمرو بن الليث وبين عسكر الموفق
٣٥١	ذكر عدة حوادث
٣٥٣	سنة خمس وسبعين ومائتين
٣٥٣	ذكر الاختلاف بين خمارويه وابن أبي الساج
٣٥٣	ذكر الحرب بين ابن كنداج وابن أبي الساج
٣٥٤	ذكر الحرب بين الطائي وفارس العبدي
٣٥٥	ذكر قبض الموفق على ابنه المعتضد بالله
٣٥٦	ذكر استيلاء رافع بن هرثمة على جرجان
٣٥٦	ذكر وفاة المنذر بن محمد الأموي
٣٥٦	ذكر عدة حوادث
٣٥٨	سنة ست وسبعين ومائتين
٣٦٠	سنة سبع وسبعين ومائتين
٣٦١	سنة ثمان وسبعين ومائتين
٣٦١	ذكر الفتنة ببغداد
٣٦١	ذكر وفاة الموفق
٣٦٣	ذكر البيعة للمعتضد بولاية العهد
٣٦٣	ذكر ابتداء أمر القرامطة
٣٦٦	ذكر غزو الروم ووفاة بازمار
٣٦٦	ذكر الفتنة بطرسوس
٣٦٧	ذكر عدة حوادث
٣٦٨	سنة تسع وسبعين ومائتين
٣٦٨	ذكر خلع جعفر بن المعتمد وولاية المعتضد
٣٦٩	ذكر الحرب بين الخوارج، وأهل الموصل، والأعراب
٣٧٠	ذكر وفاة المعتمد
٣٧٠	ذكر خلافة أبي العباس المعتضد

- ٣٧١ ذكر وفاة نصر الساماني
- ٣٧١ ذكر عزل رافع بن هرثمة عن خراسان وقتله
- ٣٧٣ ذكر عدة حوادث
- ٣٧٤ سنة ثمانين ومائتين
- ٣٧٤ ذكر حبس عبدالله بن المهدي
- ٣٧٤ ذكر قصد المعتضد بني شيبان وصلحه معهم
- ٣٧٥ ذكر خروج محمد بن عباد على هارون وكلاهما خارجيان
- ٣٧٦ ذكر عدة حوادث
- ٣٧٧ سنة احدى وثمانين ومائتين
- ٣٧٧ ذكر مسير المعتضد إلى ماردين وملكه إياها
- ٣٧٧ ذكر عدة حوادث
- ٣٧٩ سنة اثنتين وثمانين ومائتين
- ٣٧٩ ذكر النيروز المعتضدي
- ٣٧٩ ذكر قصد حمدان وانهزامه وعوده إلى الطاعة
- ٣٨٠ ذكر انهزام هارون الخارجي من عسكر الموصل
- ٣٨١ ذكر عدة حوادث
- ٣٨٤ سنة ثلاث وثمانين ومائتين
- ٣٨٤ ذكر الظفر بهارون الخارجي
- ٣٨٥ ذكر عصيان دمشق على جيش همارويه وخلاف جنده عليه وقتله
- ٣٨٥ ذكر حصر الصقالبة القسطنطينية
- ٣٨٦ ذكر الفداء بين المسلمين والروم
- ٣٨٦ ذكر الحرب بين عسكر المعتضد وأولاد أبي دلف
- ٣٨٨ ذكر عدة حوادث
- ٣٩٠ سنة أربع وثمانين ومائتين
- ٣٩٤ سنة خمس وثمانين ومائتين
- ٣٩٦ سنة ست وثمانين ومائتين
- ٣٩٦ ذكر ابتداء أمر القرامطة بالبحرين
- ٣٩٧ ذكر عدة حوادث

- سنة سبع وثمانين ومائتين ٣٩٩
- ذكر قتل أبي ثابت أمير طرسوس وولاية ابن الأعرابي ٣٩٩
- ذكر ظفر المعتضد بوصيف ومن معه ٣٩٩
- ذكر أمر القرامطة وانهزام العباس الغنوي منهم ٤٠٠
- ذكر أسر عمرو الصفار وملك إسماعيل خراسان ٤٠١
- ذكر قتل محمد بن زيد العلوي ٤٠٣
- ذكر ولاية أبي العباس صقلية ٤٠٤
- ذكر عدة حوادث ٤٠٦
- سنة ثمان وثمانين ومائتين ٤٠٧
- سنة تسع وثمانين ومائتين ٤٠٩
- ذكر أخبار القرامطة بالشام ٤٠٩
- ذكر أخبار القرامطة بالعراق ٤١٠
- ذكر وفاة المعتضد ٤١٠
- ذكر صفته وسيرته ٤١١
- ذكر خلافة المكتفي بالله ٤١٢
- ذكر قتل عمرو بن الليث الصفار ٤١٢
- ذكر استيلاء محمد بن هارون على الري ٤١٢
- ذكر قتل بدر ٤١٣
- ذكر ولاية أبي العباس عبدالله بن إبراهيم إفريقية ٤١٤
- ذكر عدة حوادث ٤١٥
- سنة تسعين ومائتين ٤١٧
- ذكر أخبار القرامطة ٤١٧
- ذكر أسر محمد بن هارون ٤١٩
- ذكر عدة حوادث ٤٢٠
- سنة إحدى وتسعين ومائتين ٤٢١
- ذكر أخبار القرامطة وقتل صاحب الشامة ٤٢١
- ذكر عدة حوادث ٤٢٢
- سنة اثنتين وتسعين ومائتين ٤٢٤

- ٤٢٤ ذكر استيلاء المكتفي على الشام ، ومصر وانقراض ملك الطولونية
- ٤٢٥ ذكر عدة حوادث
- ٤٢٦ سنة ثلاث وتسعين ومائتين
- ٤٢٦ ذكر أول إمارة بني حمدان بالموصل وما فعلوه بالأكراد
- ٤٢٧ ذكر الظفر بالخلنجي
- ٤٢٨ ذكر أمر القرامطة
- ٤٣١ ذكر عدة حوادث
- ٤٣٢ سنة أربع وتسعين ومائتين
- ٤٣٢ ذكر أخبار القرامطة وأخذهم الحاج
- ٤٣٣ ذكر قتل زكرويه لعنه الله
- ٤٣٤ ذكر عدة حوادث
- ٤٣٦ سنة خمس وتسعين ومائتين
- ٤٣٦ ذكر وفاة اسماعيل بن أحمد الساماني وولاية ابنه أحمد
- ٤٣٧ ذكر وفاة المكتفي
- ٤٣٨ ذكر خلافة المقتدر بالله
- ٤٣٩ ذكر عدة حوادث
- ٤٤١ سنة ست وتسعين ومائتين
- ٤٤١ ذكر خلع المقتدر وولاية ابن المعتز
- ٤٤٤ ذكر حادثة ينبغي أن يحتاط من مثلها ويفعل فيها مثل فعل صاحبها
- ٤٤٤ ذكر ولاية أبي مضر إفريقية وهربه إلى العراق وما كان من أمره
- ٤٤٦ ذكر ابتداء الدولة العلوية بإفريقية
- ٤٥٠ ذكر إرسال أبي عبد الله الشيعي إلى المغرب
- ٤٥١ ذكر ملكه مدينة ميله وانهزاه
- ٤٥٢ ذكر سبب اتصال المهدي بعبد الله بأبي عبد الله الشيعي ، ومسيره إلى سجلماسة
- ٤٥٥ ذكر استيلاء أبي عبد الله على إفريقية ، وهرب زيادة الله أميرها
- ٤٦٠ ذكر مسير أبي عبد الله إلى سجلماسة وظهور المهدي
- ٤٦١ ذكر قتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس
- ٤٦٣ ذكر عدة حوادث

٤٦٥ سنة سبع وتسعين ومائتين

٤٦٥ ذكر استيلاء الليث على فارس وقتله

٤٦٦ ذكر أخذ فارس من سبكري

٤٦٦ ذكر عدة حوادث

٤٦٨ سنة ثمان وتسعين ومائتين

٤٦٨ ذكر استيلاء أحمد بن اسماعيل على سجستان

٤٦٩ ذكر عدة حوادث

٤٧٠ سنة تسع وتسعين ومائتين

٤٧٠ ذكر القبض على ابن الفرات ووزارة الخاقاني

٤٧١ ذكر عدة حوادث

٤٧٣ سنة ثلاثمائة

٤٧٣ ذكر عزل الخاقاني عن الوزارة، ووزارة علي بن عيسى

٤٧٤ ذكر خلاف سجستان وعودها إلى طاعة أحمد بن اسماعيل الساماني

٤٧٥ ذكر طاعة أهل صفلية للمقتدر وعودهم إلى طاعة المهدي العلوي

٤٧٦ ذكر وفاة عبد الله بن محمد صاحب الأندلس وولاية عبد الرحمن

٤٧٧ ذكر عدة حوادث

٤٧٨ سنة إحدى وثلاثمائة

٤٧٨ ذكر قتل الأمير أبي نصر أحمد بن اسماعيل الساماني وولاية ولده نصر

٤٨٠ ذكر أمر سجستان

٤٨٠ ذكر خروج اسحاق بن أحمد وابنه إلياس

٤٨٠ ذكر ظهور الحسن بن علي الأطروش

٤٨٢ ذكر القرامطة وقتل الجنابي

٤٨٣ ذكر مسير جيش المهدي إلى مصر

٤٨٣ ذكر عدة حوادث

٤٨٤ سنة اثنتين وثلاثمائة

٤٨٤ ذكر مخالفة منصور بن إسحاق

٤٨٦ ذكر خبر مصر مع العلوي المهدي

٤٨٦ ذكر عدة حوادث

سنة ثلاث وثلاثمائة

٤٨٨

٤٨٨

٤٨٩

٤٨٩

٤٩١

٤٩١

٤٩١

٤٩٢

٤٩٤

٤٩٤

٤٩٥

٤٩٧

٤٩٩

٤٩٩

٥٠١

٥٠١

٥٠٣

٥٠٤

٥٠٦

٥٠٧

ذكر أمر الحسين بن حمدان

ذكر بناء المهدي

ذكر عدة حوادث

سنة أربع وثلاثمائة

ذكر عزل ابن وهسودان عن أصبهان

ذكر وزارة ابن الفرات الثانية وعزل علي بن عيسى

ذكر أمر يوسف بن أبي الساج

ذكر حال هذه البلاد بعد مسير مؤنس

ذكر تغلب كثير بن أحمد على سجستان ومحاربته

ذكر عدة حوادث

سنة خمس وثلاثمائة

سنة ست وثلاثمائة

ذكر عزل ابن الفرات، ووزارة حامد بن العباس

ذكر إرسال المهدي العلوي العساكر إلى مصر

ذكر عدة حوادث

سنة سبع وثلاثمائة

ذكر أمر أحمد بن سهل

ذكر عدة حوادث

سنة ثمان وثلاثمائة